بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
دائرة الدعوة والإعلام
تخصص دعوة

العولمة وخطرها على الأمة الإسلامية

من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية
دراسة استقرائية وصفية تحليلية

إعـداد

عبد الرحمن عبد الله سليمان الأغبري

مكتبة الإيمان - المنصورة

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

ملخص الأطروحة

تغيرت موازين القوى إثر انتهاء الحرب الباردة، وسادت مصطلحات جديدة كالحداثة، وما بعد الحداثة، والعولمة، والتجارة الدولية، وإعادة الهيكلية والتطورات التكنولوجية والمعلوماتية، والشركات متعددة الجنسيات والخصخصة، وحرية السوق وغيرها من المصطلحات الكثيرة.

وشهد العقد الأخير من القرن العشرين تطوراً متسارعاً في الناحية التكنولوجية، والثورة الاتصالاتية، والأقمار الصناعية، كما حفل هذا العقد بأحداث جسام، وأهوال عظام، وتحطمت خلالها أكبر كتلة اشتراكية عظيمة، الاتحاد السوفيتي، وانهار جدار برلين وانبثق ذلك عن تشكل القطب الواحد الذي ما برح أن أعلن عن ميلاد نظام دولي جديد، وانبرى ليقدم نفسه على أنه الزعيم الأوحد والقائد المغوار لهذا النظام الجديد مقدماً رؤى خاصة لاقتصاد عالمي خاضع له، باسم (العولمة)، التي شغلت العالم بين مؤيد لها ومعارض ومتوقف مندهش، فما هي العولمة؟ وما أبعادها؟ وما سماتها؟ وما وسائلها، وهل هي خير محض سيعم العالم، أم هي شر مستطير يلف العالم بسحبه الكثيفة الخانقة أم هما معاً وأحدهما يغلب الآخر، وأين موقع المسلمين فيها؟ وما هي رؤيتهم لها؟ وما هو حقهم تجاهها؟ وأين يكمن تحديد الخطر فيها؟ وما الواجب الذي يناط بالمسلمين نحوها؟

تقدم هذه الدراسة إجابة على كل هذه التساؤلات خلال أربعة محاور رئيسية، تعرض في أربعة فصول كالتالي: -

تشتمل هذه الأطروحة على مقدمة وأربعة فصول رئيسية: -

الفصل الأول: وتحدث الباحث فيه عن العولمة وأهم التعريفات التي قيلت فيها مع نقد وتحليل لها، ومحاولة فهمهما.

الفصل الثاني: وتطرق إلى أبعاد العولمة ووسائلها وأدواتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والإعلامية..

كما تطرق الباحث في الفصل الثالث: إلى أخطار العولمة وركز على الأخطار الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية.

ثم اختتمت هذه الدراسة بالفصل الأخير: -

الذي حاولت فيه أيضاً تبيين آثار العولمة على المجتمعات الإسلامية مع اختيار اليمن نموذجاً لتلك الآثار.

* * * * *

مقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه وبعد،،،

فارتبط ذكر العولمة عندما ظهر على المستوى العالمي بعالم الاقتصاد وعالم المال ثم أخذت الزاوية تنفرج شيئاً فشيئاً حتى طرحت قضية العولمة على نطاق السياسة والاجتماع والثقافة، ثم ما لبثت أن تشعبت من قبل مروجيها قادة النظام العالمى الجديد بأسلوب ماكر في الفكر والتربية وعلى قادة النظام الجديد الاختراع والتقنيات... و... إلخ وحتى في عالم المرأة إذ بالصيحات ترتفع منادية بعولمة المرأة وتنميطها على النمط الغربي وأنه حق من حقوقها، وأصبح موضوع العولمة من الموضوعات الرئيسة التي تثير نقاشاً واسعاً في البلاد العربية بعد أن أثارت نفس الضجة في بعض البلاد الغربية، وقد ارتبط ذكر العولمة بالمستقبل حتى صار التفكير فيها تفكيراً في المستقبل.

والمتأمل فيما يجري يدرك وبلا أدنى شك الخطر المحدق بالأمم والشعوب وخاصة الشعوب الإسلامية، ومنها العربية والتي لم تحصل بعد على قوامها السياسي والقانوني بين الدول؛ لذا فإن التساؤلات تتزاحم في فكر الباحث من خلال مجمل التغيرات النوعية التي يشاهدها العالم في مستويات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة سوف يحاول الباحث الإجابة عنها في ثنايا البحث بعون الله تعالى.

* * * * *

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع من كونه يتصدى بالطرح والتحليل لظاهرة العولمة والأخطار التي ينتج عنها من خلال:

- تحديد طبيعة الأخطار التي تهدد العالم الإسلامي في جوانبها الثقافية والسياسية والاجتماعية والحضارية..
- طرح خيارات التعاطي مع ظاهرة العولمة، سواء خيارات المواجهة أو خيارات الحد من تلك الأخطار، أو البدائل الحضارية التي تستنهض مقومات الأمة الإسلامية وعناصر قوتها وبلورتها في رؤية حضارية.
- دحض الأطروحات التي ترى أن العولمة تعميماً للإخاء، وحماية للسلام العالمي،

وتحقيقاً للعدالة والمساواة، وتوزيعاً كفؤاً لإنجازات الحضارة الإنسانية والتطور العلمي والتكنولوجي.

- استكشاف قنوات ومعايير التأثير والأخطار الناتجة عن العولمة..

إن في السعي الحثيث من قبل شعوب العالم الثالث ومن خلال رؤاها القاصرة وظناً منها أن في ذلك مواكبة للحضارة الغربية ولحاقاً بقطار العولمة تحت مختلف الشعارات يرى الباحث ضرورة التأكيد على هذا الخطر وإلقاء الضوء على نماذج سارعت للحاق بهذا الموكب فصرعتها العولمة وجنت منها الفقر والجوع والبطالة وغيرها من الآثار السيئة.

* * * * *

مشكلة البحث:

تمثل العولمة ظاهرة مركبة ومتعددة الأبعاد فهي تستهدف تغييرا جذريًا لمقومات المجتمعات وفلسفة ونظم الدول السياسية والاقتصادية والثقافية، وبالتالي فإن المشكلة البحثية تتمثل في:

- غموض وتعقد ظاهرة العولمة وتداخلها مع غيرها من الظواهر المجتمعية.
- السرعة الفائقة في تعميمها والتبشير بها من خلال آليات ومؤسسات عالمية على درجة عالية من النفوذ والتأثير السياسي والاقتصادي.
- ما تفرضه من تحديات أمام تطور المجتمعات الإسلامية والنامية.
- ما تستخدمه من أدوات ووسائل ذات تأثير كبير في مقدرات الشعوب وفي خصوصياتها الثقافية والاجتماعية والحضارية وفي تحديد مسارات واتجاهات مستقبلها وأقطارها.

* * * * *

أهداف البحث:

١- إزالة اللبس والاضطراب حول مفهوم العولمة.

٢- إبراز أهداف العولمة وكشف الأخطار الناجمة عن تطبيق ما يسمى بالعولمة.

٣- التأكيد على خطر العولمة الثقافية والاجتماعية والسياسية بشكل خاص.

٤- الكشف عن الوسائل والآليات التي من خلالها يروج لهذه(الدعوة)بل ويفرض على الشعوب الأخذ بها.

٥- محاولة لإيجاد وسائل وسبل مقاومة هذه (الدعوة)الماكرة وغيرها من الأهداف.

* * * * *

منهج البحث:

وهو المنهج الذي سوف يسلكه الباحث، وكيفية عرض المشكلة بصورة تمكنه من إجراء البحث وفق خطة معينة للوصول إلى النتائج السليمة التي يسعى إليها الباحث في إنجاز هذه الدراسة.

وقد استلزم هذا البحث أن أتبع منهجاً يتلخص في : -

١- المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي[١].

حيث سأقوم بما يلي:

١- جمع ما يشير إلى العولمة من خلال المصادر الرئيسية التي كتبت عنها وعرضها.

٢- تحليل تلك النصوص واستخراج ما يشير إلى أهداف ومهام العولمة.

٣- استقراء وتتبع الشواهد النظرية من خلال مصادرها والشواهد الواقعية من خلال واقع جعل من العولمة منهجاً حضارياً له.

كما سيعني الباحث بتصميم فهارس ليستفيد منها الباحثون وجمهور المهتمين من خلال ما يلي:

١- ترقيم الآيات القرآنية وعزوها.

٢- عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية.

٣- عزو الأقوال إلى قائليها ومصادرها.

---

(١) المقصود بالمنهج الوصفى التحليلى: أى أننى أصف الحالة المدروسة في البداية وصفاً موضوعياً بغض النظر عن إيجابياتها أو سلبياتها ثم أحلل ذلك بحسب ما أجنح إليه كما أدرس الحالة من الناحية التاريخية (متى بدأت؟ وكيف نشأت؟ إلى غيرها من الأسئلة التى تتعلق بالتاريخ.

٤- وضع فهارس البحث كما يلي :

١- فهرس بالآيات القرآنية. ٢- فهرس بالأحاديث النبوية.

٣- فهرس المصادر والمراجع. ٤ - فهرس بالمصطلحات الخاصة بالموضوعات.

الدراسات السابقة:

ظهرت دراسات كثيرة جداً حول العولمة تناولت موضوعها بصورة جادة منها على سبيل المثال:

١- كتاب " فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية "(١):

للمؤلفين البارزين المشهورين «هانس بيتر مارتين» المختص بالعلوم القانونية ويعمل محرراً لمجلة دير شيجل الألمانية، وصديقه «هارالد شومان» وهو زميل للأول يعمل كمحرر لنفس المجلة وهو في الأصل مهندس.

وهذا الكتاب من أدق الكتب التي تناولت هذا الموضوع بأسلوب صحفي رشيق أنيق وطابع أذكى ويمتاز بتناوله للموضوع من مختلف أبعاد العولمة منها الاقتصادية والتي حظيت بأوفر نصيب فيه والاجتماعية والسياسية والبيئية والإعلامية والحضارية وآثار هذه الأبعاد على حياة الناس وما نتج عنها من مخاطر على كل المستويات بما فيها تقليص دور الدولة في مجال الصحة والتعليم والخدمات، وركزا في مؤلفهما هذا على مسألة حقوق الإنسان والدفاع عنه بغض النظر عن جنسه، كما يمتاز بخاتمته التي اتسمت ببعض المقترحات والحلول، التي من شأنها أن تحول العولمة من وحش كاسر إلى صديق إنساني مقبول.

ومن وجهة نظري أنه من المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع تناولاً شاملاً غير أنه لم يتناول مسألة الدين من قريب ولا من بعيد!.

٢- كتاب العولمة(٢):

وهذا كتاب آخر ضمن إصدارات دار الفكر بدمشق، شارك فيه الدكتور / حسن حنفي، والدكتور / صادق جلال العظم، وهو عبارة عن مجال خطابي بينهما واتفق الاثنان في جعل المدخل الثقافي أساساً لفهم العولمة، وركز الكتاب على الإرث الثقافي الذي تحاول العولمة اقتلاعه من جذوره، وفيه تحذير من العولمة على أنها شكل من أشكال الاستعمار

(١) صادر عن سلسة عالم المعرفة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،دولة الكويت ترجمة د. عدنان عباس، مراجعة أ.د رمزي زكي، برقم (٢٣٨).

(٢) صادر عن دار الفكر، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ط١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

القديم الجديد وأنها تستند إلى ركيزة غربية وفنية تعتبر عن الرسمية على مقدرات العالم، ويدعو حنفي إلى مواجهة العولمة على صعيدين عالمي ووطني من خلال السعي المشترك إلى تكوين قطب ثنائي خارج المركز الغربي، والتأكيد على أهمية الثقافة الوطنية، وهذا في حد ذاته هروبٌ من مواجهة العولمة.

في حين يسعى العظم إلى فهم العولمة من مستعد تعبيرات أن الوطنية الماركسية ويصفها بأنها حقبة التحول الرأسمالي في ظل هيمنة الدور المركز في ذات السيادة المتجسمة، متجاهلاً النقد الحديث لظاهرة[١] العولمة مركزاً على الجانب الاقتصادي منها.

وفي الأخير فإن الكتاب في مجمله عبارة عن حوار يضيء موضوع العولمة من جوانب متعددة لكنه لم يتطرق إلى الناحية الأعظم خطر (الناحية الدينية).

٣ – ومن ضمن الدراسات السابقة **كتاب (السيارة ليكساس وشجرة الزيتون)**[٢] لتوماس فريدمان محرر الشؤون الخارجية في جريدة " النيويورك تايمز " والمؤلف... يستغل شهرته ومكانته ليروج للعولمة بأسلوب مراوغ وذكي، وتتحدد رؤية العولمة على أنها كل التطورات التقنية والتقدم الهائل في تقنيات الاتصالات وعلوم الحاسوب واستخدام الإنترنت أو ما يسميه القطع الكهربي، وأن العولمة مضمار سابق يتضمن شروط بالغة الصعوبة، ولا ينجح فيها إلا القليل وهم الذين يمتلكون مؤشرات السرعة والخفة والتصميم والمال.

ويحاول في أكثر من مناسبة – حال ضرب الأمثلة على العولمة – إبراز إسرائيل على أنها المثل الأعلى والقدوة الأولى في تطبيق نظرية العولمة.

وفي معظم صفحات الكتاب يكيل المدائح للعولمة وصناع العولمة، ولبلده أمريكا رائدة العولمة وهو بحق كما عبر عنه د. جلال أمين[٣] أستاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية بالقاهرة (رسول العولمة) وعلى ذلك يمتدح من يحمل مؤهلات العولمة ويستطيع استخدام الجوال والكمبيوتر والإنترنت، ولم يعرج على سلبياتها أبداً فهو رسول صدق لقادة العولمة ومخلص بكل معنى الكلمة، ولذا فهو يستخدم أسلوبه الجذاب ويسترسل بقلمه السيال وكلماته

---

(١) انظر تركي على الربيعو: ما العولمة إنهم ينادون من مكان بعيد، عن مجلة الكلمة للدراسات والأبحاث. ومؤسسات الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان العدد (٢٦) السنةً السابعة، شتاء ٢٠٠٠م/ ١٤٢٠هـ ص ١٣٤.

(٢) صادر عن الدار الدولية للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ترجمة ليلى زيدان، مراجعة فايزة حكيم. ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

(٣) عن مجلة وجهة نظر، العدد الرابع عشر، مارس ٢٠٠٠م، ص ٣٨.

الرشيقة التي يأسر بها بسطاء الناس وربما شريحة من النخبة.

٤- ومن جانب آخر أصدرت مؤسسة الرسالة كتاباً قيماً يتناول موضوع العولمة للمؤلفين فتحي يكن، ورامز طنبور باسم (**العولمة ومستقبل العالم الإسلامي**)[١]، الكتاب يطرح هذه الفكرة من وجهة نظر إسلامية، والحقيقة أن المؤلفين قد أسهما إسهاماً جيداً في توضيح الرؤية عن العولمة سواء من خلال مفهومها التجريدي أم إيضاحها كأيدلوجية متسربلة بثوب غربي أمريكي تدعو إلى تنميط الإنسانية بنمط واحد يصيغه هؤلاء الغربيون لإجبار العالم كله على قبول هذا النمط. ثم ختما كتابهما بالطرح الإسلامي البديل على كل صعيد. وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب رغم صغر حجمه لكنه عظيم الفائدة ومن المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع[٢].

* * * * *

---

(١) صادر عن مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) ومن هذه المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع:

١- نذر العولمة: عبد الحي يحيى زلوم / مؤلف من الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، والطبعة الثانية ٢٠٠٠م، وهي التي اعتمدت عليها في البحث.

٢- عالم محفوف بالمخاطر استراتيجيات الجيل القادم في عصر العولمة: مارك هاينز دانيال - تعريب أدهم شاكر عظيمة، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣- ما العولمة - الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم: تأليف بول هيرست - جراهام طوملبسون، ترجمة: د. فالح عبد الجبار، عن عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية صادرة، عن المجلس الوطني للثقافية والفنون والآداب، الكويت، العدد (٢٧٣)، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، والثانية بالعربية ٢٠٠١م.

٤- العولمة والمستقبل استراتيجية تفكير: د. سيار الجمل، العراق، عن الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٥- فرص العولمة - الأقوياء سيزدادون قوة - تورمان فان - شير ينبرغ - تعريب الدكتور / حسين عمران، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦- ثقافة العولمة وعولمة الثقافة - الدكتور برهان غليون - د. سمير أمين، عن دار الفكر سورية، دار الفكر المعار، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٧- ظاهرة العولمة - رؤية نقدية - الدكتور / بركات محمد مراد. كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف، قطر العدد (٨٦) الطبعة الأولى، ذو القعدة ١٤٢٢هـ.

٨- حديث العولمة وآفاق تطور اليمن، شائف على الحسيني، الآفاق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٩- العرب والعولمة - شجون الحاضر - وغموض المستقبل: د / محمد علي حوات، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

١٠- العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي - مجموعة من الدكاترة والباحثين، مكتبة مدبولي، ومركز البحوث العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، تمهيد، وأربعة فصول وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: تشتمل على :

١ - أهمية الموضوع، سبب اختياره، خطة البحث، أهداف البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، خطة البحث، وتمهيد عن مصطلحات البحث.

الفصل الأول
«العولمة، النشأة، والأبعاد»

وفيه مبحثان، وستة مطالب اشتملت، على تعريف العولمة، ونشأتها، ومراحل تطورها ثم أبعادها.

الفصل الثاني
«وسائل العولمة وأدواتها»

وفيه خمسة مباحث، وعشرون مطلباً: اشتملت على الوسائل الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية والإعلامية.

الفصل الثالث
«أخطار العولمة»

وفيه أربعة مباحث: اشتملت على الأخطار الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات ثم الفهارس.

* * * * *

الفصل الأول:

التعريف..

المبحث الأول:
تعريف العولمة لغة واصطلاحاً

توطئـــة:

لم تظهر في قاموس أكسفورد للكلمات الإنجليزية الجديدة لأول مرة إلا في عـام ١٩٩١ في أمريكا حين وصفت بأنها من الكلمات الجديدة التي بـرزت خـلال التسـعينات[(١)]، وهـي كلمة منسوبة إلى " العالم " أي الكون، وليس إلى العلم، ولهذا فهي توصف بأنها شيء جديد، أو نظام جديد يراد به توحيد العالم في إطار جديـد واحـد، ومـن هنـا أطلـق عليهـا الـبعض: النظام العالمي الجديد، ومع أن عبارة النظام الجديـد تـوحي بـل وتشـير إلى النظـام السياسـي بشكل خاص إلاّ أن مصطلح العولمة يمثل تداخلاً كثيفاً في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي مجالات التربية والأعراف والتقاليد والدين وغير ذلـك كمـا هـو واضـح مـن خلال الكتابات الكثيرة عن العولمة [(٢)]، بـل إنهـا تجـاوزت ذلـك كلـه إلى الحـدود السياسـية والجغرافية بين الدول، حتى قيل: إنّ العولمة ستجعل العـالم يعـيش في عصـر القريـة الكونيـة الموعودة [(٣)].

ولأن مصطلح (العولمة) لا زال مبهماً وفضفاضاً في معنـاه وفي مفهومـه، ومسـتخدماً في جميع مناحي ومجالات الحياة، ولم يجمع مفكرو العولمـة علـى مصـطلح ومفهـوم جـامع مـانع

---

(١) شائف علي الحسيني / حديث العولمة وآفاق تطور الـيمن / الآفـاق للطباعـة والنشـر، ط ٢٠٠١، ص ٣٥، ورجعت إلى قاموس أكسفورد اللغوي، لعام ١٩٩٤م، فلم أجد تعريفاً لكلمة Globalization

Global: effecting of the whole world the global Effects of pellcetion of global worming:

ورجعت إلى برنامج مايكرو سوفت (١٩٩٣ - ٢٠٠١) فوجدت أن معنى العولمة تعـني (أن العمليـات ذات الأثر المحلي تصبح عالمية).

Globalization N 1. the process by which social institutions become adopted on a global scale 2. the process by which a business or company becomes international or starts operating at an internationai ievei.

1993 - 2001 Microsoft Corporation. All rights reserved.

(٢) فمثلاً يقال عولمة الاقتصاد - عولمة السياسـة - عولمـة الاجتمـاع - الثقافـة - الفكـر - المـرأة - الإعـلام - القضايا، وانظر د. موسى أبو الرمش - العولمة والمستقبل مخاطر وتحديات، عـن مجلـة الكلمـة، العـدد (٢٥) السنة (٦) ١٩٩٩م، ص ١٠٣.

(٣) شريط كاسيت محاضرة للشيخ العلامة / ناصر الأحمد.

شامل لها، بل اختلفت تعريفاتهم حسب رؤاهم وحسب مشاربهم الفكرية واختلاف وجهات النظر بحسب العقيدة والمرجعية اللتان يتبناهما كل منهم.

ونظراً لكثافة التدويل لهذا المصطلح حتى خرج عن معناه اللفظي البسيط فإن الباحث يجنح إلى التفصيل في تعريف العولمة فى مطلبين:

* * * * *

المطلب الأول:
تعريف العولمة من الناحية اللغوية

يأتي اشتقاق كلمة «عولمة» على وزن «فوعلة»، لكن الوزن لا يشير إلى المعنى كما أن الاشتقاق الثلاثي (علم) عالِم عالَم عَولَمَ «عَوْلَمَة» مع زيادة التاء لا يدل في معنى الكلمة على مفهوم مباشر ولهذا وضعت هذه الكلمة، كمصطلح يدل على مجموعة من معانٍ تشكل المفهوم العام الذي يدخل ضمن أساس المعنى الاصطلاحي، فهي لا تعني (العالم – العالمية) ولا تعني (العلم – العلمية) بل يأخذ المصطلح بشيء من المعنيين إذ يدخل في مفهوم العولمة «الشمولية» أي العالمية، ويرتبط المعنى أيضاً بالثورة العلمية التكنولوجية الشاملة أي بالحركة التنويرية العالمية، وهنا نبقى ضمن المفهوم الإيجابي للعولمة، لكن العولمة تحتوي على بعض الجوانب السلبية الناتجة عن ربط المعنى بالشمولية والتسلط، أي تسلط الدولة المهيمنة تكنولوجياً أو علمياً حيث ترتبط الكلمة في بعض جوانبها بمفهوم «الإمبريالية»، التي تمثل أعلى مراحل تطور الرأسمالية وهيمنتها ضمن عالمية الشركات الاحتكارية الكبرى المتعددة الجنسيات، والتي لا تعرف حدوداً جغرافية، أي أنها تخرج عن مفهوم الاستعمار الذي يرتبط بالهيمنة والسيطرة في حدود جغرافية وبانتماء بشري محدد.

وكلمة إمبريالية تختلف عن معناها الأصلي اللاتيني «Lmperium» «السلطة» لكن المصطلح يملك علاقة مع معنى«الهيمنة» المرادفة للسلطة بينما كلمة «عولمة» تبتعد عن المعنى الأساسي الاشتقاقي، ومن هنا يدخل في ضمن مفهومها معاني الهيمنة الفكرية والثقافية، شمولية فكر وثقافة وحضارة الآخر الأقوى، أي حضارة القوة العظمى المسيطرة المهيمنة اقتصادياً وفكرياً، مما ينتج عن ذلك استلاب حضاري يؤدي إلى ربط اقتصادي والعكس، ومن هنا يتجلى الربط واضحاً بين مفهوم الإمبريالية كسيطرة عالمية للرأسمال

وبين العولمة كسيطرة عالمية للرأسمال والفكر والثقافة معا، وعلى هذا الأساس تظهر بعض الجوانب السلبية في معنى المصطلح الجديد[١].

والعولمة واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة للكلمة الإنكليزية «Globalization» والكلمتان الأخريات هما «الكوكبة» و«الكونية» وفي اللسان العربي كلمة عولمة من «العالم».

و«العولمة» في اللسان العربي من «العالم» ويتصل بها فعل «عَولَمَ» على صيغة «فَوْعلَ» وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية، والملاحظ على دلالة هذه الصيغة أنها تفيد وجود «فاعل» يفعل هذا ما نلاحظه على صيغة «Zation» في الإنكليزية على خلاف صيغة «Ism» في«Globalism» التي تعنى العالمية [٢].

(والعولمة)هي إحدى المقابلات العربية لكلمة «Globalization» [٣]، ولمثيلاتها في اللغة الأوروبية، التي تدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة [٤]«ويقال أن أصل إطلاقها في اللغة الإنجليزية «Globalization» إكساب الشيء طابع العالمية To - make Worldwide in وفي العربية هي لفظ جمعُ العالم: الخلق: العوالم قال تعالى:**{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}** [٥].

ومن الباحثين العرب من اختار لفظة الكونية في مقابل كلمة «Mondialiyation» أو «الكوكبية» في مقابل كلمة «Planetauixation» ولكن لفظة «العولمة» أصبحت الأكثر شيوعاً ورواجاً من غيرها، والعولمة في اللسان العربي تأتي مشتقة وهي كلمة لها

---

(١) د. محمد قدوح اللغة العالمية وإعادة التعريف مشكلة المصطلح عن الشاهد، مجلة شهرية، بيروت، العدد (١٧٩ - ١٨٠) تموز - آب (٢٠٠٠) ص ٩٧ بتصرف.

(٢) أحمد صدقي الدجاني، تعقيب في كتاب العرب والعولمة على كلام، أ - السيد ياسين، ص ٦٢ وانظر شائف على الحسيني / حديث العولمة وآفاق تطور اليمن، الآفاق للطباعة والنشر، ط ١ / ٢٠٠١م ص ٣٦..

(٣) أ.د/ سالم بن عبد الجبار آل عبد الرحمن، المنتدى، مجلة يمنية، العدد (٦١) جماد أول سنة ١٤٢١هـ ص ٥٠، طوق العولمة عن مطامن العولمة - آفاق معرفية العدد (٢٣) ١٩٩٧م للباحث، محمد عابد الجابري، عن العرب والعولمة، ص ٣٠٠.

(٤) أحمد الشهاب نحو تناول علمي لمفهوم العولمة عن مجلة الكلمة الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، قبرص، العدد (٢٥) السنة (٦) ١٩٩٩م، ص ٥٦.

(٥ الفرقان آية (١).

مثيلات – من حيث الصيغة الصرفية – في اللغة العربية، فمن نظائر عولمة: حوقلة [١] بمعنى الإعياء والضعف، وعومرة [٤] بمعنى الاختلاط والجلبة وجمع الناس، وحبسهم في مكان وكوكب كوكبة [٥] أيضاً بمعنى الجماعة، والنورج [٦] والنيرجة بمعنى: الاختلاف إقبالاً وإدباراً، وكثر هذا الوزن في كلام المحدثين، فقالوا: كوكبة، وبلورة [٧]، وحوسبة [٨] وغيرها من الكلمات[*].

وافترض لها الدكتور / عبد الصبور شاهين وهو عضو مجمع اللغة العربية فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي: (مع التحفظ على بعض كلامه من حيث الوزن والصيغة) فقال: «إن كلمة» «عولمة» تأتي على صيغة فعللة وأضاف: وإنّ هذه الصيغة تأتي للتعبير عن مفهوم الإحداث والإضافة، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة (التفعيل) وتستعمل الصيغتان مقابل الكلمات التي تنتهي باللاحقة(ion) لإفادة المعنى نفسه كما نجد ذلك في كلمات مثل (Capitaliyation) وهي الرسملة على وزن(الفعللة)، وتعنى إحداث الاتجاه نحو الرأسمالية مثل(Eygptioniation) بمعنى التمصير، أي صبغ الشيء بصبغة المصرية، ويضيف الدكتور شاهين قوله: «تلكم هي القاعدة السليمة في معاملة أمثال هذه الكلمات، فإذا جاءت كلمة «عولمة»وجب حملها على معنى الإحداث أو الإضافة في مقابل (Glob - alization) لا على معنى العنونة وتسمية الاتجاه المقابل لمصطلح (Globalism) الذي يقابله في العربية السليمة صيغة المصدر الصناعي «العولمية» وهو ما نوحي به لمن يحتاجون إلى استخدام المصطلح بوجه عام».

ثم بدأ يسوق أدلة يقرر بها كلامه فقال: إذا رجعنا إلى استعمال العربية لصيغة الفعللة فسنجد من أمثلتها ما يجيء من فعلٍ أصلي رباعي مثل: دحرج دحرجةً، وبعثر بعثرةً، ومنها ما يجيء من المعرّب: مثل بستر، بسترةً، وتلفز تلفزةً، ومنها ما يجيء من المنحوت، مثل بسمل بسملةً وحمدل حمدلةً، فإما العولمة مصدراً فقد جاءت توليداً من كلمة عالم، ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي [٢].

---

(١)، (٤)، (٥)، (٦) انظر: الفيروز آبادي – القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ط٣ / ١٩٩٣، ص ٧٤، (٥٧١) (٦٨)، (٢٦٥).

(*) د. يوسف القرضاوي – المسلمون والعولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط ١ / ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص ٩.

(٢) د. عبد الصبور شاهين – في العولمة جريمة تذويب الأصالة عن المعرفة مجلة شهرية، تصدر عن مؤسسة=

وهذا د. الجابري يعتقد أن عولمة كلمة تدل على تحويل الشيء إلى وضع آخر، وهذه الصيغة كثيرة الاستعمال في اللغة العربية ثم يعقد د / الجابري مقارنة مفيدة بين كلمة «عولمة» و«خوصصة» ليصل بمقارنته هذه إلى أن الخوصصة إنما هي شرط من شروط العولمة، وهي تقود إلى العولمة الحقيقية، ويرى الباحث كوجهة نظر أن في كلام الجابري واقع حال ومشاهد وهو كلام وجيه حيث يقول:

(إن الصيغة الصرفية لكلمة "عولمة" المقابلة لكلمة "فوعلة" تدل على تحويل الشيء على وصفية أخرى مثل "قولبة" من قولب، أي وضع الشيء في صيغة قالب... إلخ وهي صيغة مصدر لفعل يشتق من الاسم (قولبه من قولب من قالب، ويستعمل الكثيرون اليوم "أسلمة" من أسلم ومن إسلام)[١]. وهو يذهب إلى أن كلمة عولمة لم تستعمل في المغرب العربي، بل استعملت كلمة خوصصة، حيث قال:

(بالمقارنة بكلمة خوصصة التي لم تستعمل على نطاق عام، بل بقي استعمالاً خاصاً بدول المغرب التي تستعملها لأداء معنى المصطلح الأوروبي الحديث (Privatization) التي تعني نقل ملكية الدولة إلى الخواص، وفي بعض دول المشرق تستعمل كلمة «خصخصة» وفي بعضها «تخصيص» وفي هذا نوع من «العمل الوحدوي» على صعيد اللغة والمصطلح)[٢].

يضيف أن: «الخوصصة» ليست مشتقة من فعل خصّ يخصّ حتى نقول «تخصيص» بل من «خاص» «خاصص» مفرد خواصّ. أما «خصخص» فلا أصل لها في الأسماء ولا في الأفعال... و«العولمة» على هذا الاعتبار هي وضع الشيء على مستوى «العالم» مثلما أن الخوصصة هي وضعه على مستوى الخاص أو الخواص.

=أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (الرياض) العدد ٤٨ ربيع أول ١٤٢٠هـ - ص٨٢.
وانظر هذا المعنى عند د. بركات محمد مراد - ظاهرة العولمة رؤية نقدية، كتاب الأمة سلسلة دورية عن وزارة الأوقاف القطرية والشئون الإسلامية - قطر (العدد ٨٦) ذو القعدة ١٤١٢هـ - السنة (٢١) ط ١/ ٢٠٠١م، ص ٩٦.

(١) د محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية، ط١/ ١٩٩٧م، ص١٣٥.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وهذه العلاقة على مستوى الوزن الصرفي اللغوي تعززها علاقة أخرى أكثر أهمية تقع على مستوى الدلالة والماهية، فالخوصصة خطوة نحو العولمة أو هي شرط من شروطها[(١)].

ثم يرجع على كلمة العولمة فيقول «العولمة» ترجمة لكلمة «Mondialisation» الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المحدود المراقب إلى غيرالمحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، وهي في الأصل ترجمة للكلمة «Globalization» الإنكليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. وبهذا المعنى يمكن الحدس أو على الأقل الافتراض، أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلدٍ أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع: العالم كله [(٢)].

بل إن البعض يشير إلى أن المشكلة لا تكمن في قصور اللغة العربية عن نقل المصطلح الأجنبي الواحد في حين أنها مشكلة وقضية في اللغات الأخرى، إنما يكمن العيب في أن: البداية هو المفهوم الغربي الوافد، والتعثر في إيجاد مرادف لـه بالعربية، وقد تم نقل لفظ «Globalization» الإنكليزية إلى الفرنسية «Mondialization» ولم يكن في ذلك أي قصور في اللغة الفرنسية بل إن لفظ العولمة مشتقة من عالم الذي يقابل (World) وليس من الكوكب الذي يقابل (Globe) مما يجعل البعض يفضل كوكبة على عولمة، ولفظ(العالم) لم يرد في القرآن في حين ورد لفظ (الكوكب) [(٣)].

* * * * *

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) د الجابري المرجع السابق ص ١٣٦-١٣٧.

(٣) د / حسن حنفي في - ما العولمة، عن دار الفكر دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١/ ١٩٩٩م، ص ٢١، وانظر إسماعيل صبري عبد الله: العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة)، بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ضمن كتاب العرب والعولمة الصادر عن المركز، ط ٢، ١٢/ ١٩٩٨م، ص ٣٦١.

المطلب الثاني:
تعريف العولمة من الناحية الاصطلاحية

يعتبر مصطلح العولمة من جملة المصطلحات التي وصلت إلينا مع كثير من سابقاتها من المصطلحات، والتي تلقتها المجتمعات الإسلامية والعربية بالشرح والتحليل مثلها مثل – العلمانية – الرأسمالية – الإمبرالية – الحداثة – ما بعد الحداثة... إلى غير ذلك من المصطلحات ولقد تباينت وتعددت الآراء والتعاريف والمفاهيم التي تناولت هذا المصطلح أو هذه الظاهرة، ونتيجة لتعدد هذه التعاريف، فإن الباحث يفضل أن يختار نماذج منها كمجموعات مرتبة، ومعنونة حسب ما يغلب عليها من بعد. ولأن البعد الاقتصادي كان قد حظي بأوفر نصيب من التعاريف ثم يليه البعد السياسي، وعلى هذا فإن ترتيب هذه التعريفات كما يرى الباحث سيكون بحسب الأولى والأكثر شيوعاً.

العولمة من الناحية الاقتصادية:

لما كان تعريف صندوق النقد الدولي للعولمة من أهم التعاريف، حيث إنه ينبثق ممن له اليد الطولى في صياغة هذا المصطلح تعريفاً ومفهوماً وإخراجاً، فإن الباحث يستحسن البدء بهذا التعريف لمعرفة وجهة نظرهم إلى العولمة، ومن موقع القيادة، وكيف ينظر المسلمون والعرب إليها من واقع التبعية الساذجة، وقد تبنى الصندوق هذا التعريف الذي يذر به الرماد على العيون ليجعل من العولمة تعاوناً اقتصادياً بين أطراف وكأنها ندّية، حتى يبدو كأن الجميع راضون بهذا التعاون وعلى هذا الأساس فقد جاء تعريفها بأنها: «التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال الدولية والانتشار الواسع للتقنية في أرجاء العالم كله»[1].

---

(١) د. ما نع الجهني – العولمة وتأثيرها على العالم الإسلامي عن صحيفة الرائد – الهند، ١٣ ذو الحجة ١٤١٩هـ ص ٤، د / قاسم المقدادى– العولمة إلى أين – ملف العولمة الثقافية في مجلة الكويت العدد ١٨٩، ربيع الأول ١٤٢٠هـ – يوليو ١٩٩٩م ص ٤٦.

ويعرفها السيد ياسين بتعريف جوهري يمثل ثلاث جوانب مهيمنة يُبرز فيها الجانب الأهم في العولمة وهو الجانب الاقتصادي فيقول: إنها «سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني» (١).

وفي الأدبيات الغربية تعرف بتعريف يبدو محايداً ولا تتضح فيه علاقة التابع بالمتبوع (العلاقة غير المتكافئة)، تحت ستار التبادل بين المجتمعات الإنسانية، وهذا فإنه دل فإن يدل على التبعية الواضحة لدى العالم الثالث حتى في الأقوال فينقلونها كما هي من غير تأمل، ولا حتى إبداء وجهة نظر حيالها.

فتعرف لدى الغربيين بأنها: «زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال عملية انتقال في السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات»(٢)فأين التبادل في المعلومات والأشخاص (الهجرة) إذ تمنع الهجرة الآن من الجنوب إلى الشمال وأين تبادل التقنيات.

وهذا تعريف شبيه بما هو موجود في الأدبيات الغربية ولكن مع شيء من التركيز والإيضاح للجانب الاقتصادي البحث حسب د / محسن الخضيري إذ يقول: «إنها حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وتبادلها الفوري دون حواجز أو حدود بين الدول وهي شاملة حرية نقل واستثمار جميع عوامل الإنتاج من أيدي عاملة، ورأس المال، وإدارة، وتكنولوجيا، وأرض، موارد أرضية قابلة للاستثمار والاستغلال» (٣).

والملاحظ على التعريف أنه يفصح عن الجوانب التي تروج لها قوى العولمة من حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وحرية نقل الأيدي العاملة وغيرها من عوامل الإنتاج مع أنه لا يطبق من هذا كله شيء عدا حرية حركة السلع ومن جانب الطرق الأقوى أي من

(١) عن السيد ياسين - العولمة والطريق الثالث، بيربت للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٨، إلا أن هنالك سهو في الطبعة ويوجد نفس البحث في كتاب العرب والعولمة الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ط٢/ ديسمبر ١٩٩٨م، وفتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط١ / ٢٠٠٠م ص (٢٣).

(٢) انظر : عمرو محيى الدين - العرب والعولمة،ص ٣٥.

(٣) د. مانع الجهني - العولمة وتأثيرها على العالم الإسلامي عن صحيفة الرائد - الهند، ١٣ ذو الحجة ١٤١٩هـ ص ٤، د / قاسم المقداد في - العولمة إلى أين - ملف العولمة الثقافية في مجلة الكويت العدد ١٨٩، ربيع الأول ١٤٢٠هـ - يوليو ١٩٩٩م ص ٤٦.

الشمال إلى الجنوب وما عدا ذلك فهو من قبيل الشعارات والأقوال الدعائية إذ الحال خير شاهد ولا زالت الأيدي العاملة تمنع من الهجرة إلى دول الشمال تحت حجج واهية مع التحذير المستمر في هذا الشأن..

ولا زالت دول الجنوب ترفع شعار التنمية في حين أن فترة الاستقلال التي مرت عليها قد مضى عليها عقود من الزمان وهي لا زالت غير مستقرة بل ومرتبطة بدول الاستعمار أي بدول قوى العولمة الأمر الذي يدل على أنه الاستقلال لم يكن كاملاً وشاملاً.

وقد وصفت بأنها مرحلة تطورية لم تخضع أبداً للهيمنة والمركزية والتسلط لا دخل لها بشيء من ذلك بل هي المنافسة الصرفة في التجارة والمال والنجاح فيها يحالف من يملك المقدرة على التحرك السريع برأس المال الوفير.

ومن هنا وصفت العولمة على سبيل التعريف بأنها وصفت بأنها: «مرحلة من مراحل تطور المجتمع البشري تتسم باللامركزية وترتبط بالتخلي عن الهيمنة، وتبرز مظاهر واسعة من المنافسة الشديدة، وعقد الصفقات المالية السريعة، وقدرة رأسمال على التحرك السريع من موقع إلى آخر وتشكيل جماعات ومؤسسات دولية تتقاسم اهتمامات مشتركة» (١).

وفي الواقع فإن هذا التعريف يتضمن إشارات إلى بعض المظاهر التي تعكس روح التطور الذي ينتج عن بعض اللمسات الضيقة مثل التخلي عن المركزية والهيمنة التسلطية ولكن هناك ومن وراء هذه المظاهر المنافسة الشديدة بين الدول الكبرى متمثلة في الشركات التي تقوم بعقد الصفقات المالية السريعة عن طريق المضاربات والتجارة بالأسهم وعليها فإنها تقوم بتشكيل مؤسسات تتقاسم هذه الاهتمامات بالشركة بين الكبار.

وتعنى أيضاً في إشارة إلى قالبها الاقتصادي الضيق «الانتشار الواسع والعالمي للمبيعات ومنشآت الإنتاج وعمليات التصنيع» (٢).

---

(١) محمد بن سعيد سهو أبو زعرور، العولمة ماهيتها نشأتها أهدافها، الخيار البديل، دار البيارق، ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ص١٤ - ١٥

(٢) د. ريتشارد هيجوت - العولمة والأقلمة اتجاهان جديدان في السياسة العالمية، صادر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١ / ١٩٩٨م، ص ٢٨.

وكما عرفت بأنها: «القوى التي لا يمكن السيطرة عليها للأسواق الدولية والشركات المتعددة الجنسية التي ليس لها ولاء لأي دولة أو قومية» (١).

غير أن هذا التعريف لم يقتنع به الباحث إذ أن الشركات المتعددة الجنسية لها ولاء لوطنها الأم الواقع أصلاً في الدول الصناعية الكبرى المسيطرة على هذه الشركات المروجة للعولمة.

كما عرفت بحسب معناها الظاهرى بأنها: «ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار» (٢).

ولكن كما أشرت سابقاً: التبادل غير المتكافئ خاصة أنه من قبيل التبادل بين الدول القوية والدول الضعيفة في العالم الثالث وخاصة الدول الإسلامية.

وكما عرفت بأنها إحدى: حقائق الحياة العصرية التي تعكس توصيفاً لمجتمع شديد التعقيد ذي تطور تكنولوجي متعدد الأبعاد، وحركة سريعة في العمل والانتشار ومنافسة كبيرة على الفرص المتاحة في الأسواق العالمية» (٣).

والمستفيد الأكبر في هذا التوصيف بالطبع هي قوى العولمة (الأقوياء والأغنياء وسرعان الحركة) وهذا بالطبع لا ينطبق على أي من دول العالم الإسلامي ولا العالم الثالث أبداً.

وعرفت بأنها: «اندماج العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى المعاملة والثقافات والتقنية ضمن إطار من رأسمالية، وحرية الأسواق ومن ثم خضوع العالم لقوى السوق المالية مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة» (٤).

وفي التعريف إشارة واضحة إلى الانتقاص من سيادة الدولة القومية وإن كان هناك من..... ذلك إلا أن هو الواقع في دول الجنوب وخاصة الدول الإسلامية والعربية

---

(١) رعد كمال الحيالي / العولمة وخيارت المواجهة، مجلة النور، العدد (١٠١) جمادى الأول ١٤٢٠هـ، ص ٣٧، المرجع السابق نفس الصفحه.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العولمة من الناحية السياسية:

ثمة تعريفات أيضاً كتبت وصيغت في العولمة فغلب عليها الجانب السياسي وكما اعتبرت:

في بعض معانيها انفتاحاً اقتصادياً فقد اعتبرت كذلك في الجانب السياسي ومما يشير إلى ذلك التعريف الآتي: «تعنى العولمة انفتاح الفضاء السياسي نتيجة تآكل الحدود بين الشؤون المحلية والخارجية» (١).

وهناك صيغة تشبه إلى حد ما الصيغة الأولى إلا أنها تحمل معنى آخر يتضمن دلالة نشير إلى أن هناك استسلام وإغفال للحدود كما جاء على لسان أحد الغربيين أنفسهم العولمة فإنها:

«لا تولي أهمية للأرض والحدود بل توسعهما يعكس المحلية» (٢).

وتعتبر العولمة عند البعض مزيجاً متبايناً من الروابط والعلاقات المتداخلة التي تتجاوز الدولة القومية (وضمنياً المجتمعات) وهو ما يصنع النظام العالمي الحديث.

فعرفت تحديداً بأنها «عملية يمكن أن يترتب عليها أن يكون للأحداث والقرارات والأنشطة في جزء ما من العالم نتائج مهمة بالنسبة إلى الأفراد والجماعات في أجزاء أخرى بعيدة من الكرة الأرضية (٣).

وسلك البعض مسلكاً صريحاً من غير أي التفاف أو دبلوماسية من حيث اعتبارها امتداداً للاستعمار القديم فقال: (هي ما اعتدنا عليه في العالم الثالث ولعدة قرون أن نطلق عليه الاستعمار» (٤).

---

(١) عن د/ نايف على عبيد - العولمة والإقليمية مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١/ ٢٠٠٠م ص٥.

(٢) د. ريتشارد هجوت - العولمة والأقلمة اتجاهان جديدان في السياسة العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط١/ ١٩٩٨م، ص ٨.

(٣) عن د. ريتشارد هجوت - العولمة والأقلمة اتجاهان جديدان في السياسة العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط١/ ١٩٩٨م، ص ٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣.

كما اعتبرت عند البعض بأنها علاقة قوى مهيمنة وطبقة مسحوقة ومحكومة وأنها علاقة ذلك وانقياد وخضوع فقال: بأنه «الدرجة العليا في علاقات الهيمنة، بل هي التبعية الكاملـة للنظام الليبرالي» (١).

العولمة من الناحية التقنية:

وأما من الناحية التنقية فقد صيغت عدة تعاريف تبدو فيهـا محاولـة إظهـار العولمـة أنهـا بعيدة عن معاني التبعية والانقياد والخضوع والاستسلام، بل هل محض تطور علمي وتقني لا صلة لـه بالسلوطية أو المركزيـة أو الاسـتعمار، ولكـن يبـدو إغفـال تـأثير الحضـارات علـى بعضها البعض أو تلاقحها أمراً متعمداً حيث أظهرت هذه التعريفات أن أمر العولمة إنمـا هـو ثورة معلوماتية تقنية، وثورة اتصالات لا تأثير فيها للهيمنـة ولا للسـيطرة وإنمـا هـو تقريـب الحدود وذوبانها أو قل إذابتها وتقارب الزمان حتى صورة العولمة بناءً على ذلـك علـى أنهـا فاعل أساس في جمع العالم كله في قرية واحدة من حيـث انتشـار الأخبـار ووصـولها بسـهولة ويسر من خلال ثورة الاتصالات المعلوماتية فقط.

ومن هذه التعاريف على سبيل المثال لا الحصر: «إنها نظـام عـالمي جديـد يقـوم علـى العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبـداع الـتقني غـير المحـدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسـية القائمـة في العالم» (٢).

ثانياً : وإنها: «تحول العالم إلى قرية كونية بفعل تيار المعلومات«Informative» (٣).

ثالثاً: «تتجسد العولمة في نشوء شـبكات اتصـال عالميـة فعـلاً تـربط جميـع الاتصـالات والبلدان والمجتمعات وتخضعها لحركة واحدة» (٤).

رابعاً : وتعني أيضاً: «الدخول بسبب الثـورة المعلوماتيـة والتقنيـة والاقتصـادية معـاً في طور من التطور الحضاري ليصبح فيه مصير الإنسانية موحداً أو نازعاً للتوحد» (٥).

---

(١) فتي يكن – العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٢.
(٢) رعد كمال الحيالي – العولمة وخيارات المواجهة مجلة النور(١٠١)، مرجع سابق.
(٣) د / محسن الخضيري – العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللا دولـة ص١٧، مرجع سابق.
(٤) د. برهان غليون – ثقافة العولمة، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١ / ١٩٩٩م، ص ١٦.
(٥) محمد بن سعيد سهو زعرور – العولمة ماهيتها نشأتها أهدافها الخيار البديل، دار البيارق، ط ١/ ١٤١٨هـ –

خامساً : وهي أيضاً: «تَدفُّق أنظمة تكنولوجية معقدة لا تعترف بالحكومات والدساتير وحتى القوانين، وهي حالة بيروتراطية لا تحمل جنسية أو هوية أو تأشيرة دخول» (١).

سادساً وهي أيضاً: «حركة جديدة تبرر داخل العلاقة الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من انتشار المعلومات والتجارب التقنية والعملية يتزايد فيها دور العامل الخارجي في مصر الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة» (٢).

صحيح أن هذا التعريف يولي مسألة المعلومات أهمية بالغة وهذا أمر واقع ومتحقق الآن وإن كانت هذه التعريفات أيضاً لا تهمل الجوانب الأخرى المؤثرة في إظهار العولمة، إلا أن المعلومات هي الأهم الآن فالمسألة في هذا الزمن مسألة امتلاك المعلومات والمعرفة مع العلم أن الإشارة الخفية تظهر للمتأمل في سبر غور التعريفات السابقة أن هناك أيدي خفية متمثلة في المركز وتتعامل مع الأطراف لتكتمل بهم دائرة التأثير والتفاعل.

العولمة من ناحية المنشأ:

وقسم من التعريفات جاءت على ألسنة قائليها من غير التفات إلى أي من هذه المجالات، بل جعل المنشأ هو الأصل في التعريف باعتبار الدولة الداعية لها والمتربعة على عرش النظام العالمي الجديد في يوم أن انتهت الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، بغض النظر عن الفترة التي كانت تسمى بالحرب الباردة، حيث كان السباق فيها سباق تسلح فقط.

وفي الحقيقة فإن جلّ هذه التعريفات في نظر الباحث لم تخطئ الهدف ولم تحد أو تزغ عن الحقيقة المرة التي يعيشها العالم الإسلامي والعربي في ظل الهيمنة القطبية الواحدة، وفي ظل غياب المارد الإسلامي وهي في معظمها تصب في سياق الهيمنة والتسلط،ومن هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر:

إن العولمة هي: «الوجه الآخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية» (٣).

١٩٩٨م، ص١٥.

(١) فتحي يكن – العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة ط ١/ ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص ١١.

(٢) د. برهان من شبكة الإنترنت http://www.sis.gov.eglchildl

(٣) سعود ظاهر، عن مجلة النور العدد (١٠١)، ص ٣٧، مرجع سابق.

وعرفت بأنها: (الوجه الآخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية» [١].

كما اعتبرت بأنها: «صياغة جديدة لنظرية ملء الفراغ التي فرضت على مسرح الساحة الدولية قبل خمسين عاماً ثم أعيدت الآن بما يتلاءم ومقتضيات الوضع العالمي الجديد وفق ما يستجد من تطلعات القوة التي خرجت منتصرة من الحرب الباردة» [٢].

وبعبارة موجزة عرفها الجابري بقوله بأنها: «تغريب العالم تحت قيادة أمريكا» [٣]

ونجد نفس المعنى عند الطرابيشي إذ يقول بأنها: «أيدلوجية بصورة مباشرة تعبر عن إدارة الهيمنة على العالم وأمركته» [٤].

وهي عند كثير من العرب محض مرادف للأمركة فهذا غليون يعتبرها بأنها: «الاسم الحركي للأمركة» [٥].

وبحسب محمود عودة المصري فهي: «المعنى الحقيقي للعولمة " الأمركة "» [٦].

العولمة من الناحية التأريخية:

وهنا جنح البعض إلى تعريفها كظاهرة أو نمط يعبر عن درجات التطور الطبيعي للحضارة من ذلك مثلاً :

عرفت بأنها: «ظاهرة تطور طبيعي للحضارة منذ أقدم الحقب التأريخية، حيث انتقلت تقنيات الثورة التقنية المرتبطة المساة بالعصر الحجري، ثم التقنيات المرتبطة بالعصر الحديدي فالزراعي والتي بدأت من عدة آلاف السنوات قبل الميلاد، واتسمت الآن بكثافة المبادلات

---

(٢) هشام العياج عن المستقبل العربي العدد (٢٤٧)، سبتمبر ص ٥٢.

(٢) د. عبد العزيز التويجري، مجلة الإسلام اليوم الصادرة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو ((Isesco)) العدد (١٥)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، وانظر رعد العولمة وخيارات المواجهة، عن مجلة النور، العدد (١٠١) ص ٣٧، مرجع سابق، د. محمد حوات، العرب والعولمة شمولية الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١/ ٢٠٠٢م، ص٢١٣، وانظر: د.بركات محمد مراد ظاهر،العولمة رؤية نقدية ص٨٤ مرجع سابق.

(٣) روجيه غارودوي، العولمة الواقع.الجذور البدائل تعريب د.محمد البسيطلى،دار الشوكانى للنشر والتوزيع، صنعاء ط١٩٩٨ م

(٤) د. الجابري، وانظر نفس المعنى عند د. محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية، ص ٨٤، مرجع سابق،

(٥) جورج طرايشي، العولمة وانعكاساتها على الثقافة العربية، عن البحرية العثمانية.

بين البلدان والمناطق وسرعة الانتشار في قطاع التمويل والعمليات المالية والمعلوماتية والثقافية وكذلك الأسواق (١).

وفي نفس السياق يميل أ. د. التميمي إلى أنها: «نمط يعبر عن درجة التطور في مجتمع ما، وتأثيرات هذا التطور خارج حدود الإقليم أو الوطن» (٢).

كما يميل إلى معنى قريب من هذا العامري حيث يقول بأنها: «مرحلة زمنية تسعى من خلالها الرأسمالية إلى تجاوز عقدتها الحضارية من خلال جعل تطورها التقني المعيار الذي به تفرض الهيمنة المطلقة على العالم بغض النظر عما يسود فيه من معتقدات، روحية وقيم وأخلاقيات حضارية وتاريخية موغلة».. (٣).

العولمة من الناحية الاجتماعية:

غير أن هناك من اعتبر العولمة مسألة اجتماعية وتأتي مسألة ذوبان الحدود الجغرافية أو السياسية تبعاً لها والمؤثر فيها هو المؤثر الثقافي في ظل انبهار واندهاش العالم بكل ما هو غربي وهيمنة التسلط الإعلامي الغربي الواضح وهيمنته الواضحة. أذكر منها تعريفين اثنين كنموذج لبقية التعريفات للعولمة من الناحيه الاجتماعية منها.

«إن العولمة عملية اجتماعية تنحسر فيها قيود الحدود الجغرافية والسياسية في تقرير الترتيبات السياسية والاقتصادية والثقافية، وأن الناس يدركون بازدياد أن هذه القيود آخذة بالانحسار» (٤).

كما عرفت بأنها«الميل إلى ربط الظواهر الاجتماعية بعضها ببعض على مستويات النظافة والتأثير والتواصل أو الوعي الشامل بتواصل العوامل الاجتماعية والفاعلة» (٥).

---

(١) د. برهان غليون، مجلة النور العدد (١٠١) ص ٣٧، مرجع سابق، محمود قاسم عن شبكة المعلومات (الإنترنت).

(٢) أ. د/ عبد المالك التميمي ضمن ملف العولمة إلى أين والعرب وإعادة صياغة المفاهيم الكبرى عن مجلة أكديت العدد ١٨٩سنة١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ص ٤٠.

(٣) طه العامري / دور الدولة في ظل العولمة عن مجلة الموقف اليمنية العدد (١٨) يوليو (٢٠٠١م) عن المركز= =العام للدراسات والبحوث والإصدار صنعاء ص(٩٦).

(٤) د. نايف علي عبيد عن مالكون ودتزن (Malcolm Waters) عن كتاب العولمة مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (سلسلة محاضرات الإمارات) ٤٦ ط ١/ ٢٠٠١م، ص ٧.

(٥) جوارن توريون العولمات والموجات التأريخية والمؤثرات الإقليمية وتوجيه الحكم المعياري، ترجمة، بدر

ومع كل هذه التعريفات التي حاولت إدراج كل منها حسب ما يغلب عليه من اتجاه إلا أنه لا يزال هناك تعريفات كثيرة لم أذكرها، وذلك لأن مصطلح العولمة كما يبدو للباحث لا يزال في الطور التكويني إلى حد كتابة هذا المبحث في حد علمي القاصر، وتظهر الكتابات كل يوم جديداً في هذا الجانب والذي يميل إليه الباحث أنه بالإمكان جمع هذه التعريفات ودمجها في تعريف واحد جامع مانع وما نعيته سأذكره في حينه.

على أن كل تعريف من التعريفات التي قيلت في العولمة أثرت فيه كثير من المتغيرات التي تستجد الآن في ظل ثورة المعلومات،الاتصالات، وفي ظل أيدلوجية النظام القطبي الواحد وفرض مجموعة من القوانين والأنظمة عبر أدوات العولمة التي غلفت بالشرعية الدولية كالمنظمات السياسية الدولية والمنظمات الاقتصادية والمنظمات الثقافية والاجتماعية والعسكريه للحفاظ على ذلك كله.

من خلال هذه التعريفات الكثيرة العدد والمتشعبة الأفكار يدرك المتأمل أن هذه الظاهرة قد استحوذت على اهتمام واسع لدى شريحة كبيرة من نخب المجتمعات، ويلمس ذلك من خلال الأدبيات المبثوثة على الساحة الأدبية والتي تتناول هذه الظاهرة من جوانب متعددة منها الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية والإدارية والتربوية والتكنولوجية والمعلوماتية والتأريخية، ومن يطلع على هذه التعريفات أو يلقي نظرة فاحصة قد يحتار حيالها كما هو الشأن عند الباحث إلا، ولكن مهما تعددت التعريفات وتنوعت فيها المعاني فإن النصيب الأوفر منها قد غلب على الجانب الاقتصادي والمتضمن للمصلحة النفعية والتجارية بفعل هيمنة القوى المالكة للقرار والمسيطر الغالب، ثم ما لبث الأمر أن اتسع حتى شمل الجانب الثقافي والسياسي والاجتماعي وغيرها من الجوانب وأصبح يروج له كنظام أو نسق ذي أبعاد تتجاوز الدائرة الاقتصادية إلى دوائر الاتصال والفكر والسياسة والأيدلوجية وحتى القيم.

وإن هذا الترويج الهائل خلال العقد الأخير من القرن العشرين وحتى اليوم لهذا المصطلح(العولمة) وإن التعريفات الكثيرة العائمة وغير الدقيقة – بشهادة الكثير – بل والمحيرة في كثير من الأحيان، وإن الصيحات المتتالية لدى كثير من مروجي العولمة والداعين لها إنما

الرفاعي عن مجلة الثقافة العالمية عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد (١٠٦)، السنة العاشرة، ٢٠٠١م، ص ٩.

هو من قبيل الترويج لاقتصاد تقوده شركات عملاقة تقوم مقام الدولة، والترويج لصياغة الهيمنة الرأسمالية، لتهيئة المناخ المناسب لتسلل رأس المال الأجنبي، ولتحقيق الانتقال إلى اقتصاد السوق وترويج للخصخصة التي يعود نفعها إلى الشركات متعددة الجنسيات وما هذا التهليل إلا محاولة لتصوير العولمة على أنها عملية تحرر.

وبحسب د / جلال أمين «فإن الذين يهللون لمصطلح العولمة إنهم يحاولون تصويرها على أنها عملية تحرر من ربقة الدولة القومية إلى الأفق الإنساني الرحب والواسع وتحرير من نظام التخطيط الثقيل إلى نظام السوق الحرة، وتحرر من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا، تحرر من التحيز المسبق لأمة أو دين أو أيدلوجيا معينة إلى عقلانية العلم وحياد الثقافة[١]، كما يتزامن الحديث عن شعارات براقة تخلب اللب من حقوق الإنسان، والديمقراطية والإشادة بالعقلانية والعلم، وبقدرة الثقافه الحديثة على التغلب على كل ما يعترض الإنسان من عوائق ومشكلات، والهجوم على التعصب بكل أشكاله الدينى والقومي والعرفي، والزعم بأننا في كل هذه الأمور مقبلون على عصر جديد مجيد، تنتصر فيه كل هذه القيم العرفية، كاحترام حقوق الإنسان(وبخاصة النساء) الديمقراطية، والعقلانية، والموضوعية، والتقدم الثقافي[٢]، ويخرج كل هذاعبر وسائل الإعلام ويطرح على أنه جزء لا يتجزأ من ظاهرة العولمة، كما يعتبركل من يقف في وجه العولمة على أنه يقف في الحقيقة ضد التحرر، ويضيف د. جلال: «وكم يكون العالم جميلاً لو كان هذا كله صحيحاً، ولكن الحقيقة للأسف غير ذلك بل لعلها عكس هذا بالضبط، وإنما يساعد على تصديق كل هذه الأشياء وتدعيم هذا الخطأ الفادح أن لفظ العولمة لفظ يصف ما يجري على السطح من دون أن يفصح عن محتواه الحقيقي» فيصل ويوصلنا جميعاً إلى الحقيقة وهي: «أن الذي تجري عولمته إن هي إلا سلعاً وخدمات ذات طبيعة وخصائص معينة أفرزتها ثقافة معينة فهي مسألة خصوصية لها ارتباط معين [٣].

وبعد هذا العرض المسهب للتعريفات فإن الباحث يجنح إلى تعريف للعولمة يرى شموليته هو أنها: «نزعة استعلائية غربية تحاول بكل قوة وصلف تغيير العالم وتوحيده في نمط واحد

(١) د.جلال أمين - العولمة والدولة - ضمن كتاب العرب،ص(١٦٤، ١٦٣).
(٢) المرجع نفسه ص ١٦٣.
(٣) المرجع نفسه ص٦٤ وانظر ك حسام عيسى في مشاركة نقاش لورقة السيد يس حول العولمة والطريق الثالث ضمن كتابه نفسه ص ٥٨.

هو النمط الأمريكي مستخدمة أدوات معينة أضفت عليها روح الشرعية الدولية – من خلال دمجه ببعض وارتباطه اقتصادياً وثقافية واجتماعياً تحت تأثير ثورة المعلومات والاتصالات).

* * * * *

المبحث الثاني:
نشأة العولمة ومراحل تطورها

توطئـــة:

اختلفت الآراء وتباينت حول تحديد تأريخ معين لظاهرة العولمة، فمن قائل بأنها ظاهرة تضرب بأطنابها في أعماق تأريخ المجتمع الإنساني، وهي ظاهرة مستمرة من فجره، وتختلف آليتها من عصر لآخر حسب تطور وسائل الاتصال والمصالح والمشتركة وقائل بأنها ظاهرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكشوفات الجغرافية نهاية القرن الخامس عشر الميلادى والثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر وبعضهم يرجع بداية ظهور هذا المصطلح بجلاء ووضوح إلى بداية التبشير بنظام عالمي جديد وقطب واحد حاول نشر هذا المصطلح وتعميمه إثر سقوط الاتجاه السوفيتي وانهيار جدار برلين في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في القرن العشرين ولذا تعددت الاجتهادات بشأن تصور محدد للعولمة فأطلق البعض عليها: «مرحلة ما بعد الحداثة – Post - modernism» أو الحداثة الجديدة New - Moderrnism» [(١)].

ويرى البعض أن بداية استخدام مصطلح العولمة تعود إلى نهاية الستينات من القرن العشرين وبداية السبعينات بصدور كتابين اعتبرا بمثابة منعطف تأريخي جديد الأول بعنوان «حرية وسلام في القرن الكونية» [(٢)] والثاني بعنوان «أمريكا والعصر الإلكتروني» [(٣)].

---

(١) شؤون عربية العدد (١٠٥) مارس، ٢٠٠١، ص٤١، وانظر بول بروخ، ترجمة حسين ببوي المبادئ الاقتصادية الموسعة للعولمة من منظور تاريخي، الثقافة العالمية، العدد (١٠٤) الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ٢٠٠١م، ص ٥٤، وانظر بول هيرت، وجراهام طومسيون، ترجمة فالح عبد الجبار ما العولمة، سلسلة عالم المعرفة الكويت (٢٧٣) ص ١٣ وما بعدها وانظر د:جلال أمين :العولمة ظاهرة جديدة أم قديمه.

(٢) المؤلف بارشال مالالوهان وركز في كتابه على التطوير الواسع لوسائل الاتصالات التي ستحول العالم إلى قرية كونية.

(٣) المؤلف يزنجنسكي المسؤول السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس ريجان وركز فيه على الدور الذي ينبغي أن تقوم به أمريكا في قيادة العالم، عن الشاذلي، المرجع السابق، ص ٤١.

ومن هنا تعددت الآراء واضطربت حول نشأة العولمة وتطورها فهناك من يرجع تأريخ نشأتها إلى خمسة قرون مضت [(١)] أي إلى الكشوفات الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، غير أن هناك من يرى أن كلمة (العولمة) ماهى إلا لفظ جديد لظاهرة قديمة نشأت في دنيا أصبحت في حجم قرية إلكترونية ترابطت بالأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية وقنوات التليفزيون الدولى وأن بدايتها ترجع إلى نهاية القرن الخامس عشر مع بدء عملية الاستعمار الغربى لأسيا وأفريقيا والأمريكتين، ثم اقترنت بتطوير النظام التجاري الحديث في أوروبا الأمر الذى أدى إلى ولادة نظام عالمى متشابك ومعقد عرف بالعالمية ثم العولمة بعد ذلك من وجهة نظره مع بداية ثورة الاتصالات حيث جعلها المحور الرئيسى لهذه البدايه وتبقى وجهة نظره خاصة وتختلف مع وجهة نظر الباحث التى ستتضح في نهاية البحث.

* * * * *

المطلب الأول:
أسباب انتشار ظاهرة العولمة

هناك أسباب [(٢)] طرأت على ظاهرة العولمة عملت على انتشارها منها:

١- انهيار أسوار عالمية كانت تحتمي بها بعض الأمم[(٣)] والمجتمعات.

٢- الزيادة الكثيرة في درجة تنوع السلع والخدمات والاستثمارات بين الأمم.

---

(١) انظر د. جلال أمين العولمة ظاهرة قديمة أم جديدة، ورقة مقدمة إلى ندوة العرب العولمة التي ينظمها مركز دراسات الوحدة العربية وصدورها ضمن كتاب اسماه، العرب والعولمة، ط ١ / ١٩٩٨م، ص ١٥٣.

(٢) انظر د. جلال أمين - العرب والعولمة من صفحة (١٥٣ - ١٥٥) وانظر د. محمد علي حوات - العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، ط ١ / ٢٠٠٢م، ص ١٢، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، وانظر د. ماجد محمد شدود، العولمة مفهومها مظاهرها سبل التعامل معها، ط ١/ من صفحة (٣١ إلى ٤٥)، وروجيه غارودي - العولمة المزعومة الواقع الجذور - البدائل تعريب / محمد البسيطلي، ص (١٩٧)، وانظر فضيل أبو النصر، الإنسان العالمي - العولمة والعالمية والنظام العالي العادل، مكتبة بيسان، ط ١/ ٢٠٠١م، ص ١٤٨. وانظر فتحي يكن، ورامز طنبور، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط ١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٢، وانظر، ناصر بن سليمان السابعي: البعد الثقافي لمفهوم العولمة وأثره في الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية بحث مكون من ٤٠ صفحة تم إخراجه من الإنترنت، ص ٩.

(٣) مثل جدار برلين بين الألمانيتين.

٣- الاطراد المتزايد في معدل النسبة السكانية في داخل كل مجتمع أو أمة أدى إلى ارتفاع نسبة التعامل مع العالم الخارجي والتأثر به أما بسبب ارتفاع نسبة الهجرة من الداخل إلى الخارج أو الإفادة من المجال السياحي أو زيادة الواردات الخارجية أو غيرها من العوامل غير المباشرة.

٤- أصبح تبادل المعلومات والأفكار هوالسائد بين الأمم وهو العنصر الأكثر نمواً وأصبح استيراداً مباشراً عن طريق الإيصال.

٥- أصبحت الشركات المتعددة الجنسيات (Transnational - Corporations) هي الوسيلة الأكثر فعالية في تحقيق انتقال رؤوس الأموال والأفكار والمعلومات وكان لوجودها أثر ملموس في تراجع مركز الدولة وانحصار نفوذها، بل وتخليها عن مكانتها شيئاً فشيئاً.

أحداث رئيسة مهدت لظهور العولمة:

وهناك عدد من الأحداث الرئيسية التي مهدت للعولمة أشار إليها جان شولت أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ساسنكس في كتابه (العولمة مقدمة نقدية) [(١)].

كل هذا التسارع في تقنيات الاتصالات أدى إلى تطور واتساع مفهوم العولمة التي

---

(١) «في عام(١٨٦٦م) ظهرت أول خدمة للتغلراف عبر المحيطات، وفي عام (١٨٨٤م) تم إدخال نظام التنسيق على مستوى العالم للساعات وفقاً لتوقيت غرينتش، وفي عام (١٨٩١م) تم إنشاء أول نظام للاتصال التليفون بين لندن، وباريس، وفي عام (١٩٢٠م) أنشئت أول محطة إذاعية بالراديو من محطة (K. D. K. A) الأمريكية وفي عام (١٩٢٩م) ظهر أول نظام لانتقال الأموال عبر الحدود الدولية من دون فرض الضرائب عليها في لوكسمبرغ وفي عام (١٩٣٠م) ثم الربط بين ٢٤٢ محطة تابعة للبحرية الإنكليزية عبر ست قارات في آن واحد، وفي عام (١٩٥٥م) أفتتح أول مطعم لماكدونالدز، واعتبر عام (١٩٥٧م) عصر القذائف البلاستيكية العابرة للقارات، وفي نفس العام أطلق أول قمر صناعي إلى الفضاء الخارجي، وفي عام (١٩٦٤م) تم بدء أول اتصال دولي بالأقمار الصناعية، وفي عام (١٩٦٩م) اخترع العلماء أول طائرة نفاثة واسعة الحجم من طراز يوينغ (٧٢٧). وفي عام (١٩٧٢م) عقد أول مؤتمر دول للتنمية البشرية، وفي عام (١٩٧٤م) أزالت الحكومة الأمريكية القيود على أسعار صرف العملات الأجنبية، وفي عام (١٩٧٦م) بدء أول بث مباشر بالأقمار الصناعية على الأطباق المقامة على أسطح المنازل، وفي عام (١٩٧٧م) بدء أول استخدام تجاري للكابلات المصنوعة من الأنسجة البصرية والتي عملت على زيادة قدرة الاتصالات اللاسلكية، وفي العام نفسه نفذ المهندسون ربطاً كاملاً من الأنسجة البصرية حول العالم الأمر الذي سهل عملية استخدام الوسائط المتعددة والمحمولة وغيرها.

أصبحت الآن السمة المميزة للتأريخ المعاصروهذا يعني أن العولمة مصطلح ظل فترة من الزمن حتى ظهر على السطح بفعل مجموعة من العوامل والتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية اشتركت البشرية جميعها فيها.

* * * * *

المطلب الثاني:
الخلاف حول تأريخ نشأة العولمة

يرجع تأريخ نشأة العولمة عند رولاند ربوتسون إلى منتصف القرن الثامن عشر حيث ظهر المجتمع القومي المتجانس ثقافياً، إذ يمثل هذا المجتمع في نظره بنية تأريخية فريدة، يخضع لإدارة واحدة، وإن شيوع المجتمعات القومية في القرن العشرين – والكلام لأصحاب هذا الرأي – هو فعل من أفعال العولمة، بل ويعتبر المكون الرئيسي والأول من مكونات العولمة بالإضافة إلى مكونين آخرين هما مفهوم «الأفراد» ومفهوم «الإنسانية» (١).

كما ينظر (رونالد روبرستون) إلى العولمة من خلال كتابه (تخطيط الوضع الكوني) إلى أن جذورها ترجع إلى القرن الخامس عشر حيث كانت لا تزال في طور الجنين، ثم تطورت عبر خمس مراحل اتسمت كل مرحلة بسمات خاصة لا يرى الباحث في تتبع تفاصيل تلك المراحل كبير أثر أو ثمرة مفيدة، إذ العولمة مرتبطة أصلاً بالصراع من أجل مزيد من الأرباح وجمع الأموال واستنزاف الثروات وأكل موارد وخيرات الشعوب وغيرها من الأخطار التي سوف نتعرض لها في ثنايا البحث من حيث معرفتها وكيفية التعامل معها وبإيجاز فإن هذه المراحل هي(٢).

المرحلة الجينية: وتبدأ هذه المرحلة من بداية القرن ١٥ – حتى منتصف القرن الـ ١٨ شهدت فيها أوروبا نمواً للمجتمعات القومية وإضعافاً للقيود التي كانت سائدة في القرون الوسطى.

---

(١) السيد يسن العولمة والطريق الثالث، بيروت للنشر والتوزيع ١٩٩٩م، ص ٢٤ وما بعدها، وممن يرجع تأريخها إلى القرن الثاني عشر، انظر د / موسى أبو الريش، العولمة والمستقبل مخاطر وتحديات عن مجلة الكلمة الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث العدالسيد يسن العولمة د ٢٥ خريف ١٩٩٩م، ص ١٠٤..

(٢) المرجع نفسه، ص٢٥، ومابعدها، والدكتور موسى أبو الريش، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

المرحلة الثانية: وسماها مرحلة النشوء، واستمرت في أوروبا من منتصف القرن الـ ١٨ حتى عام ١٨٧٠م وما بعده، حدث خلال هذه الفترة تحول وتطور للدولة المتجانسة الموحدة وأخذت تتبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية، وبالأفراد باعتبارهم مواطنين لهم أوضاع مقننة في الدولة، ونشأ مفهوم أكثر تحديداً للإنسانية وزادت إلى حد كبير الاتفاقات الدولية، ونشأت المؤسسات المتعلقة الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول

المرحلة الثالثة: ويطلق عليها مرحلة الانطلاق وابتدأت منذ عام ١٨٧٠م واستمرت حتى العشرينات من القرن العشرين وظهرت فيها مفاهيم كونية مثل «التطور الصحيح»، و«المجتمع القومي المقبول» ومفاهيم تتعلق بالهويات القومية والفردية، وتم إدماج عدد من المجتمعات غير الأوروبية في «المجتمع الدولي» وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقها.

المرحلة الرابعة: أطلق عليها مرحلة الصراع من أجل الهيمنة بدأت هذه المرحلة من عشرينات القرن العشرين حتى منتصف الستينات، بدأت خلالها الخلافات والحروب الفكرية حول المصطلحات الناشئة والخاصة بعملية العولمة والتي بدأت في مرحلة الانطلاق، ونشأت صراعات كونية حول صور الحياة وأشكالها المختلفة وتم التركيز على الموضوعات الإنسانية خاصة بعد إلقاء القنبلة الذرية على اليابان.

المرحلة الخامسة: وبدأت هذه المرحلة منذ ستينيات القرن العشرين وظهرت خلالها أزمات التسعينات وتم خلالها إدماج العالم الثالث في «المجتمع الدولي» وتصاعد الوعي الكوني توالت فيها الأحداث وتعمقت القيم ما بعد المادية، وشهدت المرحلة نهاية الحرب الباردة وانتشرت الأسلحة النووية، وزادت إلى حد كبير المؤسسات الكونية والحركات العالمية.

وواجهت وتواجه المجتمعات الإنسانية اليوم تعدد الثقافات وتعدد السلالات داخل المجتمع نفسه، وأصبحت المفاهيم الخاصة بالأفراد أكثر تعقيداً من خلال الاعتبارات الخاصة بالجنس والسلالة،

وظهرت حركة الحقوق المدنية، وأصبح النظام الدولي أكثر سيولة وانتهى النظام الثنائي القومية، وزاد في هذه المرحلة الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي، والمواطنية العالمية، وتم تدعيم نظام الإعلام الكوني [(١)].

ويرى الباحث أن هذه الأحداث ليس لها صلة بالعولمة كأيدلوجية تنتهجها الرأسمالية لأن بوادر العولمة بأيدلوجيتها إنما نشأت في بداية القرن العشرين واتضحت أكثر مع انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بالزعامة في العالم.

أما بحسب سيار الجميل فإنها: «ظاهرة تأريخية حديثة المصطلح والمعنى والمضامين، وهي تأتي في سياق تطور عدة ظواهر في الفكر العالمي الحديث المعاصر قبل أن تكون وجدت أصلاً منذ أزمان وقرون، إنها حصيلة المنجز التأريخي المتنوع عند نهاية القرن العشرين وينتقد بشدة كل من حذا حذو روبرتسون في الناحية التأريخية، ولا يسلم بهذا المنهج بل ويقول: «إنها كظاهرة تأريخية معقدة معاصرة جداً وغير مكتشفة عناصرها مدياتها وأبعادها بعد مستبعداً كل الأطوار والمراحل التي يذكرها روبرتسون، ولكنها تمتلك مفاهيم جديدة جداً بعيدة كل البعد عن إيجاد أي نوع من الهندسة التأريخية لها، وهي من وجهة نظره على أنها لم تزل بعد في طور التكوين ومحاطة بكثير من الغموض، ولم يمض على بروزها إلا عدة سنوات من أجل تأسيس تأريخ جديد للإنسان من خلال الأرض كما ألفته التواريخ العالمية لا بل من خلال الكون كما ستأنفه المديات المستقبلية للعولمة.

وبهذا فهو يختلف عن سابقه في كونه يعتبر أن العولمة حصيلة ما كان قد مر فيه الإنسان من ظواهر كبرى في تأريخية الحديث، وهو يشكل حضارته الغربية المعاصرة وهو يرى أن تسلسلها يبدأ من الاستكشافات الجغرافية في القرن الخامس عشر فالإصلاحات الدينية في القرن ١٦ ثم الماركنتاليات الاقتصادية في القرن ١٧ والثورة الفكرية (القانونية والسياسية) في القرن ١٨ فالثورة الصناعية في القرن ١٩ ثم الثورة التكنولوجية في القرن الـ ٢٠ ويختم هذه السلسلة الكونية في القرن ٢١ ومن ثم فإنه يعتقد أنه لا يمكن ربط ظاهرة العولمة الجديدة بالاستعمار كمصطلح ومضامين فقط، وبالصورة التخيلية الواقعية التي ألفت شعوب الأرض تجاربها المريرة وذلك أن العولمة في نظره أعم وأشمل وأكثر استحواذاً على كل مرافق الحياة المعاصرة والقادمة يصل إلى محصلة أن نظام العولمة تختلف عن النظام الدولي

(١) السيد ياسين، عن العرب والعولمة صفحة (٣٠، ٣١، ٣٢).

وأن الأمريكان يستقطبون العولمة كما استقطبوا من قبل النظام الدولي وبهذا ستكون مستفيدة جداً من ظاهرة العولمة كما استفادت من النظام السابق للعولمة في ظل التكتلات والتحالفات على امتداد القرن العشرين» [١].

ويضيف صاحب هذا الرأي أنّ مصطلح «العولمة» أو ما يرادف هذا اللفظ كلمة «الكونية» أو «الكوكبة» لم يظهر بصورة مؤكدة إلا في تسعينات القرن العشرين عند جملة من المفكرين والدارسين والمحللين والمراقبين الدوليين الذين استقطبوا التفكير فيه حسب المنجز التأريخي الذي وصلت إليه الحضارة المادية الغربية، ولم يظهر على امتداد القرون المتأخرة من دعا إلى (العولمة) كما هي اليوم أبداً إلا ما كان من إشارة لمفهوم (القرية الكونية) التي نبه إليها أحد الأساتذة في نهاية عقد [٢].

الستينات حين تنبأ بما يمكن أن تؤدي إليه ثورة المعلومات من تقارب بين جميع الشعوب وكان أول من تنبه لذلك هم الأمريكان فحاولوا إخصابها لصالحهم سياسياً واقتصادياً وإعلامياً، وثقافياً واجتماعياً خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية مستغلين كافة الوسائل المتاحة لديهم من فضائيات ورأسمال عملاق متمثلاً بالشركات، واتفاقيات، دولية وقوة.... إلخ.

ومن هنا فهو يصل إلى تعريف أو معنى حقيقي من وجهة نظره أن العولمة حصيلة لمنجز السريع والمتنوع للإنسان المعاصر اليوم.. وأنها (أي ظاهرة العولمة) تبلورت من خلال التراكزات الصناعية واتفاقيات الجات (Gat) وحركة الشركات المتعدد الجنسيات واقتصادات التكتلات، الفورمات، اتساع المعلومات.... إلخ [٣].

---

(١) المرجع السابق.الصفحات نفسها وانظر قريباً من هذا المعنى في تعقيب د. محمود الإمام علي بول سالم في بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في كتابه الصادر عن المركز : العرب والعولمة ط ٢ / ١٢ / ١٩٩٨ م ص٢٥٦.

(٢) ومارشال ماك لوهان: هو أستاذ الإعلاميات الكندي كان قد كتب في نهاية عقد الستينات كتاب أسماه (القرية الكونية)..

(٣) سيار الجميل : العولمة المستقبل، ص ١٠ - ١٢، مرجع سابق..

ويرى آخرون أن العولمة ظاهرة مستمرة عبر القرون ومنذ فجر التأريخ حتى وإن اختلفت نشأتها وأهدافها وأدواتها، ولكن الحديث عنها كثر في السنوات العشر الأخيرة في القرن العشرين فهي على هذا ليست موضوعاً جديداً بل هي قديمة قدم التأريخ [(١)].

وأما لفظ (العولمة) فإن بداية الاستخدام لها كمصطلح تعود إلى كتابين كان قد صدرا عام (١٩٧٠م) الأول يركز على دور التطورات الواسعة في وسائل الاتصال التي ستحول العالم بفعلها إلى «قرية كونية» [(٢)]. والثاني يركز على الدور الذي ينبغي أن تقوم به أمريكا في قيادة العالم [(٣)].

ومع أن مفهوم العولمة غدا متداولاً بكثرة وفي الفترة الأخيرة للقرن العشرين إلا أنه من حيث المضمون يضرب بجذوره في أعماق تأريخ المجتمع الإنساني، فقد تحدث الفلاسفة عن المواطن العالمي والعالمية، ولكن طبيعة عملية العولمة وآلياتها هي التي تغيرت وتطورت بوسائل الاتصال وتشابك المصالح بين الدول، وكانت العولمة في الماضي، شأن الحاضر، تعني الهيمنة والسيطرة وقد ظهرت في العصر الحديث، وبالتحديد في أعقاب الحرب العالمية الأولى ثلاث صيغ قريبة للعولمة: أولها الصيغة الماركسية التي انطلقت من الاتحاد السوفيتي، وثانيها: الصيغة الفاشية التي انطلقت من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، وثالثها هي الصيغة الديمقراطية التي انطلقت من أمريكا وغرب أوروبا، وكانت كل صيغة تعكس توجهاً أيديولوجياً، حيث سيطرت على الصيغة الأولى الأيديولوجية الطبقية، وسيطرت على الثانية الأيديولوجية القومية، واستندت الصيغة الثالثة على الفلسفة البراجماتية (النفعية) وكان الأيديولوجيات الثلاث لها طابع في الرأسمالية، بما فيها الأيديولوجية الماركسية التي كانت في حقيقتها تمثل رأسمالية الحزب فكان لها خصائص الرأسمالية بالإضافة إلى عيوب البيروقراطية، ثم ما لبث أن تسارعت عجلة السنين، وبالذات في العقد الأخير من القرن العشرين فشهدت تطورات ومتغيرات دولية وإقليمية في زيادة سرعة العولمة وشكلت في

---

(١) د. خلاف خلف الشاذلي: آفاق التنمية العربية وتداعيات العولمة، ص٤١، مرجع سابق، وانظر العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، فتحي يكن، ورانى طنبور، ص ٢٨ مرجع سابق.
(٢) هذا الكتاب مؤلفه مارشال ماك لوهان أسماه ((حرب وسلام في القرية الكونية))
(٣) وهذا الكتاب للمستول السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي ((بزجنبسكي ذوا الأصول البولندية، في عهد الرئيس ريجان)) وانظر د. محمد علي حوات: العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، ص١ / ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

نفس الوقت أهم معالم بارزة ساهمت في تشكيل العولمة [١]:

١- انتهاء الحرب الباردة بين قطبي النظام العالمي في القرن العشرين (الاتحاد السوفيتي – الولايات المتحدة الأمريكية) بانهيار الاتحاد السوفيتي.

٢- انهيار الاتحاد السوفيتي معقل الماركسية.

٣- تزايد التناقضات في المجتمع الدولي بين الاتجاه إلى التكامل (Integration) من ناحية، وبين ظهور التفتت والتشرذم (Fragmentation) من ناحية أخرى.

٤- تنامي أهمية العالم الاقتصادي والتكنولوجي والتأثير الثقافي والحضاري، وانكماش دور القوة العسكرية.

٥- بروز الشركات المتعددة أو متعددة الجنسيات (Transnational Corporations) والمنظمات غير الحكومية في إدارة توجيه الاقتصاد الوطني نحو اقتصادات السوق الحر – صاحب ذلك ازدياد وتركيز الثروة على المستوى الدولي، وكذلك داخل كل دولة على حدة، تنذر بوجود ديكتاتورية صاعدة لرأسمال المال من خلال اتحاد الشركات الكبرى، حتى صار العالم على شفى أن يكون رهينة في قبضة كبار المضاربين.

٦- ثورة المعلومات والاتصالات فضلاً عن نظام الإنترنت الجديد الذي ساهم في تغيير خريطة أساليب ونظم التجارة المحلية والعالمية.

٧- بزوغ عصر التكتلات الاقتصادية، وظهور برنامج الإصلاح الاقتصادي والهيكلي الشامل.

٨- التحرك السريع برأس المال وتنفيذ الصفقات [٢].

---

(١) د. خلاف الشاذلي: آفاق التنمية العربية وتداعيات العولمة، المرجع السابق، ص٤٣

(٢) انظر د. علي الفقيه: المستقبل العربي والعولمة عن جريدة الثورة اليمنية ١١/١١/١٩٩٩م العدد (١٢٨١٣)، ص ١١.

– غالب حسن البحري: النظام الدولي الجديد وعولمة الاقتصاد، الملحق الاقتصادي لجريدة الثورة اليمنية، ٢٠جماد ى الأولى ١٤٢٠هـ، ص٥.

عيسى الطيب طيبي: العولمة تمتد في فراغنا، عن مجلة الضياء، ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص ٤٨.

انظر مصطفى نصر الشرعي: نحو تنسيق مشترك لمواجهة تحديات العولمة، عن جريدة الصحوة اليمنية العدد

٩- تغير جغرافية العملية الإنتاجية الاقتصادية.

هذه العوامل وغيرها هيأت الفرصة الكبيرة للمتغيرات الدولية للتأثير في اقتصاديات دول العالم، وساهمت في ظهور أزمات تحدد تأثيرها على الاقتصاد المحلي، وتخضع في الأعم الأغلب لسياسات الشركات المتعددة الجنسيات والتي ستنقضي في النهاية على تحطيم قدرات الدول القومية كما أسفرت تلك العوامل سريعة الإيقاع إلى عدد من المتغيرات الفرعية كانتهاج بعض الدول سياسة الخصخصة أو التخصيص«Privitryation» والتطور الهائل في شبكة البورصات والمؤسسات المالية متعددة الأغراض في مجالات الاستثمار والتمويل.

ويرى التويجرى [1] أن نشأة العولمة ترجع إلى نصف قرن من الزمان أى إلى السنة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حيث برزت المفاهيم والنظريات السياسية الجديدة في ذلك الوقت كنظرية تسمى (نظرية ملء الفراغ) خاصة في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بعد انسحاب الاستعمار البريطاني القديم من المناطق العربية، كإحدى النتائج التي أسفرت عنها الحرب حينما أصبحت المنطقة خالية وفارغة، وكان لا بد للقوة الجديدة التي كان لها أثر في الحرب وخرجت رابحة أن تملأ هذا الفراغ، وإن لها الحق في هذه المنطقة في أن تمارس عليها نوعاً من السيادة، خاصة السيادة القانونية وغير المباشرة، كالسيادة الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

ثم أعيد صياغة هذه النظرية بعد خمسين سنة بما يلائم مصالح الدولة العظمى (القطب الوحيد) بعد انهيار القطب الند لها وانهيار جدار برلين.

ومن ثم اتخذ هذا المنحى عدة شكليات منها:

١ – وجود قوى دولية عبر الدول تشارك بصورة مباشرة في السياسة العالمية عبر قنوات متعددة تصل المجتمعات بعضها ببعض.

---

(٦٨٨) الخميس جمادى الأولى ١٤٢٠هـ، ص ٦.

(١) د.عبد العزيز بن عثمان التويجرى – الهةية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافى مجلة الإسلام اليوم الصادرة من النظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إسيسكو – بالتعاون الثلاث العربية – الإنجليزية.الغربية العدد (١٥) ١٤١٩ – ١٩٩٨ م ص ١٤. وانظر وعد كمال الحيالى : العولمة وجيارات المواجهة ن عن منار الإسلام، العدد (٣٨٨) السنة التاسعة والعشرون، ص٧٨.

٢ – وجود علاقات غير رسمية تقوم بين نخب غير حكومية وبواسطة منظمات عابرة للقوميات كالمنظمات الدولية والشركات والبنوك متعددة الجنسيات تلعب دوراً مهماً في تلك العلاقات.

٣ – وفي شكل إنشاء منظمة الأمم المتحدة والمنظمات والمؤسسات والوكالات المتفرعة عنها والعاملة في إطارها.

٤ – ثم ما لبثت أن تغيرت الخريطة السياسة العالمية وظهرت القوة التي حاولت أن تسيطر وتتفرد بزعامة ثم فرضت النظام الخاص المسمى بالعولمة والمعمول به حالياً والذي يحقق لها مصالحها(١).

ومن هنا فإن قوى العولمة تسعى إلى مفهوم العولمة العائم وهو الذي يعني إخضاع العلاقات الدولية في مجالات التجارة والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا لنظام ذي طابع عالمي يطلق عليه مصطلح العولمة.

وأختتم هذا المبحث بما ذهب إليه د. عبد الحي زلوم الأمريكي الجنسية في كتابه نذر العولمة إذ يُرجع تاريخ بدايتها إلى مخطط تفصيلي كانت تقوم به مؤسسات النخبة (وأصحاب الثروات الأمريكية) حتى توصلت إلى نتيجة ضرورة توسع الاقتصاد الأمريكي خارج الحدود ليضمن لها نمواً يحقق له حداً أدنى من التغيرات الحادة، وفعلاً توصلت النخبة الأمريكية آنئذٍ لضرورة خلق نظام اقتصادي عالمي تكون الولايات المتحدة مسيرة له.

في خلال سياق حديثه عن تأريخ توسيع الولايات المتحدة الأمريكية مساحة وسكاناً، يستهجن الكيفية التي تمت بها هذا التوسع حيث كان يحصل حسب كلامه تارة باستعمال قوة السلاح، وتارة أخرى بدبلوماسية الدولار (٢)وما إن تحقق لها هذا الحلم حتى بدأت (الولايات المتحدة الأمريكية) تعطي نفسها حق التعامل مع الآخرين كشرطي عالمي، وأعلنت هذا الأمر قبل إنشاء ما يسمى بالأمم المتحدة، وتم تفعيل هذا المبدأ بالذات في دول

---

(١) انظر د. مصطفى عمر النير: آراء حول المحافظة على الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، عن مجلة شؤون عربية العدد(١٠٥)، ص٦١

(٢) انظر عبد الحي زلوم: نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢ / ٢٠٠٠م، ص٦٤، ٦٥.

أمريكا اللاتينية وذلك بين عامي(١٩٠٣م - ١٩٠٤م) [(١)]، ولقد تم تطوير هذه الأدوار وتغطيتها لتصبح في الأخير من مهام الأمم المتحدة، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤسسات النابعة عن اتفاقيتي بريتون دورز (أي مؤسستي النقد الدولي البنك وصندوق النقد الدوليين).

ويضيف زلوم: «ولم تكن الحرب عبارة عن حدث عسكري محض، بل كان الحدث عسكرياً واقتصادياً نتج عنه توسيع نطاق الاقتصاد الأمريكي، وكان هذا هو الدافع الأكبر لدى الولايات المتحدة لدخول الحرب العالمية الأولى [(٢)].

ثم بليت أمريكا بكساد عظيم في مستهل العشرينيات من القرن العشرين تعرضت أمريكا لهزة اقتصادية حاولت الحكومة السيطرة عليها، بوقوفها إلى جانب الشركات الكبرى وتبني سياسة عدم التدخل في النشاطات الاجتماعية والاقتصادية وقد أدى وبسبب ذلك بعد أقل من عقد إلى انهيار أسواق الأسهم في دول إستريت في الثلاثينيات نتيجة عدم التوازن، واشتهر ذلك الانهيار بالانهيار العظيم فتفاقمت البطالة وشهدت الأسعار والمداخيل مزيداً من التقهقر، وتدهور الطلب على السلع وقابله مزيداً من السيطرة على رأس المال.

وتدخلت الحكومة مرة أخرى لإنقاذ النظام المصرفي من الانهيار بالرغم من أنها لم تكن تتبنى هذا المسمى، بل كانت تتبنى اقتصاديات السوق الحرة التي تدعو إليه اليوم واتخذت الحكومة من أجل إنقاذ البنوك والمصارف عدة خطوات منها:

١- تشجيع كافة النشاطات التجارية للموافقات على سياسة التسعير والإنتاج حتى أصبح لها قوة القانون لإنعاش الصناعة الوطنية

٢ - ثم تأسيس ما يسمى (Works Progress Administra tion) أي إدارة تحقيق التقدم في مجالات العمل لتأمين آلاف بل ملايين الوظائف لأفراد الشعب، كما تم ابتداع التأمين على المسنين مع أنه شر ولكن لا بد منه بحسب وجهة نظر الرأسمالية لإيقاف الكساد ويمكن التخلي عنه مستقبلاً.

٣ - وقفت الحكومة بجانب العمالة واستصدرت لذلك القوانين لمساعدة هذه الشريحة من المجتمع.

---

(١) المرجع نفسه، ص٦٠.
(٢) المرجع نفسه، ص ٦٧.

٤ – تم مساعدة الشركات عن طريق مؤسسة تمويل إعادة الإعمار [١].

Reconskaclion Finance corporation.

أدت هذه البرامج إلى تصاعد العجوزات الفيدرالية للحكومة بشكل مزمن، ولكنها أنقذت رأسمالية السوق الحرة من نفسها وخلال الحرب العالمية الثانية اضطلعت الحكومة الفيدرالية الأمريكية بمسؤولية السيطرة الكلية على كافة مناحي الاقتصاد.

مشـــروع العـــولمة :

وبحلول عام ١٩٣٩م تم التحالف مع جماعة الفنيين والتقنيين الأكثر نشاطاً وحماساً لتطوير خطط لحساب الولايات المتحدة خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، وتم تحديد مشروع تخطيط طويل المدى ليتم تنفيذه من قبل مجلس العلاقات الخارجية بعد اجتماعه بشخصيات مهمة مثل محرر الشؤون الخارجية ومساعد وزير الخارجية توخت هذه الخطط حرية السوق على أن تتوفر للاقتصاد الأمريكي الحصول على المواد الخام الأجنبية مع ضرورة توفر الأسواق الاستهلاكية داخل وخارج أمريكا.

وانصب المشروع على المشاكل بعيدة المدى التي ستنجم عن الحرب والخطط من أجل السلام وتم إجراء دراسات مهمة لهذا العمل وخصصت لذلك ميزانية لم تكن موجودة سلفاً.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها كان المشروع قد أنجز ٦٨٢ مذكرة سرية ساق زلوم بعضاً منها.

وكان من ضمن وصايا هذا المشروع إقامة منظمة مالية تتولى الإشراف على الاستقرار في سوق العملات الأجنبية مع توفير السيولة الكافية لتسهيل العمليات التجارية، انبثق عنها مؤسسة صندوق النقد الدولي [٢].

كما أوصت بإنشاء مؤسسة مالية أخرى تكون مسؤولة عن توفير رأس المال الاستثماري لتمويل المشاريع التي يلزمه إقامتها في المناطق المذكورة ضمن خطة المنطقة الكبرى لتطوير النمو الاقتصادي فيها.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٦٨.
(٢) المرجع نفسه، ص ٧٠.

وانبثق عنها ما سمى فيما بعد باسم البنك الدولي World Bank.

ومن الجدير بالذكر بحسب زلوم: «أن هذه الدراسات كانت قد افترضت أن الولايات المتحدة ستدخل الحرب قبل إعلانها، كما افترضت أن الحرب ستنتهي بانتصار الولايات المتحدة وحلفائها، كما تضمنت هذه الدراسات تفاصيل عن إيجاد مؤسستي صندوق النقد والبنك الدوليين بصفتهما المسيطرة كما هو الحاصل الآن[1]!

ثم يصل في الأخير إلى أن معظم الوسائل لتوجيه العالم لتطبيق نظام العولمة الاقتصادية اكتملت بحلول عام ١٩٤٩م، أما تجمع مجموعة السبع الكبرى قد تم تشكيله في وقت لاحق.

التخطيط الهندسي للعولمة:

نخلص من هذا التوصيف الدقيق لتأريخ العولمة وهندستها بحسب زلوم إلى النقاط التالية:

١- أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى جاهدة لإيجاد أسواق لها خارج حدودها لتضمن أكبر نشاط اقتصادي يسمح لها بالتسويق خارج حدودها، بل عالمياً.

٢- عملت الولايات المتحدة الأمريكية بطرق ظاهرة وخفية لاستكمال إجراءات الهيمنة بإنشاء مؤسسات دولية تضمن لها الشرعية لأي تدخل مرتقب.

٣- حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تدير الحربين العالميتين الأولى والثانية وحاولت كسب نتائجهما لصالحها.

٤- تم لها ما خططت له من خلال ضبط أمورها بالدراسات المكثفة والمتخصصة وجندت لذلك أقوى الشخصيات النخبوية والتقنية ومدت خيوطها عبر عملائها، فنتج عنها ما يسمى الآن بالعولمة حسب تخطيط مدروس وإعداد مسبق.

---

(١) المرجع نفسه،ص ٧١.

ويتفق الباحث مع هذا الاتجاه من حيث أن العولمة بمعناها الجانح إلى السيطرة وإلى الهيمنة إنما خضعت لتخطيط مسبق طويل حاولت من خلاله الولايات المتحدة أن تكون لها اليد الطولى في تسيير المجتمع الدولي اقتصادياً وسياسياً وثقافياً واجتماعياً، وأن الواقع الملموس والمشاهد يثبت هذا من خلال الاستحواذ على المؤسسات الدولية سواءً النقدية أو المؤسسات الأخرى، وكذلك المؤتمرات التي تعقد تحت مظلة الأمم المتحدة التي تهيمن عليها الولايات المتحدة بالدرجة الأولى.

وليس معنى هذا أنه لا توجد آراء أخرى حول الموضوع لا بل هي كثيرة فمنهم يربطها بالتأريخ الاقتصادي والاجتماعي للعلاقات الدولية، وبشكل خاص بتأريخ الفترات المبكرة للزيادة السريعة في حجم التجارة والاستثمارات والاتصالات، ودوائر التنفيذ، تلك الفترات ما حدث خلال المائتين والخمسين عاماً الماضية (١).

ومنهم من يربطها بفكرة التدويل ويرجعها إلى ما بعد منتصف القرن الثالث عشر كما سلف مروراً بمرحلة التوسع الاقتصادي للشركات الخاصة خصوصاً الألمانية والإنجليزية والفرنسية والسويدية، وانتهاءً بنهاية القرن العشرين حيث كانت الإمبراطوريات السابقة مكوناً صغيراً في العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية والأخلاقية كما حظيت هذه الفترة بعلاقة كبيرة واهتمام سياسي بين الحكومة والعولمة أو بين وضع السياسة الوطنية (المحلية) والتغير الاقتصادي الدولي(٢).

ويرى الباحث أن هذين الرأيين كما هي الآراء السابقة فيها كثير من التكلف، وهي أقرب إلى الحدس منها إلى الحقيقة والذي يجنح إليه الباحث من حيث الموضوعية العلمية هو ما ذهب إليه زلوم لما فيه من التحليل الدقيق والمبرهن بالأدلة الساطعة.

* * * * *

(١) انظر: إيما روتشيلد العولمة وعودة التأريخ، ترجمة غادة شويقة، مراجعة زكي خبير، عن مجلة الثقافة العالمية، العدد (١٠٣) ص ١٧، مرجع سابق

(٢) المرجع السابق، ص ٩٠.

المبحث الثالث:
أبعاد العولمة
المطلب الأول:
البعد الاقتصادي للعولمة

مما لا شك فيه أن البعد الاقتصادي للعولمة يحظى بأوفر نصيب من النقاش والتوضيح والتعليق، وذلك لأن الاقتصاد كان ولا يزال من أهم دوافع الإنسان للعمل والنشاط، وقد لعب التبادل التجاري دوراً رئيساً في تحديد العلاقات بين مختلف البلدان منذ القدم.

إلا أن التغيير الذي طرأ على طريقة التبادل التجاري خلال العقود الأخيرة جعل لهذا الأسلوب نمطاً جديداً متميزاً. فقد صارت رؤوس الأموال تنتقل عبر الحدود الجغرافية والحدود السياسية بسهولة تحت غطاء لا يتعارض والكرامة الوطنية، فهي تنتقل باسم الاستثمار الخارجي، وحرية التجارة التي أزالت الحواجز الجمركية. وقد ساعدت عوامل كثيرة على انتشار هذه الأفكار، لعل أهمها حالة الفقر التي كانت عليها بلدان كثيرة، فقر مادي، فقر في الخبرات الحديثة، وفقر في توظيف الثقافة توظيفاً واسعاً، وتفاوت المجتمعات من حيث الإمكانات الاقتصادية حيث يسيطر عدد صغير من بلدان العالم على أكبر قدر من الإمكانات الاقتصادية، بينما تشمل البلدان الفقيرة غالبية بلدان العالم وغالبية السكان.

إضافة إلى وجود الشركات العملاقة المتعددة والمتعدية الجنسية، والتطور السريع في الثقافة وخصوصاً في مجال الاتصالات الأمر الذي سهّل انتقال رؤوس الأموال عبر الحدود، وقد ألغى هذا التطور الحدود السياسية، واختزل الزمن ووحّد نوعية التطلعات ومستوياتها.

ولم تقتصر العلاقات الاقتصادية بين بلدان العالم على انتقال رؤوس الأموال، وتبادل السلع والمواد الخام،.... بل اتسعت لتشمل مختلف جوانب الحياة وفي مقدمتها النسق الثقافي.

ومن هنا فإن البعد الاقتصادي للعولمة يشير إلى الاتجاه المتعاظم الذي يطالب بإلغاء كافة أنواع العقبات الجغرافية والجمركية والإدارية أمام حركة التجارة والمال والثقافة والمعلومات على الصعيد العالمي، بما يقود – كما يزعم قادة النظام العالمى الجديد – إلى انتعاش الاقتصاد

الرأسمالي العالمي، وبلورة ثقافة عالمية متجانسة الخصائص تجعل كافة دول العالم في بوتقة واحدة. ويتفق معظم المراقبين من العالم الثاني وفريق من مراقبي العالم المتقدم أن من شأن هذه الظاهرة أن تمس ليس الجوانب الاقتصادية أو التهديدات المحتملة على الجانب الاقتصادي والمالي لكثير من الدول فحسب، وإنما سيمتد تأثيرها إلى الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية لتلك الدول أيضاً.

إن مروجي العولمة يعملون بجدية ومثابرة على ربط اقتصاديات كل دول العالم بالاقتصاد والرأسمال العالمي، وإن أبرز معالم الاقتصاد العالمي الراهن هو سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على الاستثمار الأجنبي وعلى الإنتاجية الأكثر تقدماً. بحيث أصبح من الاستحالة ولوج بعض الصناعات دون قدر من التنسيق مع هذه الوحدات الإنتاجية العملاقة التي كانت تعمل في جو من التنافس على الصعيد العالمي حتى أصبحت الآن أداة جوهرية في عولمة الاقتصاد بسبب موجة الاندماجية التي تجري فيما بينها بصورة مستمرة كما هو حاصل ويحصل في الولايات المتحدة واليابان[١].

وتظهر تجليات العولمة الاقتصادية في نمو وتعميق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية في وحدة الأسواق المالية، وتعميق المبادلات التجارية وإزالة القواعد الحمائية التجارة، وإنشاء منظمة التجارة العالمية، كذلك تبرز هذه التجليات من خلال التكتلات الاقتصادية العالمية (السوق الأوروبية المشتركة) سابقاً (الاتحاد الأوروبي) على سبيل المثال، ونشاط الشركات الدولية والمؤسسات الاقتصادية الدولية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) [٢].

يزعم مروجو العولمة أن اقتصاد السوق وحرية التجارة والبورصة والبنوك والأسواق المفتوحة أثبتت نجاعتها وتفوقها، وبالتالي فهي الأجدر في نظرهم أن تفوز وتسود الحياة الاقتصادية،

---

(١) عرفات تقي الحسني – الاقتصاد العربي في وداع القرن العشرين – عن مجلة قضايا استراتيجية الصادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية العدد (٣) أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠م ص (٩٠).

(٢) عادل عبد الحميد علي – العولمة وآثارها على العالم الثالث – تعنى بقضايا الفكر والثقافة والتنمية والسياسة – صادرة عن المؤتمر الشعبي العام (اليمن) العدد (١٩) يناير – مارس ٢٠٠٠م ص (٩٠).

أما القطاع العام وقطاع الدولة والاشتراكية وغير ذلك فهي أفكار قديمة ومخلفات تاريخية بائدة حطمتها وتحطمها الشركات العابرة للقارات والعابرة للقوميات وضرورات التطور الاقتصادي [(١)].

كما قد يشير البعد الاقتصادي عند البعض إلى العملية التي من شأنها تكثيف التبادلات الدولية كلما تطور التداخل بين أنظمة الإنتاج [(٢)].

إن البعد الاقتصادي يظهر بشكل جلي من خلال السعي الدؤوب والنشط لرأس المال وإمكان تداخله في العالم بحيث يتحول العالم كله إلى سوق استهلاكية كبرى بقيادة الشركات الصناعية الأكبر حجماً. [(٣)]

إنه إرساء نظام اقتصادي موحد يهدف إلى تحرير العلاقات الاقتصادية القائمة بين الدول من السياسيات والمؤسسات القومية والاتفاقيات المنظمة لها، وذلك بخضوعها التلقائي لقوى جديدة أفرزتها التطورات التقنية والاقتصادية، وتعيد هذه القوى الجديدة تشكيل وتنظيم العلاقات الاقتصادية بشكل طبيعي على مستوى العالم كله باعتباره وحدة واحدة، وتقوم هذه العلاقات على أساس تبادل الخامات والسلع والمنتجات والأسواق ورؤوس الأموال[(٤)].

إنه مشروع يطرح على أرض الواقع بدافع الهيمنة من قبل دول الشمال على السوق العالمي لأنها تتمتع بفائض في المنتجات الزراعية في مقابل قلة الغذاء أو انعدامه مقابل الشح الغذائي في دول الجنوب والأطراف ولأن دول الشمال تملك المبادرة في الإنتاج الصناعي المتجدد، فإن على دول الجنوب والأطراف وبخاصة الدول الإسلامية أن تكون سوقاً

---

(١) د/ رسلان خضور، د/ سمير إبراهيم حسن - مستقبل العولمة - عن قضايا راهنة سلسلة أوراق شهرية صادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية العدد (٧) تموز / يونيو ١٩٩٨م ص (٨).

(٢) إبراهيم التواني - عن مجلة البصائر الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم العدد (٢٥) السنة١٢ ربيع ١٤٢٢ هـ

(٣) د/ بركات محمد مراد - ظاهرة العولمة رؤية نقدية - كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر العدد (٨٦) ذو القعدة ١٤٢٢هـ السنة الحادية والعشرون ص ٦٤.

(٤) عبد الرحمن سعيد - تحدي العولمة - عن مجلة السنة العدد (٨٦) يونيو ١٩٩٩م ص٣٦، د/ رسلان خضور، سمير إبراهيم - مستقبل العولمة - مرجع سابق ص٨. محمد محفوظ نقد المشروع الثقافي الغربي وطموحات العولمة، مجلة الحكمة الصادرة عن منتدى الحكمة للدراسات والأبحاث، بيروت لبنان، العدد (١٩) السنة= =الخامسة ربيع ١٩٩٨م / ١٤١٩هـ، ص ٥٠.

استهلاكية لمنتجات الطرف الأقوى والأغنى والمنتج. وهذا إنما يتم عن طريق طرح آليات ومداخل للاندماج في الاقتصاد العالمي محورها الأساسي السوق والتنافس الحاد على كسب السوق حيث الغلبة تكون للأفضل والأقوى من حيث الإنتاج والتقنية والرفاهية. [١]

والحقيقة أن عملية الاندماج عن طريق فتح الأسواق لا يبني هيكلة اقتصادية متينة، وإنما تساهم في تآكل الهياكل المتوفرة على مستوى البنية الاقتصادية الوطنية لصالح نسق اقتصادي عالمي لا يخدم على المستوى المرحلي والاستراتيجي إلا الدول الصناعية الكبرى ومحورها وقطبها الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بغية السيطرة على اقتصاديات دول العالم وتعميم نماذجها. [٢]

إن ذلك الاندماج لا تتوفر فيه شروط اقتصادية وسياسية وحضارية، ولا تقوم هذه الدول (الكبرى) بأي دور إيجابي في امتصاص العواقب والحالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المترتبة على ذلك. فتتحول دول الأطراف وبالذات الدول الإسلامية إلى سوق استهلاكية عالمية تسير عبر مراجع متلاحقة إلى أن تصل إلى ربط اقتصادياتها هيكلياً باقتصاديات الدول الكبرى المهيمنة والمحتكرة للسوق فلا يمكنها بعد ذلك الانفكاك منها إلى أن تسقط هذه الدول – والتجارب شاهدة على ذلك – ضحية وبائسة لهذا النظام المهيمن[٣].

إن إمكانية وصول البلدان النامية ومنها الإسلامية بالطبع محدودة جداً للوصول إلى الأسواق العالمية، وإلى الموارد المالية والتكنولوجية، ولم تتم عملية إزالة الآفات القديمة بعد، والتي تعاني منها شعوب البلدان النامية من قبيل الفقر والمرض، والفاقة، وسوء التغذية، والبطالة المتزايدة في التفشي، بل إن هذا النموذج من العولمة يسهم بالتأكيد إسهاماً كبيراً في إيجاد مثل هذه الآفات وزيادتها، فلا يجد المرء حينئذ غضاضةً في أن يصف هذا النموذج من العولمة "بعولمة القوة الاقتصادية" [٤] بحسب د. تيسير الشائف: ذلك أن الأسواق الرأسمالية،

---

(١) المرجع السابق، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق الصفحة، ص٥١.

(٣) نفس المرجع السابق ص٥١.

(٤) د. تيسير الشائف – نموذج العولمة الحالي وإقامة نظام إنساني عالمي جديد – جريدة البيان الإماراتية بتاريخ ١٥/٤/٢٠٠١م

وانظر د. رسلان، د. سمير إبراهيم – مستقبل العولمة مرجع سابق ص١٢، وانظر مرتضى معاش: العولمة رؤى ومخاطر، عن مجلة النبأ، العدد (٣٥) السنة الخامسة ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، ص ٢، المجلة عن طريق الإنترنت، Mortaela@ahhabaa.org

وتدفقات الاستثمار، وكذلك وبصورة متزايدة تدفقات التجارة على نحو مطرد غدت اليوم أقل خضوعاً للسيطرة الوطنية مع كون ذلك كله محكوماً بقوانين السوق المطبقة على أساس إرادات الجهات الاقتصادية والسياسية القوية(١).

ولأن الشركات متعدد الجنسيات تشكل محور اقتصاد العولمة، فإن ما يجري الآن، إنما هو محاولة منها لتحويل العالم كله إلى سوق عالمية واحدة تخضع لنشاط وسيطرة هذه الشركات، والتي بدورها تعمل وبجدية ومثابرة على تكييف مختلف النظم والسياسات الاقتصادية في العالم لاحتياجاتها(٢).

إن تدخل الشركات متعددة الجنسيات في قضايا مالية كثيرة وجوهرية ووضعها سياسات اجتماعية لكثير من البلدان النامية ينجم عنه صدمات لاقتصاديات البلدان النامية، ويزيد عمق الشرخ الفاصل بين البلدان في الجنوب وبلدان الشمال(٣).

إن السماح لدخول هذه الشركات إلى الدول النامية باسم حرية العمل أو قوى السوق في ظل حرية مطلقة العنان لهذه القوى يؤدي إلى المنافسة غير المنصفة بين البلدان النامية، ومتقدمة النمو، حتى يصل الأمر إلى ذلك الأثر السلبي الواضح والواقع الآن في حياة الشعوب الفقيرة، وإلى تفاوت النتائج المالية والاقتصادية، وإلى تركيز وزيادة تركيز الثروة لدى هذه الشركات (٤)وبالتالي لدى من يملكها وهي بلا أدنى ريب الدول الكبرى القوية ومما يجدر ذكره هنا الإشارة بإيجاز لأهم نتائج هذا التدخل بحسب د. تسير بتلخيص في النقاط التالية: -

نتائج دخول الشركات المتعددة إلى الدول النامية:

- تدهور أو تدمير البيئة الطبيعية.

---

(١) انظر سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ، ص ١٦، ٢٠

(٢) المرجع السابق الصفحة، ص١.

(٣) د. تيسير: نموذج العولمة، ص ٢، وانظر فتحي يكن ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠/ ٧٥

(٤) وانظر عرفات تقي الحسن: الاقتصاد العربي في وداع القرن الـ ٢٠ واقع العولمة أم حلم التكامل - عن مجلة قضايا استراتيجية، العدد (٤) جماد الآخر ١٤٢١هـ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠م، ص ١٥، ١٦.

- الانخفاض في مستوى كثير من الخدمات العامة.

- تزايد واتساع الفجوة بين أغنى الشعوب وأفقرها.

- تهميش وزيادة تهميش الشركات الصغيرة، والدول الفقيرة والضعيفة في عملية صنع القرار المتعلق بالاقتصاد العالمي.

- ينطوي هذا التهميش على إضعاف الاقتصاديات الوطنية والإقليمية حيال سلطات الشركات الكبرى والدول القوية وحيال قراراتها وإجراءاتها. وهذه هي الحقيقة المأساوية القائمة في أغلب البلدان النامية.

تزايد عدد البشر الذين يعانون من الفقر المدقع والجوع والمرض وسوء التغذية والبطالة رغم التطور المذهل والمتسارع في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات [(١)].

وإن صدى أفكار الليبرالية الجديدة التي تتبناها دول الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية منذ ثلاثة عقود إنها في الحقيقة دعوة إلى عولمة اقتصادية تتركز بشكل عملي وأساسي فيما يسمى بحرية السوق وعدم تدخل الدولة، ورفض التعريفات الجمركية الباهظة، وإزالة كل العوائق التي وضعتها الحكومات ضد التوسع الصناعي، والعمل بقاعدة " دعه يعمل دعه يمر* " التي تؤدي بزعم مروجي العولمة اليوم إلى الرخاء الاجتماعي، وهذه النظرية لم تحظ بمساحة واسعة من النشر في الأدبيات الاقتصادية إلا عقب انهيار جدار برلين، وتفكك المنظومة الاشتراكية، وبطلان النظرية الاشتراكية، وهيمنة النظام الرأسمالي النظرية الرأسمالية)[(٢)].

حتى ظهرت هذه الدعوة في هذه الآونة بشعار الـ (Globalization) التي اختلفت النخب العربية في ترجمتها من قائل بـ (العولمة) وآخر (الكوننة) وثالث (الكوكبة)، والتي هي في نظر دعاة تحرر السوق مفتاح التعايش السلمي والطريق القويم - بزعمهم - إلى مستقبل مشرق وزاهر للبشرية كلها.

إن قواعد وآليات نظام العولمة تفرض مناهج الانفراد بقيادة السوق العالمي، وبما يعنيه ذلك من تفوق على كافة القوى الاقتصادية في أحد مجالات الاقتصاد، أو في أكثر من مجال

---

(١) د. تيسير الشائف - نفس المرجع السابق ص٣.
(٢) شايف على الحسنى - حديث العولمة وآفاق تطور اليمن - ط١ / يناير ٢٠٠١ م - ص٢٤.

على مستوى الخريطة الاقتصادية العالمية الشاملة [(١)].

مظاهر العولمة الاقتصادية:

ويمكن تلخيص مظاهر العولمة الاقتصادية في النقاط التالية:

١ – اتساع نشاط الرأسمالية متعدية الجنسيات وتنامي قوتها: –

ويتضح ذلك من خلال ممارسة الشركات عابرة القارات نشاطها الإنتاجي في نقل شركاتها إلى بلدان أخرى (بما في ذلك البلدان النامية) ويكون مقر الإدارة العليا للشركة في بلد ما، حيث توجد الإدارة العليا وأقسام البحث والتطوير وإدارة التسويق، وبدأت تختفي عبارات مثل صنع في ألمانيا مثلاً أو فرنسا أو... وحل محل ذلك صنع لدى مرسيدس أو تويوتا أو فليبس [(٢)].

٢ – تقويض أو إضعاف دور الدولة الاقتصادي والسياسي: –

ويتم ذلك من خلال الاستعانة بموظفين دوليين تابعين لمنظمات دولية مثل (صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية). وبهذا تكون قادرة على الاستغناء عن بعض وظائف الدولة، وهي تعتمد أيضاً على نظم أمن خاصة، وشركات بريد خاصة، وتقوم بالاستيلاء على مرافق وخدمات عامة باسم الخصخصة [(٣)].

٣ – إضعاف فاعلية السياسات الاقتصادية الوطنية: –

من خلال المظهر الثاني نلاحظ تغيير دور الدولة وضعف قدراتها على اتخاذ أو صناعة القرار الاقتصادي أو السياسي الذي يتماشى ومصلحتها الوطنية، ونتيجة لتقييد الدولة باتفاقيات تحرير التجارة الدولية يصعب عليها السيطرة على حركات رؤوس الأموال

---

(١) إبراهيم التواني – عن مجلة البصائر العدد (٢٥) السنة ١٢ ربيع ١٤٢٢هـ ص١١٤، ١١٣.

(٢) د. عبد الحي زلوم – نذر العولمة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ / ٢٠٠٠م ص٣١، ٣٠ عن دايفيد كورنن – عندما تحكم الشركات العالم – روليان ليبك من كتاب أرض الرغبة. د. محمد عبد الله الشيباني – العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري – عن مجلة البيان العدد (١٠٢) ص٩٩، وانظر د. منعم العماد: العولمة ودورها في تهميش النظام الإقليمي العربي، عن مجلة قضايا استراتيجية العدد (٢) ربيع الأول ١٤٢١هـ يونيو ٢٠٠٠م، ص٩.

(٣) انظر رسلان خضور سمير إبراهيم – في مستقبل العولمة – المرجع السابق، د. إسماعيل صبري عبد الله – الكوكبة الرأسمالية في مرحلة ما بعد الإمبريالية ـ عن مجلة المستقبل العربي – عدد (٢٢٢)٨/ ١٩٩٧م ص٤، الحسين عصمة – العالم الإسلامي وتحديات العولمة – عن مجلة الكلمة (١٩) ربيع ١٩٩٨م ص٧٤.

وهروبها إلى الخارج وكذلك يصعب عليها الدفاع عن سعر صرف العملة الوطنية وعن أسعار الفائدة [١].

٤ - التحرر شبه المطلق لحركة السلع والخدمات ورؤوس الأموال(عولمة البضائع): -

وعبر اتفاقيات الجات (G - A - T) ومنظمة التجارة العالمية التي جاءت أصلاً تلبية لمصالح ومتطلبات الشركات (المتعدية) الجنسيات، فإنها تضع كل القيود أمام حركة قوة العمل في السوق العالمية، لأن ذلك لا ينسجم مع مصالحها.

ويمارس تحرير الأسواق وتوسعه كل يوم، وبالتالي الهيمنة على حوالي ثلثي التجارة العالمية، وأما ما يجري عولمته عملياً عبر تحرير التبادل التجاري هو سلع وخدمات ذات خصائص معينة أفرزتها قوى السيطرة العالمية، وأصبح رأس المال يمكن أن ينتقل بسهولة ويسر[*]، إذ أصبحت العبرة للتفوق المطلق في جميع الأسواق.

٥ - عولمة الاستهلاك وعولمة العرض والطلب: -

ويتم ذلك من خلال التطور الهائل في تكنولوجيا الدعاية والإعلان لتنميط أذواق المستهلكين وخلق نمط استهلاكي موحد [٢].

٦ - النمو السريع لأسواق المال العالمية (العولمة المالية): -

بدعوى الانفتاح على السوق النقدي والمالي العالمي وتحوله إلى أيدلوجية صارمة يخضع لها الجميع والناتج عن السياسات المتعلقة بتحرير الأسواق المالية والنقدية التي شجعتها

---

(١) محمد سماحة - الأسلمة بدلاً عن العولمة - عن العربي العدد (٤٩٠)/ ١٩٩٩م، السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك - عن المستقبل العربي (٢٥٦)٢٠٠٠م

(*) وذلك بسبب أن نظرية التكاليف التي كانت إلى عهد قريب من أهم الأركان التي يقوم عليها التبادل التجاري الدولي حيث إنها مبنية على فرضية لم تعد متحققة مثل عدم قدرة المشروعات رؤوس الأموال على الانتقال إلى الخارج، وبذلك أصبحت هذه النظرية محدودة. انظر محمد محفوظ - نقد المشروع الثقافي للغرب وطموحات العولمة - عن مجلة الكلمة (١٩) ص٥٣ مرجع سابق.

(١) د. عبد المنعم: العولمة ودورها في تهميش النظام الإقليمي العربي قضايا استراتيجية، ص١٥، مرجع سابق، هربرت شيلر ترجمة عبدالسلام رضوان، المتلاعبون بالعقول، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٣) ط ٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص١.

(٢) انظر د. رسلان منصور، وسمير إبراهيم: مستقبل العولمة، المرجع السابق، وانظر د. محمد مقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م، ص ٩٩ وما بعدها.

حكومات الدول الصناعية الكبرى، وبالنمو السريع لرأس المال العالمي، ومن جراء زيادة اندماج الأسواق المالية ببعضها أصبح العالم رهينة لمجموعة من المضاربين الذين يضاربون بالعملات المالية (١).

٧ - تزايد درجات الارتباط والتشابك في الاقتصاد الدولي: -

لدرجة أن الكثير من الصناعات ربما تتوقف أو تنهار تماماً في حال حدوث أي حدث طارئ يحول دون التعامل مع الموردين من الخارج (٢).

٨ - إهمال البعد الاجتماعي: -

وذلك بزوال الحدود، وتدمير النقابات العمالية، وتضييع كثير من الفرص بسبب زيادة التشابكات العالمية، مما يدمر التماسك الاجتماعي، ويزداد تركز الثروة مع حفنة من الأغنياء يصل إلى بضع مئات (مليارديرات) يملكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢.٥ مليار من سكان العالم. وهناك (٢٠٪) من دول العالم تستحوذ على (٨٥٪) من الناتج العالمي، وعلى(٨٤٪) من التجارة العالمية ويمتلك سكانها (٨٥٪) من المدخرات العالمية (٣).

هذه أبرز مظاهر وأبعاد العولمة الاقتصادية، وإلا فهي تعني الكثير غير هذا الذي ذكر إنها تعني اقتصاداً غير عادل، وغير أخلاقي اقتصاد يقوم على استلاب جهد الضعفاء لمصلحة الأقوياء سواء كانوا شعوباً أم أفراداً.

إنه لا يُعنَى أبداً بما تحتاج إليه الشعوب من سلع وخدمات بل يمضي وبسرعة وبشره بالغ نحو الربح الذي يعود على مروجيه بالرفاه (٤).

---

(٣) المراجع السابقة بالإضافة إلى السيد أحمد مصطفى عمر: إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك العربي، السنة ٢٣، العدد (٢٥٦) ٦/ ٢٠٠٠م، ص ٧٩ وما بعدها

(٣) د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم - مستقبل العولمة ص١٥ مرجع سابق، د. منير الحمش - الآثار السلبية للعولمة عن مجلة الشاهد عدد (١٩٧) (١/ ٢٠٠٢م)، د. إسماعيل صبري عبد الله - العولمة والاقتصاد والتنمية العربية - عن كتاب العرب والعولمة مرجع سابق ص٣٦٦، لمزيد من المعلومات انظر هانس بيتر مارتين، هارالدشومان - فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية - ترجمة د. عدنان عباس علي.= =سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨) ص (٢١-٣٩).

(٤) محمد جمعة - الاقتصاد الماليزي بعيداً عن إيقاع العولمة - مجلة المجتمع العدد (١٤٠٧) ربيع الآخر ١٤٢١هـ ٤/ ٧/ ٢٠٠٠م ص٤٧. وانظر محمد قطب - المسلمون والعولمة - دار الشروق ط١/ ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م ص١٠، د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ط١/ ١٤٢١هـ ص٢٨.

إنه لا يتردد أن يقيم مصنعاً في بلاد الأطراف (الدول النامية والضعيفة بما فيها دول المسلمين) لا تُعنى إلا بحاجات ثانوية (كالزينة وغيرها) بينما تفتقر هذه البلاد إلى المواد الأساسية، بل إلى الضروريات الأولى[١].

وهو لا يتلكأ في نقل المصانع القذرة والملوثة للبيئة إلى العالم الثالث غير مكترث بما يؤول إليه أمر الشعوب في هذه البلدان من جراء التلوث، ويبرر ذلك بالنظريات المدحوضة وبما يسمى بالانفتاح الاقتصادي[٢].

إن عولمة الاقتصاد أو الاقتصاد المعولم لا يتباطأ أن يرسل إلى العالم الثالث (المتخلف) الأدوية التي يمنع تداولها عنده، ويصدر إلى العالم الثالث والإسلامي أنواعاً من السجائر تحمل نسبة من "النيكوتين" لا يجيز تناولها في بلاده امتداداً لاقتصاد الاستعمار القديم[٣].

وهو الذي يحجر علينا أن نستقل بأنفسنا بل يحتم ويفرض علينا التبعية المطلقة فهو يشتري منا المواد الخام بأبخس الأثمان ليبيعها لنا ثانية كمستهلكين بأضعاف مضاعفة.

إن الذي يجني ثمرة هذا النوع من الاقتصاد والذي لا ترضاه إنسانية الإنسان فضلاً عن أمة الإسلام، إنما هي فئة قليلة تشبع إلى حد التخمة بينما أكثرية وغالبية من الطبقات والشعوب لا تكاد تجد ما يقيم أودها أو يرطب كبدها.

وهذا الذي وصلت إليه الحضارة المادية الحديثة من اهتمام بالجسد متعاً وشهوات وملذات تتمتع بها فئة قليلة، وشرذمة تمسك بزمام هذه الحضارة في حين أن غالبية عظمى من البشرية يبيتون يتقلبون في العراء وفي ألم الجوع والبرد والمخافة والفاقة، وذلك كله في غياب الإسلام وأبناء الإسلام الذين تخلوا عن حمل رسالتهم وتبليغها، وحيث فرطوا في واجبهم الديني والإنساني، وقد أوصى الإسلام

(١، ٣) د. يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، ص ١٨، مرجع سابق.

(٣) د. يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، المرجع السابق وانظر هانس بيتر مارتين، هارالد شومان: فخ العولمة، الاعتداء على الديمقراطية، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم. المعرفة (١٣٨) الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جماد الأولى ١٤١٩هـ، ص٣٦٨، وانظر د. منير الحمش: في مناقشة لورقة د. بول سالم المقدمة لمركز دراسات الوحدة العربية، في كتاب العرب والعولمة، ط ٢ / ١٢/ ١٩٩٨م، ص٢٧٨، مرجع سابق.

بالتراحم والتحاب والتواد والتآلف والتكافل، ولم يرض للفرد المسلم أن يبيت شبعانٌ وجاره إلى جانبه جائع. قال الله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (١).

وجسد النبي ﷺ هذا المعنى حيث قال: "ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه"(٢) وقال رسول الله ﷺ أيضاً: " ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم "(٣).

ومن هنا فإن الصفة الغالبة في النظام المصرفي العالمي هى الربا ولذا فهو اقتصاد طفيلي يقوم على المالية والمعلوماتية ويتميز بصفتين خسيستين هما: - المضاربة، وعدم الإنتاج، إنه يستطيع أن يشن هجمات تؤدي بحياة الشعوب وحياة أمة بكاملها، وهو وراء كل الأزمات الاقتصادية التي عصفت بكثير من بلاد العالم مثل دول الآسيان (النمور الآسيوية، ماليزيا، إندونيسيا، سنغافورة،...).

إنه يقوم على امتصاص واجتذاب الأموال إلى دول المركز من شتى أرجاء العالم لأسواقها المالية حتى تقوم بإعادة ضخها إلى دول الأطراف على هيئة قروض، واستثمارات وشركات عابرة للقارات والمستفيد الوحيد هي الدول الغنية المصنعة المنتجة (التي هي دول المركز بالطبع) خاصة الولايات المتحدة الأمريكية (٤).

إنه اقتصاد يجور على صفوف العمال ويفترسها، إنه يبخسهم أجورهم ويأكل جهودهم

(١) الحجرات آية ٩.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم وهو في الأدب المفرد للبخاري وعند الطبراني في الكبير وفي سنن البيهقي عن ابن عباس وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم ١٤٩.

(٣) الحديث ابن شيبة في المصنف في الباب السادس كتاب الإيمان والرؤى، ص ١٦٤.

(٤) هذه المعلومات كلها ترجع إلى / انظر محمد قطب - المسلمون والعولمة - دار الشروق - ط١/ ٢٠٠٠م ص١٠ وما بعدها د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم - مستقبل العولمة ص١٢ـ١٥ مرجع سابق، د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة - ص٢٦ـ٤٥.
د. محمد محمود الإمام - الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومفرزاتها بالنسبة للوطن العربي - بحث ضمن كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي - عن مركز البحوث العربية - الجمعية العربية لعلم الاجتماع - مكتبة مدبولي ١٩٩٩م ص٧٣ وما بعدها، د. خلاف الشاذلي - آفاق التنمية العربية وتداعيات العولمة المعاصرة على مشارف الألفية الثالثة - ضمن مجلة شؤون عربية ص٣٧ وما بعدها مرجع سابق.

لحساب قلة رأسمالية تستخدمهم كماكينات آلية إذ ربما يستمر العمل لأكثر من خمس عشرة ساعة عند الكثير منهم.

* * * * *

المطلب الثاني:
البعد السياسي للعولمة

يجري التعبير عن هذا المفهوم بإخضاع العالم الثاني والثالث وبالذات العالم الإسلامي والعربي لسياسة القوة العظمى والقطب الأوحد في العالم. إن العولمة السياسية مرتبطة ببروز المجال السياسي العالمي المستمد حضوره من مؤسسات وقضايا ومسؤوليات وقوانين وأزمات عالمية تتطلب إدارة عالمية تطرح حلولاً ومخارج مشتركة تتخطى الدول مهما كانت كبيرة أو عظيمة. إن التدفق الحر لكل ما هو سياسي كالتدفق الحر للمعلومات والبيانات والسلع والمنتجات والأفكار على الصعيد العالمي وعبر الوسائط التكنولوجية والفضائية الحديثة [١].

مظاهر العولمة السياسية:

وتتجلى مظاهر العولمة السياسية في عدة أمور أفرزها ما يسمى بـ " النظام العالمي الجديد" وبروز القطبية الواحدة والقوة العظمى (الولايات المتحدة الأمريكية)، وغياب المنافس التقليدي (الاتحاد السوفيتي) واندثار الشمولية والنزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية والمناداة بحقوق الإنسان(أي إنسان؟!!) لا ندري أنه إنسان الغرب فقط...، حيث توجد ازدواجية واضحة في تطبيقها بسبب الهيمنة الأمريكية على الأمم المتحدة ومجلس الأمن، والاستخدام المهين المعيب لفكرة التدخل العسكري والحصار الاقتصادي، وغيرها من السياسات باستصدار قرارات باسم الشرعية الدولية! لحصار من ليس في فلكهم من الشعوب [٢].

إنها نزعة متأصلة عند الغرب من خلال آفاق السيطرة والشمولية التي سادت بعض

---

(١) د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية بور سعيد ط١/ ١٤٢١هـ ص٢٠، وانظر عبد الخالق عبد الله - عولمة السياسة والعولمة السياسية - عن مجلة المستقبل (٢٧٨) ٤/ ٢٠٠٢م ص٢٩، ص٣٠.

(٢) د. علي الفقيه - المستقبل العربي والعولمة عن صحيفة الثورة اليمنية - السبت رمضان ١٤٢٠هـ ص١١.

النزعات والأيدلوجيات السياسية في العالم.

ويسعى أصحاب هذه النزعة باستغلال الوضع الحالي في العالم خاصة بعد انهيار الكتلة الشرقية إلى فرض هيمنته على المصالح الاستراتيجية العالمية، وباستخدام - في كثير من الأحيان - الشرعية الدولية التي يقودونها ويتحكمون في قراراتها وأخذ مبادرات وإصدار قوانين داخلية تسمح للطرف المهيمن بالتدخل في أي بقعة من بقاع الأرض معتمدة على قدراتها العسكرية، وشركاتها المالية وعلاقاتها السياسية.

ومن خلال حلف الشمال الأطلسي الذي أصبح القوة العظمى في العالم عسكرياً تتربع الولايات المتحدة الأمريكية على قمته لتصل بذلك إلى وجود عسكري عالمي، إن هذا الحلف يعتبر في الحقيقة الذراع والعصا الغليظة للعولمة السياسية والأمنية والاقتصادية، ومن خلاله تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لقيادة ما يسمى أو يطلق عليه في الوقت الحاضر العولمة [(١)].

إن هذه النزعة لم تنشأ من فراغ إنما نشأت من خلال منظمات دولية عالمية دعت إليها الدول الكبرى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد كان أساس دعوتها هو إقامة نظام أمن عالمي لتشجيع دول العالم قاطبة على حل مشاكلها سلمياً، عرفت هذه المنظمة بـ " عصبة الأمم ". ولكنها لم تدم طويلاً حتى نشبت الحرب العالمية الثانية والتي كانت أشد ضراوة من سابقتها فأكلت الأخضر واليابس خاصة في دول أوروبا، فدعت هذه الدول من جديد لتشكيل منظمة أخرى لإيجاد نظام أمن وقائي عالمي تشكلت على إثر ذلك ما يعرف اليوم بـ " منظمة أو هيئة الأمم المتحدة" [(٢)].

وقد كان الدور البارز للولايات المتحدة وبريطانيا، حيث شكلتا الوزن الثقيل

---

(١) فتحي يكن، رامز طنبور - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي - مؤسسة الرسالة ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص٨٠ - ٨٣.

(٢) فضيل أبو النصر - الإنسان العالمي (العولمة والعالمية والنظام العالمي العادل) بيسان للنشر والتوزيع ط١/ ٢٠٠١م ص٩٤، وفتحي يكن ورامز طنبور العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٨٠ وما بعدها، انظر عبد الله أحمد أبو راشد - العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية - دار الحوار للنشر والتوزيع سورية ط١/ ١٩٩٩م ص٢١، ٢٠.

في الإعداد للميثاق وصياغته، ومن هنا فقد كانت هيئة الأمم المتحدة معبراً هاماً للسياسة الأمريكية على وجه الخصوص، أفسح لها المجال فيما بعد وخاصة بعد تقطع أوصال الكتلة الشرقية لتقوم بالدور الأساسي، ولتعمل على إيجاد نظام عالمي أحادي القطبية، ولتفرض بعد ذلك هيمنتها على المصالح الاستراتيجية العالمية، فإذا بها تمد أذرعها من خلال هذه المنظمة إلى كل مكان في العالم إلى عمق أوروبا، وإلى دول الخليج حيث منابع النفط، وإلى غيرها من دول العالم.

حتى تمكنت بدافع السيطرة والهيمنة اللامحدودة من أخذ مبادرات إصدار قوانين داخلية تسمح لها بالتدخل في أي بقعة من الأرض إذا كان ذلك يخدم مصلحتها القومية العليا، معتمدة في ذلك كما أسلفت على قدراتها العسكرية الضاربة، وشركاتها المالية العملاقة وعلاقاتها السياسية الممتدة خارج الحدود والسدود [(١)].

ويشير البعد السياسي للعولمة إلى أن الدولة لا تكون هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات، ومنظمات عالمية، وجماعات دولية تسعى هي وغيرها من التنظيمات العالمية الأخرى نحو مزيد من الترابط والتداخل والاندماج الدولي في مجالات متعددة بحيث يتقلص مبدأ السيادة، أو حتى يتآكل تحت تأثير هذا التداخل وهذا الاندماج، بدافع الحاجة إليه، فلا مكان للسيادة بعدئذٍ إلاَّ من الناحية القانونية ولكنها مبتورة عملياً، أما الناحية الفعلية فليس لها وجود. إن تقليص فاعلية الدولة وتقليل دورها إنما يظهر أكثر وضوحاً وجلاء بفعل الشركات المتعددة الجنسيات من حيث أنها تقحم نفسها رغم أنف الدولة الوطنية المضيفة في صنع القرار السياسي، وهذا هو المقصود من أن مبدأ السيادة آخذ في التآكل نتيجة علاقة الدول فيما بينها في مختلف مجالات الحياة، وتصبح حرية الدول بحسب مشيئتها ناقصة [(٢)] لذا فإن العولمة السياسية من معانيها نقل السلطة الوطنية القومية واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير

---

(١) السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك. المستقبل العربي (٢٥٦) ٦/ ٢٠٠٠م ص٧٣.

(٢) عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة بين الاختيار والرفض - عن المستقبل العربي (١٧٥) ١/ ٢٠٠٢م ص٧١.

العالم وتوجيهه، وهي بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها. [(١)]

ويتجلى البعد السياسي أيضاً في ظهور بنية جديدة لحكم عالمي (Global - Governance) كما جاء في تقرير التنمية لعام ١٩٩٩م ضمن برنامج الأمم المتحدة تشكل فيه الحكومات والشركاء في المجتمع المدني والقطاع الخاص وغيره إئتلافات وظيفية عبر الحدود الجغرافية والخطوط السياسية التقليدية لتحريك السياسات العامة على نحو يلبي تطلعات مواطنين عالميين[(٢)]!!

كما يرى بعض الباحثين من أمثال "أن التحكم على مستوى القوميات لم يعد فعالاً بوجه العمليات الاقتصادية والاجتماعية المعولمة، فالسياسات القومية والخيارات السياسية قد نَحّتها السوق العالمية جانباً، وهي أقوى من أقوى دولة. وأن رأس المال أصبح حر الحركة وليست لـه ارتباطات قومية وسيتخذ مقره حيث تملي مقتضيات الأفضلية الاقتصادية اختيار المكان " [(٣)].

والملاحظ أن هذه دعوة واضحة للاندماج الذي يدعو إليه مروجو العولمة مع إضفاء جانب الإيجابية الكاذب للسوق العالمية حتى يتسنى للشركات العملاقة الدخول بهذا التمهيد... [(٤)].

ويذهب متطرفون غربيون إلى أن الدول القومية أصبحت تقوم مقام السلطات المحلية للنظام الدولي، فهي لم تعد تستطيع على نحو مستقل أن تؤثر في مستويات النشاط الاقتصادي أو القوة العاملة داخل حدود أراضيها؛ لأن هذه المستويات تمليها اختيارات رأس مال حر الحركة عالمياً. وأصبحت مهمة المجالس البلدية المحلية ضمن حدود الدول حتى الآن؛ أي تقديم البنية التحتية والخدمات العامة التي تحتاجها الأعمال الاقتصادية بأقل تكلفة ممكنة

---

(١) السيد أحمد مصطفى عمر- إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك - ص٧٤ مرجع سابق.

(٢) مارك مالوك براون (Mark Malloch Brown) مقدم تقرير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة لعام ١٩٩٩م عن د. نايف علي عبيد - نفس المرجع السابق.

(٣) د. نايف علي عبيد نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٤) بول هيرست، وجراهم تومسون - مساءلة العولمة: الاقتصاد الدولي وإمكانية التحكم - ترجمة إبراهيم= =فتحي (القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م) ص٢٥٧ نقلاً عن د. نايف المرجع السابق ص٢٤، وانظر العولمة وستقبل الدولة القومية - الحلقة الثالثة بول هرست وغراهام تومسون عن جريدة الحياة، العدد (١٢٠٤٠) السبت ١٠/ ٢/ ١٩٩٦ ص١٩.

(١).

إلاأ ن بعض النخب الفكرية القومية لا ترضى بمثل هذه الأفكار التي تصف الدولة وتصورها في حالة من الضعف والخور في عديد من الجوانب فيرددون: بأن الدولة لا تزال مؤسسة محورية خاصة فيما يتعلق بخلق شروط التحكم الفعال ويدللون على ذلك بعدة مجريات على الساحة الدولية منها على سبيل المثال:

سيطرة الدولة على إدارة الناس وحركتهم والحد من بواعث الهجرة أو تسهيلاتها فهي التي تحركهم وهي التي تملك الكلام مع المؤسسات والدول الأخرى باسمهم(٢).

قيام الدولة بدور كبير في اقتصادياتها القومية الذي يؤدي إلى سيطرتها على جزء كبير من المجتمع وتوجيهها لتحقيق الأهداف المرجوة (٣).

الدور الذي تلعبه الدولة في التحكم الاقتصادي يبرز بين الحين والآخر فهذه اليابان في نوفمبر ١٩٩٧م تعلن وزارة ماليتها والمصرف المركزي عن دعمهما للمنشآت المالية المنهارة لتمكينها من تسديد التزاماتها المحلية والأجنبية (٤).

إن هذه الردود الانفعالية – من وجهة نظر الباحث – لا تقدم ولا تؤخر لأن شاهد الحال مقدم على شاهد المقال، فهذه أزمة دول النمور الآسيوية عام ٩٧م وتلك أزمة المكسيك عام ١٩٩٥م، ولا يخفى ما حدث ويحدث في أمريكا اللاتينية وغيرها ممن تغلب على أزماتها خارج نطاق النظام الدولي الجديد، لهذه العوامل وغيرها فإن هذا الدفاع إنما هو انفعال وتوتر قبل أن يكون رداً حقيقياً وفعالاً.

ولأن هذا الضعف المزعوم لا يظهر غالباً إلا في الدول الضعيفة المغلوبة على أمرها كما هو الواقع والمشاهد، فقد يظهر ذلك على بعض الدول القوية لكن بشكل نسبي، وهذا بول

---

(١) بول هيرست، جراهام تومسون، مساءلة العولمة عن د. نايف المرجع السابق ص٢٤، وانظر العولمة ومستقبل الدولة القومية ص٣ بول هيرست، جراهام تومسون عن جريدة الحياة العدد (١٢، ٤٠) السبت ١٠/٢/١٩٩٦م ص١٩.

(٢) محمد الأطرش – العرب والعولمة ما العمل؟ – عن كتاب العرب والعولمة ص٤١٧ مرجع سابق.

(٣) المرجع نفسه – ص٤١٨.

(٤) انظر د. عبيد – العولمة مشاهد وتساؤلات – ص٢٠ مرجع سابق.

كنيدي يلخص مستقبل الدولة القومية يعرض من خلاله بعض التغيرات التي طرأت على الحق السيادي للدولة يقول: " إنه حتى لو كانت استقلالية الدولة ووظائفها قد ضعفت بسبب الاتجاهات العابرة للدولة، فلم يظهر حتى الآن بديل مناسب عن الدولة يكون بمنزلة الوحدة الأساسية، مثلما هي الدولة في التعامل مع التغيير العالمي. صحيح أنه قد يطرأ إضعاف للمفهوم التقليدي للسيادة نظراً إلى العديد من التغيرات العالمية، وصحيح أنه قد برزت تيارات تنادي بعدم الأخذ بشكل مطلق بالحق السيادي، كما هي حال التيارات المقاومة بواجب التدخل الإنساني، لكن تبقى الدولة القومية المصدر الأول لهوية معظم الناس، وما زالت تلعب دور المؤسسة الرئيسة التي ستحاول الشعوب أن تستجيب للتغيير من خلالها. وما زال اثنان من مكونات الدولة القومية، وهي (الهوية والشرعية) غير موجودين على صعيد ما فوق الدولة أو الصعيد العالمي " [١].

المنظمات غير الرسمية ودورها:

إن تزايد عدد المنظمات غير الرسمية إنما هو دليل صارخ على توسع الأنشطة غير الحكومية رغم أنها تركز نشاطاتها في الأدوار الإنسانية ورغم أنها إلى الآن ليس لها دخل في القرار إلا أنها تقدم الالتماسات لتفعيل القرارات بل هي تعمل الآن بجد ونشاط خاصة الشركات المتعددة الجنسيات على أن تكون الدولة الوطنية بمثابة الحارس بالنسبة لها، كما أنها تتضمن تحولاً في تركز وعي واهتمام الفرد من المجال الوطني إلى المجال العالمي ومن المحيط الذاتي إلى المحيط الإنساني من الطور الفعلي فالمذهبي فالوضعي فالقومي إلى الطور العالمي الكوني، إنها تتضمن زيادة الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية بعالمية التفكير وعالمية الحقوق والواجبات وعالمية الإنجازات، وعالمية الأزمات، وعالمية الطموحات والتطلعات وعالمية البقاء والفناء، إن المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية كلها ستكون عالمية بطبعها، والحلول المطلوبة لابد أن تكون عالمية أيضاً[٢].

لكن هل هذا التنظير هو عين الواقع!! هذا تساؤل يرد عليه واقع الحال، بالسلب والنفي.

---

(١) بول كنيدي – الاستعداد للقرن الواحد والعشرين – نقلاً عن د. نايف – العولمة مشاهد وتساؤلات ص٢٦.
(٢) انظر الحسن عصمة – العالم الإسلامي وتحديات العولمة – عن مجلة الكلمة العدد ١٩ ربيع ١٩٩٨م ص٧٨.

كما أن العولمة السياسية تشير إلى أن رؤية المسائل السياسية قد أصبح لها اعتبار كوني وأنها قضايا تهم العالم ولم تعد المسألة قطرية أو محلية لذا فهي تتطلب حلولاً كونية، ومن هنا يلاحظ المتأمل لماذا تعقد المؤتمرات تلو الأخرى حول ما يسمى بالإرهاب الدولي، والمجاعة في العالم، وتجارة المخدرات، ومشكلة اللاجئين في العالم ومشكلة التلوث البيئي، وحقوق المواطن، وحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، وحقوق المرأة وغيرها من المسميات الجديدة[١].

وتكاد سياسات الدولة الوطنية تخلي مكانها للسياسات المعدة والمقررة في الدوائر الدولية الرسمية، كما هو الحال في المؤسسات المالية ذات الشرعية الدولية!! مثل صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي أو مؤتمرات الأمم المتحدة المختصة بالتجارة والتنمية والتعاون، أو غير الرسمية مثل الشركات الخاصة الكبرى[٢].

وتستهدف العولمة السياسية كما يصفها الجابري الدولة والأمة والوطن، والعمل على التفتيت، والتشتت وبالتالي إيقاظ أطر للانتماء سابقة على الدولة كالقبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي حتى تصل إلى تفتيت المجتمع وتشتيت شمله [٣].

إنها عالم بدون دولة وبدون أمة وبدون وطن، إنها عالم المؤسسات العالمية والشبكات العالمية، وهي المسِّيرة لهذا العالم وأما المسيَّرون فهم عالم المستهلكين للمأكولات، والمعلبات والمشروبات والصور (المعلومات) والحركات والسكنات التي تفرض عليهم، وأما وطنهم فهو الفضاء الذي تصنعه شبكات الاتصال ويحتوي كل المجالات الاقتصاد والسياسة، والثقافة، وغيرها... [٤]، بل يتوقع الإيطالي ريكاردو بتريلا أن تكون السلطة في المستقبل " في

---

(١) نفس هذا المعنى يذكره إيفان لاورد (Evan Laurd) عن برنامج الأمم المتحدة تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨م عن د. ثابت - العولمة مشاهد وتساؤلات - مرجع سابق ص٢٨، وانظر فتحي يكن - ورامز طنبور - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٥٨ وما بعدها مرجع سابق، انظر الحسين عصمة - العالم الإسلامي وتحديات العولمة - عن مجلة الكلمة (١٩) ص٧٧ مرجع سابق، وطلال عتريسي في تعقيب على السيد ياسين في مفهوم العولمة، انظر العرب والعولمة ص٤٤ - ٤٦ مرجع سابق، وانظر عبد الخالق عبد الله - عولمة السياسة - عن المستقبل العربي العدد ٢٧٨ ص٢٥ مرجع سابق.

(٢) برهان غليون - الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين - عن المستقبل العربي (٢٣٢) ٦/ ١٩٩٨م ص١١.

(٣) انظر محمد عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر - ص١٤٩ مرجع سابق.

(٤) انظر محمد عابد الجابري نفس المرجع السابق.

أيدي مجموعة متحدة من رجال الأعمال الدوليين وحكومات مدن همها الأول تعزيز القوة التنافسية لتلك المشاريع والمؤسسات العالمية المستوطنة في مدنها [١].

من هنا تأتي سيطرة الاقتصاد على السياسة بقوانين السوق تحت ستار منطق حرية السوق في الدولة.

الدعوة التي تتبناها قوى العولمة السياسية:

وتتبنى العولمة السياسية بجلاء ووضوح الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية في الحكم لا مرد له، وهي دعوة صريحة إلى انتهاج حكم طاغوتي ونبذ حكم الله، قال الله تعالى:**{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}** [٢] وقال تعالى:**{أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}**[٣] وتعني اعتماد الليبرالية السياسية وحقوق الإنسان (كما يفهمها الأمريكان) والحريات الفردية والحريات العامة، وهي إعلان لنهاية سيادة الدولة أو تقويض سلطتها، وهي أيضاً دعوة لنهاية الحدود ولتكامل حقل الجغرافية السياسية. بل إنها دعوة لا زالت قيد الشكل إلى عالم بلا حدود أي توحيد العالم الذي جاء متناقضاً حيث تعمقت الهوة بين أجزاء العالم في لحظة توحيده فكان تقدم طرف سبباً لتخلف طرف آخر وتجاوز الحدود الجغرافية والاقتصادية والثقافية وكذلك الحدود السياسية بل إلغاؤها في مرحلة لاحقة ربما كلياً ونهائياً، وهذا هو جوهر العولمة وهدفها النهائي[٤] .

وإن نظرة تأمل في الحال الواقع لا يخفى على صاحبها أن هذا نوع من التشريع واتخاذ الأنداد الذين يشرعون قوانين لا تخدم في النهاية إلا أهواء شرذمة من الناس بيدهم مقاليد الأمور وتصب هذه التشريعات في مصالح وأفكار الطرف القوي في العالم في حين أنها تهمش الأطراف الأخرى بل وتسخر من تستطيع منهم لمصلحة الأقوى كما هو الواقع من

---

(١) هانس بيتر مارتين، وهار الدشومان – فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية – ترجمة د. عدنان عباس – سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨) ١/ ١٩٩٨م ص٥٤.

(٢) المائدة آية ٤٩.

(٣) المائدة آية٥٠.

(٤) عبد الخالق عبد الله – عولمة السياسة والعولمة السياسية – عن المستقبل العربي العدد (٢٧٨)= =٤/ ٢٠٠٢م ص١٠٤، وانظر محمد محفوظ – نقد المشروع الثقافي العربي وطموحات العولمة – عن الكلمة العدد ١٩ ص٥٦.

خلال مظاهر العولمة سواء الاقتصادية منها أو السياسية أو غيرهما. وصدق الله العظيم حيث يقول:**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}** (١) تعالى:**{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ}** (٢).

إنها دعوة إلى الانتفاع المادي والجشع الاقتصادي واحتكار الثروات وفتح الأسواق للتنافس الذي يزيح ويمحو الضعيف والمتهافت الهزيل ولا يبقى إلا الأقوى والأصلح والأفضل ومن يملك زمام المبادرة والسيطرة، كل هذا في ظل محاصرة الضعفاء والمهازيل بوسائل شتى من مال وإعلام خاصة الدول الإسلامية وبالذات (المسلمون العرب) نتيجة الضعف الموجود والضمور الواضح في بنية بعض تلك الهويات والثقافات وتكويناتها. وفي النهاية فإن هذه السياسات لا تخدم إلا طرفاً واحداً لا يعبر إلا عن رؤيته ولا يتكلم إلا بلغته ألا وهو الغرب وبالأخص الأمريكان.

سياسة الولايات المتحدة في العالم:

إن من يقود العولمة لا يكتفي بالشعارات بل يمارس سياسة واقعية، وهاهي الولايات المتحدة الأمريكية تنتهج سياسة السيطرة على المنافذ العالمية البحرية والبرية والجوية واستعمالها في خلق توازنات إقليمية في أنحاء العالم، ومنع أي قوة من النمو بهدف عدم منافستها، ومن دون أي تدخل عسكري مباشر، وفي نفس الوقت تقوم بإقامة علاقات مع جميع القوى الكبرى في أوروبا وغيرها بحيث يكون لهذه الدول نفع في علاقاتها مع القوة المسيطرة عالمياً – وهي بالطبع أمريكا – أكثر من قطع علاقاتها معها.

ومن هنا يتضح الأمر أكثر وهو أنه لماذا جعلت أمريكا من نفسها مركزاً لعلاقات العالم السياسية والدبلوماسية والأثنية والاقتصادية والثقافية من خلال إقامة علاقات مع أغلب دول العالم بحيث تكون هذه الدول مستفيدة من علاقاتها مع أمريكا، ولا يمكن أن تتخلى عن تلك العلاقة. وعليه فليس من باب المصادفة أن يكون مقر الأمم المتحدة في نيويورك والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في واشنطن (٣).

---

(١) البقرة آية ١٦.

(٢) التوبة آية ٣١.

(٣) بول سالم – الولايات المتحدة الأمريكية معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين – عن كتاب العرب

أيدلوجيا العولمة:

في حين أن هناك نخبة من شرائح المجتمع ترى في أن الذي علينا أن نواجهه بالحرب والرفض وعدم التسليم وعدم القبول إنما يكمن في " أيدلوجيا العولمة " التي تعني الهيمنة وانتعاش موازين القوى السياسية والاقتصادية وغيرهما في العالم لصالح الأقوى بل لصالح القطب الواحد (أمريكا) الذي يريد أن يفرض سياسات يسير الكل في ركابها... وهذه في حد ذاتها محاولة لإعادة نظام السيطرة القديم أو الاستعمار القديم[(١)].

ويشير هذا البعد كما أسلفت إلى العمل على تقديم نمط حضاري يخص بلداً معيناً هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع أي أنها وبصورة مباشرة تعبر عن الأيدلوجية المرفوضة لدى العالم وهي الهيمنة على العالم وأمركته [(٢)].

وإن من ملامح العولمة السياسية أنها عملت وتعمل على نقل السلطات السياسية للدول والحكومات ووضعها في يد المؤسسات المالية والتجارية العالمية التي لا جنسية لها. وقد أقامت العولمة دولتها الخاصة بها، وهي دولة فوق الأوطان، تمتلك الآلات والشبكات والوسائل الخاصة بها، والمتمثلة بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التعاون الاقتصادي، ومنظمة التجارة العالمية التي تعمل مجتمعة على تجاوز السيادة الوطنية للدولة قطعة قطعة[(٣)].

ومما يشير إليه البعد السياسي فرض قيم سياسية واجتماعية أمريكية مثل: - التحرر من قيود الدولة القومية، والتطلع إلى آفاق العالمية بكل ما تتضمنه ذلك من حقوق الإنسان (كما يفهمها الأمريكان)، وديمقراطية السوق (حسب مفهومهم)، ومحاربة القيم الوطنية والعرقية والإرهاب (بناءً على تحديداتهم)، وبمعنى آخر تحويل العالم إلى مجتمع عالمي تسوده قيم ومبادئ موحدة على حساب الهوية الوطنية والتنوع الثقافي والتعدد الحضاري للشعوب.

والعولمة ص٢٠٩ وما بعدها مرجع سابق.

(١) السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة - عن المستقبل العربي العدد (٢٥٦) ٦/ ٢٠٠٠م ص٧٤.

(٢) مها دياب - تهديدات العولمة للوطن العربي - عن المستقبل العربي (٢٧٦) ٢/ ٢٠٠٢م ص١٥٨.

(٣) رعد كمال الخياري - العولمة وخيارات المواجهة - عن مجلة النور اليمنية العدد (١٠١) جمادي الأول ١٤٢٠هـ ص ٣٨، ٣٩.

مشروع النظام العالمي الجديد:

ويتم هذا بالحسنى مع من يستسلم وبالقوة والإكراه مع من يتمرد، إنه منطق يقوم على استعباد الشعوب وتنحية الثقافات بدعوى أن هذه الثقافات وأنماط التفكير والسلوك واتساق القيم لديها تتسم بالانغلاق والشمول وعدم التسامح ورفض الاندماج في تقاليد أسلوب الحياة الأمريكي[1].

إن مشروع النظام الدولي الجديد يقوم على أساس تفتيت الوحدات والتكوينات السياسية (أي الدول القائمة) إلى كونتونات ودويلات صغرى ضعيفة ومهزوزة ومبتلية بالكوارث والمجاعات والصراعات والأزمات وذلك من خلال تكريس أفكار التجزئة والتقسيم واللبننة حيث تشجع أمريكا في حلولها وتدخلاتها على تفتيت البلد الواحد إلى كيانين أو أكثر إن استطاعت وذلك حاصل في العراق والسودان وأفغانستان والبوسنة وفي يوغسلافيا وغيرها من أجل جعل الاهتراء الوطني والتناقض القومي والشلل الجغرافي كأسس صالحة لاستقبال العولمة الأمريكية والقبول بها كقدر لا راد له ولا غناء عنه واعتباره كقطار سريع متوجه نحو القرن القادم. ومن لا يركب القطار فمصيره العزلة والهامشية والذيلية والانسحاق [2].

ولقد بدأ في تنفيذ هذا المشروع بقصم ظهر الكتلة الأوراسية(العالم الأوروبي الآسيوي) أو (العالم الاشتراكي الثاني) ووضعه بما يحمل من نماذج تحت وطأة الأزمات الاقتصادية والسياسية والعرقية والدينية إن أمكن في حين لم يؤثر كل ما يجري بصورة مباشرة أو غير مباشرة في بنية النظم السياسية والاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا الغربية والشمالية الغربية أي (المنظومة الرأسمالية) أو المنظومات الجيوبوليتيكية التي لم تزل خاضعة تحت سيطرتها أو تدور في فلكها [3].

إن استراتيجية هذا النظام الجديد – بزعمهم – بسيادة البنتاغون تولي نظرية نزاعات الحدة الدنيا[*] أهمية بالغة ومتميزة من الناحية السياسية، وتعمل على نشرها اجتماعياً كعامل مساعد على تردي الأوضاع لأطول مدة ممكنة، بل تصل الأمور إلى تفجير الأزمات،

(١، ٢، ٣) المرجع السابق، ص ٣٨، ٣٩، ٤٠.

(*) المقصود بالنظرية / إطالة أمد الوضعية الحالية وانهيارها من أجل ضعف العالم الثالث وخصوصاً آسيا وأفريقيا من خلال تغذية النزاعات الجهويه والمحلية والأقلية والعرقية الوثنية.. إلخ.

وإثارة المشاكل وإشعال الحروب والعمل على إدامتها، وبث التفرقة الطائفية والمذهبية، وزيادة تناقضات المواقف عند البلاد الإسلامية المرتبطة بالغرب، أو الاعتراف السياسي الغربي السريع بأنظمة سياسية معادية، أو تأجيج الصراعات في أقاليم توحدت في كيان واحد.

ونظرة خاطفة وسريعة إلى الشركات العملاقة (إخطبوط العولمة) يتبين من خلالها مدى الاحتكار وتأكيد النزعة التسلطية الفردية والاهتمام بالربح، والربح فقط! وسنعرض لها بالتفصيل في عنوان خاص في الفصل الثاني.

وهكذا بالتحليق والنظر إلى الوسائل الأخرى للعولمة المهيمنة نجد البنك الدولي وأخيه الأصغر صندوق النقد الدولي وقوانينهما المجحفة والمكبلة أو المقيدة للدول عن التحرر والفك من ربقة الاستعمار، وبتطور وسائل الإعلام والاتصال أصبح كل شيء في العالم معروفاً ومرئياً بل وغازياً ويتمثل ذلك في الفضائيات من خلال الدش والديجتال حالياً وهذه أيضاً طامة أخرى وليس من حل لمقاومتها سوى الالتزام بالدين الحنيف والتوعية الشاملة من خلال كافة وسائل الإعلام، ولا سيما وقد دخلت الثقافة كمادة تباع وتشترى بفعل القوانين المنظمة لذلك من خلال منظمة التجارة العالمية..

إن أبرز ما يمكن أن يلاحظ في هذا المجال هو الدعوة إلى تبني الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية السياسية.

المشروع الإسلامي الرباني:

ولكن الذي يفهم الإسلام فهماً صادقاً حاذقاً يتضح له أن الإسلام قد دعا إلى ما هو أسما من ذلك وأعز وأشرف، حيث دعا إلى الشورى، دعا إلى احترام حقوق الإنسانية جمعاء من غير تفريق بين الأعراق أو الألوان أو الأجناس أو المعتقدات، وأمر بإقامة موازين بين البشر، وتمثلت مقاصد الشريعة الإسلامية في حماية النفس والعقائد والأعراض والعقول والأموال.

وتتصل بذلك حقوق أخرى كثيرة لم تعرفها البشرية إلا من العصر الحديث. ومن هنا فإنه لا ينبغي التخوف من تيار العولمة إن كان يطالب بما لا يخالف الشريعة ومقاصدها من حقوق الإنسان أو غير ذلك. فالإسلام يستوعب كل ما فيه حق وعدل ولكنه يحارب وينبذ

ويعادي كل ما يخالفه من ضلالات وأوهام وجور وقهر وطغيان، ولعل من أكثر الآيات القرآنية التي عبرت عن رؤية الإسلام في هذا المجال قوله تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** (١).

بينت هذه الآية العلاقة بين الأمم والحضارات على قاعدة التعارف والتعاون " فتعارفوا " وليس على أساس النزاع أو الصدام أو الإلغاء والإقصاء ومن منظور هذه الآية تتواصل الحضارات فيما بينها وتتخلص من رواسب الصدام، وتصل إلى حوار الحضارات، وسيكون الكلام حول صدام وحوار الحضارات بالتفصيل في الفصل الثاني ضمن الأدوات الثقافية للعولمة.

وأما التعددية السياسية فإن في الإسلام ما يغنينا عن ذلك، فهو لا يحارب التعايش أو الاختلاف أو التنوع من حيث هو، بل يحارب التناقض والشقاق والتنافر والتضاد وهيمنة روح الفرقة. إن الإسلام يدعو أولاً إلى الاتحاد والتمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله جميعاً وينهى عن التفرق والتشرذم والتنازع الذي لا ينتج عنه إلا الفشل واستلاب الأرض والعرض وتسلط الأعداء على الأمة.

ويتضح ذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التالية:

قال تعالى:**{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}** (٢)وقال تعالى: -**{وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}**(٣).

وقال تعالى:**{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** (٤) وقال تعالى:**{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}** (٥).

---

(١) الحجرات آية ١٣.
(٢) آل عمران آية، ١٠٣، ١٠٥.
(٣) الروم آية ٣١، ٣٢..
(٤) الأنفال آية ٤٣.
(٥) الأنفال آية ٧٣.

وكذلك حذرنا الرسول ﷺ من الفرقة والتشرذم والتناحر والشقاق. وذكر لنا أن هذه صفات يبغضها الله سبحانه وتعالى ومآلها في النهاية إلى النار وبئس المصير. قال رسول الله ﷺ محذراً: **«.. وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»**(١) وعند البزار والحاكم من حديث ابن عباس بسند صحيح: **«لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه»** (٢) والله عز وجل يقول:**{وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}**(٣).

لقد غرس الإسلام في المؤمن حب الناس جميعاً وحب الخير لهم وإقامة العدل بينهم وعدم المساس بحقوقهم ونوه الإسلام إلى ذلك في أكثر من آية وحديث. قال الله عز وجل:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}**(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً..»** الحديث(٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«والله ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه»** (٦).

وأوصى الرسول ﷺ والصحابة من بعده ألا يمس المحاربون شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة ولا عابداً في صومعته ولا راهباً في بيعته، ووصى الله تعالى الأولاد بوالديهم ولو كانا كافرين حسناً قال تعالى:**{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً}** (٧).

وعقيدة المسلم وثقافته لا تسمح بالنزعات العنصرية والنعرات العرقية لاختلاف

---

(١) من حديث عبد الله بن عمر وأخرجه الديلمي (٥٣٤٧) وكذا الحاكم والترمذي وأبو داود من حديث قتاده..

(٢) هو في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٤٨) مخرج عن الدولابي في الكتب والحكم ووافقه الذهبي..

(٣) آل عمران آية ١٠٥.

(٤) النساء: آية ١.

(٥) من حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، ج/ ١، ص٨٢، رقم (١٠٠)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٠).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) الأحقاف آية ١٥.

الألوان أو اللغات أو الأوطان، بل نظر إلى ذلك كله نظرةً ربانية تدل على عظمة الخالق وأنها آية من آيات الله في خلقه [(١)].

قال تعالى:**{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}**[(٢)] فشعور المسلم بإخوانه بني الإنسان جميعاً ليس أمراً ثانوياً عنده ولا نافلة في دينه، إنما هو عقيدة يدين الله بها ويلقاه يوم القيامة يرجو ثواب ذلك والقربى عنده. [(٣)] قال رسول الله ﷺ: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم»** [(٤)]. وقال ﷺ: **«الناس لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود»** [(٥)]... إلى آخر الحديث. وقال الرسول ﷺ: **«من يسر على معسر – أي معسر لا يشترط أن يكون مسلماً – يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»** [(٦)].

إن الفارق كبير والبون شاسع بين تعاليم الإسلام وتعاليم النظام العالمي الجديد من حيث أن يريد نشر سياسته وثقافته ككيان لا ينبغي في نظره أن يعارض وأنى له ذلك.

إن الأخوة البشرية في نظر المسلم مرتبة سامية وإقرار برسالة الرسول محمد ﷺ. بل إن القرآن ليعلم المسلم أن يحترم أجناس المخلوقات ويعرف بها كأنها أمم لها كيانات وخصوصيات وإن كانت من الدواب والحشرات والطيور. قال الله سبحانه وتعالى:**{وَمَا مِن**

---

(١) د. يوسف القرضاوي – الإيمان والحياة – مؤسسة الرسالة ط٤/ ١٩٧٩م ص١٨٢.

(٢) الروم آية ٢٢.

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٤) جزء من حديث طويل من حديث ابن عمر قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضًى يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كم يفسد الخل العسل)) رواه الطبراني وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٩٠٦) وفي صحيح الجامع الصغير، ج١/ برقم(١٧٦ – ٦٩).وقد جاء في سنن الترمذي باب ما جاء في الإمام العادل ج ٣، ص ٦١٧.

(٥) مسند الإمام أحمد، ج٥، رقم الحديث (٦٠٣٦٣) وهو في شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ج٤، رقم الحديث (٥١٣٧) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٦) في سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام باب إنظار المعسر رقم (٢٤٠٨) انظر صحيح الترغيب والترهيب، ٦٧، وهو في صحيح الجامع الصغير تحت رقم (٦٥٧٧ – ٢٢٥٢) عن أبي هريرة.

دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}[١] وقال ﷺ : «لولا أ ن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها» [٢].

هذا هو شعور المسلم المؤمن بالإسلام نحو الناس جميعاً، بل ونحو المخلوقات الأخرى وإن كانت أقل منه، وليس شعور الاستعلاء العنصري ولا الرقي الحضاري ولا التعصب الإقليمي ولا الحقد الطبقي ولا الحسد الشخصي إنما هو شعور الحب والإخاء للناس جميعاً[٣].

* * * * *

المطلب الثالث:
البعد الثقافي للعولمة

وقبل الخوض في هذا الجانب التَّعرض لمعنى الثقافة في اللغة والاصطلاح ومعرفة أهميتها بالنسبة للشعوب.

تعريف الثقافة من الناحية اللغوية:

ث ق ف (ثَقُفَ) الرجل من باب ظرُف أي صار حاذقاً خفيفاً فهو (ثقف) مثل ضَخُمَ فهو ضخم ومنه (المثاقفة) و(ثَقِفَ) من باب طرِب لغة نبهٌ فهو (ثَقِفٌ) ويقال أيضاً امرأة ثقاف (على وزن سحاب) أي فطنة ومنه قول أم حكيم بنت عبد المطلب لأم جميل بنت حرب عندما حاورتها " إني حصان فما أكلّم وثقاف فما أعلم". وثاقفه فثقفه كنصره، غالبه فغلبه في الحذق. و(الثِّقاف)ما تسوى به الرماح(وتثقيفها)[٤]. الثقافة تعني: (التقويم والتشذيب والتهذيب والاعتدال) من ثقفت الرمح إذا قومت اعوجاجه وعدلته.

وتقويم عود أو عصا الرمح ليصبح مستقيماً غير معوج لا نتوء فيه يحتاج إلى كثير من المهارة والجهد حتى نصل به إلى ما نبتغيه.

---

(١) (الأنعام آية ٣٨).

(٢) سنن الترمذي كتلب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب رقم (١٤٠٦).

(٣) انظر د. يوسف القرضاوي - الإيمان والحياة - ص١٨٣ مرجع سابق.

(٤) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح - مؤسسة علوم القرآن بدمشق - ط / ١٤٠٣هـ باب الثاء، وانظر الفيروز أبادي - العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - مؤسسة الرسالة ط٣ / ١٤١٣هـ باب الفاء فصل الثاء.

ومعلوم أن (المهارة) تقوم على (المعرفة والتجربة) وهذا إذا ما أضيف إليهما الجهد المبذول بصدق للوصول إلى الغاية فإن النتيجة هي إبداع وجمال وروعة.. وهذه هي الثقافة في أبسط وأيسر معانيها.

وبهذا المفهوم المبسط يمكن القول: إن المثقف هو ذلك الشخص الذي تعتمل في نفسه كل معاني الخير والجمال اللذين يفيض بهما على من حوله خيراً وجمالاً في سابقة سلوكية وخلقية تنشر الاعتدال النبيل على الناس.

وإذا ما أضيف كلمة (الثقافة) كلمة (الإسلامية) فإنها تصبح ذات معنى أحب وأوسع يكتسب قيمة إيمانية عليا سالكة بالنفس الإنسانية المؤمنة مدارج السمو في سلم الرقي إلى النموذج الأمثل تطهيراً للنفس وتزكية تغدو في عطائها ذات خير وجمال وإبداع وعطاء..

كما استعملت كلمة (الثقافة) عند العرب بمعنى التقويم والتهذيب والحذق والفطنة، وردت عندهم أيضاً بمعنى التمكن والغلبة والظفر ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:**{إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً}**[1]، وقوله تعالى:**{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ}**[2].

تعريف الثقافة من الناحية الاصطلاحية:

إن مصطلح الثقافة بحداثة غامض الدلالة في الكتابات والأبحاث المتداولة، وثمة صعوبة باتفاق الباحثين على تعريف محدد ودقيق لمفهوم الثقافة.

ولعل سرد ذلك عائد إلى تعدد المفاهيم ومقترباتها المنهجية، وذلك حسب مجال تخصص كل باحث أو زوايا اهتمامه والعناصر التي يركز عليها، فضلاً عن الاختلاف البيني والحضاري بين الباحثين[3].

(٢) الممتحنة آية ٢٠.

(٢) الأنفال آية ٥٧.

(٣) نبيه عبد القدوس الأنصاري – الثقافة والمثقف في ظل العولمة – مجلة الكلمة العدد (٢٠) ص (١٠٢، ١٠٠).

وقد أحصى كل من " كروبر " وكلوكهون " ١٦٠ تعريفاً للثقافة عام ١٩٥٢م، ولا يعرف على جهة التحديد كم تعريفاً أضيف إليها منذ ذلك التأريخ إلى اليوم. وهناك من يقول أنها الآن تزيد على مائتي تعريف(١).

وللخروج من إشكاليات كثرة التعاريف فإن الباحث يتبنى مجموعة منها رجاء الوصول إلى المقصود مع الملاحظة أن جميع هذه التعاريف تركز على المنبع الذي تلقاه المرء طوال حياته فيؤثر عليه سلوكاً وأخلاقاً ونمط عيش ونمط حياة.. فللكون تأثير في الثقافة وملاحظاته والعادات والقيم كذلك تأثير كبير والأصل في ذلك الدين فثقافة المرء نابعة من دينه والمؤثرات من حوله كثيرة منها الأسرة والمدرسة والمجتمع ومثل ما يتصل به الإنسان خلال غدوه ورواحه وهي بهذا تبلور شخصية الإنسانية من خلال خلفية عقدية تأريخية متفاعلة مع البيئة والمجتمع والكون ولهذا فقد عرفت: " طريقة الحياة ونمط السلوك، ورؤى العالم السائدة في المجتمع، والصور النمطية واللغة والقيم، ومعايير السلوك والعادات والأعراف وأنماط التنشئة الاجتماعية والسياسية، علاوة على الدين الذي ينظر إليه كقوة أساسية في خلق ثقافة مشتركة بين شعوب لكل منها ثقافتها المتميزة" (٢).

كما عرفت بأنها: " جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والوجدانية التي تميز مجتمعاً بعينه " (٣).

وبأنها: " مجموعة من الصفات الخلقية والقيمة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته"(٤).

وهذا تعريف ربما كان أكثر إحاطة من غيره لقول صاحبه بأنها: " النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير، والعمل، واتجاه السلوك، وكل ما يبنى عليه من تحديدات، أو ابتكارات أو وسائل في حياة الناس مما

---

(١) هشام علي بن علي – الهوية الثقافية والعولمة – عن جريدة الثورة اليمنية.

(٢) قضايا دولية – العدد (٣٤٠) مرجع سابق، د. مصطفى عدوي – أزمة الثقافة العربية في ظل العولمة.. عن مجلة الكلمة العدد (٢٥) خريف ١٩٩٩م ص١٠١ وانظر د. محمد علي حوات – العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل – مكتبة مدبولي ط١/ ٢٠٠٢م ص١٥٧، ١٥٨.

(٤، ٥) مجموعة من الدكاترة عن كتاب الثقافة الإسلامية – مكتبة الإرشاد ط٧/ ١٩٩٩م ص(٢٠، ١٩) وانظر جمال سلطان / بين الثقافة والعرف عن مجلة البيان المرجع السابق ص١٢٩، وانظر د. محمد عبد الله الشباني – الثقافة والذوبان – مجلة البيان العدد (٧١) ص٢٩.

ينشأ في ظله كل عضو من أعضاء الجماعة، ومما ينحدر إلينا من الماضي فنأخذ به كما هو، أو نطوره في ضوء ظروف حياتنا وخبراتنا "[(١)].

وبأنها: " المُركَّب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء "[(٢)]

وهي المعبر الأصيل عن الأصولية التأريخية لأمة من الأمم.

وهناك من لا يقتصر على الجانب المعرفي والفكري بل تطرق بتعريفه إلى الجانب الوجداني والذي يعني به الفن والجانب الروحي والذي يعني به الدين والجانب العلمي أو السلوكي الذي يقصد به الأخلاق والأديان والجانب المادي أيضاً. وعلى هذا فإن الباحث يميل إلى التعريف التالي للثقافة وهي: " أفكار ومعارف وإدراكات ممزوجة بقيم وعقائديات ووجدانيات تعبر عنها أخلاق وعبادات وآداب وسلوكيات، كما تعبر عنها علوم وآداب وفنون متنوعات وماديات ومعنويات "[(٣)].

والأمثلة الحياتية في ذلك كثيرة ففي جانب (الأكل) مثلاً: ليس مجرد البلع والمضغ والهضم يعتبر ثقافة بل إن الهيئة والطريقة والاقتداء هو الجانب الثقافي في الأكل. فالذي يأكل مستحسناً ومطبقاً للطريقة الغربية أو الشرقية فتعتبر ثقافته في هذه الحالة غربية أو شرقية، والذي يقتدي ويهتدي بهدي النبي ﷺ فثقافته في الأكل ثقافة إسلامية.

وهكذا فإن كل عادة من العادات التي قد تعمل على سبيل العادة فإنها في الحقيقة تكون نابعة من ثقافة متأثرة بالبيئة والعقيدة والعادات، فتنقلب إلى ثقافة بحسب ما تشبع به صاحبها من قيم ومثل وتربية وبحسب البيئة التي عاش فيها وتأثر بها..

وهكذا يختلف المسلم عن غيره في ثقافته في طعامه وشرابه وملبسه وفي طريقة أكله وإقباله على وجبات لم يكن يعرفها وطريقة تأثيثه لمنزله وطريقة زواجه وطريقة خروجه

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) د. نايف علي عبيد – العولمة مشاهد وتساؤلات ص٣٤ مرجع سابق.

(٣) د. يوسف القرضاوي – ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق – دار الشروق ط١/ ٢٠٠٠م ص١٤، وانظر د. محمد مقدادي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢ / ٢٠٠٢م، ص ١١٧.

ونزهته مع أولاده ومعاملته لجيرانه واختلاطه بالناس وحياته الشخصية والأسرية كلها[(١)].

فطريقة أكله تنبع من دينه وسنة نبيه ﷺ القائل: **«سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك»**[(٢)] إلى غيرها من الآداب، وفي المشي عنوانه قول الله تعالى:**{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً}** [(٣)] وقوله تعالى:**{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ}**[(٤)].

وهكذا في معاملة غيره من المؤمنين:**{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**[(٥)] وأيضاً قوله ﷺ : **«وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً»**.. [(٦)] وقوله ﷺ: **«المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»** [(٧)]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث..

أهمية الثقافة:

وتكمن أهمية الثقافة لدى شعب من الشعوب، أو أمة من الأمم في تهيئة أساس التفكير والشعور وتحديد المفاهيم الأساسية والتصورات والتفسيرات عن أصل الإنسان وطبيعة العالم ودوره في الحياة وتضع سلم التعميم الذي يلتزمه المجموع، وقيم الناس من خلاله، وعلى ضوئه تقيّم السلوكيات والمواقف، ويفرَق بين الحق والباطل وبين الخير والشر، ويحدد ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي، ومنطقي وغير منطقي، وعادي وشاق وأخلاقي وغير أخلاقي وجميل وقبيح

---

(١) د. محمد عبد الله الشباني : الثقافة والذوبان عن مجلة البيان العدد (٧١)، ص ٢٩ وانظر القرضاوى المرجع السابق ص١٣،١٥.

(٢) الحديث متفق عليه عن ابن عمر بن أبي سلمة وانظر سنن ابن ماجه الأطعمة باب الأكل باليمين رقم (٣٢٥٨).

(٣) الفرقان آية ٦٣.

(٤) لقمان آية ١٩.

(٥) الحجرات آية ١٠.

(٦) سنن الترمذى، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم (٣٢٢٧)، والحديث بمجموع طرقه صحيح انظر الألباني في السلسلة الصحيحة - المكتب الإسلامي - ط/ ٤ سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، تحت رقم / ٩٣٠ ص٦٣٧، وهذا بطوله قال ﷺ: " من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلمهن من يعمل بهن. فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعد خمساً فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب ".

(٧) هو عند الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد، وعند الدار قطني في الأفراد، والضياء المقدسي في المختارة، وعموماً الحديث حسن بمجموع طرقه، انظر الألباني في السلسلة الصحيحة الجزء الأول ص٤٢٦، ٧١٢.

فالثقافة تعطي معنى للحياة وهدفاً للوجود، وبناء الشعور لدى الأفراد بالانتماء إلى الأمة وأن أنماط الحياة اليوم سواء في الغرب أو الشرق من سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية وغيرها.. إنما هي وليدة الثقافة الذاتية لأمة من الأمم ولشعب من الشعوب.

إن ما يميز أمة عن أخرى وشعب عن آخر ومجتمع عن غيره ليس هو اختلاف الألوان والألسن أو اختلاف رقعة الأرض، ولكن التمييز الأوسع والأعم يكون باختلاف الثقافات بين هذه الأمم أو الشعوب أو المجتمعات [١].

وتكمن أهمية الثقافة الإسلامية أيضاً في تهذيب الإنسان المسلم وصقله وتكوينه على أصول عقيدته وفكره الإسلامي وتنشئته على تلك المبادئ بالمفهوم الشامل حتى تصبح أفكاره وسلوكياته وعاداته وتقاليده نابعة من الإسلام بصورته الشاملة. كما تكمن أهمية الثقافة في بلورة شخصية الإنسان من خلال تربيته العقدية في المحافظة والتجديد، المحافظة على عناصر الثقافة في الأمة أو في المجتمع العامة منها والخاصة، والتجديد في إدخال عناصر متغيرة نافعة للمجتمع أو للأمة ومطورة لها ومتلائمة مع العناصر العامة[٢].

وإذا كانت الثقافة هي المعبرة عن هوية الأمة وفلسفتها ونظرتها الكلية إلى الوجود، وإلى المعرفة وإلى القيم، وبعبارة أخرى: إلى الله وإلى الإنسان والكون والحياة، أو إلى المبدأ وإلى المصير والغاية والرسالة، فإن لكل أمة من الأمم ولكل مجتمع من المجتمعات البشرية ثقافة تحدد الإطار الذي يحكم سلوك أفرادها ويوضح معالم فكرها الذي بدوره يحدد أنماط السلوك الاجتماعي لأفراد هذه الأمة أو تلك، فتتميز بها عن الأمم الأخرى[٣].

ولهذا نجد من الثقافات ما تتجه إلى الحس والمادة، ومنها ما يتجه إلى العقل ومنها ما يتجه إلى الروح ومنها ما يتجه إلى الجمع بين الروح والعقل، ومنها ما يعترف بالله رباً وخالقاً

---

(١) فتحي يكن – ورامز طنبور – العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص(٣٤، ٣٥) مرجع سابق.

(٢) مجموعة من الدكاترة عن كتاب الثقافة الإسلامية مكتبة الإرشاد ط٧/ ١٩٩٩م ص(٢١، ٢٠). وهذا الكلام يرجع للأستاذ الدكتور على هود با عباد.

(٣) د. محمد عبد الله الشباني – الثقافة والذوبان – عن مجلة البيان العدد (٧١) ١/ ١/ ١٩٩٤م ص٢٨.

ولا يعترف به إلهاً معبودا، ومنها ما يعترف به على العكس من ذلك ومنها ما يجمع بين هـذا وذاك، ومنها ما لا يعترف لله بشيء من ذلك وإنما يؤله نفسه أو شيئاً من خلق الله[١].

وأما ثقافة الأمة الإسلامية فهي وسط متميز بين جميع الثقافات، قـال تعـالى:**{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}**[٢] إنها ثقافة ممزوجة بروح الإسلام والإيمان إنها ثقافـة ربانيـة أخلاقيـة لقولـه ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[٣] وهي إنسانية: فهي تحترم الإنسـان وترعـى فطرته وتهتم بكرامة الإنسان وحقوقه، قال تعالى:**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}** [٤].

وعالمية: حيث يقول تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}** [٥].

وهي تتسع للجميع على اختلاف الملل والنحل والأعراف ولا يضيق بها ديـن أو عـرق أو لون، وتحترم التنويع وتحارب التضاد والشقاق، إنهـا ثقافـة تـوازن بـين العقـل والـوحي، والمادة والروح، والحقوق والواجبات، وبين الفردية والجماعية، وبين الإلهام والالتـزام، وبـين النص والاجتهاد، وبين المثال والواقع المستمدة من وسطية الإسـلام ووسـطية أمتـه كمـا مـر آنفاً.

إنها ثقافة تكاملية فاللغة تحترم الدين والدين يغذي الثقافة الإسلامية والثقافة الإسلامية تغذي الثقافة الإنسانية، وهي لا تمتنع أن تأخذ من غيرها ما دام هذا الأخـذ نافعـاً صـالحاً في الحكمة والرشد وفي الأثر.. " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بهـا.."[٦] وقد أخذ الرسول ﷺ الحكمة من بعض المشركين وتمثل في تعليم أسارى بدر لأولاد المسلمين الكتابة حتى يحذقوا وبذلك يفدون أنفسهم من الأسر، وليس هذا بعجيب من دين كـان أول

(١) انظر د. يوسف القرضاوي – ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق – مرجع سابق ص١٩.
(٢) البقرة آية ١٤٣.
(٣) في مسند الإمام أحمد كتاب باقى سند المكثرين باب باقى السند السابق رقم (٨٥٩٥) وانظر صـحيح الجـامع الصغير وزيادته للألبانى رقم (٢٣٤٩).
(٤) الإسراء آية ٧٠.
(٥) سبأ آية ٢٨.
(٦) سنن الترمذى، كتاب العلم باب مـا جـاء في فضـل الفقهعلـى العبـادة رقـم (٢٦١١) وضـعفه الألبـانى في ضعيف سنن الترمذى برقم(٥٠٦-٢٨٤٠) وقال ضعيف جداً لأن فيه إباهيم ابن المخزومى، طباعة المكتب الإسلامى ط١ / ١٤١١ – ١٩٩١ م ص ٣٢٠، ولكن معناه لا يتنـافى مـع روح الـدين الإسـلامى الـذى يدعو إلى طلب العلم.

ما نزل من كتابه الكريم كلمة " اقرأ " واستفاضت فيه نصوص السنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء [(١)].

وإجمالاً فإن الثقافة الإسلامية تتميز بالاعتزاز بالذات من حيث أنها ربانية المصدر إنسانية الغاية عالمية الجهة أخلاقية الصبغة.. فهي لهذا تذوب فيها الثقافات ولا تذوب هي. وتخرج منتصرة مهما امتزجت بغيرها من الثقافات ظافرة بما فيها من خصائص وصفات وميزات ويمثل القرآن الكريم بالنسبة لها العمود الفقري فهو النبع الذي تستقي منه الأمة، وعلى توجيهاته وأوامره يقوم بناؤها الثقافي [(٢)].

البعد الثقافى :

وبعد تعريف الثقافة لغة واصطلاحا، ومعرفة أهميتها عند كل أمة على حدة فإن العولمة ترنو فى بعدها الثقافى إلى محاولة استخدام الثقافة كأداة فاعلة لفرض سيطرة وهيمنة الدول القوية على الأمم والشعوب الأخرى وذلك من خلال العمل على تقويض قانونية تعدد الثقافات في العالم لصالح نموذج ثقافي معين، وهو ثقافة الأقوى والتي تحمل قيمها وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها المختلفة بحيث يصبح نمط المعيشة المنبثق من ذلك النموذج الثقافي المهيمن قاسماً مشتركاً بين جميع البشر ونمطاً معمماً على الجميع، وهذا النمط يضع حداً لكل أنواع السيادة بدءاً من ميلاد الشركات متعددة الجنسيات حتى الوصول إلى نظام التجارة الحرة الذي أقر دولياً ثم ظهر أخيراً بوضع منظمة التجارة العالمية والتي أدخلت (الثقافة) ضمن منتوجاتها القابلة للتداول والقابلة للتحرر من القيود الجمركية. وحتى أصبحت (الثقافة) مجرد سلعة من السلع ينطبق عليها من الأحكام والإجراءات ما ينطبق على سواها

---

(١) د. يوسف القرضاوي المرجع السابق ص (١٩ حتى صفحة ٣١) جاء ذلك من حديث ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة. انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجزء الثالث رقم (٢٢١٦) ص٢٠ وقال إسناده صحيح دار الحديث القاهرة ط١/ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، ولكن الألباني يضعفه حيث يقول لم يجده عند غير الإمام أحمد وكذلك الشوكاني يضعفه من حيث الإسناد في الملتقى للجد ابن تيمية، وانظر د. علي محمد محمد الصلابي - في أصح الكلام في سيرة خير الأنام - عرض وقائع وتحليل أحداث السيرة النبوية (دروس وعبر) الجزء الثاني ص٧٢٢، ٧١٤ مكتبة الصحابة - الإمارات الشارقة ط١/ ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، وانظر د. إبراهيم العلى في صحيح السيرة النبوية طبعة مزيدة ومنقحة بتقديم د. عمر سليمان الأشقر ود. همام سعيد دار النفاس الأردن ط٣/ ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص٢٦١.

(٢) د. محمد عبد الله الشباني - الثقافة والذوبان - المرجع السابق ص٢٨.

من السلع المادية، غير أن الأهم هو الإقرار بأن مجال المنافسة في تسويق هذه السلعة (الثقافية) بات ضيقاً للغاية ولا يتسع إلا للقوى التي تمتلك قدرة ثقافية أكبر، وتتمثل هذه الثقافة في: -

١- سرعة انتقال المعلومات بفعل تطور وسائل الاتصال حيث أصبحت المعلومات تنتشر بكميات هائلة وبضخ أسرع. ففي أي بقعة من الأرض بإمكان أي منا وبمجرد كبسة زر إرسال أو استقبال كميات هائلة من المعلومات المختلفة وبكلفة زهيدة. كل ذلك يتم أيضاً في غياب بل وعدم قدرة الدولة على الرقابة أو المنع بالانتقال من ثقافة طباعة الكتاب والصحافة المكتوبة إلى ثقافة التلفاز والإنترنت والفضائيات..

٢- تنقل السكان من مكان لآخر بتطور وسائل النقل. وإن كان هذا محدوداً إلا أنه عامل مهم، حتى ظهر ما يسمى بعولمة السكان فهناك الآن (١٧٠) مليون إنسان يعيشون في دول ليست لهم بأوطان، ومن بينهم أكثر من (٥٠) مليون لاجئ، وهناك(٦٠٠) مليون سائح يعبرون سنوياً حدود بلدانهم. (١)

٣ - خضوع الثقافة اليوم تخضع إلى المعايير السائدة في سوق البضائع حيث الإعلانات التجارية التي باتت تطغى على كل وسائل الإعلام وترسخ أنماط استهلاك جديدة، توجهها مصالح الشركات المنتجة في الربح المجرد من أي معنى إنساني وهو يستخدم مداخل غير أخلاقية وغير عقلانية أو علمية في حصد المزيد من المكاسب للغرب الظافر حيث يتم " تنميط العالم " من خلال تدمير " التنوع الثقافي " العالمي بنية تسهيل السيطرة وإزالة كل الحواجز التي تقف في سبيل هيمنة الشركات الكبرى على توجهات الناس وسلوكياتهم من خلال وسائل شهوانية استهلاكية في المقام الأول في " هوليود " وأشباهها فتحت كل غرف نوم الغرب وكل أبواب مواخيره وكل أبواب مباذله ولهوه، وسوقت كل الرموز والصور التي يوحيها ذلك باعتباره جزءاً من مجهود ضخم لصياغة كونية جديدة (٢).

---

(١) د. ماجد محمد شدود - العولمة مفهومها، مظاهرها، وسبل التعامل معها - ط١/ ١٩٩٩م ص١٣٠ وانظر العرب والعولمة ص٣١٧
البصائر العدد (٢٥) السنة ١٢ ربيع ١٤٢٢هـ ص١١٦، وانظر أ. د. سالم عبد الجبار عبد الرحمن - طوق العولمة - عن مجلة المنتدى اليمنية العدد(٦٥)، وهشام علي بن علي - الهوية الثقافية والعولمة - عن جريدة الثورة اليمنية ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الثقافي الثاني.

(٢) أ. د. سالم - طوق العولمة -، عبد الكريم بكار - نحن والعولمة - عن مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة المعارف المملكة العربية السعودية العدد (٤٨) سنة ١٤٢٠هـ ص٩٠، د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم حسن -

٤ – يكاد يتفق الباحثون اليوم على أن العولمة الثقافية إن هي إلا تعميم للثقافة الغربية وبالأخص الأمريكية وهو مدٌّ ثقافي باتجاه واحد يسعى لجعل كل البشر على صورة واحدة للنموذج الغربي – الأمريكي – بالتحديد، أو متجارية معه وحالمة به.

إن بروز العولمة الثقافية الحالية ليس وليد اليوم، بل هو حصيلة فترات طويلة من الاستعمار الذي دأب لربط الدول به لغوياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وذلك عبر قوانين وأنظمة وضعتها الدول المستعمرة واستمرت عليها الدول المستقلة لاحقاً، واستمدت مجالسها الوطنية تشريعاتها من القوانين الفرنسية والبريطانية الدول المستعمرة سابقاً. (١)

وتسعى العولمة الثقافية لحمل الشعوب والأمم للخضوع لثقافة واحدة وغرس قيمها وقواعدها في نظم الحياة المختلفة للناس، ولتحقيق ذلك لا بد من تحطيم وتشويه الثقافات الأخرى، وهذا يتطلب مجهوداً كبيراً، وطاقات هائلة، وبرامج وخطط واتفاقيات لا يقوى عليها إلا من يملك القوة والمال والتكنولوجيا، وهذا ما يمتلكه العالم الغربي في هذه المرحلة التاريخية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية (٢).

إن تعميم هذا النموذج الثقافي على المجتمعات الأخرى يرجع إلى التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة من خلال استمرارية الاختراق الثقافي واستعمار العقول واحتواء الخبرات وربط المثقفين بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة بعيدة عن إعمال العقل التفاعلي للذات وإبقاؤه في سياق الأداة الوظيفية التيسيرية البحتة(٣).

إن هذا النمط الاحتوائي يعتبر شبه إجماع لدى الإدارة الأمريكية ووظفت لأجله المؤسسات المالية والثقافية والإعلامية والخبرات وأجهزة المخابرات المركزية.

مستقبل العولمة – قضايا راهنة ص٨ مرجع سابق.

(١) فتحي يكن ورامز طنبور – العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٣٦، ٣٥ مرجع سابق، وانظر د. لؤي هاني – العولمة والمشروع الحضاري الإسلامي الفرص والتحديات – عن مجلة الكلمة العدد (٢٨) / ٢٠٠٠م ص٤٤.

(٢) فتحي يكن، ورامز طنبور، ص٤١، وانظر د. محمد مقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ص١٣٨، مرجع سابق.

(٣) أمين هويدى – اتفاقية غزة أريحا – مجلة العربي الكويتية العدد (٤٢٥) ١٩٩٤/ ص٢٨.

فهذا الصحفي الأمريكي " جيمس روستون " يجزم بأن " الصحفيين والكتاب ورؤساء تحرير الصحف الجامعية كثير منهم ضعيف ورخو أمام الإفساد المالي وبالتالي فإن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لا تتردد في استمالتهم عندما تستطيع أن تفعل ذلك "(١).

بل وعلى حد قول الكاتب الأمريكي" جاسون أبستاين": لا تقتصر المسألة على شراء كتّاب أو جامعيين، بل إنها ترمي إلى إقامة نظام للقيم شكلي ومصطنع يحصل بواسطته الجامعيون على الترقيات، ويرشى محررو المجلات ويعطي العلماء مساعدات مالية، وتنشر مؤلفاتهم لا لقيمتها الذاتية التي قد تكون عالية أحياناً،وإنما بسبب ولائها السياسي..."(٢).

ومع ذلك فإن العولمة الثقافية تواجه صراعاً محكماً من خلال ثقافات أخرى مستندة إلى إرث تأريخي واستعماري قديم تمثل بفرنسا واليابان اللتين مهدتا لبروز العولمة الثقافية في العصر الراهن من خلال مؤشرات دلالية حملتها واحتضنتها العوامل الاقتصادية والمكتشفات العلمية والتقنية في تقاسم وظيفي جديد للمنافع والمصالح الحيوية لثنائية(٣) العولمة الثقافية.

إن البعد الثقافي للعولمة يهدف إلى نشر ثقافة الأقوى وتعميمها وذلك من خلال تفكيك العلاقة والارتباط بين الثقافة المستهدفة والدولة أو الإطار الجغرافي التي نشأت فيها وتطورت فيها وصولاً إلى نفي الطابع والرافد المحليين للثقافة الأصلية لصالح الطابع العالمي والرائد العالمي لهذه الثقافة الغازية.

إنه يستهدف إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي وتسطيح الوعي لديهم، واختراق الهوية الثقافية للأمم والشعوب وتعميم القيم الاستهلاكية(٤).

---

(١) مقتطف من النص الكامل لمعاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية - جريدة السفير العدد ٦٩١٢ـ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٤م ص١٢، على حرب أوهام النخبة أو نقد المثقف - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ١٩٩٦م عن عبد الله أحمد راشد في العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية - دار الحوار للنشر والتوزيع ط١/ ١٩٩٩م ص١٥، ١٦.

(٢) انظر :عبد الله أحمد أبو راشد : العولمة في النظام العالمى والشرق أوسطية ص١٧ مرجع سابق.

(٣) المقصود بثنائيات العولمة الثقافية احتدام الصراع عولمة الثقافة الغربية (الانكلوسكسونية) وعولمة الثقافة الفرنسية (الفرانكوفونية).

(٤) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها مظاهرها وسبل التعامل معها - مرجع سابق ص ١٣١، وانظر د. يوسف سلامة - الثقافة والسلطة فى ظل العولمة، د. محمد محزون - العولمة بين منظورين - عن البيان العدد ١٤٥ ص ١٢٦، د. برهان غليون - الوطن العربى أمام تحديات القرن الـ ٢١ تحديات كبيرة وهمم صغيرة _ عن المستقبل العربى (٢٣٢) ٦ / ١٩٩٨م ص ١٥.

ولأن تصدير العولمة من طرف الجانب الأقوى والذي يمتلك وسائل اتصال قادرة على إيصال هذه الثقافة إلى جميع أنحاء العالم، فإن التبادل الثقافي على فرض وجوده، هو تبادل غير متكافئ يفتقد في مضمونه إلى التفاعل الإيجابي والاعتماد المتبادل الإيجابي ليتحول إلى غزو ثقافي هدفه ترسيخ مظاهر العولمة من خلال استكمال السيطرة الاقتصادية والمالية بالسيطرة الثقافية للوصول إلى تغييب أية مرتكزات لوعي الفرد الثقافي وتحديد الوسائل الفاعلة لمواجهته (١).

إنها عملية إقصاء وتغييب متعمد لثقافات الأمم والشعوب الأخرى وتقوية المرتكزات اللازمة لسيطرة الدول القوية وترسيخ هيمنتها على العالم. لقد قامت الولايات المتحدة بوضع ثقلها كله في معركة تحطيم الحواجز لتصبح الاتصالات قادرة على الانتقال دون عوائق تذكر عبر العالم كله كالريح فوق صفحة المحيطات، ومن أجل ذلك انعقدت المؤتمرات الدولية المتتابعة (جنيف ١٩٩٢م - بيونس أيرس ١٩٩٤م - بروكسل ١٩٩٥م - جوهانسبرج ١٩٩٦م) لتنجح وبامتياز الولايات المتحدة الأمريكية في تسويق فكرتها حول: " مجتمع المعلومات العالمي " والضغط لفتح حدود أكبر عدد ممكن من الدول أمام التدفق الحر للمعلومات(٢).

ولعل هذا ما حدا بالباحث الأكاديمي المعروف (نعوم تشومسكي) أن يقول: " إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تأريخ الإعلام تعززه سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف أي على العالم كله "(٣).

إن الولايات المتحدة تعتبر أول منتج للتقنية الحديثة ومصدر إلى الأطراف خاصة دول العالم الثالث بجانبه كافة الدول الإسلامية. وهذا بالطبع له دوره في نشر اللغة الإنجليزية خاصة من بين كثير من اللغات. ومن هنا يأتي التوجس الشديد لدى بعض الدول المتقدمة كفرنسا وكندا من المخاطر الناجمة عن الهيمنة الأمريكية على الثقافة والإعلام تحت ستار العولمة، إذ إن وسائل الإعلام الأمريكية تسيطر في الواقع على ٦٥٪ من مجمل المواد

---

(١) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها.. ص١٣٢ مرجع سابق، وانظر عبد الاله بلقزيز - العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة - عن العرب والعولمة ص٣١٧.

(٢) د. محمد المخزون - العولمة بين منظورين - عن مجلة البيان العدد (١٤٥) ص١٢٥.

(٣) نفس المرجع السابق نفس الصفحة، وانظر د. محمد مقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ص ١١٩، ١٢١، مرجع سابق.

والمنتجات الإعلامية والإعلانية والثقافية الترفيهية، بل إن فرنسا تقاوم سيطرة اللغة الإنجليزية على شبكة الإنترنت، وذلك لأن ٩٥٪ من حجم تداول المعلومات والاتصالات على الإنترنت باللغة الإنجليزية في حين أن ٢٪ فقط باللغة الفرنسية [(١)].

فإذا كانت فرنسا على وضعها الحالي في المنظومة الحضارية وهي من أوائل الدول المتقدمة وقفت هذا الموقف على الرغم من تقاربهم في الثقافة والدين، فمن باب أولى أن تقف نفس الموقف أو أكثر حزماً من الدول الإسلامية التي هي أصلاً في ذيل قافلة المنظومة الحضارية وإنه يراد لها التبعية والانسلاخ من ثقافتها الإسلامية بل من دينها على الأصح. وإن الواجب الشرعي على هذه الدول أن لا تغفل عما تقوم به مؤسسات السيطرة الإعلامية وغيرها وألا تقف مكتوفة الأيدي وأن تقاوم هذا الغزو الثقافي الإعلامي الاستهلاكي التسطيحي المتستر تحت غطاء العولمة.

ومحاولة من قائدة ورائدة العولمة الثقافية (الولايات المتحدة الأمريكية) التخفيف من حدة الهجمة الشرسة ومحاولة إخفاء الأبعاد الاختراقية وسياسية السيطرة فإنها تمعن في استغباء الآخرين وتمييع الممانعة المشروعة التي تتمثل في الشعوب المستهلكة الذين لا تسعفهم قدراتهم وتقنياتهم من الممانعة بالقدر الكافي لكبح جماح هذه الهجمة الضروس الكاسحة وذلك بإدخال الثقافة ضمن السلع الإنتاجية ليجري عليها ما يجري على ما سواها من السلع بهذا القرار الذي فرض فرضاً، فاستطاعت أن تصدر ما يحقق لها أرباحاً هائلة إلى المجتمعات الاستهلاكية وبالذات الإسلامية وانتهجت تصديراً ثقافياً من نوع خاص**!!** فهي لم تصدر ثقافة الغرب أو ثقافة الولايات المتحدة بالمعنى النخبوي للثقافة، بل صدرت ثقافة استهلاكية موجهة للتسويق، ثقافة انحطاطية سوقية في إطار المشروع الهوليودي لتحريك سوق التجارة والاستثمار تكرس من خلالها وعياً تسطيحياً لدى الشعوب المستهلكة وخاصة الإسلامية. ثقافة لا تعدم رؤية حضارية للإنسان، بل هي سلعة استهلاكية تجعل الإنسان يعيش هوس النجومية والاستهلاك اليومي لثقافة الشارع الأمريكي.

---

(١) وانظر سليمان بن ناصر الخراشي: العولمة، دار بلنسية، ط١ / ١٤٢٠هـ، ص ٣٢، مرجع سابق، وانظر محمد علي حوات: العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، ص ١٧٦، مرجع سابق، وانظر أنور عشقي: الشياطين تختبي في تفاصيل ملف العولمة، عن مجلة المعرفة السعودية، العدد (٤٨) ربيع أول ١٤١٠هـ، ص٨٤، ٨٥.

إنها تخفي مظهرها المنحط والمتخلف وراء أحدث وسائل التقنية، تسوغ من خلالها الوسائل ثقافة استهلاكية هوليودية أكثر مما هي ثقافة أمريكية حقيقية.

لذا وجب على المعنيين على مختلف الأصعدة في الدول الإسلامية أخذ الحيطة والحذر وطرح البديل المناسب والإفادة من التقنيات الحديثة وجلب النافع المفيد من الآخرين واستيراد ما فيه الصالح العام، استيراد ثقافة العلم والحضارة التي تجني الشعوب منها الثمرة المفيدة من هذه الحضارة ومن هذه التقنيات ومن هذه الثقافة.

مكمن الخطر فى العولمة الثقافية :

إن مكمن الخطر في العولمة الثقافية هو جعل الثقافة سلعة استهلاكية تحظى بجاهزية خاصة ومغرية خاصة لشباب الأمة الإسلامية – شأنها شأن " المعلبات " – إنها بهذا الأسلوب محاولة لمزيد من تكريس التقسيم الإمبريالي(*) للعمل حيث بمقتضاه تستمر الولايات المتحدة الأمريكية في إنتاج أشكال الثقافة اليومية من أفكار وأذواق وتصورات في حين تظل المجتمعات الأقرب فاغرة أفواهها لاستهلاك هذا المنتوج.

تسعى أمريكا لأن تجعل من هذه الثقافة آلية ردع لكل خيار نهضوي ولتمييع كل محاولة لتفعيل ثقافي حقيقي في المجتمعات المختلفة، وأصبحت تراهن على فهم هوليودي للحضارات يقوم على الصراع والتحطيم والإلغاء.

إن هوليود يصنع عالماً ثقافياً أمريكياً متعصباً للإقصاء والاحتكار وبالتالي فليس في حسبانه مجال لتصاهر أو لتحاور أو لتثاقف الحضارات ولكن في حسبانه تصادم الحضارات.. وانتصار الحضارة الأمريكية وبهذا يتم لهم الترويج لنهاية التأريخ(٢)ولغيرها من المقولات التي تنطلي على السذج البسطاء.

(*) الإمبرالية: هي الرأسمالية الاحتكارية حيث تسيطر التجمعات الرأسمالية الضخمة على الإنتاج وتصريف أهم السلع.

٢) انظر إدريس هاني كيف يقرأ المثقفون العرب العولمة – عن مجلة الكلمة العدد ١٩ السنة الخامسة ربيع ١٩٩٨م ص٦٥، ٦٦، ٦٧، وانظر العرب والعولمة ص٣١٧، وانظر د. برهان غليون – ثقافة العولمة – دار الفكر دمشق ط١/ ١٩٩٩ ص٤٠، وما بعدها، وانظر بول سالم – الولايات المتحدة والعولمة معالم الهيمنة في مطلع القرن الـ٢١ عن العرب والعولمة ص٢٢٢، وانظر إدريس هاني: الثقافة الإسلامية والعولمة، مجلة الكلمة، العدد (٢٢) السنة السادسة شتاء ١٩٩٩م / ١٤٢٠هـ، ص ١٣٧، ١٣٨.

تبدو خطورة العولمة الثقافية أكثر وضوحاً عندما نعلم أنها تمهد الطريق أمام تيارات العولمة الأخرى عبر الترويج للنمط الاستهلاكي، وتفتيت القيم المحلية السائدة، وردع أو تثبيط أي محاولة للنهوض الاقتصادي، أو التفرد الثقافي ومن ثم فهي تروج للنظام الرأسمالي والقيم الليبرالية الغربية على مستوى الكون، مما يفسح المجال لهيمنة ثقافية ولأشكال أخرى من الهيمنة.

ويمكن أيضاً ملاحظة هذه الهيمنة بجلاء في انتشار النعوت والمصطلحات [1] التي تطلقها الدوائر السياسية والصحفية الغربية على الأشخاص والجماعات والأحداث من أمثلة ذلك التمويه أو تحسين القبيح، واستخدام عبارات ملطفة وغير مباشرة لوصف شيء بغيض ومنفر مثل وصف الإبادة الجماعية للمسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا وفلسطين حالياً بـ: التطهير العرقي، وغزو لبنان عام ١٩٨٢م بـ: سلام الجليل، وتسمية حدوث إصابات مدنية في الحروب: بالضرر المصاحب. والهدف هو جعل الحقيقة السيئة مقبولة لغوياً كما يطلق المركز الغربي أوصافاً تخدم مصالحه أو مصالح حلفائه كإطلاق اسم يوم الغفران على حرب رمضان سنة ١٩٧٣م واسم جبل المعبد على المسجد الأقصى، ووصف القدس الشرقية بأنها متنازع عليها بدلاً من محتلة مثل الحال الذي عليه كشمير بين الهند البوذية وباكستان المسلمة في أنها محتلة من قبل الهنود، ووصف المقاتلين في الشيشان (المجاهدين) بأنهم إرهابيون أو جيش تحرير كوسوفا بالانفصاليين.

هذه النعوت وغيرها ليست وصفيه مجردة، بل أيدلوجيات صادرة عن رؤية حضارية، وموقف ثقافي معين فالشيشانيون (إرهابيون) لأن المركز الغربي يصفهم بهذا الوصف و(الإبادة الجماعية) لمسلمي البوسنة وفلسطين بـ (حرب أهلية) يعني عدم التحرك أو اتخاذ موقف إيجابي ورفض التدخل بين أطراف متنازعة أو جماعات يقتل بعضها بعضاً منذ مئات السنين.

أما وصف الأمر بأنه إبادة أو اعتداء فيقتضي ذلك حسب القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة التدخل لردع المعتدي وإنقاذ الضحية.

---

(١) انظر أحمد بن راشد بن سعيد – استراتيجية التعامل مع ثقافة العولمة وإعلامها – عن المجتمع العدد (١٤٦٠) ٢١/٧/٢٠٠١م ص٣١، ٣٠.

ووصف شعب من الشعوب المعتدى عليها بالانفصالية يعني ضمناً رفض مطالبه بالاستقلال. فكيف ينفصل الطفل عن أمه، أو كيف ينفصل العضو عن الجسد. والأمثلة ما زالت حية وبعضها لم يمض عليها عقد من الزمان وبعضها لم تمض عليها بضع سنين مثل كوسوفا – إقليم تيمور الشرقية في إندونسيا – أليس هذا كيل بمكيالين ورؤية بنظارتين**!!**

إن هذا شكلٌ من أشكال الهيمنة أو السيطرة التي فرضتها عولمة الثقافة والاتصال والنفوذ السياسي لدول المركز الغربي وبالأخص أمريكا.

وإن أخطر أنواع العولمة ذلك الذي يدخل في صياغة الفكر والسلوك الإنساني وإنه يظهر بوضوح في العولمة الثقافية حينما نستخدم لأجل هذا الغرض وسائل عدة وهي وسائل الإعلام من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز وغيرها.. ولأجل هذا كانت معظم هواجس المفكرين والمربين تتعلق بخوفهم من تأثير العولمة على المكونات الثقافية للشعوب فهذا وزير الخارجية الكندي يقول: – " لأنه كان الاحتكار أمراً سيئاً في الصناعات الاستهلاكية فإنه أسوأ منه إلى أقصى درجة في صناعة الثقافة، حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأشعار وإنما تثبيت الأفكار أيضاً " [(١)] إنها ثقافة الصورة، ثقافة لها من القدرة والتأثير مثلما هو الحال في العولمة الاقتصادية التي استطاعت تحطيم الحواجز الجغرافية الجمركية، وهكذا الحال بالنسبة لثقافة الصورة حيث استطاعت تحطيم الحواجز اللغوية بين المجتمعات الإنسانية نتيجة تطور الثقافة مما ساعد على انتشار ثقافة الصورة خارج الدول المصدرة، مما أدى إلى تشكل إمبراطوريات إعلامية مهمتها تصدير ثقافة الصورة بالنظام السمعي البصري ومما شجع على قبوله هو تراجع معدلات القراءة، وهنا يكمن الخطر حين يحل التلفاز محل الأسرة [(٢)] في التربية، وحين تحل الفضائيات محل البيت والمدرسة في تغذية الفكر بما لا ينفع في صياغة الفكر والسلوك.

---

(١) د. ناصر الأحمد – العولمة محاضرة في كاسيت مسجل ضمن تسجيلات الفتوى الإسلامية الرياض سنة... رقم... اقتباس وتصرف في الفقرة.

(٢) عبد الجليل كاظم الوالي – جدلية العولمة بين الاختيار والرفض – عن المستقبل العربي (٢٧٥) ١/ ٢٠٠٢ ص٦٤، وانظر محمد عوض تعقيب على د. بلقزيز عن العرب والعولمة ص٣٢٦، وما بعدها.

إن العولمة الثقافية بلهجة واضحة هي: محاولة نقل ثقافة الغرب وبالتحديد الثقافة الأمريكية إلى معظم شعوب ودول العالم، إنها بتحديد أكثر ما يعبر عنه بعض المثقفين بأمركة العالم(١).

عوامل قبول المجتمعات لثقافة العولمة:

ويرى الباحث أن سبب قبول الناس لهذه الثقافة الدخيلة عليهم فإنهم لا يبدأون مباشرة بتغيير المناهج ونمط التفكير، ولكنهم يأتون من أبواب لا تخطر على بال كما مر آنفاً منها: -

١- تغيير نمط المجتمع في تناول طعامه وشرابه، وإقباله على وجبات لم يكن يعرفها قط.

٢- طريقة تأثيثه لمنزله وسكنه.

٣- طريقة خروجه ونزهته مع أولاده إلى غيرها من الطرق فلا تكاد تمر بضع سنين حتى تأخذ المجتمعات الأخرى هذه الثقافة وتتقبلها كشيء حضاري ودليل على الرقي من حيث لا يشعر.

فإذا ما جاءت المناهج وجاءت الأفكار، كان المجتمع برمته مهيئاً لقبول كل شيء.

إن انتشار مطاعم الوجبات السريعة في طول البلاد وعرضها وخاصة بلاد المسلمين ليس ذلك من قبيل الصدفة أو الطفرة، إنها تسير ضمن مخطط بعيد المدى وهي الآن حقيقة جلية واضحة يعاني منها الغرب نفسه أيما عناء.

أسباب معارضة ثقافة العولمة:

وإن معارضي العولمة الثقافية يبدون أسباباً عدة منها أن الثقافة التي يراد لها أن تكون عالمية متعارضة مع الهوية القومية وتسعى للقضاء على التنوع الثقافي وإحلال الثقافة الغربية أو بلغة أصرح الثقافة الأمريكية محل الثقافات الموجودة.

وإذا كانت هذه المعارضة وعدم الرضى يصدر من دولٍ غربية كفرنسا وكندا على سبيل المثال مع أنهم يتفقون في الدين إلا أنهم يأبون التبعية الثقافيةَ لغير جنسهم فإنه يتحتم على الدول الإسلامية أن تكون في موقفها أشد وأوضح وأكثر إباءً، لا سيما وأن للثقافة

---

(١) انظر عبد الإله بلفزيز: العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بحث العرب والعولمة، ص (٣١٩).

الإسلامية كما مر سلفاً ميزات تفوق كل ثقافة بل ولا تقبل الذوبان في الثقافات الأخرى وهي تعلو وتسمو بمنهجها على كل الثقافات سواء كانت ثقافات مستمدة من ديانات قديمة أو ثقافات ليس لها نبع ديني وهذا أوضح في البيان والتنافر والتضاد.

مظاهر العولمة الثقافية :

ولعل أبرز مظاهر العولمة الثقافية المنحطة تتضح من خلال تعميم أو توحيد الاتجاهات والسلوكيات حيث يراد لها أن تشمل سكان الكوكب وإن العمل لهذا البرنامج ماضٍ لا يلوي على شيء وقد جنّد لهذا الغرض مؤسسات إعلامية ذات ثقافة عالية ومؤسسات مالية تدعمها دول كبرى وشركات عملاقة وإنها لحملة محمومة لتهيئة الرأي العام نفسياً وثقافياً للعولمة، وتتجلى في انتشار سراويل الجنز وأزياء الموديلات العالمية، ومطاعم الوجبات السريعة (الأمريكية)، ومشروباتها الغازية التي يعتبر افتتاح محلاتها ومصانعها تمهيداً للغزو الأمريكي وشعاراً لـه.

بالإضافة إلى العادات المتعلقة بتناول الطعام والعادات الاجتماعية الثقافية، وتصفيفات الشعر الخاصة، وحتى الجرائم المتصلة بالمخدرات، والاختلاس والفساد أصبحت متشابهة في كل مكان إنها ثقافة هزيلة وهي برأي كثير من الخبراء تروج لثقافة الهمبرجر، والكوكاكولا، والغناء على الطريقة الأمريكية وهي طلائع العولمة التي لا تبشر إلا بمزيد من الشقاء والتعاسة للبشرية [(١)].

إنها لا تعنى أبداً بنقل التقنية والمعلومات، والخدمات والنقل والبضائع والشركات، لكنها تقدم طعماً مسموماً للأمم وبالذات للأمة الإسلامية ضمن سباق فكري لا تحتاج إلى ذكاء شديد أو حتى بلاهة أشد لمعرفة حقيقتهم. إنها ثقافة الاستهلاك وتسطيح الوعي ثقافة الربح وتكديس الأموال.

---

(١) د. ناصر الأحمد – مادة محاضرة في شريط كاسيت مرجع سابق، وانظر مقال عن عولمة الاستثمار التجاري في مصر عن مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٣٩٩) ٩/ ٥/ ٢٠٠٠م وما بعدها.

خطة الترويج لثقافة العولمة:

إن هذا الطعم الذي يقدم للأمم عبر ما يسمى ثقافة الترويج، يدرس قبل ذلك بدقة متناهية حتى تتكلل الجهود بالنجاح ويتم ذلك عبر ثلاثة مراحل [١] تتعلق الأولى بالبضاعة والثانية بالمستهلك (المتلقي) والثالثة بطريقة التبايع (القناة).

يحدد شكل البضاعة ويختار لها الثوب الذي تنزل به وتضبط الزوايا للتركيز على جوانب من خصوصياتها الحقيقية أو المزعومة حتى تكون مستجيبة لحاجيات المستهلكين ورغباتهم الظاهرة أو الخفية، الحقيقية أو المستحدثة المختلفة، وتخضع كل هذه المراحل الأولية للدراسة والبحث بالاعتماد على علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الوراثة والجينية[٢].

ولكي يتم الوصول إلى الغاية أو الهدف «تحدد الشرائح التي تشكل الهدف الأنجع للرسالة الموجهة الأطفال أم المراهقون أم الشباب أم المرأة أم بعض من هذه الشرائح كأداة جذب للمستهلك ويتم على ضوء ذلك اختيار الطريقة والوسائل الناجحة للوصول إلى الشرائح المستهدفة» [٣].

وفي خطوة ثالثة وباستخدام أدوات الإعلام يتم الشروع في «الحملة الإشهارية عبر أدوات تبدو للمتلقي مألوفة، قريبة محببة إلى نفسه في حياته اليومية، حتى لا يفاجأ أو يشعر بانتهاك لحرمته الشخصية أو خصوصياته الثقافية، وحتى لا تكون ردود فعله إزاء الجديد الطارئ متسمة بالرفض أو النفور. وإن التجأت أساليب الإشهار إلى اعتماد التجديد في الأدوات الحاملة للرسالة فإنها تتوخى طريقة الاستفزاز الإيجابي أو الإضحاك المسلي كأداة لإرسال الرسالة – البضاعة – إلى المستقبل المستهلك وتقريبها منه» [٤].

وتبدأ هذه الخطة غالباً «بالترويج للفكرة قبل المادة نفسها حتى تتهيأ لها العقول وتستوعبها وتتوهم امتلاكها قبل الحصول عليها ثم تصبح شبه مألوفة، عادية لديها، وكأنها شيء قديم منسي غاب عنها، ثم يتحول الإحساس إلى سلوك يتصف أحياناً باللهفة والإقبال بشدة ونهم على المادة – البضاعة – ويغدو المستهلك نصيراً وداعية لنشرها، وكأنها من

---

(١) حاتم بن عثمان – العولمة والثقافة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ط١/ ١٩٩٩م ص٣١، ٣٠.
(٢) المرجع السابق، الصفحةنفسها.
(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٤) المرجع نفسه ص ٣١.

إنتاجه أسيراً لها كأقدم عاداته وأعرق تقاليده فتتحول البضاعة إلى جزء من المخزون الثقافي، منتوجاً ثقافياً في مراحل بثه وتلقيه، وبهذا يكون المتلقي قد استهلك الفكرة قبل المادة، وتبنى الدال قبل مدلوله، لسلاسته وشاعرية صياغته، وتعدد إيحاءاته ودغدغته مشاعر المخاطب ومحاورة لا وعيه»[١] ولا إدراكه.

ولترسيخ ثقافة العولمة فإن الأسلوب نفسه يستخدمه مروجو العولمة وأنصارها ودعاتها لتحرير أبعاد العولمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبالأخص الثقافية التي تعتبر مدخلاً رئيسياً لنشر العولمة.

ومن هنا فإن خصوصيات الشعوب وثقافتها مهددة عملياً بخطر التآكل والتقويض والانصهار، بل والانفجار من الداخل وانهيار البنية الاجتماعية والفكرية التي تقوم عليها المجتمعات والأقليات بقيم الاستهلاك والتسويق والترويج السريعة المتحولة المتغيرة بتغير البضاعة»[٢].

يتجسد الخطر الأكبر في «انسياق الجميع دون وعي أو اختيار في النمط الأوحد للإنسان لوهم السعادة المتمثل بالارتقاء إلى حضارة الازدهار والتقدم بما ينطوي على ذلك من تكريس لعلوية حضارة ما على سائر الحضارات، وسمو ثقافة ما على سائر الثقافات دون أثر أو دليل ملموس سوى أن العالم أصبح (قرية واحدة!!) وبالتالي فلا شيء يعلو على شيء، ولا شيء يفرق بين أهلها، ومن هذا المنطلق كيف لثقافة أن تعلو على أخرى ما دام الكون قرية واحدة والناس كلهم أهل قرية واحدة، وأنى لثقافة أن تعلو على نفسها والشيء واحد»[٣].

والحقيقة أن الترويج لما يسمى بالقرية الكونية خدعة لا يمكن أن تتماشى مع سنة التنوع والاختلاف في الكون قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..}**[٤] الآية وقد مر معنا أن لكل شعب ولكل مجتمع خصوصيته وثقافته ومنهجه وطريقته في الحياة، فأنى لهذه السنة أن تختلف، والله عز وجل يقول:**{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ**

---

(١)المرجع السابق ص ٣١ وما بعدها.
(٢) المرجع نفسه ص ٣١.
(٣) المرجع نفسه ص٣٢.
(٤) الحجرات آية ١٣.

لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}(١) وقال تعالى:**{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}**(٢) أي أن الاختلاف سنة ماضية والله سبحانه قضاها على الناس إلى يوم الفصل بين الخلق. وهنا لا يُحل الخلاف، فهيهات هيهات لمروجي العولمة أن يجمعوا الناس على وتيرة واحدة، وما أبعدها من أمنية وإن لجأوا إلى أساليب الترغيب والترهيب:**{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}**(٣).

* * * * *

المطلب الرابع:
البعد الاجتماعي للعولمة

يشير هذا البعد إلى فرض نموذج ونمط حياة معين وعلاقات اجتماعية مادية ونفعية عقلانية واستبعاد كل ثقافات المجتمعات الأخرى سواء الدينية منها أو القومية أو العرقية أو القبلية أو.. والتركيز في ذلك على الوطن الإسلامي الكبير، والوطن العربي تحت مشروع (الشرق أوسطي).

إن هذا النموذج هو نموذج أو نمط الحياة الغربية وعلى الخصوص النمط الأمريكي، عبر دعاوى الحرية كحرية المرأة وحرية الرأي، وحرية الأقليات، ودعوى حقوق الإنسان(٤).

إن القصد من ذلك في الدرجة الأولى مسخ هوية الأمم وخاصة الأمة الإسلامية التي تتميز عن سائر الأمم بمميزات تغرس في نفوس أصحابها العزة والكرامة والاستعلاء على متع الحياة وزخرفها وزينتها وبهرجها والتي تغرس في نفوس المنتمين إليها شعور الانتماء الخاص والشرف الأبقى والكمال الأوفى، شعور الهوية الكاملة المرضية والصيغة الحسنة والانتساب الكريم لرسول كريم ودين كريم وحياة كريمة.

---

(١) هود آية ١١٨، ١١٩.

(٢) يونس آية ٩٩.

(٣) يوسف آية ٢١.

(٤) د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم – مستقبل العولمة – عن قضايا راهنة العدد(٧) مرجع سابق، وانظر موضوع المرأة المسلمة والمؤتمرات الدولية عن مجلة الأسرة السعودية العدد (٩١) شوال ١٤٢٠هـ ص١٨ وما بعدها.

مظاهر العولمة الاجتماعية:

إن النموذج الذي يريده مروجوا العولمة نموذج متحلل من قيود الأخلاق والقيم والدين وحتى القوانين المحافظة إن كان لها وجود، نموذج تترسخ فيه قيم ومفاهيم اجتماعية تدعو لمزيد من التفكك والضياع، وتجارة الجنس والدعارة ودور الأزياء والموضة والتجميل وشركات الأفلام والترفيه وشركات السياحة والسفريات[١]...

المؤتمرات الدولية ورسم السياسات العالمية:

وإن معالم البعد العولمي ومظاهره تتحدد وتُقنن ومن خلال مؤسسات دولية ومؤتمرات عالمية أصبحت تزاحم الدول في رسم سياستها الاجتماعية وإلزامها بمعايير محددة تجاه قضايا معينة مثل حقوق المرأة والطفل، ومعايير العمل، وحماية البيئة، وحقوق الإنسان والأديان.. إلى غيرها من القضايا.

وكذلك فإن الغرض الأساسي من هذه المؤتمرات هو تأطير الأنماط السلوكية الشاذة التي تتعارض مع الفطرة الإنسانية ونشرها، وتفكيك المنظومة القيمية لكثير من الدول وخاصة الإسلامية، وإعادة بنائها وفق تصور ثقافة العولمة والتسلل لاحتواء موارد الدول الفقيرة واستغلالها لصالح المؤسسات المالية الغربية والمالكين لها من دهانقة اليهود والمتهودين فكراً وسلوكاً، ونشر الأنماط السلوكية التي أفرزتها الفلسفة الجدلية المادية التي من مقتضياتها الانفلات السلوكي [٢].

ففي خلال عامين عقدت ثلاثة مؤتمرات تحت عناوين غاية في الذكاء يختارها خبراء في العلوم الإنسانية يستغبون بها الأمم ويدعون إليها مختلف المؤسسات والمنظمات والنقابات والدول.. ففي شهر سبتمبر أيلول ١٩٩٤م عقد في القاهرة المؤتمر العالمي للسكان والتنمية، وفي شهر سبتمبر أيلول ١٩٩٥م عقد في بكين (الصين) مؤتمر المرأة، وفي شهر حزيران ١٩٩٦م انعقد في استنبول مؤتمر الإيواء البشري، هذه المؤتمرات وسابقتها ولاحقتها تحت

---

(١) د. مصطفى حلمي، د. جمال عبد الهادي، د. الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم – في ندوة عن هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق – عن البيان العدد (١٢٨) ٨/ ١٩٩٨م ص٥٤ وما بعدها.

(٢) د. محمد محزون – العولمة بين منظورين عن مجلة البيان العدد (١٤٥) ص١٢٧ وانظر ناصر محمد علي الطويل – انعكاسات العولمة على مستقبل السيادة الوطنية – اليمن أنموذجاً مقال في مجلة شؤون العصر عن المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية يناير – مارس ٢٠٠٢م ص١١٠. وكذلك د. محمد عبد الله الشباني – العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري – عن البيان عدد (١٠٢) ص٩٦.

رعاية الأمم المتحدة، وهي التي تخطط وتؤطر هذه المؤتمرات، وهي الذراع التنفيذي لمخططات الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها في أوروبا [١].

إن الشعارات التي دأبت الأمم المتحدة على رفعها ووفق دعايتها، هي تحسين أوضاع العالم الاقتصادية والتجارية والعمرانية والاجتماعية، لكن حقيقة الأمر تبدو خلاف ذلك، إن هذه المؤتمرات أداة ووسيلة تستخدمها الليبرالية الجديدة المسيطرة على العالم اقتصادياً وفكرياً من خلال تأطير السلوك الاجتماعي والسياسي، واستبعاد الجوانب الأخلاقية في السلوك الاقتصادي وفق منظور خاص يخدم مصالحها الأيدلوجية والاقتصادية [٢]، ويوافق الفكر العلماني الذي يقوم عليه الرأسمالية والليبرالية الجديدة وقد يصعب الجزم بحصر الدوافع الحقيقية الكامنة خلف هذه المؤتمرات المتتالية والأهداف التي تنوي الوصول إليها، وليس من الدقة في شيء أن نقول: إنها قامت فقط لحرب المجتمعات الإسلامية فهناك الكثير من المجتمعات الغربية نفسها فضلاً عن غيرها يعارض هذه المؤتمرات وقراراتها[٣].

ولكن من الممكن القول: إن الظروف العالمية المعاصرة والأنماط الجديدة للعلاقات الدولية قد هيأت للغرب الرأسمالي ثقلاً وتأثيراً لم يكن يتمتع به من قبل عند وجود المنافس. ومن ثم فإن هذه المؤتمرات تقع في مربع محاولات الغرب فرض نموذجه الاجتماعي تكملة لنجاحه في فرض نموذجه السياسي والاقتصادي ممثلاً في الليبرالية وآلية السوق [٤].

إن العولمة أو النظام العالمي الجديد نشأ أولاً لخدمة أو لنشر جوانب سياسية واقتصادية تهم القوى العالمية الكبرى وخاصة أمريكا [٥]ثم توسعت هذه العولمة لتشمل قيماً ومفاهيم جديدة يتفق عليها ويراد لها أن تحكم العالم وتكون بديلاً للقيم الدينية والعرقية التي عادة ما تكون سبباً للعصبيات والتناحر وفقاً للرؤية الغربية.

---

(١) د. محمد محزون – العولمة بين منظورين – مرجع سابق ص١٢٧، وانظر أحمد عبد الدائم أبو نصرة – الهجمة على العقيدة والنظام الاجتماعي في الإسلام – عن البيان العدد (١٦١) ٤/ ٢٠٠١م ص١٤١.

(٢) د. محمد المحزون المرجع السابق ص١٢٧، وانظر د. محمد عبد الله الشباني – العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري – عن مجلة البيان العدد (١٠٢) ص٩٦.

(٣) انظر الأسرة، ٩١، ص ٢١، ٢٢، وانظر عبد السلام بسيوني كتاب الأسرة (ماذا يريدون من المرأة – مكتبة الملك فهد الوطنية – إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط١ / ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ص ٢٥..

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر د / حازم البلادي: النظام الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة،= =سلسلة عام المعرفة (٢٩٧) / ٢٠٠٠م، ص ٢٣٥ وما بعدها.

ولقد استخدمت مظلة الأمم المتحدة لتكون غطاءً عالمياً وقانونياً لترويج هـذه القيم والمفاهيم والتجارة بها من خلال مـؤتمرات دوليـة تخـدم في الحقيقـة القـوى العالميـة الكـبرى وخاصة أمريكا وأوربا.

تمكنت هذه القوى من إيجاد تطور موضوعي في الفكر الدولي أقنع بقية القـوى الفاعلـة فضلاً عن دول العالم الثالث الذي منه العالم الإسلامي بهـذه التطـورات حتـى خرجـوا مـن ذلك بنصيب الأسد من المصالح والمكاسب.

بينما كان العالم الإسلامي كغيره مـن دول العـالم الثالـث الطـرف الخاسـر في كـثير مـن القضايا رغم بعض النجاحات هنـا أو هنـاك، شملـت هـذه التطـورات كـثيراً مـن الجوانـب الاجتماعية والأخلاقية وظهر ذلك جلياً في المؤتمرات الخاصة بالمرأة والسكان حـين طرحـت قضايا تصادم وبشكل سافر واستفزازي قيماً أخلاقية فطرية تشترك فيها الكثير من المجتمعات بل إنها تصادم ما نصت عليه الاتفاقيات السابقة.

إن هذا الإصرار والتصميم وصيغ الإلزام في الاتفاقيـات وآليـات مراقبـة التنفيـذ لبنـود هذه المؤتمرات خاصة فيما يتعلق بأنماط السلوك الاجتماعية الغربية التي ترتكز على الإباحيـة والتحرر[1] يقود إلى تساؤلات تفرض نفسها منها على سبيل المثال:

– لماذا الإصرار في قضية المرأة والسكان والمـؤتمرات المتطاولـة لتـذليل أي اعـتراض أو مصادمة؟! ولماذا المخاطرة بمواجهة العواطف الدينية الجياشة للآخرين بهذه القوانين؟!!

ثمة عوامل تشير إلى الجواب على مثل هذه التساؤلات تكمن في النقاط التالية: –

١ – تطور المفاهيم الاجتماعية في المجتمعات الغربية لمزيد من الإباحية والتفكك، حيـث صناع القرار لديهم غارقون في هذه التحولات، ويكفي الإشارة إلى الوجود المتزايد للشـاذين جنسياً في الدوائر الرسمية هناك.

٢ – ضغوط أصحاب المصالح والمنفعة الذاتية كتجار الجـنس والـدعارة، ودور الأزيـاء والتجميل، وشركات الأفلام والترفيه وشركات السياحة والسفريات، وكذا ضغوط جمعيـات

---

(١) انظر مجلة الأسرة المرجع السابق العدد(٩١) ص١١، وانظر عبد الرحمن سعد موضـوع تحـت عنـوان (مـؤتمر الإفساد الكبير) في نيويورك تحت شعار "المرأة ٢٠٠٠" عن مؤتمر نظمته الأمم المتحدة تحـت عنـوان (الجينـدر التنمية المساواة والسلام في القرن الـ ٢١) عن مجلة المجتمع العدد (١٤٠٢) ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٠م ص٢٤.

التحرر النسائية ذات النفوذ والتأثير الواسع خاصة عند بعض الأحزاب السياسية.

٣- افتقار الحضارة الغربية للقيم الأخلاقية الرفيعة التي تقاوم بها ضغط الأخلاق الدينية التي يمتلكها الآخرون. بل إنهم عمدوا إلى تطويع الكنيسة البروتستانتية للاعتراف بهذه القيم السافلة كالشذوذ والحرية والمساواة ليكونوا بذلك ديناً جديداً للعولمة [١].

٤ – وإن من جملة الأهداف التي يركزون عليها من خلال عقد المؤتمرات تلو المؤتمرات هو تفكيك الأسرة في البلاد الإسلامية بالذات والتي هي من أهم مرتكزات الإسلام، بل ومن أهم محاضر التربية والتنشئة والتطويع لأمر الله تعالى وعبادته. وفي الأسرة ينشأ أفرادها مترابطين ومتكافلين ومتعاونين، ولا يخفى أن الأسرة مكونة من زوج وزوجة وأبناء وأعمام وأخوال وأجداد. وهي إلى جانب أنها ارتباط ثقافي فهي ارتباط ديني وهي لبنة غاية في الأهمية في بناء مجتمع سليم خال من الأنانية والفوضى والاضطراب والقلق والأمراض.. إنها انتماء للدين وللوطن وللتقاليد والقيم[٢].

٥- ولأن الغرب يفقد مثل هذه القيم السامية والمثل العليا، فإنه لا يفتأ محاولاً تعكير صفو هذه القيم على المسلمين وزعزعة نظامهم الأسري، ومحاولة إخراجهم من دينهم إلى دين الكفر والضلال. وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال تعالى:**{وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}**[٣]**{وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}**[٤].

لقد أصبح الشغل الشاغل للتجمعات والمنظمات العالمية السعي لعولمة الحضارة الغربية بكافة أنواعها وخاصة الحياة الاجتماعية للشعوب، وذلك من خلال تقنين الإباحية والرذيلة وتعميم الشذوذ. كل ذلك باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية، وتقويض بناء الأسرة النمطي لأنها – بزعمهم – أكبر عائق من عوائق التقدم والرفاهية فهي أقدم مؤسسة اجتماعية وينظرون إلى قوامة الرجل فيها على أنه نوع من التسلط حيث أنه يمارس على المرأة من خلال القوامة أشكال القهر والعنف، ومن أجل التحرير المزعوم الموهوم للمرأة

---

(١) عن مجلة الأسرة العدد (١١) ص٢٣.
(٢) عبد الرحمن سعد – مؤتمر الإفساد الكبير "المرأة٢٠٠٠" – ص٢٤.
(٣) البقرة آية ١٢٠
(٤) البقرة آية ٢١٧.

فإنهم يصرون على التخلص من النظام الأسري المتبع لدى كثير من الشعوب والدول (إما تديناً أو ثقافة مكتسبة أو فطرة)، ولو أدى ذلك إلى التمرد على الدين والفطرة السليمة التي أرست دعائم الشعوب على مر التأريخ البشري[١].

ومن خلال هذه المؤتمرات والتي تشرف عليها الأمم المتحدة تمرر الصيغ والتوصيات والقرارات والتي تهدف إلى إباحة الرذائل بكافة أشكالها تحت غطاء حقوق الإنسان والحرية الفردية والتنصل من أي دين أو قيمة أخلاقية أو حتى تقاليد أو أعراف**!!**

ففي مؤتمر(الجندر[٢] والتنمية والمساواة والسلام) الذي عقد في نيويورك ٦/ ٢٠٠٠م طرحت عدة قرارات وليست توصيات، إنها قرارات ملزمة لكل من حضر**!!**

وكل دولة حضرت ومنها بالطبع دول إسلامية ملزمة بهذه القرارات[٣] والتي تتلخص فى التغيير النمطى للأسرة وإباحية الإجهاض، وتقليص سلطة الأبوين، إلى غير ذلك مما سيأتى بتفصيل أكثر من خلال ذكر جل المؤتمرات التي عقدت باسم المرأة والتنمية والسكان وغير ذلك من الشعارات.

إن شعارات هذه المؤتمرات هي الدفاع عن الحريات والحقوق لكنها شعارات جوفاء خرقاء لأنها مدخل لأغراض يروج لها مديرو هذه المؤتمرات المتحكمون بها من أنماط معيشية وسلوكية نابعة من مجتمعات ليس لها ثوابت دينية أو أخلاقية أو قيمية، وإن ما تنادي به هذه المؤتمرات وتدعو له إنما هو في الحقيقة أمراض وأوبئة اجتماعية نخرت في المجتمعات الغربية، وفككت وشتت أسرهم ولم يبق لهم سوى التزيين، وإطلاق الغرائز بلا كابح ولا حاجز من دين أو خلق أو قانون أو فطرة باسم الحرية وحقوق الإنسان والدفاع عن المرأة[٤].

---

(١) عبد الرحمن سعد - مؤتمر الإفساد الكبير " المرأة ٢٠٠٠" - ص٣٤، وانظر أ. د. أحمد الريسوني: حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة عن كتاب الأمة القطري، العدد (٨٧) محرم ١٤٢٣هـ، ص ٥٠، ٥١

(٢) معنى كلمة (الجندر) هو النظر إلى المرأة والرجل بمعنى أنهما نوع وليس ذكر وأنثى أى جنس (sex)، وأن النوع معناه رفض حقيقة أن الوضع البيولوجي وهو المصير لكل فرد، ورفض حقيقة أن اختلاف النزعة وفرض فكرة حق الإمسام في تغيير هويته الجنسية وأدواره المرتبة عليها ومن ثم الاعتراف رسمياً بالشواذ والخنثين والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان، ومنها حقهم في الزواج وتكوين أسر والحصول على أطفال بالتبنى وتأجير البطون.

(٣) عبد الرحمن سعد نفس المرجع السابق ص٢٥، وانظر فؤاد عبد الكريم - العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة - عن البيان (١٧٠) ص٢٤.

(٤) نبيل شبيب - المؤتمرات الدولية والخطوط الحمر وصراع القيم - عن مجلة المجتمع العدد (١٤١١)

وصدق الله العظيم إذ يقول:{**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**}[١].

إن الأسلوب المتبع في الطرح في هذه المؤتمرات التي تعقد باسم الشرعية الدولية أسلوب يرتدي الثوب الغربي للعولمة، وبالتالي فهو يؤدي إلى نزاعات جديدة في ميادين حقوق الإنسان وحرياته حيث إن الحريات التي ينادون بها أيضاً هي بمفهوم مجتمعات غربية ليس لها دين إلا المنفعة والاستهلاكية والغرائز والشهوات والملذات..

إنها ناجمة عن انحراف مسيرة القيم، حيث تنشر حريات لا يستهان بضررها.. ويدفع الإنسان الغربي لها ثمناً من إنسانيته لا يستهان به أيضاً[٢].

إن القضايا المطروحة في هذه المؤتمرات غاية المراد منها تسويق كل ما هو غربي وعولمته من عالم القيم والمصالح، وما يطرح في هذه المؤتمرات لا يصلح للطرح على المستوى الدولي، ولا يمكن تحويلها عن طريق هذه المؤتمرات ولا عبر الاتفاقيات أو التوصيات أو القرارات إلى أرضية مشتركة للأسرة البشرية[٣]، لأن هذا الإلزام يتنافى مع مبادئ الحريات والحقوق الإنسانية الأساسية من منطلقاتهم هم.

وهي قضايا شخصية أسرية، وخصوصيات، وثقافات مجتمعاتية، وحضارات أمم، وعلى هذا فالإلزام عن طريق القرارات، إنما هو اعتداء سافر وتناقض صريح مع ما ينادون به من حريات شخصية وحقوق إنسان، ومن هنا يظهر زيف الشعارات التي يرفعونها ويلوحون بها في هذه المؤتمرات مثل الدفاع عن الحقوق والحريات وحقوق الإنسان.. حقوق المواطنة، حقوق الأقليات، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل.. غيرها من الحقوق غير المنتهية التي ما هي إلا خديعة للعالم وخاصة المسلمين من أجل نزع حرياتهم وزعزعة خصوصياتهم[٤].

١/ ٨/ ٢٠٠٠م. وانظر سيد قطب في الظلال الجزء الثاني تفسير سورة النساء في الآية المشار إليها أعلاه وهنا كلام عجيب وموفق لسيد رحمه الله إذ وضع الدواء على الداء في شرحه لهذا الآية وهذا مقتطف من كلامه في شرح الآية الكريمة.

(١) النساء آية ٢٧.

(٢) نبيل شبيب: المؤتمرات الدولية، والمرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعادة ما تتناول هذه المؤتمرات قضايا الفرد والأسرة والقيم الأساسية في حياة الإنسان بصورة مباشرة، نظراً إلى انعقادها لهذا الغرض، وقد تتناول هذه القضايا رغم عدم وجود علاقة مباشرة بها لكنها تستند إلى تشابك العلاقات البشرية ومجالات الحياة الإنسانية، وهي حجة كاذبة، ويظهر ذلك عندما تُحول قضايا التمويل أو التنمية إلى صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، بل وتُرهن مناقشتها والتوصل إلى اتفاقات ما بصددها إلى حين الحسم في القضايا الأخرى ذات العلاقة المباشرة بالقيم الذاتية الفردية والاجتماعية، كقضايا العلاقات بين الجنسين، وهذا ضرب من ضروب الابتزاز على مستوى دولي "رفيع"، وهو ما كان مرافقاً لمعظم المؤتمرات الدولية المعنية، وعلى وجه الخصوص تلك المؤتمرات التي تناولت قضايا تهم البلدان النامية[١].

إن هذا السلوك الدولي بأشكاله المتعددة تجاوز مستوى الاعتداء المتواصل على "الممتلكات والثروات المادية " كما عرفته أشكال الاستعمار القديم والحديث العسكرية والسياسية والاقتصادية إلى الاعتداء المباشر على " الممتلكات والثروات المعنوية " من معتقدات وقيم وتصور ومناهج وثوابت حضارية على اختلاف أشكالها وتعدد تنوعها البشري كان يسبب حدة النزاعات القديمة ويطورها إلى كوارث إنسانية[٢].

ولكن السبب الرئيسي الذي مهد وأدى إلى هذا التطور الخطير اليوم، هو ذلك الاعتقاد السائد عند الغرب بأن انفراط عقد النظام الشمولي وانهياره، يعتبر انتصاراً عالمياً للرأسمالية الغربية وانتصاراً للأفكار السائدة في المنظومة الرأسمالية وهو ما كان يحلم به الغرب من زمن بعيد، وإن الانتصار مهما طال سيكون حليفهم في هذه الحرب الباردة. ومن هنا جن جنون الغرب الرأسمالي بقيادة أمريكا فبدأت بالاجتياح العسكري والاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي في كل مكان لتتسلم بذلك ورثها من النظام المفكك الأوصال في الشرق، حتى تعدت بذلك على القيم والأخلاق والأعراف والعادات والديانات والحضارات وغير ذلك، ووظفت هذا الانتصار الموهوم في طرح كل ما هو غربي وغريب على المجتمعات من خلال هذه المؤتمرات بأسلوب الابتزاز والإكراه والضغوط باسم العولمة! أو الهيمنة! أو لنقل الأمركة! إذ الغالب الآن طرح كل ما هو أمريكي على أنه في أعلى درجات سلم الرقي

---

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) المرجع السابق، ص ٤١، ٤٢.

والحضارة والثقافة والتحديث، وإن كان الذي يعولم هو فقط ما فيه الانحلال والترهل وسفساف الأمور باسم ثورة المعلومات والتكنولوجيا الغربية والحضارة المتفوقة. وقد روجت لذلك بمقالات عدة منها على سبيل المثال: مقالة نهاية التأريخ، وصدام الحضارات، لفوكوياما وهونتغتن على التوالي.

وفي تفصيل أكثر يمكن الإشارة إلى ما تدعو إليه هذه المؤتمرات(١) إنها تدعو إلى:

أولاً: إغفال الدين واستبعاده تماماً من تقنينات هذه المؤتمرات وفصل الدين عن الدولة. واعتبار الإنسان سلعة سوقية تخضع لقانون العرض والطلب وليس خلقة إلهية تستوجب التكريم والحماية والصيانة كما قال تعالى:**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}**(٢).

ثانياً: إلغاء جوانب تشريعية معلومة من الدين بالضرورة كتعديل نظرة الإسلام في قسمة التركة بين الذكر والأنثى. وهذه دعوة مرفوضة شرعاً لأنها تلغي تشريعاً وارداً مفروضاً قال تعالى:**{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً}**(٣)، وكذلك تحديد هذا النصيب في آية أخرى مثل قوله تعالى:**{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}** إلى آخر الآية (٤)، وقد ترث المرأة أكثر من حظ عشرة من الرجال كما في بعض الحالات(٥).

ثالثاً: العمل على هدم الأسرة وتكريس المفهوم الغربي للأسرة من خلال الدعوة إلى التغيير في شكل الأسرة حيث إن البرنامج يرى " أن عملية التغيير الديمغرافي والاجتماعي والاقتصادي السريع في أنحاء العالم أثرت على أنماط تكوين الأسرة وهيكلها، أما الأفكار القديمة التقليدية للتقسيم على أساس الجنس للمهام الأبوية والمهام المنزلية فلا تعكس الحقائق والتطلعات الراهنة " بل يصرح برنامج الأمم المتحدة أن الأهداف تتمثل في وضع

---

(١) د. عبد الله العبيد – عن رسالته كأمين عام لرابطة العالم الإسلامي إلى مؤتمر المرأة ٢٠٠٠م – عن مجلة المجتمع العدد ١٤٠٤.
(٢) الإسراء آية ٧٠.
(٣) النساء آية ٧.
(٤) (النساء آية ١١).
(٥) انظر فؤاد آل عبد الكريم – العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة – البيان ١٧٠ ص٣٩، وانظر مؤتمر ٢٠٠٠، ومؤتمر ١٩٩٦ في تركيا، ومؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية في كوبنهاجن ١٩٩٥م.

سياسات وقوانين تأخذ في الاعتبار تعددية أشكال الأسرة، مع مطالبة الحكومات بتطوير الآليات الكفيلة بتوثيق التغييرات، وأن تجري الدراسات بصدد تكوين الأسرة وهيكلها. وهذه عبارة تتضمن تشجيعاً ضمنياً للاعتراف بالأسرة المتكونة خارج الإطار الشرعي سواء كانت بين رجل وامرأة بدون زواج أو بزواج أو بين رجل ورجل أو بين امرأة وامرأة كما هو موجود في بلاد الغرب. وهذا شيء يتناقض مع الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه السامية. كما أن في هذا قطع لدابر النسل البشري ولا يمكن فرضه على المسلمين. وإن ولوج هذا المنحى يعتبر بمثابة إعلان حرب على المسلمين وعلى الفضيلة أينما وجدت [(١)].

رابعاً: رفع ولاية الآباء عن أولادهم: وذلك من خلال برنامج يضمن وصول الخدمات المتعلقة بالصحة الجنسية والتناسلية بما في ذلك حالات الحمل المتكرر والتثقيف الجنسي والوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية "الإيدز" وغيره من الأمراض التي عادة ما تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، ويؤكد برنامج الأمم المتحدة أنه يجب ضمان سريتها وخصوصيتها بدعم وتوجيه الوالدين، وبما يتمشى مع اتفاقية حقوق الطفل. وفي هذا مخالفة صريحة لروح الشريعة الإسلامية ونصوصها حيث حمّل الإسلام الأبوين مسئولية كبرى في تربية أولادهم وإعدادهم لتحمل أعباء الحياة[(٢)] وفي ذلك يقول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}** [(٣)]ويقول رسول الله ﷺ : **«كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الرجل راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»** [(٤)].

وقوله ﷺ : **«كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»** [(٥)].

---

(١) انظر د. عمر عبيد حسنة – في تقديمه لكتاب الأمة – العدد ٨٣ بعنوان التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة ص٢١ – ٢٢ وانظر مؤتمر القمة العالمي المنعقد في نيويورك ١٩٩٠م عن البيان ١٧٠ ص٣٨ – ٣٩

(٢) انظر عمر عبيد حسنة المرجع السابق ص٢٢، وانظر المؤتمر الدولي المعني بالسكان في المكسيك ١٩٨٤م عن البيان ١٣٠ ص٣٨، وهذا يتضمن الفقرة السابقة من وثيقة المؤتمر والسكان المنعقد في القاهرة، ١٩٩٤م، انظر الحسيني سلمان: جاء وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية كتاب الأمة الصادر في قطر، العدد (٥٣)، ص٥٦.

(٣) التحريم آية ٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب العبد راع مال سيده رقم (٢٢٣٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين رقم (١٢٩٦).

خامساً: رفع سن الحد الأدنى للزواج: ويتضمن برنامج الأمم المتحدة عبر مؤتمراته وخاصة مؤتمر (المرأة ٢٠٠٠) المنعقد في نيويورك الدعوة إلى الحرية الجنسية والإباحية للمراهقين والمراهقات والتبكير بها مع تأخير سن الزواج، وفي هذا معارضة واضحة وصريحة لتعاليم الإسلام التي تدعو إلى الزواج وتحث عليه ما دامت الاستطاعة قد وجدت والقدرة عليه قد تحققت وفي ذلك يقول الله تعالى:**{وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**[١]، وقوله ﷺ : **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»**[٢].

وإن موقف الإسلام واضح المغزى والمنطلق، إنه يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين فلا تنتهي إلا إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي[٣]، إنه الحفاظ على المجتمع والحرص على طهارته وإعلاء راية العفة والحشمة في ربوعه، ولم يكتف الإسلام بهذا بل سد ذرائع الفساد وحث على غض الطرف وجعله من الآداب النفسية ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجه والأجسام وإغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم[٤].

قال تعالى:**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}**[٥] وهذا الأدب عام وشامل للرجال والنساء كما هو مذكور في الآية التي بعدها، وقال ﷺ : **«يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك»**[٦]، وقال ﷺ : **«النظرة سهم من سهام إبليس»**[٧].

---

(١) النور آية ٣٢.

(٢) أخرجه الأمام أحمد والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٩٧٥.

(٣) سيد قطب، عن ظلال القرآن في تفسير سورة النور، ج٥، ص٢٥١١، ص ٢٥١٢، دار الشروق.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) النور آية ٣٠.

(٦) الحديث أخرجه أبو داود كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، رقم (١٨١٧)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه: 'إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر...'.

(٧) الحديث ضعيف وأحسن منه ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه " إن الله كتب على ابن

إن إطلاق النظر بدون قيـد ولا رادع ولا حيـاء لا يـورث إلا سـعاراً جنسـياً مجنونـاً لا يرتوي صاحبه ولا تهدأ نفسه إلا ويعود مرةً أخـرى إلى الظمـأ والانـدفاع، والواقـع الغربـي المتحلل من كل حياء وعفة، أكبر شاهد على هـذه الحـال فإنـه رغـم مـا يشـاع مـن أن هـذا الانطلاق وهذه الحرية إنما هو تنفيس وترويح وإطلاق للرغبات الجنسية ووقايـة مـن الكبـت والعقد وتخفيف من الضغط الجنسي إلا أن العكس صحيح وزيادة عليه فإن الإرث الحقيقـي لذلك والعاقبة الوخيمة هي الأمراض النفسية الفتاكة والأوبئة الخبيثة القاتلة والنسل الضائع الذي لا يعرف لـه أصلاً ولا موئلاً وانتشار الجرائم وارتكاب عظائم الأمور [١].

سادساً: إباحة الزنى [٢]: – وهذه نصوص من مواد المـؤتمر: (ينبغـي أن يكـون الهـدف مساعدة الأزواج والأفراد على تحقيق أهدافهم التناسلية وإعطائهم الفرص الكاملة في ممارسة حق الإنجاب باختيارهم).

وجاء فيه (أنه ينبغي على الحكومات أن تسهل على الأزواج والأفراد تحمل مسئوليتهم عن صحتهم التناسلية والجنسية بإزالة ما لا لزوم لـه من عوائـق قانونيـة وسـريرية وتنظيميـة تقف في وجه اكتساب المعلومات والحصول على خدمات وأساليب تنظيم الأسرة).

تشير هذه النصوص بخفي العبارة ولحن القول إلى إباحة الممارسات الجنسية بغير ضـابط من دين أو قانون، بل وينبغي بحسب الإشارة في النص تسهيل ذلك وتيسـير السـبل الكفيلـة بإتمام ذلك على أكمل ما يمكن.

وإن في ذلك محاربة واضحة لدين الله ومعارضة لما جاء في كتـاب الله تعـالى مثـل قولـه سبحانه وتعالى:**{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}**[٣] وفيه أيضاً إشارة إلى إبطال حدود الله التي جاءت في القرآن أو السنة لأنها – حسب فهمهم وبغـيهم – عوائـق في وجـه الإباحية والارتكاس في حمأة الرذيلة.. [٤].

آدم حضه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر..."

(١) انظر سيد قطب في ظلال القرآن تفسيره الآية المذكورة أعلاه في سورة النور، ص ٢٥١١.

(٢) انظر د. الحسيني: وثيقة مؤتمر السكان، ص ٥٨ مرجع سابق.

(٣) الإسراء آية ٣٢.

(٤) انظر المؤتمر الدولي المعني بالسكان في المكسيك ١٩٨٤م عن البيان ١٣٠ ص٣٩، وانظر وثيقة المـؤتمر العـالمي الرابع المعني بالمرأة في بكين ١٩٩٥م عن البيان العدد ١٣٠ ص٣٨، وانظر د. الحسيني سـليمان جـاد: وثيقـة المؤتمر السكان والتنمية، ص ٥٧، مرجع سابق.

سابعاً: إباحة الإجهاض: بدعوة برنامج الأمم المتحدة ضمنياً إليه من خلال الاهتمام بالمراهقين والمراهقات وتثقيفهم عبر برامج الرعاية الصحية التناسلية وهذه نصوص واضحة في ذلك مثل قولهم: (ينبغي أن تكون برامج الرعاية الصحية التناسلية والجنسية مصممة لتلبية احتياجات المرأة والفتاة المراهقة)، وكذا معالجة (قضايا المراهقين المتصلة بالصحة الجنسية التناسلية بما في ذلك الحمل غير المرغوب فيه) [(١)].

وفي هذا كله مخالفة صريحة وحرب شعواء على الدين، وخروج على الفطرة الإنسانية، وقد قال تعالى:**{وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}**[(٢)].

ثامناً: الضلال في معالجة الإيدز: ولمعالجة هذه المعضلة بل العقوبة الربانية لجأت الأمم المتحدة إلى طريقة خسيسة ودنيئة لتشجيع الزنى وذلك بتوفير ما يسمى بالواقي الذكري جيد النوعية وكذلك إتاحة العقاقير الخاصة بهذا الأمر ونسوا بل تناسوا أنه لن يتم لهم ذلك (أي معالجة هذا الوباء الخطير) إلا باتباع تعاليم الإسلام الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا ووضع لها حلاً [(٣)].

تاسعاً: الدعوة إلى تحديد النسل بسبب الرزق [(٤)]: وفي هذا من الجهل والضلال ما لا يخفى إذ أن الله تعالى قد تكفل بالأرزاق في الأرض ما يكفي لسد حاجات البشرية كلها من يوم خلق الله السماوات والأرض إلى يوم القيامة، قال الله تعالى:**{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}**[(٥)]. وقال تعالى:**{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا**

---

(١) عن مؤتمر الأمم المتحدة المرأة ٢٠٠٠م المساواة والتنمية والسلام في القرن الـ ٢١ المنعقد في نيويورك.

(٢) الأنعام آية ١٥١.

(٣) انظر المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية المنعقد في البرازيل عام ١٩٩٢م عن البيان ١٧٠ ص٣٨ – ٣٩، والمؤتمر العالمي الأول للسكان في رومانيا عام ١٩٧٤م المرجع السابق ص٣٨ وكذا مؤتمر عام ١٩٧٩م تحت عنوان القضاء على كافة أشكال التمييز نفس المرجع ص ٣٧ وانظر د. الحسيني: وثيقة مؤتمر السكان، ص ٦١، مرجع سابق.

(٤) د. عبد الله العبيد – رسالة منه كأمين عام لرابطة العالم الإسلامي إلى مؤتمر المرأة ٢٠٠٠ – عن مجلة المجتمع العدد١٤٠٤ ١٣/ ٦/ ٢٠٠٠م وانظر مجلة الأسرة العدد ٩١ ص١٨، وانظر د. الحسيني جاد: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية، ص (٦٧ – ٧٠) مرجع سابق، وانظر محمد يوسف: أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، دار الاعتصام، ط١ / ١٩٧٥م، ص ٧٥ وما بعدها.

(٥) الأعراف آية ١٠.

رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَــه بِــرَازِقِينَ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾**(١).

وقال رسـول الله ﷺ: **«لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغه آخـر رزق هو لــه، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، أخذ الحلال وترك الحرام»** (*).

وتدعو قوى العولمة إلى تحديد النسـل في بـلاد المسـلمين مسـتنفدة بـذلك غايـة جهـدها ومستخدمة شتى الوسائل الاختيارية، أو الإجبارية إن أمكن، بل لقد قررت اللجوء إلى قطـع المعونات الاقتصادية عن بعض الدول التي لا تستجيب لمسألة خفض السكان.

ففي المؤتمر الثالث الذي عقدته هيئـة اليونسـكو في سـان فرنسيسـكو بحضـور مائـة مـن العلماء لبحث مشكلة التضخم السكاني والحد منـه في الـدول الناميـة يعلـن (لـي دوبـريج) المستشار العلمي للرئيس نكسون أن الاحتفاظ بالعدد الحالي لسكان العالم دون زيـادة مسـألة هامة وحيوية، وأن الولايات المتحدة باتت تفكر في قطع معوناتها الاقتصادية عن الدول الـتي لا توقف تزايد سكانها، وقال: إن استخدام مركبات منع الحمل في مياه الشرب والطعام، قـد يكون حلاً لهذه المشكلة في الدول النامية.

وفي نفس الوقت تعمل (قوى العولمة) على تشـجيع النسـل في بلـدانها، وتـرفض تمامـاً تحديد النسل، بل إنها لا تنكر أي علاقات غير شرعية تثمـر مئـات الألـوف مـن أبنـاء الزنـا واللقطاء. المهم هو استمرار نمو سكانها كما جاء على لسان رؤسائها إيزنهـاور (١٩٥٩م) في مؤتمر لـه، وعلى لسان نكسون (١٩٧٢م) الذي أكد موقف إيزنهـاور مـن تحديـد النسـل في هذه الدول، بل تتسابق الدول المتقدمة في إعطاء جائزة لأفضل أم منجبة ولأحسـن أب ينـتج أكثر وتقرر لكل طفل عدداً من الجنيهات (٢).

وهذا مشاهد تماماً حيث لا يوجـد أي قـانون ردع للعلاقـات غـير الشـرعية، بـل علـى العكس، تعمل تلك الدول على تشجيعها، وإضفاء الشرعية عليها بمـا تعملـه مـن مـؤتمرات تحت شرعية الأمم المتحدة.

---

(١)الحجر آية ١٩، ٢٠، ٢١.

(*) هو في الترغيب والترهيب للمنذري وهو عند الحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه وصححه الألبـاني في صحيح الجامع الصغير الجزء الأول تحت رقيم ٧٣٢٣

(٢) انظر محمد يوسف: أهداف الأسرة في الإسلام، ص ٨٢ مرجع سابق.

وهذا كيلنتون يصعد إلى الفوز بالرئاسة، بعد وعده للشواذ بالاعتراف بحقوقهم رسمياً، والسماح لهم بممارسة ما يشتهون من غير زجر أو حتى توبيخ!!

ويا للأسف كأنهم استلهموا ما عند المسلمين من حث على زيادة النسل والتكاثر الذي هو من صميم الدين الإسلامي فعملوا به وتركناه نحن المسلمين.

فالرسول ﷺ يقول: «**تزوجوا الولود الودود فإن مكاثر بكم**» [(١)] وفي حديث آخر: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى**» [(٢)]. وإن كان في هذا الحديث ضعف إلا أن الحديث الأول يشهد له ويعضده.

تركنا هذه التعاليم ولجأنا بدافع الانبهار بما عليه الغرب إلى تعاليمه، واستلهمنا منها ما يؤدي إلى ضعفنا وهزيمتنا.

تعمد الأمم المتحدة إقصاء الدين:

وإن من المؤسف ألا يعتمد برنامج الأمم المتحدة الأديان مرجعية له البتة[(٣)]، بل أزاح الدين بأكمله عن سياسة الدنيا، وأهمل كثيراً من القيم الفاضلة والمبادئ السامية التي تدعو إليها الأديان، بالرغم من تأثيرها في تسيير دفة الحياة عامةً لو كان لها وجود، ومما يدعو للأسف أيضاً أن برنامج الأمم المتحدة يتناسى في مرجعيته كون الإنسان مخلوقاً مكرماً يستوجب الحماية والصيانة كما قال تعالى:**{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}**[(٤)].

بل إن المتتبع لخطوات برنامج الأمم المتحدة الخاص بالمرأة منذ البداية (منذ عام ١٩٤٦م)، حينما أُنشئت لجنة مركز المرأة كهيئة رسمية دولية تتألف من خمس وأربعين دولة، يجد أنها جعلت من دستور الأمم المتحدة وميثاقها الذي أبرم بتاريخ ٢٦/٦/١٩٤٥م والذي يقضي على عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس كما جاء في مادتيه الأولى والثانية – جعلت

---

(١) أخرجه النسائى كتاب النكاح باب كراهية تزويج العقيم (٣١٧٥) وهو في صحيح الجامع للألبانى رقم (٢٩٤٠).

(٢) رواه ابن ماجة فى سننه كتاب النكاح باب تزويج الحرائر رقم (٨٥٨) وهو في صحيح الجامع للألبانى رقم (٢٩٤١).

(٣) انظر د. محمد بن عبد الله الشباني: السكان والتنمية من المنظور الإسلامي، مجلة البيان، العدد (٨٥) فبراير ١٩٩٥م، ص٤٣ وما بعدها

(٤) الإسراء آية ٧٠.

هذه اللجنة هاتين المادتين من أوليات اهتماماتها، وعلى ذلك فقد استخدمت قضية عدم التفريق بين الناس (المساواة) في تمرير كثير من القضايا التي تنادي بها الأمم المتحدة لعولمة النموذج الغربي للمرأة في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية الثقافية والإعلامية.. إلخ [١].

ولما صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام ١٩٤٨م نجد أنه أفسح المجال للمرأة أكثر حتى نص في مواده على كافة الحقوق الإنسانية المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وأكد في مواده أيضاً على أنه لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في الإعلان دونما تمييز أو تفريق بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسياً وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو أي وضع آخر [٢].

والملاحظ هنا كيفية صناعة الكلمات وإجادة حبكها وصياغتها فلا يتخللها مجالاً للنكوص أو التملص، حتى يقع المسلمون وغيرهم في الشراك المصنوع لهم بأسلوب ماكر وخبيث.

وفي المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية المنعقد في (١٩٥١م) أكد ضمن مواده على المساواة في الأجور بين العمال والعاملات [٣].

ولقد شددت الأمم المتحدة على هذه النقطة بالذات في العام ١٩٦٦م ضمن العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتفق عليه وكذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية [٤].

وفي العام ١٩٦٧م صدر الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة: أكدت الأمم

---

(١) انظر فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم – العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة – عن مجلة البيان العدد (١٧٠) ص٣٦، ٣٥، ومجلة الأسرة (٩١) ص١٨، وانظر الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة نيويورك ١٩٩٥م، وانظر د. أحمد محمد علي الأمين الأسبق لرابطة العالم الإسلامي: العلاقة بين الرجل والمرأة تغالب أم تكامل، مجلة الأسرة، ص ٨١

(٢) انظر فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم المرجع السابق عن محمد الزحيلي في حقوق الإنسان في الإسلام، ومجلة الأسرة (٩١) ص١٨.

(٣) انظر فؤاد بن عبد الكريم المرجع السابق عن سامية بنيسي – المرأة في الإسلام – وعن محمد بسيوني – حقوق الإنسان ومجلة الأسرة (٩١) ص١٨ – ١٩.

المتحدة فيه: -

حق المرأة الدستوري في التصويت والمساواة مع الرجل أمام القانون.

حقوقها في الزواج والتعليم ومبادئ الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل سواء بسواء [١].

وفي خطوة أخرى جريئة ضد أمة الإسلام خصوصاً والشعوب الأخرى عموماً نرى الأمم المتحدة تعقد مؤتمرها هذه المرة في طهران باعتبارها في عقر دار الإسلام بغض النظر عن عقيدة المسلمين منها أسمته (إعلان طهران ١٩٦٨) نص في بنده الخامس عشر على أن: (يتم القضاء على كافة أنواع التمييز ضد المرأة وضرورة تنفيذ كل أحكام الإعلام العالمي لحقوق الإنسان) وتمهيداً لما سيأتي من مؤتمرات بعده.. ألحقت مادة في البند السادس عشر تنص على أن حماية الأسرة والطفل تظل مسألة شاغلة للمجتمع الدولي كافة [٢].

ثم لم تلبث الأمم أن تقدر زيادة عدد المؤتمرات الخاصة بالمرأة تحت رعاية الأمم المتحدة، وفي حين غفلة من الأمة الإسلامية وتبعية واضحة تترنح تحتها وبزخرف من القول جذبت الأمم المتحدة إليها كثيراً من الدول، على أنه لا ينبغي التناسي بأن من يحضر سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي سيكون ملزماً بتنفيذ كل ما سيتخذ من إجراءات أو من قوانين أو توصيات ومن هنا يأتي الخطر الأعظم، الخطر الذي سيعم كل العالم تقريباً تحت مظلة الأمم المتحدة.

فكان أول مؤتمر يعقد خاص بالمرأة هو: مؤتمر مكسيكو عقدته الأمم المتحدة تحت شعار إنساني أخاذ وبعيد عن أي استفزاز لمشاعر المسلمين وهو " المساواة والتنمية والسلم " وذلك في عام ١٩٧٥م حضرته ١٣٣ دولة واعتمد فيه أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي في المجالات السياسية والاجتماعية والتدريب والعمل على حماية الأسرة واعتمدت هذه الخطة لرسم سياستها عقداً كاملاً من الزمن يعني إلى عام ١٩٨٥م [٣]. وفي عام

(١، ٢، ٣) فؤاد عبد الكريم، المرجع السابق، ومحمد بسيوني في حقوق الإنسان ج١، ص٣٢.

(٣) وكان قد عقد قبله المؤتمر العالمي الأول للسكان في بوخارست ومؤتمرات السكان تعالج مشكلة تزايد الأعداد البشرية ومجمل معالجتها تهتم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالمرأة والأسرة، انظر الأسرة (٩١) ص٣٧.

١٩٧٩م عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤتمراً تحت شعار " القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة ".

فخرج المؤتمر باتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وكانت ولأول مرة صيغته ملزمة قانونياً للدول التي توافق عليها [(١)].

ومما برز من مواد هذه الاتفاقية:

١ - الاعتراف بتساوي الرجل والمرأة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية أو غيرها بغض النظر عن حالتها الزوجية.

٢ - اتخاذ جميع التدابير المناسبة - بما في ذلك التشريعي منها - لتغيير أو إبطال الموجود من القوانين والأنظمة والأعراف التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

٣ - تعديل الأنماط الاجتماعية والثقافية للقضاء على العادات القائمة على فكرة تفوق أحد الجنسين أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة.

٤ - وكذلك القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور الرجل والمرأة على جميع مستويات التعليم، وفي جميع أشكاله، عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم.

٥ - يجب على جميع الدول التي وافقت على حضور المؤتمر منح المرأة أهلية قانونية في الشؤون المدنية مساوية أو مماثلة لأهلية الرجل ونفس فرص ممارسة تلك الأهلية.

٦ - أن يكون للمرأة نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسؤولية عدد أطفالها والفترة بين إنجاب طفل وآخر.

٧ - وأن يكون للمرأة نفس الحقوق فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال.

والملاحظ في هذه المواد استعمال كلمات المساواة والمماثلة - نفس الحقوق - التي تقف عموماً ضد أي تشريع أو قانون أو أعراف أو تقاليد وتبقى توصيات وقرارات المؤتمرات بمثابة دينٍ ينبغي على الجميع اعتناقه.

أليس هذا تشريعاً واتخاذ أرباب من دون الله؟!

---

(١) فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم عن البيان (١٧٠) ص٣٧.

وفي نفس المشروع عقدت الأمم المتحدة عدة مؤتمرات وتحت الشعار نفسه " المساواة والتنمية والسلم " ففي عام ١٩٨٠م عقد المؤتمر العالمي الثاني في كوبنهاجن بالدانمرك وذلك لاستعراض وتقويم التقدم المحرز في تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الأول للسنة الدولية الذي عقد في المكسيك.

وفي عام ١٩٨٥م عقد مؤتمراً عالمياً ثالثاً في نيروبي. لاستعراض وتقييم المنجزات السابقة التي عقدت من أجل الغرض نفسه: المرأة تحت شعار " المساواة – التنمية – السلم "، وعرف باسم " استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة "، وذلك من عام ١٩٨٦م حتى عام ٢٠٠٠م. وقد شارك فيه (١٥٧) دولة. وبينت فيه الأهداف والغايات واحتاطت فاتخذت التدابير الملموسة للتغلب على كل العقبات [(١)].

وفي عام ١٩٩٥م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة) في بكين. وقد دعت فيه إلى مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق أهداف استراتيجيات نيروبي.

وقد تميز هذا المؤتمر عن سابقيه بالدعوة (بصريح القول ووضوح العبارة) إلى ما يخالف الشرائع السماوية والفطرة الإنسانية وتمثل ذلك في: –

الحرية والمساواة بين الجنسين.

السماح بالحرية الجنسية.

التنفير من الزواج المبكر.

العمل على نشر وسائل منع الحمل.

الحد من خصوبة الرجال.

تحديد النسل.

السماح بالإجهاض المأمون.

---

(١) فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم عن البيان (١٧٠) ص٣٧.

التركيز على التعليم المختلط.

التركيز على تقديم الثقافة الجنسية للجنسين بسن مبكرة.

تسخير وسائل الإعلام لتحقيق تلك الأهداف والوصول إلى ما يريدون من غايات وفي ذلك كله سلباً لسياسة الدين على العباد، ولولاية الآباء على الأبناء، ولقوامة الرجال على النساء.

إذاً لقد أصبحت الحقيقة بادية للعيان ولا تخفى على أحد، إن هذه المؤتمرات أو المؤامرات على الإسلام والمسلمين - إن صح التعبير - تعنى بالدرجة الأولى استهداف الأسرة المسلمة حيث تعتبر - كما أسلفت - من أواخر الحصون الإسلامية التي لما تسقط بعد، سواء على المستوى الثقافي، أو الاجتماعي، أو القانوني، لذلك لا بد من إسقاطها وإغراقها في الفلسفات والممارسات التي سقطت فيها الأسرة في الحضارة والثقافة الغربية.

إنها دعوة صريحة ترمي إلى انحلال الأسرة وبعثرتها وابتداع بدائل اجتماعية غربية لها[١].

ويا ليتها وقفت عند هذا الحد بل كثفت الأمم المتحدة من عقد المؤتمرات التي لا تمت للمرأة بأي صلة ومع ذلك فقد أقحمتها فيها وفرضت - تحت غطاء الشرعية الدولية - ما تريد من قرارات وتوصيات منتهكة بذلك الحريات الشخصية والسيادات الدولية وحقوق الإنسان، باسم حقوق الإنسان حيث أقامت الأمم المتحدة مؤتمرات خاصة بالسكان - والبيئة والتنمية - المستوطنات البشرية، إلى أن وصلت إلى مؤتمر الإفساد الكبير - بحسب عبد الرحمن سعد - مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام ٢٠٠٠م تحت شعار " المساواة - التنمية - السلام في القرن الـ٢١ " الذي انعقد في نيويورك.

ولتسليط الضوء على هذه المؤتمرات التي لا علاقة للمرأة بها ظاهراً أعرج بشيء من الاختصار إلى ذلك.

حيث أقامت الأمم المتحدة المؤتمر العالمي للسكان في رومانيا عام ١٩٧٤م. فاعتمدت خطة عملها أسساً ومبادئ عديدة، دعت فيها إلى:

١ - الدعوة إلى تحسين دور المرأة ودمجها الكامل في المجتمع ومساواتها بالرجل.

---

(١) عمر عبيد حسنة - تقديم في كتاب الأمة التفكيك الأسري الأسباب والحلول المقترحة - ص٢٣، وانظر د. أحمد محمد علي العلاقة بين الرجل والمرأة، عن مجلة الأسرة، (٩١) ص ١٨.

٢ – معالجة مشكلة تزايد الأعداد البشرية.

٣ – مساواة المرأة بالرجل.

٤ – تحديد النسل.

ثم ألحقت ذلك بمؤتمر دولي خاص بالسكان وذلك في المكسيك عام ١٩٨٤م دعت فيه من جديد وأحيت ما تظن أنه ربما قد درس خلال العقد المنصرم مثل:

١– إعطاء المرأة حقوقها المساوية للرجل في جميع مجالات الحياة.

٢– رفع سن الزواج.

٣– تشجيع التأخر في الإنجاب.

٤– إشراك الأب في الأعمال المنزلية والعكس أي إشراك المرأة في المسئولية الأسرية أي دعوتها إلى العمل خارج المنزل مساواة بالرجل.

٥– ولم تغفل الدعوة إلى الإقرار بالأشكال المختلفة والمتعددة للأسرة وفي هذا البند جرأة ووقاحة على الديانات والأعراف والتقاليد وابتزاز للثقافات وإقصاء للشرع الإسلامي.

٦– الدعوة إلى التثقيف الجنسي للمراهقين من الجنسين.

٧– وأقرت العلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة (الزنى**!!**).

٨– ولا يفوتنا أن ننوه إلى أنها أقرت وأوجبت الدعم المادي والمعنوي للزانيات والزناة وتوفير السكن الملائم لهم.

كل ذلك يتم في صمت رهيب من المسلمين القائمين على "الأمر والنهي**!** "، وكأن الأمر لا يعنيهم أبداً، إنها حرب ضروس على الإسلام وعلى معتنقيه، بل وفرض دين جديد ولسان حال الأمم المتحدة تحت تحكم الأمريكان يقول كما قال تعالى على لسان فرعون:**{أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}**[1]، وقوله:**{مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ}**[2]، وصدق

(1) النازعات آية ٢٤.
(1) غافر آية ٢٩.

الله العظيم إذ يقول:{وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً}[١]،

إنهم بهذه القرارات وسابقها ولاحقتها يريدون كما أخبر الله عنهم أن يطلقوا الغرائز من كل عقال ديني أو أخلاقي أو اجتماعي [٢].

ولا يمكن أن يترك المجال لذوي الانحراف واتباع الهوى، الذين يشرعون للناس ما لم يأذن به الله، وإن هذه الآية القصيرة المشار إليها أعلاه بحسب سيد قطب تدمغ باطلهم وتدحض حججهم:

و«تكشف عن حقيقة ما يريده الله للناس بمنهجه وطريقته، وحقيقة ما يريده بهم الذين يتبعون الشهوات ويحيدون عن منهج الله.. يريد الله تعالى حين يبين لهم منهجه، ويشرع لهم سننه، أن يتوب عليهم ويهديهم ويجنبهم المزالق، ويريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة.

وأما الذين يتبعون الشهوات ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله ولم يشرعها لعباده، إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم.

إن هذه الآية وما قبلها تواجه في الحقيقة ميداناً خاصاً هو ميدان تنظيم الأسرة وتطهير المجتمع، وتحديد الصور النظيفة الوحيدة التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجال والنساء، وإرادة التيسير وإرادة الخير بالجماعة المسلمة على كل حال، وتحريم ما عداها من الصور، وتشنيعها وتقبيحها في القلوب والعيون. أما أولئك فإنهم يريدون أن يطلقوا الغرائز من كل عقال ديني أو أخلاقي، أو اجتماعي، أو.. يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح، من أي لون كان. السعار المحموم الذي لا يقر معه قلب ولا يسكن معه غضب ولا يطمئن معه بيت ولا يسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة. يريدون أن يعود الآدميون قطعاناً من البهائم، ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة كل هذا الدمار، وكل هذا الفساد، وكل هذا الشر باسم الحرية، وهي

---

(٢) النساء آية ٦٧.

(٣) انظر سيد قطب في تفسير الظلال دار الشروق ط/ ١٦ الجزء الأول ص٦٣١.

في هذا الوضع ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة! "[١].

إن الذين يتبعون الشهوات ممن يأخذون بناصية الإعلام الدولي اليوم ويوجهونه لا يألون جهداً في إضلال المجتمع المسلم، ويبذلون قصارى جهدهم لتحطيم ما بقي للمسلمين من حصون منيعة وأسوار عتيدة، ومن هنا نجد سيد يضيف:

"وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه، وهو يحذرهم ما يريده لهم الذين يتبعون الشهوات. وقد كانوا يبذلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية في هذا المجال الأخلاقي، الذي تفوقوا فيه وتفردوا بفعل المنهج الإلهي القويم النظيف، وهو ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة والأقلام الساقطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما يعني من الحواجز في المجتمع دون الانطلاق البهيمي، الذي لا عاصم منه، إلا منهج الله حيث يقره المؤمنون به في الأرض كل الأرض " [٢].

بل إن قلب المفاهيم وتمييع الحقائق وجعل المعروف منكراً والمنكر معروفاً، لهو ما أخبرنا به الصادق المصدوق رسول الله ﷺ حيث يقول: **«كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم؟!»** قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: **«نعم، وأشد. كيف بكم إذا أُمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟!»** قالوا: يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: **«نعم، وأشد. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»**. قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: **«نعم»** [٣].

ولا أبالغ حين أجزم بأن لكل دعوة من دعوات المؤتمرات التي تعقدها الأمم المتحدة عندنا (المسلمين) منها خبراً من رسول الله ﷺ تخبر بأن ذلك كائن قبل قيام الساعة وأشد من ذلك فتناً يرقق بعضها بعضاً.

وسأذكر شيئاً من ذلك عند الكلام على أخطار العولمة.

(1، ٢) نفس المرجع السابق ج/ ٢ ص٦٣١.

(٣) رواه رزين وإن كان في الحديث ضعف إلا أن له شواهد، ولسان الواقع يصدق ذلك، انظر حمود بن عبد الله التويجري: في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢/ ١٤١٤هـ، ج٢/ ص٨٠.

وفي عام ١٩٩٤م أقيم المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة وهذا أيضاً في عقر دار المسلمين وتحدي سافر للأمة الإسلامية، نوقشت فيه قضايا شبيهة بالتي نوقشت في المؤتمر العالمي الرابع ببكين، ومزيداً عليه فقد أفردت القضايا الخاصة بالمساواة بين الجنسين في فصل خاص تحت عنوان (المساواة بين الجنسين والإنصاف وتمكين المرأة)، وأما التنمية فقد أشار عنوان المؤتمر إلى ذلك فضلاً عن قضايا تنمية المرأة التي نوقشت في ثنايا المؤتمر.

وقد أثارت وثيقة المؤتمر ضجة واسعة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، ولكن هل من فائدة مرجوة حقيقية لتلك الضجة واسعة النطاق؟ وهل أوقفت أو سدت الطريق أمام الإفساد والفساد العريض؟!

إلى جانب هذه المؤتمرات أقامت الأمم المتحدة مؤتمرات أخرى ناقشت فيها بعض قضايا المرأة كالتعليم وحقوق الطفل وحقوق التحكم في الإنجاب وتكرار ما سبق من مطالب، وكأن لم يبق شيء إلا وقد تم. وما بقي إلا المرأة في هذا العالم، كل ذلك إمعاناً في تشتيت التجمع الأسري في العالم وخاصة في بلاد المسلمين، فهذا مؤتمر عالمي يعقد في جوستيان – تايلاند عام ١٩٩٠م الذي تم فيه الإعلان العالمي لتوفير التعليم للجميع [١]. وسمي بالـ (المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع).

وفي نفس العام عقد مؤتمراً في نيويورك سمي (مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل)[٢]ركزت الدعوة فيه إلى:

١- حرية الفكر والوجدان والدين.

٢- دعا المؤتمر إلى سلب ولاية الأبوين على الأبناء، وتمكين الطفل من الحصول على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية من غير أي رقيب أو حسيب!

كما عقد مؤتمر ثالث بعد عامين ١٩٩٢م في (ريودي جانيرو – البرازيل)سمي (المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية) [٣] أشير فيه إلى:

١- حقوق النساء في التحكم في قدرتهن على الإنجاب.

---

(١) فؤاد عبد الكريم عن مجلة البيان ١٧٠ ص٣٩.

(٢، ٣) نفس المرجع السابق ص٣٩.

٢- ودعى فيه إلى إنشاء مرافق صحية وقائية وعلاجية للرعاية الصحية التناسلية تكون مأمونة وفعالة.

٣- ودعا إلى تحديد النسل.

٤- وطالب المؤتمرون بتحسين مركز النساء الاجتماعي والاقتصادي.

٥- ووضع استراتيجيات للقضاء على العقبات الدستورية والقانونية والإدارية والثقافية والسلوكية والاجتماعية الاقتصادية التي تحول دون مساواة المرأة بالرجل. إنه غاية في الإحكام والإحاطة والسيطرة وانتقاء للألفاظ والكلمات حتى تقرر وتؤخذ كقوانين إلزامية على كل دول العالم..

ولم تقف جهود الأمم المتحدة عند هذا الحد، بل بعد عام واحد فقط أي في عام ١٩٩٣م تعقد مؤتمراً تسميه (المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان) [1] في النمسا، خرج هذا المؤتمر بالنقاط التالية: -

- يحث المؤتمر على أن تتمتع المرأة تمتعاً كاملاً، وعلى قدم المساواة بجميع حقوق الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وغيرها - بالمفهوم الغربي - وعلى أن يكون هذا الأمر في أوليات اهتمامات الحكومات في العالم.

- التأكيد على مساواة المرأة بالرجل وإدماجها في عملية التنمية بوصفها فاعلة ومستفيدة من هذه العملية..

- حث المؤتمر على استئصال جميع أشكال التمييز ضد المرأة - الخفية منها والعلنية على السواء - وطالب هذا المؤتمر بالتصديق العالمي من قبل جميع الدول على هذا المطلب الحيوي بالنسبة لهم. على أن يتم ذلك في عام ٢٠٠٠م، وفي نفس العام أي في عام ١٩٩٣م[2] أصدرت الأمم المتحدة (إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضاء على العنف ضد النساء).

وبعد عامين حافلين بالمتابعة والسير بخطى حثيثة نحو إجهاض الشكل الأسري المحمود واستبداله بالشكل الأسري المزيف على الطريقة الغربية، عقدت الأمم المتحدة (مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية) في كوبنهاجن عام ١٩٩٥م. خرج المؤتمرون بالقرارات التالية: -

---

(١) نفس المرجع السابق ص٣٩.

١ – الإقرار بأشكال الأسرة المختلفة.

٢ – الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة.

٣ – إسقاط قوامة الرجل على المرأة داخل الأسرة.

٤ – دعوة الرجل لتحمل الأعباء المنزلية.

٥ – ودعوة المرأة للخروج للمساهمة في سوق العمل.

٦ – إزالة القيود المفروضة على المرأة في وراثة الممتلكات.

من خلال هذه القرارات يتضح أن الدعوة إلى الخروج على الفطرة فضلاً عن الخروج على الدين هدفاً استراتيجياً وحيوياً تسعى إليه الأمم النصرانية وخاصة الأمريكان تحت مظلة ما يسمى (بالأمم المتحدة).

ثم يُفاجأ المسلمون بعد سنة من هذا التأريخ فإذا بنا نسمع عن مؤتمر جديد يسمى (مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية) [(١)] (الموئل الثاني) يعقد في تركيا أي في عام ١٩٩٦م دعا هذا المؤتمر إلى التالي: –

١ – كفالة مشاركة النساء مشاركة كاملة على قدم المساواة مع الرجال في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢ – الالتزام بهدف المساواة بين الجنسين في تنمية المستوطنات البشرية.

٣ – الالتزام بإدماج الاعتبارات المتعلقة بنوع الجنس (جندر) في التشريعات والبرامج والمشاريع المتصلة بالمستوطنات البشرية عن طريق التحليل الذي يراعي نوع الجنس.

٤ – الاعتراف بالأشكال المختلفة للأسرة.

٥ – دعا المؤتمر إلى إجراء إصلاحات تشريعية وإدارية من أجل الحصول الكامل – وعلى قدم المساواة – على الموارد الاقتصادية بما في ذلك الميراث والائتمان.

وهذا خروج على الحياة الإنسانية الفطرية التي فُطر الناس عليها، وكذلك استهتار بالدين واستنكاف عليه، ودعوة إلى التمرد على أي سلطة على المرأة، وأن تكون حرة طليقة

---

(١) نفس المرجع السابق ص٤٠.

سائبة هائمة لا دخل لأحد ولا سلطة لـه عليها لا أب ولا زوج ولا قريب ولا بعيد..

وأخيراً ولا أظن أخيراً تأتي الفتنة من أوسع أبوابها، فهاهي الأمم المتحدة تفاجئ العالم الإسلامي وتستنفر مشاعرهم بالمؤتمر المهيمن على كل المؤتمرات السابقة واختارت لـه اسماً فضفاضاً مترامي الأطراف يهدف إلى الإجهاز على كل فضيلة وقيمة نبيلة بقيت أو بقي لها نفس في الحياة. هذا المؤتمر عقد في نيويورك عام النحس ٢٠٠٠م تحت اسم (مؤتمر الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠م – المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين)[1] وقد تضمنت وثيقة هذا المؤتمر التحضيرية بصريح العبارة وركس القول ما يلي: –

– الدعوة إلى الحرية الجنسية والإباحية للمراهقين والمراهقات والتبكير بها مع تأخير سن الزواج.

– إيجاد مسمى جديداً للداعرات أطلقوا عليه (عاملات الجنس).

– تشجيع جميع أنواع العلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة الشرعية(رجلاً وامرأة).

– تهميش دور الزوج في بناء الأسرة.

– إباحة الإجهاض.

– تكريس المفهوم الغربي للأسرة وأنها تتكون من شخصين يمكن أن يكون من نوع واحد (رجل+ رجل أو امرأة + امرأة).

– تشجيع المرأة على رفض الأعمال المنزلية بحجة أنها أعمال ليست ذات أجر.

– المطالبة بإنشاء محاكم أسرية من أجل محاكمة الزوج بتهمة اغتصاب زوجته.

– إباحة الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق).

– الدعوة إلى مراجعة ونقض القوانين التي تعتبر الشذوذ الجنسي جريمة.

– فرض مفهوم المساواة الشكلي المطلق، والتماثل التام بين الرجل والمرأة في كل شيء مما في ذلك الواجبات: كالعمل وحضانة الأطفال والأعمال المنزلية، وفي الحقوق: كالميراث.

---

(١) نفس المرجع السابق ص٤٠، وانظر أحمد عبد الدائم – عولمة الرأسمالية ورأسمالية العولمة – البيان العدد (١٥٩) ٢/ ٢٠٠١م ص١٢٤ وانظر مجلة المجتمع العدد (١٤٠٤) ١٢/ ٦/ ٢٠٠٠م ص٣٠، وفي مجلة الأسرة العدد (٩١) ص٢١ وما بعدها.

– المطالبة بإلغاء التحفظات التي أبدتها بعض الدول الإسلامية على وثيقة مؤتمر بكين.

وأهم هدف في هذا المؤتمر: هو الوصول إلى صيغة نهائية إلزامية للدول بخصوص القضايا المطروحة على أجندة هذا المؤتمر والتي صدر بحقها توصيات وقرارات في المؤتمرات الدولية السابقة تحت إشراف الأمم المتحدة ذات الهيمنة الأمريكية الواضحة.

تغلغل اليهود في صياغة مواثيق الأمم المتحدة:

وغني عن البيان بعد هذا كله أن أشير إلى أن حقيقة هذه المؤتمرات بدلالاتها الواضحة وبيناتها إن هي إلا وسيلة تستخدمها الرأسمالية اليهودية للسيطرة على العالم، وبالنظر إلى حقيقة الأمم المتحدة وعند التأمل بموضوعية في صياغة مواثيقها ومبادئها وقوانينها لا يخفى على ذي لب حجم تدخل اليهود وكبير كيدهم في صياغة تلك المواثيق. وليس ذلك من قبيل التعصب بل هي الحقيقة وسيتجلى الأمر أكثر عند الكلام على وسائل وأدوات العولمة.

ولذلك فإن المشاهد في الأطر الفكرية التي تطرح في المؤتمرات التي تنعقد تحت مظلة الأمم المتحدة، ويطلب ممن يحضرها سواء من حكومات الدول أو من الجمعيات التي تحضر هذه المؤتمرات أن تضع حلولاً مناسبة ما هي إلا أقنعة مزيفة للدخول من خلالها إلى موارد وثروات تلك الدول، وإلى تنميط شعوب العالم وبالذات الإسلامية وصبغتها بالصبغة والنمط الاجتماعي الغربي الذي أصبح يفتقد إلى أي مقوم أخلاقي أو مبدأ نزيه ولا يعترف بالتقاليد أو الأعراف فيما يخص الجوانب الأسرية والروابط الاجتماعية.

فليس غريباً بعد هذا أن تركز هذه المؤتمرات والتي تعقد تحت مظلة الأمم المتحدة على اهتمامات المرأة كما يحلو لهم ويفهمونه وأن تكثف النقاشات والحوارات في هذه المؤتمرات فيما له علاقة بالمرأة وما ليس له علاقة بها ولكنهم يصرون على إدخالها في أجندة ومحاور هذه المؤتمرات.

لقد جعلوا من المرأة شغلهم الشاغل وديدناً يعزفون عليه في كل مناسبة، وليس غريباً أن يُلبس الحق بالباطل وتدغدغ عواطف المرأة في كل مكان باسم حريتها وحقوقها المهضومة فتدعى إلى حضور هذه المؤتمرات لمناقشة مشاكلها ومسائلها باسم حقوق الإنسان وحقوق المرأة وباسم القضاء على التمييز ضدها والقضاء على العنف المنصب على المرأة فيما سوى

المجتمعات الغربية، والنظر إليها على أنها نوع(جندر) وليس (جنساً) وعلى أنها نصف المجتمع وأن طاقاتها مهدرة وإمكاناتها عن العمل والتنمية معزولة وأن الشعوب بحاجة إلى نصفهم المعزول وإبداعات المرأة وإنتاجها وإخراجها من خيمتها (المظلمة) وقوقعتها (المحكمة) وإن في بقائها في البيت إهداراً لكرامتها ومضيعة لما قد تكسبه ويجلب عليها دخلاً يرفع قدرها، ويكون بذلك لها الحرية في اتخاذ قراراتها وإصدار أوامرها ومساواتها من كل الجوانب بالرجل حتى تسهم معه في تنمية مجتمعها والنهوض به نحو الرقي والصعود والتقدم والحضارة – التي يريدون –!!.

خلاصة أهداف المؤتمرات:

وإجمالاً لكل ما تقدم فإن هذه المؤتمرات تستهدف بالدرجة الأولى الأسرة المسلمة التي تعتبر من أواخر الحصون الإسلامية التي لم تسقط بعد سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو القانوني. وتتلخص هذه الأهداف في النقاط التالية:

– لا بد من إسقاط الأسرة المسلمة وإغراقها في الفلسفات والممارسات التي سقطت فيها الأسرة الغربية حيث تحللت من كل القيود والضوابط الأخلاقية والروابط الاجتماعية والعلاقات الأسرية والزوجية على حد سواء.

– التركيز في هذه المؤتمرات دائماً على القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة على تنوع مستمر في الطرح.

– تزيين القيم الغربية الإباحية والثقافية الديمقراطية وبث ذلك عبر وسائل الإعلام والاتصال من إذاعة وتلفاز وفضائيات وإنترنت وصحف ومجلات، كل ذلك تحت غطاء الحضارة والرقي والتمدن.

عمدت هذه المؤتمرات وبإصرار إلى إخراج المرأة المسلمة من ثوب حيائها وعفافها وإلباسها ثوباً غربياً غريباً لا يليق بها ولا يتمشى مع عاداتها وتقاليدها. والعمل بجهد وإصرار على مسخ هويتها وإفقادها ذاكرتها التاريخية وثقافتها الحضارية واستعانة بذلك – بحنكة وإحكام – بكافة وسائل الإعلام المسيطرة على العالم.

إن هذا المكر والكيد العظيم ونفث هذه السموم إن هو إلا حسد وبغض لما تنعم به الأسرة المسلمة في بلاد الإسلام، حيث الحياة الكريمة والاستقرار الأسري وسلامة أفراد

الأسرة من الأمراض الفتاكة، بعكس ما تعج به سجلات الأسرة الغربية المفككة من فضائح الجنس والأوبئة التي حصدت الكثير منهم، والواقع الحالي أكبر شاهد والبشرية ترزح تحت هذا الوباء، ولم يبق سوى شعوب العالم الإسلامي سالمة من هذا الخبث.

وصدق الله العظيم حيث يقول:**{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ}** (١).

* * * * *

المطلب الخامس:
البعد الإعلامي للعولمة

يمكننا أن نتصور البعد الإعلامي للعولمة بجلاء عندما ندرك مدى المحاولات الجادة والسعي الحثيث – للنظام العالمي الجديد – المروج للعولمة للسيطرة على الإعلام العالمي وعلى وسائل الإعلام قاطبة لينفذ من خلالها وليطرح ما يريد من خلال هذا المشروع القديم الجديد المسمى بالعولمة.

كما يشير هذا البعد إلى عالم بلا دولة، وعالم بلا وطن، وعالم بلا أمة، ذلك أن حكومات العالم تكاد تكون جلها إن لم تكن كلها قد فقدت السيطرة على فضائها الجوي، وأصبح الفضاء اللامحدود هو المكان الذي تتحرك فيه العولمة الإعلامية أو هو أصبح وطن الإعلام (٢).

ولأن للإعلام في عصرنا الحاضر دوره المؤثر والفعال على الأمم والمجتمعات، وعلى الدول والمؤسسات وعلى الكبار والصغار، وعلى النساء والرجال كما هو ظاهر(٣) لذا فإن الإمكانيات الهائلة التي تمتلكها وسائل الإعلام في الدول المستكبرة وخاصة أمريكا قد سُخرت واستغلت أبشع أنواع الاستغلال وأحقره في " إغواء " أو حتى " إذلال " المؤسسات

---

(١) البقرة آية ١٠٩.

(٢) انظر د. محمد عابد الجابري – قضايا في الفكر المعاصر – مركز دراسات الوحدة العربية ط١/١٩٩٧م ص١٤٧، ١٤٨.

(٣) انظر د. مالك إبراهيم الأحمد – البيان العدد (١٤٨) ص١١٥.

الإعلامية أو الثقافية أو الدينية مع الأسف الشديد لدعم توجهات وأهداف الهيمنة الاقتصادية لرأس المال المحتكر لدى هذه الدول. التي ترنو وتطمح لرسم شخصية إنسانية شهوانية، فاقدة لأي قيم إنسانية راسخة دينية أو أخلاقية، ذات هوس استهلاكي، وفراغ عقلي ووجداني، فاقدة لأي مناعة نفسية أو وجدانية أو عقلية ضد عمليات " التنميط " للشخصية الإنسانية، بحيث يمكن إعادة هيكلة اتجاهاتها وعواطفها كل حين كما لو كانت زياً في الملابس " موضة " وقصة شعر(١)وحتى تنتقل هذه الثقافة بيسر وسهولة إلى العالم قامت الولايات المتحدة بوضع ثقلها كله في قطاعات الاتصالات لنشر وترويج أنماط معينة من الثقافة، ومن أجل ذلك انعقدت أربعة مؤتمرات دولية هي: جنيف ١٩٩٢م، بيونس أيرس ١٩٩٤م، بروكسل ١٩٩٥م، جوهانسبورج ١٩٩٩م، نجح خلالها الأمريكان في تسويق فكرتهم حول " مجتمع المعلومات العالمي" والضغط لفتح حدود أكبر عدد من البلدان أمام التدفق الحر للمعلومات(٢).

القفزة الإعلامية الفائقة والثورة التقنية الهائلة:

ولقد تطور الإعلام إلى درجة أدت إلى غزو جميع ميادين الأنشطة البشرية، حيث وجدت بنى أساسية عالمية تنتشر وكأنها نسيج عنكبوتي يمتد عبر العالم أجمع مستفيداً من التقدم الحاصل في تقنية الرقميات وثورة المعلومات، ومن التداخل الحاصل بين قطاعات الاتصال والهاتف والتلفزة والحاسوب وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) (٣).

وقد بدا التحول الضخم للاتجاه العولمي للإعلام في عقد الثمانينات من القرن العشرين حيث مس كثيراً من القطاعات كالصحافة المكتوبة، وبرامج التلفزيون كالأفلام الخيالية وأفلام العنف و...»، وبنوك المعلومات دون أن ننسى المعلوماتية. والربحيات الحاسوبية التي أخذت بعداً آخر مع ظهور شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت). ولا تمس هذه العولمة وسائل الإعلام بالمعنى الدقيق والحصري فقط، بل إنها أدخلت تغييرات عميقة على بعض المجموعات الصحفية والتلفزيونية والمعلوماتية حيث إنها أصبحت تجمعات كبرى ذات

---

(١) انظر جمال سلطان – الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة – مقال ضمن مجلة البيان العدد (١٧٠) ص٦٩، وانظر أحمد ثابت في العولمة والخيارات المستقلة عن مجلة المستقبل العربي العدد (٢٤٠) ٢/ ١٩٩٩م ص١٧.
(٢) محمد أمحزون: العولمة بين منظورين، البيان العدد، (١٤٥)، ص ١٢٥.
(٣) د. محمد أمحزون – العولمة بين منظورين – المرجع السابق، ص ١٢٥.

حضور عالمي. كما وجدت العولمة في بعض المعلنين والمسوقين حليفاً إستراتيجياً، وبخاصة أن هؤلاء الآخرين على استعداد لتفضيل الوسائل الإعلامية ذات الأبعاد العالمية، وذلك للقيام بحملاتهم الإعلامية والإشهارية بكل اللغات للتعريف بمنتجاتهم وتسويقها في كل القارات [(١)].

إن هذا التطور لم يقتصر على الناحية التقنية، وإنما تعداه إلى تكوين مجموعات أو شركات إعلامية أخطبوطية لها أذرع في كل مكان، ولها وجود في كل صنف من الإعلام تشارك في القرار السياسي وتؤثر في النشاط الاقتصادي وتوجه المجتمعات وتقود الأمم وتؤطر الأفكار والثقافات في الفن والرياضة، وفي الدين والأخلاق، ذلك أنها مرتبطة بصفة ما بالدول التي تنطلق منها[(٢)].

وإن هذا التأثير يأتي من خلال منتجات الشركات للمواد الإعلامية المطبوعة بالطابع العلماني النابع من عقيدة وثقافة ملاك هذه الشركات الذين ينتجون ما تملي لهم خلفياتهم الأيديولوجية فيصبغونها بتأريخ مزيف ينسبونه إلى الحروب الصليبية والاستعمار الذي جثم على الأمة الإسلامية ويجعلونها حروباً لتحرير وتنوير تلك الشعوب وإخراجها من ربقة الإسلام العتيق كما يصورون من خلال التأريخ المشوه.

تكنولوجيا الإعلام السلطوي في ظل العولمة:

إن أعتى تحد لا يواجه الأمة الإسلامية بأسرها فحسب وإنما بوجه العالم كله هو ما يبثه الإعلام المتسلط على الشعوب العالمية باسم العولمة حينما يوجه إعلامه بخاصة إلى فئة المراهقين والمراهقات والأطفال الذين يقضون الأوقات الطويلة أمام شاشات التلفاز، والكمبيوتر، والإنترنت[(٣)].

ولم تكن المجتمعات الإسلامية بمنأى عن هدف وتوجه العولمة هذا ضمن ميدان الإعلام، ذلك أنهم حيثما شرعت لهم الأبواب لا يترددون برهة في الولوج، غير آبهين أو عابئين

---

(١) الصادق رابح - وسائل الإعلام والعولمة - عن المستقبل العربي العدد (٢٤٣) ٥/ ١٩٩٩م ص٢٤.

(٢) د. مالك بن إبراهيم الأحمد - العولمة في الإعلام - عن البيان العدد (١٤٨) ص١١٩.

(٣) د. مالك إبراهيم الأحمد، المرجع السابق، ص ١٢٠ومابعدها.

بالثقافات والبيئات والتقاليد فضلاً عـن الميـادين والأديـان لهـذه المجتمعـات الـتي يـدخلونها، وليس لهم غرض إلا الربح، والربح فقط. وأي نشاط اقتصادي يكون وسيلة لزيـادة الـدخل والربح فإنه محبب ومرغوب وهذا هو منطق العولمة الإعلامية (١).

وبالتتبع لوسائل الإعلام بكافة أنواعها (كالتلفاز، والسـينما، والكمبيـوتر، والإنترنـت) يبدو الأمر أكثر وضوحاً وأشد خطورة حين يلاحظ الحضـور الأمريكـي الطـاغي لدرجـة أن أصواتاً عدة ارتفعت تندد وتستنكر وتتخذ الإجراءات ضده.

ولقد تمكنت مجموعة مؤسسات إعلامية من فهـم حاجـات المجتمعـات المختلفـة للمـواد الإعلامية مما ساعدها على تطوير أدوات إيصـال لهـذه المـواد مسـتفيدة مـن التطـور الـتقني الواسع في ميدان الاتصالات، حيث بدأت هذه المؤسسـات الإعلاميـة القويـة وهـي بـالطبع أمريكية في تكوين شركات متعددة الجنسيات وشراء أنشطة ومؤسسـات إعلاميـة في البلـدان الخارجية المختلفة وافق ذلك عقد تحالفات استراتيجية مـع الجهـات المحليـة القويـة مسـتفيدة وبدرجة كـبيرة مـن النفـوذ الأمريكـي السياسـي في العـالم، وتهـاوي أو انهيـار أدوات المنـع والرقابة ووسائلها في البلدان المختلفة (٢).

ولأن الإعلام أهم وسيلة للسيطرة على رأس المال العالمي وبالتالي التحكم في الاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها فإن الأمـر يصـبح بـديهياً أن ينـدرج (الإعـلام) كجـزء هـام مـن النشاط لهذه المؤسسات الدولية والتي تـروج للعولمـة ولم يكـن الأمـر مفاجئـاً أن يصـل عـدد المؤسسات الإعلامية إلى (٤٠) مؤسسة نصفها تقريباً أمريكية (٣).

ولهذا نجد أن نظام الإعلام بكل مدخلاته لا يشكل نظاماً دوليـاً متوازيـاً حيـث تـتحكم دول الشمال من الكرة الأرضية بآلية تشغيله وآليات التحكم فيه، وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية وهي بهذا الأسلوب إنما تسعى إلى الهيمنة والسيطرة علـى دول الجنـوب وبالـذات العالم الإسلامي. ولا يخفى على ذي لب ما تنتجه هذه المؤسسات الضخمة من كميات هائلة من البث المباشر وغير المباشر والذي يصل إلى غرف النوم عن طريق البث الفضائي والأقمار الصناعية.

---

(١) د. مالك إبراهيم الأحمد، المرجع السابق، ص ١٢٠ومابعدها.

(٢) المرجع السابق ص٢٠، ٢١.

(٣) نفس المرجع السابق ص٢١.

هيمنة الشركات المتعددة الجنسية على وسائل الإعلام:

ومن خلال إحصائيات منظمة اليونسكو فإن ثلاثمائة شركة إعلامية هي الأولى في العالم منها (١٤٤) شركة أمريكية و(٨٠) شركة أوروبية، و(٤٩) يابانية، ومن بين الـ (٧٥) الأولى في مجال نقل المعلومات إلى الجمهور هناك (٣٩) شركة أمريكية و(٢٥) أوروبية غربية، و(٨) يابانية [١].

وفي قطاع الخدمات المعلوماتية والاتصالات بعيدة المدى، فمن بين الشركات الثماني والثمانين الأولى نجد (٣٩) شركة أمريكية، و(١٩) أوروبية غربية، و(٧) يابانية، وفي قطاع التجهيزات فمن بين الـ (١٨٥) شركة هناك (٧٥) شركة أمريكية، و(٣٦) شركة أوروبية غربية، و(٣٣) يابانية، ويوجد الباقي بأكمله تقريباً في الشمال في كندا واستراليا [٢].

وتقسم هذه الشركات إلى ست مجموعات أربع منها أمريكية، وواحدة أوروبية وواحدة استرالية أمريكية هي:

تايم ورنر (Time Warner)، مجموعة برتلز مان (Bertels Man) مجموعة فياكوم (Viacom)، مجموعة ديزني (Disny)، نيوز كوربوريشن (News corporation)، ومجموعة (T. C. T) إضافة إلى مجموعات أخرى لكنها أقل نشاطاً ودخلاً من هذه المجموعات الكبيرة والنشطة جداً.

ولا يفوتني أن أذكر أن تصريحاً لإحدى الشركات الأمريكية مفاده بأنها في عام ٢٠٠٢م سوف تطلق قمراً صناعياً يبث ألفاً وخمسمائة قناة تلفازية في آن واحد أما كفاءته فإنها تعادل مجموعة الأقمار الصناعية الحالية..، وشبكة الإنترنت القادمة ستصل سرعتها إلى ٢٠٠٠مرة مثل الشبكة الحالية. [٣] الأمر الذي حدا بأحد الباحثين إلى وصف العولمة إنها سلطة تكنولوجية ذات منظومة معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدوداً فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالماً من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات

---

(١) عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة بين الاختيار والرفض - عن المستقبل العربي العدد (٢٧٥) ١/ ٢٠٠٢م ص٦٧.

(٢) إحصاءات مستخرجة من تقرير منظمة اليونوسكو عن مجلة الشاهد العدد (١٧٩ـ١٨٠) ٧/ ٢٠٠٠م ص٦٦.

(٣) عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة - المرجع السابق ص ٦٧، ٦٨.

والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء " (١).

ونظرة فاحصة إلى هذا الوصف فإن ثمة نقاط مهمة بينها هذا الواصف يمكنني الإشارة إليها والوقوف عند كل نقطة لتحليلها كما يلي:

أولاً: إنه إعلام متسلط متنفذ بتقنياته المتطورة المعقدة المحتكرة لدى مؤسسات خاصة وشبكات تعمل لحساب زمرة خاصة من الثيوقراطيين الإقطاعيين على مستوى خيالي.

ثانياً: لا نجد الإعلام يحترم أبداً حدود الدول وسياساتها ومبادئها وعقائدها وثقافتها وفكرها ولا يضع أي حد أو اهتمام أو اعتبار للديانات والمعتقدات والتقاليد والعادات.

ثالثاً: هذا الإعلام يسعى جاهداً إلى توحيد الثقافات والأفكار والأنماط السلوكية بمنتوجاتها التي توجه المجتمعات قاطبة وتعمل على توحيدها حسب تصورات وعقائد وثقافات نابعة من مديري هذه المؤسسات والشركات.

ولا يهم بعد ذلك أكانت هذه المنتوجات صالحة أو طالحة، طيبة أو خبيثة وغالباً ما تكون طالحة خبيثة إنما يهمه في المقام الأول الربح والربح فقط، ولا يهمه أكانت منتوجاته في أغراض تنموية أم في أغراض إبادية تسعى للهلاك كصناعة السلاح والاتجار به على مستوى عالمي ولا ننسى تصدير المواد الضارة والسموميات مثل أنواع السجائر وأنواع المخدرات وأنواع الأدوية التي تشجع على نشر الفساد والرذيلة والإباحية ولكن ما يهمهم في الأخير هو الربح. ولتنفيذ ذلك تستخدم هذه السلطة التكنولوجية الإعلامية المحتكرة قوتها المادية وهيمنتها السياسية.. وتستعين بما تحققه من أرباح باهظة وكبيرة بأساليب تسويقية ترويجية ماكرة تنطلي على كثير من الشعوب المخدرة بهذه الأساليب والترويجات المدروسة والفلسفات التأثيرية المخططة وهي في الأخير وسائل موجهة من قبل هذه الشركات المتعددة والمؤسسات العالمية تخدم أغراضها بوسائل الاتصال والإعلام والمعلومات على كل المستويات لتصل إلى كل الشرائح من غير تفريق من كبير وصغير ورجل وامرأة وحكومة

(١) انظر السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك - عن مجلة المستقبل العربي (٢٥٦) ٦/ ٢٠٠٠م ص٧٦.

ومؤسسة... إلخ.

وليس ثمة عدل أو توازن في مدخلات ومراكز تشغيل وآليات التحكم في هذا الإعلام المهيمن باسم (العولمة) الذي لا يخدم في النهاية إلا قلة محتكرة مسيطرة متنفذة ومهيمنة على هذا الجهاز الخطير في غياب أهل المسئولية والأمانة واستمراء التبعية والانهزامية من قبل الضعفاء ألا وهم المسلمون الذين تركوا سنن الكون ليعمل بها من لا دين لهم ولا خلاق.

ومن هنا كانت النتيجة الحتمية الفساد العريض والفتنة العامة للمسلمين ولغير المسلمين.

إن هذا التركيز للسلطة الإعلامية في أيدي زمرة قليلة من الناس يديرون الشركات التي تعكس في الحقيقة نفوذ تلك الشركات وتفننها في تقاسمها إخراج قيم وسلوكيات ومبادئ هابطة تبثها من خلال برامجها المسموعة والمرئية والمقروءة لتشكل وتحدد وتوجه الرأي العام العالمى. ولا يتم ذلك على المستوى الشعبي فقط، بل يتعداه بمكر ودهاء إلى المستوى الرسمي حتى يصل تأثيره إلى التحكم في اقتصاديات وسياسات الحكومات والدول.

ولقد بلغت درجة نفوذ الإعلام حداً كبيراً حيث أصبح بإمكانه أن يقرر نجاح شخص أو شيء ما أو مثلهما، وأن يكون انتقامياً بصدد ما ينشره على صفحات الكتب والوسائل المقروءة الأخرى وما يبثه عبر الأثير حتى يتناهى إلى أسماع قاعدة عريضة من المتلقين، أو يبثه على نطاق ضيق محدود لا نصيب لـه في الانتشار.

وعلى سبيل المثال: فهاتان شركتان أمريكيتان كبيرتان تهتبلان فرصة وجود واعظ مغمور في خيمة لـه في لوس أنجلوس يعقد اجتماعاته مع قلة من الناس لتستغله في وقف تصاعد رياح الليبرالية الجديدة والمد الشيوعي، وكبح جماحهما فتجعل منه بواسطة إعلامه الممتد والمنتشر في طبقة عريضة من الناس.

بطلاً قومياً في خلال شهرين حيث تنفخ فيه وسائل إعلامها من صحف ومجلات وأفلام وأخبار ليصبح في مدة قليلة أي خلال الشهرين فقط الواعظ الأعظم والأول حتى يظهر في

غضون أيام قليلة على غلاف مجلة التايمز الأمريكية[١].

ولما قضي الأمر للشركتين لم تترددا أو تخجلاً من وصفهما للسيد المسيح عليه السلام بالشذوذ الجنسي تعزيزاً لثقافة جديدة تهدفان لنشرهما في أوساط جماهيرهما على مختلف المستويات..

والأمثلة كثيرة على نشر ما يريد الإعلام سواء ما يشجع على نشر العنف أو الجنس أو أي قيم سامية أو هابطة، أخلاقية أو حيوانية، إنسانية أو غير ذلك.

إن حجم تلك الشركات ومقدراتها ونفوذها تفوق الحكومات التي ترعاها، ولذلك يمكنها أن تنتقي أي نمط ثقافي لتشجعه، أو أي نمط لتحجر عليه، وتفرض عليه الرقابة.

وهذا التمركز في حد ذاته يعتبر مخالفة صريحة لروح الدستور الأمريكي إن لم يكن لنصه، وقد يصل الأمر بهذه الشركات أن تسيطر على بث إذاعي يخدم مصالحها مثلما أصبحت شركة الإذاعة الوطنية هي شبكة البث الإذاعي لمجموعة من الشركات في أمريكا وكانت في الأصل شركة مؤسسة راديو أمريكا، وذلك بسبب النفوذ السياسي الذي كانت قادرة على توفيره.

وتتركز مصالح هذه الشركات في نشر ثقافتها وتعزيزها والترويج للتشريعات التي تراعي مصالحها ويمثل الإعلان نشاطاً اقتصادياً هاماً، وأداة فعَّالة للترويج، ومن أجل ذلك تنفق هذه الشركات مليارات الدولارات لتصميم الإعلانات ووسائله الترويجية ليكون ذلك عاملاً هاماً في نشر ثقافة عالمية ونمط معيشة عالمي يتمشيان مع ثقافة الاستهلاك التي أبدعتها وكرستها الرأسمالية العالمية الأنجلو أمريكية. وقد يصل مجموع ما ينفق في هذا المجال أضعاف ما تنفقه مجموعة من الدول الفقيرة في قطاع التعليم [٢].

وتتجسد الثقافة الهابطة والنمط الاستهلاكي اللذان تتبناهما هوليود من خلال الشاشات الصغيرة التي اقتحمت كل بيت تقريباً، فإذا كان معدل ما يقضيه الطفل أو المراهق من[٢] – ٥ ساعات يومياً أمام التلفاز، حيث لا يخلو أي برنامج من إعلان تجاري ما مصحوب بدعوة

---

(١) د. عبد الحي زلوم – نذر العولمة – ص٢٩٢، وانظر د. محمد علي حوات: العرف والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، ص ٢١٣، مرجع سابق

(٢) عبد الحي زلوم – نذر العولمة – ص٢٩٢ مرجع سابق.

ضمنية إلى الدعارة والفسق والفجور، فعلى ذلك سوف يشاهد الإنسان البالغ ما مجموعه "٢١" ألف إعلان تجاري سنوياً تدفع أجورها هذه الشركات التجارية العملاقة وتقوم بأعبائها.

ومن هنا تأتي هيمنة هذه الشركات على الرسالة المستهدفة في هذه الإعلانات لتوصلها إلى المشاهد بما يتناسب وروح ثقافة الإعلام ونصوصها [١].

ولقد أصبح باستطاعة الثالوث المدمر الإعلام، والمال، والتسويق، أن ينحي رئيساً أو ينصبه كما فعل بالرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون وإزاحته عن السلطة، وتنصيب الرئيس السابق لروسيا بوريس يلتسن مع أنه لم يحظ بتأييد حتى ٦٪ من الجمهور، وهذا مثال واحد فقط من أمثلة عديدة أخرى.

وإن وسائل الإعلام من صحف، ومجلات، ومحطات، وإذاعات وفضائيات،.. إلخ إنما هي نسخ مكررة تملكها حفنة من الشركات سالفة الذكر تتقاسم المبادئ والقيم نفسها، ولهذا فقد صيغت مواد الإعلام وسخرت وسائله لخدمة الرأسمالية المعلوماتية العالمية سواء كانت في أوقات الحرب أو في أوقات السلم.

وما حرب الخليج الثانية عنا ببعيد عندما استخدمت وسائل الإعلام وسخرت لصالح الهيمنة التي فرضتها دول الاستكبار وخاصة أمريكا، وليس عنا ببعيد أيضاً حرب جزر الفوكلاند ١٩٨٢م حين ادعت بريطانيا أنها حرب ضد العدوان مع أنها في الحقيقة حرب لابتلاع أحواض النفط الموجودة هناك.

ويعمل النفوذ الإعلامي الواسع في الشعوب والمجتمعات عمليات التنويم المغناطيسي وغسيل أدمغتها، ولأنه منحصر في أيدى حفنة من الشركات كما سبق التنويه لذلك فإن نوعاً من التشويش والتناقض ينتج عن ذلك [٢].

وتعمل هذه الشركات على انتقائية الأخبار وتحيزها لصالح ثقافاتها وأجندتها الخاصة، ولهذا أصبح الإعلام وسيلة للبيع يخضع للربح والخسارة، لا يلوي على شيء باسم أخلاق

---

(١) المرجع السابق ص٢٩٣

(٢) المرجع السابق ص(٢٩٥، ١٩٩٦م)، ولمزيد من تركيز الضوء على نفوذ الإعلام انظر: دوريس إيه جريبر: سلطة وسائط الإعلام في السياسة، ترجمة أسعد أبو ليدة، دار التيسير، عمان الأردن، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، خلاصة ٨٨م، ص (١٢٣٠) وما بعدها.

أو مبادئ سامية أو عادات نبيلة بل يلقيها خلفه ظهرياً. حقاً وبحسب الكاتب الأمريكي باغدبكيان إن هذا الإعلام يصدق عليه وصف – المتسلط وذي القبضة الحديدية – لمسخ هويات المجتمعات حيث يقول: " لقد أصبح للجنس والعنف وهما التوأمان اللذان أنجبهما البث الإعلامي المألوف قبضة حديدية وسلطة غير قابلة للتغيير على الآباء المريكيين والمربين، ولقد بدا العنف الحقيقي في أوساط المجتمع انعكاساً طبيعياً للعنف الذي يظهر في الشاشة. والمسألة التي على المحك الآن ليست في إحصاءات مالية فحسب، بل في امتلاك سلطة تصل وتطوق كل رجل وامرأة وطفل في البلاد بعبارات وصور مراقبة ومهيمن عليها وذلك للتأثير على كل جيل من الأمريكيين اجتماعياً، ولتغيير الأجندة السياسية للبلاد"[(١)].

ثم بعد ذلك وباسم العولمة يتم فرض هذه السياسة الإعلامية على العالم كله تحت شعار التطور والحضارة والتقدم والانفتاح وباسم حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل، ثم تنعقد المؤتمرات تحت رعاية الأمم المتحدة وتحت هيمنة الولايات المتحدة كل ذلك باسم "العولمة" تحقيقاً لشعار قديم رفعه رئيس أمريكا السابق روزفلت في نهاية الحرب العالمية الثانية عندما قال بعبارة واضحة لا غموض فيها ولا ثورية: " قدرنا هو أمركة العالم، تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة عندئذ يمكن أن تتوغلوا " [(٢)].

* * * * *

---

(١) عبد الحي زلوم نذر العولمة ص٢٦٩، مرجع سابق.

(٢) انظر سيد أحمد مصطفى عمر – إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك – مجلة المستقبل العربي العدد ٢٥٦ ٦/ ٢٠٠٠م ص٧٣، وانظر عبد الله أحمد أبو راشد: العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١/ ١٩٩٩م، ص ٢١

الفصل الثاني:
وسائل العولمة وأدواتها

وفيه مباحث :

المبحث الأول:
الأدوات الاقتصادية

المطلب الأول:
الشركات الدولية المتعددة الجنسية

“Multinational Corporation Or International Corporation”

توطئـــة:

تزامن هذا الاسم في بداية ظهوره مع صناعة النفط في نهاية القرن التاسع عشـر وبدايـة القرن العشـرين فيمـا عـرف باسـم الأخـوات أو الشـقيقات السـبع " Sevin Sisters" الـتي سيطرت على إنتاج وتوزيع النفط وتسويقه في بلد المنشأ والعالم بأسره.

إن هذه الشركات كانت تسيطر على كل المناطق الرئيسية المنتجة للبترول حيـث تتقاسـم أسواق العالم فيما بينها، وتشترك في ملكية خطوط الأنابيب وناقلات الـبترول في جميـع أنحـاء العالم وتتحكم في أسعار البترول وتبقيه مرتفعاً كما تشاء بصورة مصطنعة (١).

ومع مرور الأيام والسنين اتسع مجال أعمـال هـذه الشـركات ليشـمل صـناعة الأجهـزة الإلكترونية الدقيقة وغيرها كما ازدادت البقع الجغرافية التي تزاول فيهـا أعمالهـا ممـا يجعلـها أقوى توسعة في وقتنا الحاضر فما عـادت تسـيطر علـى الاقتصـاد الكـوني وحـده بـل علـى السياسة والثقافة (٢).

تعريف الشركات الدولية المتعددة الجنسية:

إذن فما هي الشركات المتعددة الجنسية؟

" إنها شركات ضخمة تزاول نشاطها في عدة دول وفي كل دولـة تمنحها هذه الدول فيما يختص بإنتاجها أو الخدمات التي تحتـاج إليهـا أو كليهمـا معـاً، ولا تسـتطيع أن تحظـى بهـذه التسـهيلات إذا ظلـت محتفظـة بجنسـيتها الأصـلية كمـا أن مقارهـا الرئيسـية تقـع في الـدول الصناعية، أمريكا، أوروبا واليابان بشكل أساسي ".

ومن خلال هذا التعريف يمكن تحديد سماتها العامة بالنقاط التالية: -

- كبر حجم هذه الشركات.

- توزيع عملياتها على عديد من البلدان قـد تصـل إلى أكثـر مـن ٢٠ دولـة. وتحـاول

---

(١) أحمد بلوافي الاستعمار الجديد - عن مجلة السنة - العدد (٧٤) ذو الحجة ١٤١٨هـ عن تقريـر لجنـة التجـارة الفيدرالية الأمريكية عام ١٩٤٩م / وانظر عبد الحي زلوم نذر العولمـة، - دار المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشر ط٢ / ٢٠٠٠ ص ٣٣٥، ص ٣٣٦

(٢) أحمد بلوافي الاستعمار الجديد نفس المرجع ص٢١، وانظر عن كمال الحيالي - في مجلـة النـور العـدد (١٠٩) صفحة ٣٩ وانظر روبرت د. كانتور السياسة الدولية المعاصرة ترجمة د. أحمد ظاهر، مركـز المكتـب الأردنـي ١٩٨٩م ص ١٨٣.

الاستفادة من أي ميزة نسبية في أي دولـة دون أفضلية لبلد المقر القانوني.

- مقارها الرئيسية تقع في البلدان الصناعية الكبرى.

وقد ذكر تقرير صادر عن مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (انكتار) عام ١٩٩٦م أن غالبية الاستثمارات الأجنبية المباشرة تمر عبر الشركات المتعددة الجنسيات التي توظف أكثر من (٢٧٠٠) مليار دولار خارج حدود الدولة التي تتخذها مقراً لها.

وقد أحصى التقرير حول الاستثمارات الأجنبية ٣٩ ألف شركة عالمية تشرف (٢٧٠) ألف فرع، وتستحوذ أكبر مائة شركة لوحدها على ثلث الاستثمارات الخارجية المباشرة، ويقع مقر كل هذه الشركات في الدول الصناعية، وللولايات المتحدة نصيب الأسد، إذ أن ثلث أكبر مائة شركة عالمية هي أمريكية [١].

هذا وتعتمد هذه الشركات في نشاطها وفعاليتها على مرتكزات أساسية وهي [٢]:

١- التكنولوجيا المتطورة.

٢- القدرة المالية الهائلة.

٣- القدرات التنظيمية التي تتيح لهذه الشركات أن تتجاذب مع القدرة على التطوير المستمر، ونشر الابتكارات بطريقة فعالة على مستوى العالم.

---

(١) د. أحمد بلوافي: الاستعمار الجديد، عن مجلة السنة العدد (٧٤) ص٢١، ووكالة الصحافة الرئيسية (AFP) ٢٦/ ٩/ ١٩٩٦م، وانظر عبد الحق زلوم نذر العولمة ص ٣٣٦.

(٢) انظر د. ماجد شدود: العولمة مفهومها، مظاهرها، سبل التعامل معها - ص١٠٩ وما بعدها، وانظر عبد الحى زلوم: نذر العولمة ص٣٣٦. وقد ذكر في كتابه هذا أن أضخم مائة اقتصاد في العالم ٥٠٪ منها تمثله في شركات والباقي دول. وإن شركة متعولمة واحدة لديها دخل ومبيعات سنوية تفوق مجموع إجمالي الناتج القومي لتسع دول يبلغ تعداد سكانها ٥٥٠ مليون نسمة أي ما يعادل ١٠٪ من تعداد سكان العالم ويضيف عبد الحى زلوم: " أن هذه الشركات ذات النفوذ الهائل، والمؤسسات المالية التي تدور معها في المدار نفسه قد أوجدت نظاماً تستطيع من خلاله تغيير التشريعات لتتلاءم مع مصالحها حتى ولو اقتضت تلك الإجراءات تفكيك وإلغاء أو تقليص الخدمات الاجتماعية مثل العلاج الطبي Medicare، والمساعدات الطبية Medicaid والمنافع الاجتماعية الأخرى ".

وقد بلغ إجمالي مبيعات أكبر خمس شركات خدماتية متنوعة عام ١٩٩٧م ما يعادل تقريباً حجم الاقتصاد الروسي بكامله، والكلام لا يزال لزلوم وإذا كانت سيئة النظام السوفيتي كونه أوتوقراطياً وغير ديمقراطي فإن طبيعة الشركات المتعددة الجنسية أوتقراطية كذلك.

انظر: المرجع نفسه ص ٣٣٦، ٣٣٧ وما بعدهما.

إضافة إلى ما سبق فإنها تعنى بانتقاء كوادرها على أساس الكفاءة والأداء بغض النظر عن جنسيتهم وتحصل على تمويل محلي من كل بلد يمتد إليه نشاطها الذي قد يكون فرعاً أو شركة مملوكة بالكامل أو شركة مساهمة، وتقوم ببيع أسهمها لمواطنيه، وتقترض من الدولة أو من الجمهور على شكل سندات، كما تجتذب مدخرات كبيرة من دول أخرى غير البنوك وأسواق المال وفي أحيان كثيرة تقتصر مبيعات الشركة في بلد المقر الرسمي على نسبة ضئيلة من إجمالي المبيعات (١).

سمات الشركات المتعددة الجنسية:

إن من أهم أو سمات هذه الشركات (المتعدية الجنسية وليست متعددة الجنسية) أنها تتعدى الجنسيات والحدود القومية للدولة ذات السيادة، فضخامة حجمها لا يقاس بمقدار رأس المال أو برقم العمالة حيث أنها قد رفعت إنتاجها إلى مستويات غير مسبوقة ولا يصلح حجم الإنتاج فيها أن يكون مقياساً بسبب التنوع الشديد في المنتجات التي أهم مقياس لهم رقم المبيعات.

إن قيمة المبيعات السنوية لإحدى هذه الشركات تتجاوز الناتج المحلي الإجمالي لعدد من الدول متوسطة الحجم، وهي قادرة على الحد من سيادة الدول، فهي تستطيع قفل فرعها من دولة إلى أخرى بحيث تؤثر على الدولة وتشكل رادعاً للدولة المضيفة، وتمثل هذه الشركات فوق القومية كالمصارف الكبرى وشركات التأمين وبيوت المال دور الشرطي الذي يوافي التزام الدولة المضيفة للاستثمارات والتوظيفات في بلدان أخرى مما يؤدي إلى انخفاض أسعار العملات والأسهم والسندات في الدولة المضيفة (٢).

إن الشركات متعددة الجنسيات تحل في دول العالم الثالث محل الدولة القومية تدريجياً وبالأسلوب نفسه الذي حلت فيه الدولة القومية محل الدولة الإقطاعية قبل خمسة قرون إذ تسعى هذه الشركات إلى تحطيم الولاءات القديمة لهذه الدول الفقيرة كالولاءات للوطن أو الأمة واستبدالها بولاءات جديدة قبل الشرق أوسطية أو الأفرو آسيوية أو البحر متوسطية

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) انظر رعد كمال الحيالي – العولمة خيرات المواجهة مجلة النور اليمنية العدد (١٠١) جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ – ص٣٩. وانظر مها ذياب تهديدات العولمة للوطن العربي والمستقبل العربي (٢٧٦) / ٢ / ٢٠٠٢م ص١٥٥.

وغير ذلك من المسميات التي تبعد هذه الدول لا سيما العرفية منها والإسلامية عن الولاء لبعضها البعض ويتم ذلك بمساعدة المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وأجهزته المختلفة في الدول الكبرى والهيئات المانحة للجوائز الدولية. إن العالم في نظر هذه المؤسسات لعبة كبيرة من ألعاب الكمبيوتر الذي عندهم لا يضيع أمواله في عمليات إنتاج حقيقية، بل يعمل على مضاعفة أسواقه من خلال المضاربات في سوق الأفراد والأسهم والحصول على أرباح طائلة من خلال التغيرات في أسعار الأسهم والعملات (١).

إن الحقيقة التي لا ينبغي أن يجهلها أحد هي أن هذه الشركات حينما تستثمر أموالها في بلدان العالم الثالث ومنها بلاد المسلمين، إنما هي في الحقيقة تمتص أموال هذه البلدان ومواردها وخيراتها وهي تمثل أهم مظاهر عولمة الاقتصاد.

وثمة نقاط توضح هذه المظاهرة منها (٢):

١- تكريس الاحتلال الاقتصادي للبلدان المختلفة عن طريق الاستثمار.

٢- استفادة المستثمرين من المواقع الجغرافية التي تمنحها لهم الدول المختلفة.

٣- تعزيز قدرة الشركات العابرة للقارات على المنافسة عن طريق اختصار بعض الأنشطة.

٤- الضغط على العاملين في القطاع الاقتصادي والاجتماعي من أجل إحداث التكييف والموائمة مع نظام هذه الشركات.

٥- إن خصصة المشاريع الحكومية وبيعها للقطاع الخاص الوطني أو الوافد سيؤدي حتماً إلى مزيد من العاطلين وتفشي سوء البطالة التي تنمو بمعدلات تفوق معدلات نمو الناتج المحلي.

٦- إن مشاركة هذه الشركات باسم المستثمرين يعني سيطرة هذه الشركات الوافدة على مشروعات البلد المضيف مالياً وإدارياً وتسويقياً، مما يجعل هذه الشركات تتحكم في كمية المدخلات التكنولوجية ونوعيتها.

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) د. المقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ص ٩٥ - ٩٨، مرجع سابق، ود. عبد الحي زلوم: نذر العولمة، ص ٣٣٨.

٧- وتفضل هذه الشركات امتلاك الشركات المحلية تخفيض كلفة الاستثمارات وشروط أفضل للمنافسة في الأسواق الاستهلاكية.

٨- تحاول هذه الشركات غاية جهدها أن تمنع استعمال تقنياتها في الدول النامية وتحتكر معرفتها وتقنياتها حتى لا يلحق بها ضرراً أو يجر نفعاً لسواها.

٩- تعمل هذه الشركات على تحجيم رأس المال الوطني.

وهذه نبذة من الإحصاءات التي توضح مدى خطورة تمركزها الرأسمالي [(١)] أوردتها مجلة Mutinational Monitor pod ١٩٩٦ كحقائق نقلاً عن أنتوني سيمون في كتاب الشقيقات السبع " Seven Sisters" وذلك في منتصف السبعينات تقريباً، تشير هذه الحقائق إلى مدى نشاط هذه الشركات وهي لا تزال آخذة في التوسع والازدياد يوماً بعد يوم كما يشير إلى ذلك الدكتور أحمد بلوافي فيما سماه الاستعمار الجديد في عام ١٩٨٠م:

- إن إيرادات أكبر خمسمائة شركة في العالم عام ١٩٩٤م نحو (١٠) تريليون، (٢٥٤) مليار دولار أي ما يقارب نصف الناتج المحلي لإجمالي دول العالم لسنة ١٩٩٣م.

إن مبيعات أكبر ٢٠٠ شركة تجاوزت مداخيل اقتصاديات (١٨٢) دولة ما عدا أكبر (٩) دول فقد وصل دخل (١٨٢) دولة إلى مستوى (٦. ٩) تريليون دولار، بينما وصلت مبيعات أكبر (٢٠٠) شركة إلى (٧.١) تريليون دولار.

- إن حجم المبيعات لأكبر ثلاث شركات متعددة الجنسيات (إكسون - شل - موبيل) عام ١٩٨٠م فإن حجم الإنتاج الوطني الإجمالي لكل دول العالم الثالث عدا سبع دول (الصين - البرازيل - الهند - المكسيك - نيجيريا - الأرجنتين - أندونوسيا).

- في عام(١٩٩٦م)تعدى حجم المبيعات السنوية لأكبر(٢٠) شركة(٦٧) مليار دولار.

١. وتجاوز مجموع مبيعات أكبر ٢٠٠ شركة ربع نشاط الاقتصاد العالمي، ولا زالت حصتها في الاقتصاد العالمي آخذة في الازدياد.

---

(١) د. محمد المخزون العولمة بين منظورين - من مجلة البيان (١٤٥) صـ١٢٣، وانظر يسري مصطفى العولمة والدولة الوطنية والهوية من الشاهد العدد (١٩٦)/ ديسمبر ٢٠٠١م / صـ٧٣، وانظر محمد الأطرش العرب والعولمة ما العمل عن ورقة قدمت في مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية عن العرب والعولمة صـ٤١٣.

والدليل على ذلك أنه في عام ١٩٨٢م مبيعات الـ ٢٠٠ شركة هذه شكلت نسبة قدرت بـ (٢٤.٢٪) من الإنتاج العالمي (GDP)، وفي عام ١٩٩٦م وصلت هذه النسبة إلى (٢٨.٣٪) وأن ما تنتجه هذه الشركات يغطي احتياجات ما يقارب ثلث سكان العالم.

وفي عام ١٩٩٦م ضمت قائمة أكبر مائة اقتصاديات في العالم ٥١ شركة متعددة الجنسية و٤٩ دولة فقط.

وفي نفس العام تعدى حجم المبيعات السنوية لأكبر ٥١ شركة ٣٦ مليار دولار.

وعلى الرغم من كبر هذه الشركات فإن مجموع ما تشغله أكبر ٢٠٠ شركة وصل إلى مستوى ١٨.٨ مليون عام.. وهذا لا يمثل سوى (٠.٠٠٧٢٪) من مجموع القوى العاملة على المستوى العالمي التي بلغ تعدادها عام ١٩٩٦م ٢.٦ مليار عامل كما أن هذا العدد الذي توظفه هذه الشركات لا يمثل سوى نسبة لا تتجاوز (٠.٠٠٣٤٪) من مجموع سكان العالم الذين يزيد عددهم عن ٥.٦ مليار شخص من خلال هذه الإحصاءات تتبين لنا مدى حجم هذه الشركات التي أصبحت تشكل عالماً مستقلاً بذاته على مسرح الأحداث العالمية الاقتصادية منها والسياسية الدور الذي تقوم به هذه الشركات [(١)].

يرى صاحب كتاب الشقيقات السبع المشار إليه سابقاً أن أهداف هذه الشركات لم تعد تتمحور في الناحية الاقتصادية وتحقيق مزيد من الأرباح وتقديم بعض المنافع مثل التطور التكنولوجي والإدارة الجيدة والناجحة، ومن ثم المساهمة في تحقيق تنمية اقتصادية للبلد المضيف، لا بل تجاوز مجال عملها هذه الأهداف الضيقة ليتسع إلى العمل على التأثير في القرارات السياسية أو ثقافة الناس، وطرائق عملهم، مما حدا ببعض المهتمين بظاهرة هذه الشركات أن يسميها الاستعمار الجديد [(٢)].

أما بالنسبة لكل شركة على حدة: -

- فليب مورس: التي احتلت المركز (٦٩) تجاوز حجم مبيعاتها حجم اقتصاد نيوزلندا، ولها فروع في (١٧٠) دولة [(٣)].

(١، ٢) عن مجلة السنة العدد ٧٤ ص٢٤، وانظر ماجد شدود - العولمة ومفهومها - ص١٢٣، وانظر د. عبد الحى زلوم - نذر العولمة - ص٣٣١. وانظر محمد مقدادي العولمة صـ٢٩٣.

(٣) د. أحمد بلوافي الاستعمار الجديد المرجع السابق صـ١٢، ١٣.

– وول مارت: احتلت المركز (٤٢) تجاوز حجم مبيعاتها أكبر من مداخيل (١٦١) دولة بما فيها دولة اليهود، وبولندا، واليونان.

– متسوبيشي: احتلت المركز(٢٢)تجاوز حجم نشاطاتها الاقتصادية حجم النشاط الاقتصادي لأندونوسيا التي تحتل المركز الرابع على مستوى العالم من حيث تعداد السكان.

– جنرال موتورز: احتلت المركز (٣١) اقتصادياتها أكبر من اقتصاديات جنوب أفريقيا.

– تويوتا: احتلت المركز (٣٦) اقتصادياتها أكبر من اقتصاديات النرويج.

ولقد أطلق على هذه الشركات اسم الاستعمار الجديد، وكثيراً ما كانت وما زالت تتدخل في الشؤون الدبلوماسية العالمية خاصة في عقود الخمسينات والستينات والسبعينات، بل إن شركة النفط " شل " هي الحكومة الفعلية في نيجيريا [١].

ويقول (بيير أوجين) رئيس منظمة الشفافية العالمية التي تهتم بمراقبة الفساد المالي والإداري على المستوى العالمي: –

" إن نسبة كبيرة من الفساد المنتشر في العالم الثالث هي من صنع الشركات المتعددة الجنسيات التي تتركز مقارها في الدول الصناعية وتعمل على تقديم رشاوي كبيرة لمسئولي الدول المختلفة من أجل الفوز بالصفقات " [٢].

لقد اتخذت هذه الشركات شكل الشركات المساهمة منذ القرن التاسع عشر لتلعب دوراً رئيساً في مضمار عولمة النشاط الإنتاجي، فخلال الفترة من١٨٢٠ – ١٨٧٠م وصل متوسط معدل النمو التجاري الدولي سنوياً إلى ٥.٥٪ في حين بلغ في القوة (١٨٧٠ – ١٩١٣م) معدلاً سنوياً لنسبة (٣.٥ – ٤)٪ ويرجع ذلك لنقطة التحول الأولى للرأسمالية الصناعية

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٣.

(٢) عن أحمد بالوافي – الاستعمار الجديد – ص٢٧ – ٢٩ نقلاً عن مجلة ملتسيونا (مونتر). وانظر د. محمد مقدادي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد صـ٩٥، ٩٦ مرجع سابق.

حيث انتقلت الثورة الصناعية إلى كلٍّ من فرنسا وألمانيا وبلجيكا والولايات المتحدة وأصبح توسعها مقيداً بتوافر المواد الأولية الرخيصة، والسلع الغذائية اللازمة للتوسع في العمالة الصناعية من ناحية وتوافر الأسواق لمنتجاتها من ناحية أخرى(١)

وبناءً على ذلك تم إدماج الدول المختلفة في السوق الرأسمالي لتستغل أبشع استغلال ولتصدير المواد الأولية (المواد الخام) منها إلى المراكز الصناعية، وتم نشوء نمط تقسيم العمل الدولي، ولم يكن أبداً ليكتب لهذه العولمة الإنتاجية النجاح إلا بمساندة العولمة السياسية والثقافية على محل القرار السياسي في هذه الدول وفي اختياراتها الاستهلاكية، وهكذا تم بدء عولمة الأنشطة المالية جراء التطورات التقنية المهمة ولعل أهمها الخط التلغرافي بين لندن ونيويورك ودوره في اندماج أسواق المال فيها، ثم تراجعت آليات العولمة لفترة غير بسيطة ومع نهاية الستينات وأوائل السبعينات بدأت تستعيد عافيتها كما يزعمون ونشطت أكثر فأكثر في ظل ثورة صناعية جديدة المعروفة بثورة المعلومات والاتصالات وتقنياتها وتلعب الدور الرئيسي في ذلك الشركات المتعددة الجنسيات وبلغت ذروتها في التسعينات حتى أصبح الإعلام العولمي في ظلها قادراً على التأثير في توجيهات وقرارات الأفراد الاستهلاكية، ومن ثم اختيارهم لأسلوب الحياة وأصبحت في هذه الفترة غير الدول النامية دولة تلو الأخرى تخضع لشروط العولمة تحت مسميات عدة(٢).

وتعتبر الشركات متعددة القومية إحدى آليات العولمة الاقتصادية التي تؤثر في تنمية ونمو الاقتصاد الحقيقية، وهي الأداة المسؤولة عن الاستثمار الأجنبي المباشر والذي لا يتوزع بنسب عادلة، بل يتركز بدرجة كثيفة في الدول الصناعية المتقدمة وفي عدد ضئيل من الاقتصاديات صناعية النامية نمواً سريعاً وتبدو الفوارق القومية هائلة ومهمة في جذب شتى المواضع للاستثمار ونشاط الأعمال الأخرى(٣) وتبعاً لذلك تتباين البلدان تبايناً ملحوظاً في قدرة اقتصاداتها على تحقيق مزايا الاستثمار الأجنبي المباشر للشركات متعددة الجنسيات وثمة اعتقاد غالب يعتبر أن المهمة التي من أجلها تجوب هذه الشركات الكون هي ثلاث

(١، ٢) عمر محيي الدين في تعقيبه على ورقة السيد ياسين، في مفهوم العولمة في الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية عن العرب والعولمة صـ٣٥، بتصرف مرجع سابق.

(٢) انظر بول هيرست جراهام طوبيسوف ما العولمة ترجمة د. فالح عبد الجبار. سلسلة عالم المعرفة (٢٧٣) جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ، ص ١٠٢، ص ١٠٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

نقاط تتلخص في البحث عن: -

١- مواضع إنتاج رخيصة.

٢- أيدي عاملة ذات مهارة وكفاءة عالية.

٣- تخفيض أكبر قدر من الأرباح وأضمنها عند النجاح في المنافسة، صورة ملخصة عن حجم ومدى تأثير هذه الشركات وموقعها على المستوى العالمي[١].

دور هذه الشركات:

يقول أنتوني سميون عن وضع الشقيقات السبع: " هذه المجموعة من الشركات كانت بزعامة شركتين عملاقتين هما (أسكوة، وشل) كانتا على مدى الستين سنة الماضية النموذجية الأصليين للشركة الدولية المعقدة، لقد كان تنافس هذه الشركات عبر القارات جزءاً متتابعاً وطويل المدى من مسرحية التاريخ الحديث، من حيث تمويل أمم بأكملها، وتزويد الحروب بالوقود، وتطوير الصحاري وكانت طموحاتها التجارية محفوفة بالنتائج الدبلوماسية: الثورات في العراق والحركة الاقتصادية في إسكتلندا - الحرب الأهلية في نيجيريا - وبدت في كثير من الأحيان أشبه بحكومات خاصة تنازلت لها لدول قريبة عمداً عن جزء من دبلوماسيتها، وظهرت أحياناً كأنها تمثلت بـ"أطلس" نفسه وهي تحمل العالم على كتفها وداخل مراكزها الرئيسية المشتركة التي شهدت حروباً وأزمات كثيرة تجيء وتذهب، كأن من الصعب أن يصدق المرء أن ظاهرة الأوبيك الجديدة لا تتعدى أن تكون نكسة مؤقتة أخرى في سيرة النصر الطويلة لشركات البترول، والسبب في ذلك أنها كانت تمثل أكثر بكثير من نفسها، لقد كانت جزءاً رئيسياً من مجمل النظام الاقتصادي في الغرب"[٢].

بل إن الهدف الاستراتيجي [٣] لهذه الشركات هو خدمة الدبلوماسية الغربية وإن عمليات البترول الأمريكية ما هي إلا أدوات يسيرها المسؤولون عن السياسية الخارجية الأمريكية في هذه البلدان [٤].

---

(١) عن د. أحمد بلوافي - عن مجلة السنة العد ٧٤ ص٢٥.

(٢) عن د. أحمد بلوافي - عن مجلة السنة العد ٧٤ ص٢٥.

(٣) المرجع السابق ص ٢٧.

(٤) المرجع السابق ص ٢٥ عن تقرير المعرفة وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٥٣م.

إن مسئولي هذه الشركات كما يصرح أحد مدرائها قائلاً: - "لقد نشأوا في (أكسون) كشركة محلية في بنسلفانيا ولكننا انغمسنا في السياسة طول حياتنا، مع أننا بدأنا عملنا كتجار ومستوردين للبترول إلى بلادنا". أي أن هذه الشركات لم يقتصر عملها محلياً بل جابت الأرض طولاً وعرضاً، ومن هنا فقد تدخلت من أجل مصالحها في السياسات والاقتصاد للبلدان التي كانت تعمل فيها ولم يقتصر تدخلها على الناحية الاقتصادية والربح بل تعدى ذلك إلى النواحي الدبلوماسية والمهام السياسية كما هو الحاصل في تاريخ شركة شل حيث كان لها وجود في كل من بريطانيا وهولندا وأمريكا وأوروبا وغيرها من البلدان لدرجة أن مسؤوليها ومدراءها لم يكن يفوتهم أي حدث يجري في جزء ما من العالم، ولأنه يؤثر حقيقة وليس خيالاً في مصالحهم [(١)].

ولم يكن هذا الدور ليقف عند هذا الحد بل إنه تعداه إلى الأنظمة الحاكمة في الدول التي تعمل بها. فنظرة إلى الوراء قليلاً وبالتحديد إلى عهد الخمسينات والستينات والسبعينات يلحظ المستقرئ للتاريخ كيف أنها حفلت بكثير من الحوادث التي لم تكن هذه الشركات في غفلة منها، بل لقد كان لها الدور الكبير والمؤثر في كبريات تلك الأحداث، ففي أحداث ١٩٧٢م في الشيلي أدّى تدخل شركة (I T T) إلى سقوط نظام سلفادور ألندي ذي التوجهات الماركسية.

واستطاعت شركة برتش بتروليوم (BP) أن تسقط حكومة مصدق في إيران الذي أمم مصافي النفط وآباره.

وفي الستينيات تدخلت شركة أكسون وغيرها في أحداث دول أمريكا اللاتينية وفي العقد الأخير للقرن العشرين، هذه الشركات تدخلت في صميم سياسات الحكومات التابعة لها ممثلاً: -

في عام ١٩٩٥م أعدمت الحكومة العسكرية في نيجيريا تسعة معارضين منهم الكاتب كن (Ken) سي اديوا بسبب انتقاده لشركة شل لأنها تحقق أرباحاً طائلة من إنتاجها البترول في منطقة يسكن بها شعب (أوجوني) في حين تتعرض حياة ٥٠٠ ألف شخص للخطر من جراء التلوث.

---

(١) المرجع السابق ص ١٦عن الشقيقات السبع.

وما ذلك إلا لعلاقة شل الوثيقة بالحكومة العسكرية بسبب النفط الذي يشكل ١٤٪ من مجموع إنتاجها على المستوى العالمي.

وكان أقوى تعليق بل تصريح هو الذي صرحت به مجلة ملتنا شيونال مونتر في ديسمبر ١٩٩٥م حينما صرح أحد الكتاب قائلاً: "إن النفط هو السلعة الأساسية والهامة الوحيدة في نيجيريا وشل هي العمود الفقري (لسوق هذا النفط)" [(١)].

ثم ذكر بالأرقام الكمية الهائلة من النفط التي تسربت في كذا كذا عملية بسبب سوء الأنابيب ولأجلها يقول الكاتب: قامت المظاهرات في ذلك البلد واحتج العالم على نيجيريا لسوء تصرفها حتى مع شعبها وقمعه واقترحت حكومات العالم أن تفرض عليها عقوبات إلى غير ذلك من الأحداث.

وأجرت هذه المجلة مقابلة مع الدكتور أوين سراديوا شقيق (كن) في عددها الصادر في يوليو / أغسطس ١٩٩٦م لتجد الإجابة بكل وضوح عن سؤال مفاده من يحكم نيجيريا فيقول: -

" شل بطبيعة الحال هي التي تحكم فعلياً، هذا معروف جداً.. " ولا أظن بعد هذا أن مثل هذه الحقائق تحتاج إلى تعليق!!

- وفي عام ١٩٩٧م شاركت شركة إلف (ELF) الفرنسية المعروفة التي تسيطر على حوالي ثلثي إنتاج النفط في الكونغو في الانقلاب الذي أطاح بالرئيس المنتخب باسكال ليسوبا، وذلك بتقديم الدعم المادي للمعارضة بل زودتها بالأسلحة وذلك لأن الرئيس المنتخب بدأ بالتفاوض مع شركة أمريكية حتى ينهي عملية الاحتكار التي تقوم بها إلف (ELF) لأنها أخلت ببنود كثير من العقود المتفق عليها وبدأت تتصرف كما لو كانت هي التي تملك فقط الكونغو لا شعبه وبسبب ذلك فقد أدرجتها مجلة ملتنا شيونال مونتير (MM) ضمن قائمة أسوأ عشر شركات متعددة الجنسية عام ١٩٩٧م.

---

(١) مجلة Multinational Monitor (MM)، وانظر عبد الحق زلوم نذر العولمة ص ٢٩١، ٢٩٢، December 1995 وانظر أحمد بلوافي حول دور الشركات في إسقاط الحكومات وصناعة الزعماء، المرجع السابق ص ٢٩.

– إن الشركات المتعددة الجنسيات تسهم بشكل كبير في زيادة التعفن المالي والإداري لمستوى الدول النامية بما تقدمه من رشاوى مغرية يقول الدكتور/ بيير إيجن، رئيس منظمة الشفافية العالمية: – " إن نسبة كبيرة من الفساد المنتشر في دول العالم الثالث هي من صنع الشركات المتعددة الجنسيات التي تتركز مقارها في الدول الصناعية، وتعمل على تقديم رشاوى كبيرة لمسؤولي الدول المتحالفة من أجل الفوز بالصفقات ".

– لم يعد يخفى على أحد الدور السلبي الذي تقوم به هذه الشركات في تلوث البيئة وتغيير كثير من معالم المناطق ذات الطبيعة الخلابة مثل الغابات في الأمازون في أمريكا اللاتينية أو أفريقيا.

– إنها تعمل وبنشاط منقطع النظير على التأثير على حياة الناس وتغيير نمط سلوكهم وطريقة تفكيرهم واهتماماتهم مثلما يحدث الآن في دول العالم الثالث. ومن الأمثلة على ذلك: –

- أدخلت الشركات الأمريكية إلى أوروبا موسيقى " البوب".
- تعتمد شركات الخمور لترويج منتجاتها بشكل كبير على الدعاية الكافية ولحث الناس ليس على الشرب فحسب بل على الإدمان حتى يكثر الطلب وللأسف فإن المستهدفين في تلك الدعاية وتلك الإعلانات هم طبقة الفقراء والشباب والمدمنين وتستخدم لذلك أرقى وأحدث أسلوب الدعاية من أجل نشر ثقافتها الهابطة وتربط ذلك عادة بالجنس والرياضة والموسيقى وغير ذلك مما يجذب المستهدفين إليها.
- تستغل هذه الشركات ظروف الفقر والعوز والحاجة لدى كثير من البلدان النامية فتنقل فروعها إلى تلك الدول حيث العمالة الرخيصة وحيث الأمية المتفشية حتى على مستوى النخبة. فمثلاً: –

– شركة نايك العالمية المشهورة بصناعة الأحذية والألبسة الرياضية يتعرض عمالها في الدول الآسيوية لظروف قاسية مثل تدني الأجور، وانعدام الشروط الصحية والأمنية الواجب مراعاتها لتجنب تعرض حياتهم للخطر.

– ففي عام ١٩٩٦م ذكرت محطة (CBS) الأمريكية أن متوسط ما يتقاضاه العمال في فيتنام ٢٠سنتاً للساعة وأن ١٥ امرأة تعرضت لمعاملة قاسية من مرؤوسيها، ٢٥ امرأة طلب

منها الجلوس على ركبهن وأيديهن مرفوعة في الهواء لمدة ٢٥ دقيقة، هذا عدا التعرض للتحرش الجنسي والاحتقار من قبل المسؤولين.

وذكرت الأكونوميست في أحد أعدادها الصادر في يوليو ١٩٩١م أن الحذاء الرياضي الذي تبيعه نايك في أمريكا بـ ١٥٠ دولاراً يتم صنعه من قبل امرأة إندونيسية تتقاضى ٥٨ سنتاً في اليوم!!

وقد أثبتت إحدى الدراسات التي قامت بها هيئة هولندية أن ٩٩٪ من مجموع الـ٩٠ مليون حذاء الذي تنتجه الشركة كل عام تصنع في آسيا عبر شبكات نايك التي يصل عددها إلى ٧٥ ألف.

* * * * *

المطلب الثاني:
صندوق النقد الدولي

إن نظرة تأمل عميقة في ظروف نشأة وأهداف هذه المؤسسة تغني عن كثير من الكلام فقد «كان نظام النقد الدولي قبل قيام الحرب العالمية الثانية مفكك الأوصال مشتت الاتجاه لا تحكمه قواعد ثابتة، وبالتالي لم ينقذ العالم من الأزمات المتفاقمة التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الثانية بسب الصراعات التي أنشبت أظفارها بسبب التكتل وعدم الانسجام في التعامل الدولي لاختلاف السياسيات النقدية والمالية وتأثيرها على العلاقات الاقتصادية الدولية» [(١)].

عبرت هذه الكلمات عما وصل إليه العالم من اضطراب وفوضى مالية ونقدية كان أبرزها انهيار النظم الاقتصادية، وتدهور مشروط التجارة، وارتفاع معدلات التضخم والبطالة، وتقلبات أسعار الصرف، مع تعثر عمليات الدفع والتسوية، مما قاد إلى انهيار قاعدة الذهب التي كانت تحكم السوق في البلاد المختلفة عند اختلال موازين مدفوعاتها، حتى بدأ المفكرون الاقتصاديون والماليون والسياسيون ورجال الحكم يفكرون في وضع نظام نقدي

---

(١) د. أحمد بلوافي – الاستعمار الجديد – عن د. إبراهيم العيسى في كتابه صندوق النقد الدولي عن مجلة السنة العدد(٦٥) ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ص٣١، وانظر محمد شريف بشير – صندوق النقد الولي أهدافه وسياساته "الحالة السودانية" – معهد الدراسات السياسية – إسلام أباد باكستان ط١/ ١٩٩٥م ص٣,٤.

عالمي يتحقق في ظله الاستقرار النقدي وتتوفر فيه المحافظة على أسعار الصرف.

إن المسيرة التي قطعها صندوق النقد الدولي والمصرف العالمي عبر أكثر من خمسين سنة مضت على قيامهما، لم تشهد إلا فقراً مدقعاً عانت وتعاني ولا تزال تعاني منه عمالقة عظمى من البشر في حين بلغ الثراء حداً عالياً وخيالياً لدى قلة يتحكمون في سياسة هاتين المؤسستين الدوليتين، والحقيقة تشير إلى أنه من البداية قامتا نتيجة مخطط موضوع على أساس مطامع هيمنة أمريكية محضة، فيوم أجمع ممثلو زهاء خمسين دولة للإنفاق على أنظمة عمل المؤسسين، لم يكن في العالم الذي خلفته الحرب العالمية الثانية أحدٌ قادرٌ على معارضة الدولة الوحيدة التي بقيت بمنجاة من الدمار الاقتصادي والمالي، بل ازدادت قوتها المالية اعتماداً على الصناعة العسكرية وهي الولايات المتحدة الأمريكية، فالأوروبيون المنتصرون والمنهزمون في الحرب على السواء كانوا كاليابانيين تحت أنقاض الدمار الشامل، كذلك الاتحاد السوفيتي كان منهكاً اقتصادياً ومالياً رغم سيطرته على شرق أوروبا، أما ما يسمى اليوم بالعالم الثالث فقد كان في الحضيض اقتصادياً ومالياً، بعد نهب ثرواته في العهود الاستعمارية والاستغلالية المتطاولة، وهذا ما جعل الأمريكيين قادرين على فرض ما يريدون(١).

هذه هي ملابسات ظروف نشأة صندوق النقد الدولي، وكان الغرض الأساسي من إنشائه خدمة دول الحلفاء بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من أجل الحفاظ على الاستقرار النقدي والمالي في هذه البلدان، فتصحيح أسعار صرف العملات واختلالات موازين المدفوعات في آجال قصيرة.

---

(١) أحمد عبد الفتاح – عولمة الفقر في مؤتمر الربيع – مقال في مجلة المجتمع العدد (١٣٩٨) ١٤٢١هـ مايو ٢٠٠٠م عن مجلة السنة العدد ٣١ص٣٤.

أهداف الصندوق:

ويمكن تلخيص أهداف الصندوق في النقاط التالية[1]: ـ

١- تنمية التعاون الدولي في المجالات النقدية والمالية من خلال إشادة نظام مؤسسي دائم بغية إيجاد حلول للمشاكل النقدية الدولية.

٢- إقامة نظام دولي متعدد الأطراف للمدفوعات بغية تنظيم العمليات الجارية بين الأعضاء والحد من الإجراءات العتيقة كنمو التجارة الدولية.

٣- اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لتنشيط التجارة الدولية ودعم تطورها على أسس متوازنة من خلال تطوير الموارد الإنتاجية وتأمين حرية تبادل العملات بين الدول بحيث تقود إلى مستويات عالية من العمالة والتشغيل والدخل الحقيقي.

٤- تحقيق الاستقرار النقدي، وتجنب المنافسة في أسعار الصرف.

٥- منح البلدان الأعضاء فرصة للاستفادة من الموارد العامة للصندوق بشكل مؤقت عند حدوث أي عجز لتصحيح موازين مدفوعاتهم بشروط ضمانية محدودة.

٦- تأمين وسائل السيولة الدولية الضرورية لمجابهة الاضطرابات المؤقتة في موازين المدفوعات.

ومن خلال الأهداف يتبين أن الصندوق يقف راعياً لظروف الدول الكبيرة حتى تتهيأ لها الظروف الملائمة لنمو مبادلاتها التجارية، ولم يبق هذا الأمر مؤقتاً لظرف معين ولكنه استمر حتى بعد أن نالت الدول المستعمرة استقلالها فلم تتغير هذه الأهداف مراعاة لهذه الدول حديثة الاستقلال التي ما زالت هياكلها وقواعدها المالية والبنى التحتية مهملة.

علاقة الصندوق بالدول النامية (خاصة الإسلامية):

لمعرفة طبيعة هذه العلاقة فإنه بالنظر إلى نظام الحصص والتصويت المتبع لدى الدول الأعضاء في الصندوق نجد أن القيود المتعلقة بالعضوية قسمت هذه العضوية إلى قسمين: عضوية أصلية منحت للدول التي شاركت في أول مؤتمر للصندوق وهو مؤتمر (بروتن وودز)

(١) د. أحمد بلوافي - الاستعمار الجديد - عن د. عز الدين صالحاني - صندوق النقد الدولي والمساهمة السعودية - عن مجلة السنة العدد ٦٥ ص٣٣، ٣٤. وانظر محمد شريف بشير صندوق النقد الدولي أهدافه وسياسته صـ(٧، ٨)

وعضوية ثانوية وهي للدول التي انضمت للعضوية بعد هذا المؤتمر، وعلى كل دولـة ملتزمـة بهذه العضوية جملة من الشروط منها [(١)]: ـ

١- تحديد قيمة عملتها إما بالذهب أو الدولار الذي كان قابلاً للتحويل إلى الذهب.

٢- تقديم المعلومات الاقتصادية والمالية التي تطلب منه.

٣- إلزامها بدفع حصة للمساهمة في رأس مال الصندوق الـذي يمثـل المـورد الأسـاس لدعم نشاط الصندوق وعملياته، وتقدر هـذه الحصـة وفقـاً لعـدد مـن الاعتبـارات الاقتصادية والسياسية، وتؤخذ وفقاً لمعادلـة تسـمى معادلـة " بـروتن وودز " والـتي استخدمت منذ نشأة الصندوق وحتى أوائل الستينات وقد منحـت هـذه المعادلـة أو صيغة أولية خاصة للعوامل التالية [(٢)]: -

حجم تجارة الدولة الخارجية.

دخلها الوطني.

احتياطاتها من الذهب والعملات الأجنبية.

عدد السكان، مع اعتبارات أخرى.

هذه الشروط وهذه العوامل مجتمعة كلـها تصـب في مصـالح الـدول الكـبرى وخاصـة الولايات المتحدة الأمريكية، إذ استأثرت هذه الدول بالنصيب الأكبر مـن الحصـص ولم يبـق للدول الأخرى إلا القدر الضئيل من جملة الحصص، ومـن هنـا فقـد أحكمـت هـذه الـدول قبضتها على قرارات الصندوق من خلال نظـام الحصـص وبكيفيـة غايـة في المكـر والـدهاء ربطت قرارات الصندوق بمبدأ الأغلبية الخاصة متمشـياً مـع نسـبة ارتفـاع وانخفـاض حصـة

---

(١) أحمد بلوافي نفس المرجع ص٣٥، ٣٦، وانظر محمد شريف بشير - صندوق النقد الدولي أهدافه وسياساته - معهد الدراسات السياسية ص٩.

(٢) احمد بلوافي المرجع السـابق ص ٣٥، ٣٦، ٣٨ ومحمـد شـريف بشـير المرجـع السـابق ص ١٢، ١٣وانظـر د. رمضان عبد الله النظام الدولي تحولات الاقتصاد العالمي مركز دراسات العالم عن تقرير حولي عن الشـؤون السياسية والاقتصادية والإسلامية مركز الدراسات الحضارية ١٤١٤هـ - ٩٣ - ٩٤م ص ٤٦، ٤٧، انظر د. حازم الببلاوي النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانيـة إلى نهايـة الحـرب البـاردة سلسلة عالم المعرفة الصادر عن الجيش الوطني للثقافـة والفنـون والآداب الكويـت العـدد (٢٥٧) ص ٥٥، ١٧٣ وما بعدها.

الولايات المتحدة بالذات مما أتاح لها الاعتراض على ما لا يناسبها من قرارات أو العكس. بل والتدخل في شؤون الدول تحت أي ذريعة وأي مبرر خاصة بعد الشروط التي أقرها صندوق النقد الدولي في أيلول ١٩٩٦ م، وهذا الأسلوب في الحقيقة يشبه عملية " الفيتو" الذي يعطي الحق للدول الخمس الأعضاء في مجلس الأمن استخدامه والتلويح به فيما لا يناسب مصالحها وسياساتها [(١)]، الذي سمي بـ" إعلان شركاء في نمو عالمي مستدام " حيث حددت شروط صريحة لتعاون المؤسسات المالية العالمية مع الدول النامية المتلقية للمساعدات والقروض وبحسب فتحي يكن ورامز طنبور فقد اشتملت تلك القروض على الظواهر السياسية التالية [(٢)]: -

١ - محاربة الفساد في أجهزة الدولة.

٢ - زيادة كفاءة الأداء في مؤسسات القطاع العام.

٣ - اتباع أساليب الحكم الرشيد وسيادة القانون.

٤ - التزام الشفافية في السياسات والخطط الحكومية.

٥ - إعمار مبدأ المحاسبة في مؤسسات القطاع العام وأجهزة الدولة.

والملاحظ على هذه الشروط فضفاضتها وإيجابيتها لأول وهلة إلا أنها أعطت الضوء الأخضر للدولة المهيمنة على الصندوق" وهي بالطبع أمريكا" حق التدخل في شؤون الدول النامية تحت أي مبرر وتحت أي غطاء.. مخترقة بذلك مبدأ السيادة الوطنية وحتى يتسنى لها الهيمنة الكاملة على مقدرات وخيرات الشعوب الفقيرة والدول النامية.

نخلص من هذا كله إلى أن الدول النامية التي لم تكن بعد قد نالت استقلالها، لم تبدأ علاقتها بالصندوق إلا في نهاية الخمسينات وبداية الستينات وتطورت أو ارتبطت به أكثر خلال عقدي السبعينات والثمانينات، وارتبطت بالصندوق وهي في حالة لا تغبط عليها حين خرجت من ربقة الاستعمار وهي مفككة الأوصال منهارة الاقتصاد فبمجرد ارتباطها بالصندوق اعتمدت على القروض لتغطية العجز في موازين مدفوعاتها ولم تكن بناها الداخلية قوية، وحتى أسعار موادها الأولية التي تصدرها معرضة على الدوام للانخفاض

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر فتحي يكن رامز طنبور العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص ٦٠.

مقابل الازدياد المستمر في أسعار المواد المصنعة والاستهلاكية التي تستوردها وهكذا بدأت عملية الاختلال هذه تأخذ صفة الديمومة والاستمرار مما اضطرها ذلك لمزيد من القروض ومزيد من الديون حتى تراكمت عليها وزادها ذلك عبئاً بل كان عائقاً في طريق تحقيق تنمية اقتصادية منشودة، حتى وجدت نفسها بعيدة من الزمن عاجزة عن التحكم في أوضاع اقتصادياتها الداخلية ودفع أقساط الفوائد والديون المستحقة وطالبة بتمديد آجال الديون والفوائد والحصول على قروض أخرى، هنا يكمن الخطر حيث اشترطت الدول الدائنة على الدول المدينة الفقيرة العاجزة التعامل مباشرة مع صندوق النقد الدولي والاتفاق معه على تبني برنامج الإصلاحات الاقتصادية[(١)].

مما جعل الصندوق يتبوأ مكانة خاصة على صعيد المؤسسات الاقتصادية والمالية العالمية وأصبح يمثل البوابة التي لا يمكن تجاوزها مع من يضطر لاستخدام موارد أو مواد المؤسسات العالمية الخاصة والعامة[(٢)].

فيتوقف التعامل مع أي دولة دائنة على رضى الصندوق الذي يتخذ إن شاء موقفاً إيجابياً أو سلبياً إزاء بلد ما وعليه يمنحه رضاه إذا كان ذلك في صالح الصندوق وينطبق عليه قول الشاعر:

إذا غضبت عليك بنو تميم ::: حسبت الناس كلهم غضابا[(٣)]

وثيقة خطاب النوايا:

وعلى الدول التي تلجأ إلى الصندوق لتبني برنامج الإصلاحات الهيكلية (adjustment programs) عليها أن تقدم وثيقة خطاب النوايا (Letter of intent) متضمنة ملخصاً عن أهداف السياسات التي سوف تتبعها من أجل تصحيح الخلل في ميزان المدفوعات ومستوى النمو الاقتصادي وحركة الأسعار العامة وكذلك التدابير التي تستخدمها الدولة من أجل

---

(١) أحمد بلوافي الاستعمار الجديد (علاقة الصندوق بالدول النامية) عن مجلة السنة العدد (٦٦) محرم ١٤١٨هـ أيار مايو ١٩٩٧ص ٣٤.
(٢) المرجع السابق ص ٣٥، ٣٦.
(٣) المرجع السابق ص ٣٥، ٣٦.

تحقيق هذه الأهداف كما يقوم خبراء الصندوق بزيـارة ميدانيـة للبلـد المعـني للاطـلاع علـى أوضاعه الاقتصادية عن قرب ومناقشة ذلك مع المسؤولين الماليين والاقتصاديين [١].

وصفة الصندوق الجاهزة:

كما أن السياسات المتبعة التي يطلبها الصـندوق لا تراعـي اخـتلاف الظـروف مـن بلـد لآخر وتتضمن الوصفة السياسية والاقتصادية الجاهزة عدة نقاط يمكن إجمالها في الآتي[٢]: -

١- تحرير أسعار الصرف والرقابة على الواردات وأهم بنـد في هـذا هـو تخفـيض قيمـة سعر صرف عملة الدولة المعنية مقابل العملات الأجنبية الحرة.

٢- رفع الدعم عن أسعار المواد الاستهلاكية وخدمات المرافق الاجتماعية وبينها سياسة الزيادة في مستوى الأسعار بشكل عام.

٣- مراقبة الائتمان المصرفي من خلال رفع أسـعار الفوائـد وزيـادة نسـب الاحتياطـات النقدية التي تحتفظ بها البنوك التجارية لدى البنك المركزي.

٤- اعتماد سياسة الخصخصة أو الخوصصة.

٥- رفع القيود عن التجارة الخارجية والعمل علـى تسـهيل الإجـراءات القانونيـة أمـام المستثمرين الأجانب.

٦- الحد من العجز الحكومي وذلك بالضغط على النفقات التي تتعلق عـادة بالخـدمات الاجتماعية ورفع الدعم عن أسعار المواد الأساسية، ثم رفع الضرائب والأسعار مع مراقبة الزيادة في الأجور أو تثبيتها وأن تكون الزيادة في الأجور إن حصلت أقل من الزيادة في معدلات التضخم.

*** الآثار السيئة لهذه السياسة[٣]:**

---

(١) البيت للشاعر جرير بن عطية بن حذيفة الكلبي اليربوعي، أبو حزورة، من تميم أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، (٢٨هـ - ١١٠هـ).

(٢) انظر مصطفى محمد العبد الله التصحيحات الهيكلية والتحول إلى اقتصاد السوق في البلدان العربية بحث مقدم إلى الندوة الفكرية التي نظمها المركز الطبي للدراسـات والتحاليـل الخاصـة بـالتخطيط الجزائـر ط١ / ١٩٩٩ بيروت ص ٣٩ وما بعدها، وانظر رمزي قاسم إصلاح الاقتصـاد في مصـر، الـدار المصـرية اللبنانيـة ضـمن مشروع مكتبة الأسرة طبعة خاصة ١٩٩٨ ص ٦٦.

(٣) د. أحمد بلوافي المرجع السابق ص (٣٤، ٣٨، ٣٩) وانظر جيمس صيداوي جغرافيا ما بعد الاستعمار ترجمة

١- إلحاق الضرر البالغ بالفئات ذوي الدخول المتوسطة والمتدنية.

٢- الاضطرابات الاجتماعية والقلاقل والمظاهرات عن هذه السياسة في كل بلد اتبع هذه الشروط.

٣- النقد المستمر والصيحات العالية من محللي ومنتقدي برنامج الإصلاحات التي يطلبها الصندوق.

٤- عدم نجاح هذه السياسة في البلدان التي اتبعتها.

إن أهم إفرازات صندوق النقد والبنك الدوليين التي نفذت من أوائل السبعينات وهي الآن تحت غطاء التنمية من خلال القروض المشروطة هو تضخم أرقام المديونية للدول النامية حتى برزت على السطح كأزمة عالمية مع مطلع الثمانينات حين عجزت هذه الدول عن الوفاء بالتزاماتها المالية ومن ثم تعسر عليها الوفاء بخدمة هذه الديون في ظل النمو الاقتصادي الأعرج والمتعثر على الدوام.

وبالتالي انعكست هذه الأزمة سلباً على شعوب هذه الدول واستقلالها من الناحيتين السياسية والاقتصادية.

*** بداية الأزمة (١):**

- بعد انهيار نظام " براثيون وودز " عام ١٩٧١ م وبعد إعلان الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون إلغاء الصلة بين الدولار الأمريكي والذهب استطاع صندوق النقد والبنك الدوليين إقناع الدول النامية بإمكان إحداث تنمية اقتصادية من خلال القروض والمساعدات التي يقدمانها والشروط تبدو لأول وهلة سهلة وميسرة وبأسعار فائدة أدنى من سعر التضخم عوضاً عن الاعتماد على الشركات الخاصة والاستثمار بالمشاركة أو المساهمة برأس

أحمد سليم عن مجلة الثقافة العالمية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد (١٠٨) سبتمبر أكتوبر ٢٠٠١ / ص ٧٥، وانظر د. محمد مقداوي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد ص (٨٨، ٨٩، ٩٠).

(١) انظر عبد الكريم حمودي: تجارة الديون بوابة استعباد العالم الثالث المجتمع، العدد ١٤١٣هـ جمادى الأولى ١٤٢١هـ ١٥/٨/٢٠٠٠م، ص ٢٦، وانظر: بول هرست ومراهام طربسون بالعولمة، ترجمة د. صالح عبد الجبار، مرجع سابق، ص٥٦، وانظر. د. رمضان عبد الله: تحولات الاقتصاد العالمي، مركز الدراسات الحضارية، ص ٤٩، مرجع سابق، وانظر: د. جلال عبد العزيز القباطي: نحو هيكلية مالية عالمية جديدة، عن جريدة الثورة اليمنية، العدد (١٣٠١٦) يوليو ٢٠٠٠م، ص ١١، وانظر د. جازم البيلاوي النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، ص ١٨٨، مرجع سابق.

المال الوطني الذي كان يهرب نتيجة عوامل كثيرة.

– أقبلت الدول النامية وبكثافة منذ منتصف السبعينيات على الاستدانة مـن الصـندوق والبنك الدوليين وغيرهما من مؤسسات الإقراض الدولية بهدف استثمارها في مشاريع البنية التحتية وتطوير القطاع الصناعي والزراعي.

– من سنة إلى أخرى تعاظم الاقتراض الخارجي الذي كان دافعه تجنـب الانخفـاض في معدلات الاستثمار والنمو، وذهبت نسب كبيرة من هـذه القـروض لتمويـل الاسـتهلاك بمـا يصل إلى النصف.

– وتوجه الإنفاق العـام الاسـتثماري بالفعـل نحـو مشـاريع غـير ذات كفـاءة وباهظـة التكاليف، مما تسبب في إحداث خسائر كبيرة وهوة واسعة في الميزانيات العامة.

– ارتفعت أسعار الفائدة مع ارتفاع أسـعار الـنفط في مطلـع سـنة ١٩٧٩م وانخفضـت أسعار المواد الأولية بشكل حاد، فتفاقمت كلفة تسديد الديون.

– قامت الدول النامية بالاقتراض مجدداً للإيفاء بالتزاماتها والتخلص من شبح الانهيار

– مع تراكم القروض وفشل المشاريع التنموية في هذه الـدول تعمقـت أزمـة المديونيـة وتحولت إلى أكبر عائق أمام التنمية وتفجرت أزمة الديون كأزمة عالمية عام١٩٨٢م

– أعلنت العديد من دول العالم عجزها عن أداء التزاماتها المالية تجـاه الـدائنين، الأمـر الذي أثر على شعوبها واستقلالها في قرارها السياسي والاقتصادي.

الأسباب التى أوقعت الدول النامية فى شراك المديونية:

وهناك مجموعة مـن الأسـباب تضـافرت جميعهـا في دفـع الـدول الناميـة في شـرك هـذه المديونية منها على سبيل المثال:

١ – العلاقات غير المتكافئة التي تربط الدول النامية بالبلدان الصناعية المتقدمة.

٢ – فشل الدول النامية في تحقيق مهام الاسـتقلال الاقتصـادي وسـلوك طريـق التنميـة المستقلة. أما أسباب المديونية فهي ترجع إلى:

١ – اعتماد الدول النامية سياسات واستراتيجيات غير ملائمة.

٢ – تضخم الاسـتيراد وتمويلـه بـالاقتراض مـن صـندوق النقـد الـدولي وغـيره مـن

المؤسسات المالية والدولية.

٣ – سوء استخدامها الموارد والقروض وعدم كفاءة الأداء الاقتصادي.

٤ – الفساد الإداري والمالي وتدني الإنتاجية.

٥ – نشوب الحروب الأهلية والنزاعات المسلحة المتكررة وإنفاق أكبر كم من القروض في هذا الجانب.

٦ – ازدياد نسبة الإنفاق العسكري الذي شهدته الدول النامية خلال السبعينات والثمانينات وحتى بداية التسعينات.

هذا على الصعيد الداخلي. أما على الصعيد الخارجي فيمكن تلخيص الأسباب وإجمالها إلى النقاط التالية:

١ – تعويم أسعار الصرف وتزايد المضاربات تحت رعاية وحماية صندوق النقد الدولي.

٢ – التغيرات في أسعار صرف العملات وخاصة الدولار والارتفاع الحاد الذي طرأ على أسعار الفائدة بل وتعويمها في أسواق النقد الدولية وخاصة في الولايات المتحدة، حيث الهدف من وراء ذلك استقطاب رؤوس أموال الدول النامية وخاصة النفطية وإعادة تدويرها عبر قروض يقدمها الصندوق.

٢ – الإجحاف الذي طرأ على الدول النامية من قبل الدول الصناعية الكبرى إذ أنها ضاعفت أسعار مواد الاستيراد مقابل أسعار المواد الأولية التي تصدرها الدول النامية.

٤ – انخفاض الطلب العالمي على المواد الأولية من الدول النامية نتيجة الركود الاقتصادي الذي عانى منه العالم الرأسمالي.

٥ – تدهور حجم المعونات والقروض الميسرة الرسمية التي كانت تقدمها الدول الغنية للدول الفقيرة.

٦ – نشاط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في سعيهما لإقراض الدول النامية في

ظل حاجتها المتزايدة للقروض لتسديد الديون ودفع خدماتها [١].

*** شروط استمرار تقديم القروض[٢] :**

منذ البداية اعتمد الصندوق استراتيجية طويلة الأجل تبدأ بالقروض تحت غطاء التنمية واستمراريتها حتى إذا عجزت الدول النامية عن السداد حولت اقتصادات الدول النامية إلى اقتصادات السوق وذلك من خلال برامج التصحيح الاقتصادي التي كانت تفرض على الدول الراغبة في الحصول على قروض جديدة.

وفي حالة حصول انهيار اقتصادي كإفلاس دولة ما أو عدة دول يتقدم الصندوق بمد يد المساعدة للإنقاذ لكن بشروط أقسى وأمرّ حيث يفرض على دول الأزمة أن تبيع شركاتها وبنوكها ومؤسساتها إلى الشركات الأجنبية الراغبة في الحصول على الاستثمار وهذا هو عين ما حدث في البرازيل وإندونيسيا وغيرهما.

وثمة شروط للصندوق يحددها لاستمرار القروض منها:

١- أن تكون أولوية السداد لصندوق النقد الدولي حالة وجود مؤسسات دولية مالية دائنة أخرى.

٢- أن تصرف أموال القروض في تمويل مشروعات نتيجة تضمن - نظريات - تحقيق مداخيل من شأنها سداد القروض مستقبلاً مع إغفال جانب البنى التحتية للبلدان النامية مثل(مجالات النقل - التعليم - الصحة - الخدمات الاجتماعية، وغيرها..).

٣- فرض معدلات فائدة تتناسب مع وضع الدولة ومع قدرتها على السداد ومواردها الطبيعية...

٤- فرض الخيارات الاقتصادية والسياسية الغربية على الدول المستدينة دون النظر إلى خصوصيتها الحضارية والثقافية ودرجة تطورها التاريخي ومدى ملائمة تلك الخيارات لأنماط الحياة السياسية والاقتصادية فيها وذلك عن طريق برامج الإصلاح الاقتصادي والتي تتطلبها تلك المؤسسات كشرط لتقديم القروض. تتضمن هذه

---

(١) انظر: عبد الكريم حمودي: تجارة الديون، المرجع السابق، ص ١٧، ١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨، وانظر: مهارات الفهم العالمي: العولمة، إعداد لجنة البحوث والدراسات الإسلامية عن طريق الإنترنت، ص ٤٨، وما بعدها.

البرامج تخصيص الصناعات والمرافق العامة، ورفع الدعم عن السلع الأساسية وإلغاء أي حواجز جمركية تهدف إلى حماية السلع المحلية وإلغاء التشريعات كافة التي تحد من تنقل رأس المال دخولاً وخروجاً.

وعندما تعجز الدول النامية عن تسديد ديونها فقد ابتكر الصندوق طريقة جديدة تسمى " إعادة جدولة الديون" ولكنه يربطها بشروط إضافية تعجيزية منها [(١)]:

سياسات التثبيت المالى أو النقدى:

وقد ارتبطت هذه الشروط بما يعرف بسياسات التثبيت المالي أو النقدي (Stabilization programs) حيث يلزم الصندوق الدول المدينة باتباع سياسات اقتصادية من شأنها تحسين أوضاع المتغيرات الكلية (Maicro Economic) لاسيما فيما يتعلق بضبط عجز الموازنة واختيار أسعار صرف واقعية وأسعار فائدة مناسبة [(٢)].

١- التخلص من العجز في ميزان المدفوعات.

٢- تحرير التجارة الخارجية والصرف الأجنبي.

٣- إحداث سوق للصرف وتقويم قيمة العملة الوطنية.

٤- إحداث إصلاحات مصرفية.

٥- إحداث أسواق للمال والنقد.

٦- اعتماد سياسة مالية ونقدية محددة تركز على تخفيض الإنفاق العام في إطار خفض العجز في الموازنة العامة للدولة.

٧- تجميد الأجور والتوظيف في الإدارات الحكومية.

٨- تصفية القطاع الحكومي خاصة في مجال الخدمات وابتعاد الدولة عن النشاط

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩، وانظر د. حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر.

(٢) مرجع سابق، ص ١٨٩ - ١٩٠، وانظر: فتحي يكن ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي،= =ص٥٨، ولمزيد من المعلومات انظر: تقرير معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية - حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة: عمران أبو جيسلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١٩٩٧م، ص ٦٣، ٦٥، وما بعدها، وانظر: مهارات الفهم العالمي - العولمة إعداد لجنة البحوث والدراسات الإسلامية، ص ٣٤ - ٣٧.

الاقتصادي.

تحمل هذه الشروط المجتمعة في طياتها روح الهيمنة والانتهازية والاصطياد في الماء العكر حتى تبقى الدول النامية وبخاصة الإسلامية منها خاضعة وخانعة للدول القوية مثقلة ومكبلة بالديون وهي بهذا تمهد الطريق في هذه البلدان لترزح تحت هيمنة وسيطرة الشركات، تحت غطاء التنمية، وتحت مسمى الخصخصة وإدخالها في عالم سوق الصرف وإيجاد الأسواق المالية والنقدية لممارسة الربا بكل أصنافه وإخفائها للجشع والنهب واستغلال الثروات وترزح الشعوب تحت سيطرة هذه الشركات اقتصادياً وسياسياً وما يتبع ذلك من نواحي أخرى تشمل التعاونية والاجتماعية والإعلامية وغيرها، وتنتهي إلى دواعي الفوضى والاضطراب لتخيم على هذه البلاد البطالة والبؤس والفقر المدقع والحاجات المعوزة وهذا كله بسبب ما ندخله نحن بأيدينا ونفتح لهم الطريق تحت ما يسمى بالانفتاح على الآخرين من غير أساس متين ولا تعامل ندي.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: **«توشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها»** (١)، وكذلك قوله ﷺ : **«لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً شبرا، أو ذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»**. قالوا اليهود والنصارى**!** قال: **«فمن»** (٢).

كل ذلك باسم الرأي والانفتاح على الحضارات الأخرى لتنتهل منها بغير هدى إلا مما نستفقه منهم وهل هذا بمنطق**!!**

وإنما يرجع ذلك ابتداءً ونهاية إلى غياب الوازع الديني وغياب روح الرسالة الخاتمة الهادية العالمية، وإهمال القيام بواجب تبليغ هذه الرسالة، وإلا فالمفروض أننا – نحن المسلمين – المسيطرون الآمرون الناهون في ظل روح إيجابية وخيرية ورحمة هذه الرسالة الإسلامية الكاملة الخالدة التي ينبغي ألا تغيب عن الحضارة الغربية إذ هي في حاجة إليها حاجة الظمآن للماء.

* * * * *

(١) هو عند الإمام أبى داود في سننه كتاب الملاحم، باب تداعى الأمم رقم (٣٧٤٥).

(٢) الحديث في صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبى لتتبعن سنن من كان قبلكم رقم (٦٧٧٥).

المطلب الثالث:
البنك الدولي

تضمنت الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية قيوداً على تحويل النقد وحروب أسعار الصرف بين الدول لتوفير ميزة مناسبة لها في كسب الأسواق، وترتب على ذلك قيود على حرية التجارة وتسبب ذلك كله في انخفاض معدلات النمو الاقتصادي وشيوع الكساد ونزاعات ضارية حادة وتعصب مقيت حتى تهيأت الظروف لحرب جديدة لم تلبث أن استمرت أوارها في الثلاثينات لذا فقد حرص الحلفاء ومنذ وقت مبكر على إنشاء ووضع نظام اقتصادي تحول دون تكرار هذه التجربة المريرة وقاد هذه الفكرة النظامين البريطاني والأمريكي وكانت البصمات الواضحة منه هي البصمات الأمريكية حيث تم في الأخير بعد محاولات ومحادثات وخلافات حادة تم الاتفاق على إنشاء البنك الدولي مع صندوق النقد ضرورة البنك الدولي وعرفت هذه الاتفاقية باسم بريتون دودز عام ١٩٩٤م والتي تضمنت أهم معالم النظام والاقتصادي الدولي فيما بعد الحرب العالمية الثانية [(١)].

وكان الغرض الرئيسي من إنشاء البنك وأخويه الصندوق ومنظمة التجارة هو العمل على استقرار النقد وتوفير قابلة العملات للتحويل (Conver tihility) وضمان حرية التجارة متعددة الأطراف (Moltieteral Trad) وكذلك بغرض الإسهام في تعمير وتنمية أقاليم الدول الأعضاء المتضررة من الحرب العالمية الثانية عن طريق تقديم القروض المالية وضمان تدفق الاستثمارات الدولية [(٢)]. وكذلك مساعدة الدول الفقيرة وتعزيز حركة الاستثمارات وأنشأ البنك الدولي للإنشاء والتعمير (IBRD) وتعني تفصيلاً:

(Inter national Bank for Re cons truction and Develoment)

ثم اتفق أخيراً على استبدال كلمة التعمير (Development) بمصطلح التنمية وبدأ

---

(١) عن د. حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر صـ٤٣ سلسلة عام الموقعه. انظر د. رمضان عبد الله في تحولات الاقتصاد العالمي – توازنات الثروة والقوة.

(٢) د. طه أحمد الفسيل – استراتيجية البنك الدولي تجاه اليمن (١٩٧١ – ٢٠٠١م) عن مجلة شؤون العصر السنة ٦ العدد ٧ محرم – ربيع أول ١٤٢٣هـ – ابريل – يونيو ٢٠٠٢م. صـ٤٣ وما بعدها وانظر د. رمضان عبد الله – تحولات الاقتصاد العالمي وتوازنات الثروة والقوة مركز الدراسات الحضارية تقرير الأمة في عام تقرير حول الشؤون السياسية والاقتصادية الإسلامية ١٩٩٣ – ١٩٩٤م صـ٤٧.

(٣) د. حازم الببلاوي النظام الاقتصادي المعاصر صـ٤٥.

البنك عمله حيث تمثل في تمويل الجهود الرامية إلى إعادة بناء الاقتصادات المهدمة في أثناء الحرب ثم الجهود التنموية[٣].

المؤسسات الدولية التي تعمل في إطار البنك الدولي:

تمخض مشروع التنمية الذي قام به البنك الدولي عن مؤسسات شقيقة أخرى تعمل في إطار ما يسمى بمجموعة البنك الدولي وهي: The World Bank Griup

١- مؤسسة التمويل الدولية International Finance Corparation (IFC)

٢- هيئة التنمية الدولية International Devdopmont Association (IDA)

٣- الوكالة متعددة الأطراف لضمان الاستعمار

(MiGA) Multilateral Investmant Guarante (Agensy)

أما مؤسسة التمويل الدولية (IFC) فقد أنشأت في عام ١٩٥٦م لتمثل فروع البنك المهتم بتنمية القطاع الخاص وتشجيعه عن طريق المساهمة في مقابل الفروض التي يعطيها البنك للدول باسم القطاع العام وبضمانات من حكوماتها [١].

وتقوم فكرة هذه المؤسسة على مشاركة الشركة (القطاع الخاص) في استثمار مشروع ما، مما يشجع القطاع الخاص على دخول ميدان الاستثمار، وتقوم فلسفة هذه المؤسسة على بيع حصتها من الشركات (القطاع الخاص) بعد أن تقف على قدميها!!

وأما هيئة التنمية الدولية:

فقد أنشأت عام ١٩٦٠م، وتعتبر ذراع البنك في الدول ذات الدخل المنخفض[٢]، والغرض منها كما يقال أنها باب جديد لتوفير مصدر آخر للتمويل تلجأ إليه الدول الفقيرة جداً ولا تستطيع أن تحصل على تمويل من البنك الدولي مباشرة لارتفاع التكليف وصعوبة الشروط، فهذه المؤسسة باب ميسر لتمويل رخيص وطويل الأجل، وسعر الفائدة في حدود (٠.٧٥) ولفترات تصل من ٣٠ - ٤٠ سنة مع فترة سماح تصل إلى عشرة أعوام

---

(١) انظر د. طه أحمد الفسيل - استراتيجية البنك الدولي تجاه اليمن (١٩٧٢ - ٢٠٠١م) عن شؤون العصر ٢٠٠٢م صـ٤٥.

(٢) انظر الفيل شؤون العصر العدد ٧ يونيو ٢٠٠٢ صـ٤٥.

(تسمى عمولة نقل عن ١٪ بغرض تصفية المصاريف الإدارية).

وتتكون موارد هذه الهيئة من المساهمات الاختيارية للدول الغنية، والتي تخصص لذلك الغرض، وقد كانت الهند أكبر مستفيد من قروض الهيئة في خلال الثلاثين سنة الأولى من عمرها، ثم تغير الأمر بعد انضمام الصين إلى البنك الدولي في بداية التسعينات، ويرجع هذا الاختلاف بين البنك والهيئة بشكل رئيسي إلى اختلاف مصادر تمويلها، فالبنك يحصل على معظم موارده المالية من أسواق رأس المال العالمية ليعيد إقراضها للدول الأعضاء فيه بينما تحصل الهيئة على معظم مواردها المالية من مساهمات الدول الأعضاء الغنية في البنك وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا حيث تعرف هذه الدول في الهيئة بمجموعة الدول الأولى.

الوكالة متعددة الأطراف لضمان الاستثمار:

أنشأت في عام ١٩٨٥م وذلك لتوفير الضمان للاستثمارات الأجنبية ضد المخاطر غير التجارية [*] المصادرة والحروب [١] ومنع التحويلات للعملات الأجنبية – التي قد تتعرض لها الشركات الاستثمارية في البلد النامي (المضيف) على رغم أن معظم الدول الصناعية تعرف مؤسسات وطنية لضمان استثمارات مواطنيها في الخارج ضد المخاطر غير التجارية ولكن إنشاء هذه الوكالة في نظر البنك من شأنه أن يؤدي إلى تحسين المناخ العام للاستثمار وخاصة في الدول النامية.

وتتكاثف هذه المجموعة من البنك الدولي لتنفيذ سياسة في ميدان تمويل التنمية الاقتصادية [٢].

نشاط البنك الدولي:

بدأ البنك نشاطه بالتعاون في تعمير الاقتصادات الأوروبية المحطمة أثناء الحرب، ثم ركز عملياته على قضايا التنمية في دول العالم الثالث والدول الاشتراكية أيضاً وذلك في نهاية الخمسينات والتسعينات على التوالي.

(*) المخاطر: مثل التي قد يتعرض لها المستثمر مثل مخاطر التأميم أو مخاطر تحويل العملات – أو مخاطر سياسية.

(١) المصدر السابق.

(٢) د. حازم الببلاوي – النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة – سلسلة عالم المعرفة (٢٥٧) العام ٢٠٠١م صـ٤٣ – ٥١.

وقد أخذ البنك بفكرة قائمة على رأس المال القابل للاستدعاء (Callable Cabtall) بمعنى أن الجزء الأكبر والذي يمثل (٩٠٪) من مساهمات الدول الأعضاء في رأس مال البنك ضمن التزامها بسداد هذا الجزء عن طلب البنك(١).

أما موارده التي يستخدمها في الإقراض، فإنها تأتي من اقتراض البنك من أسواق رأس المال الدولية. ويتمتع البنك بجدارة ائتمانية عالية، حيث إن رأس المال القابل للاستدعاء يمثل ضمانة التزامات البنك التي يعقدها في شكل قروض وسنوات في الأسواق المالية(٢).

وتتكون عضوية البنك من حكومات الدول الأعضاء حيث تتحدد حقوقها بمدى مساهمتها هذه في رأس المال الذي يتحدد وفقاً لمعايير معقدة تأخذ في الاعتبار الوزن الاقتصادي للدول. ومن هنا فإن الدول الصناعية الكبرى تتمتع بقوة تصويت كبيرة تمكنها من السيطرة الفعلية على مقدرات البنك لذا فإن خمس دول كبرى تتمتع بما يقرب من ٤٣٪ من رأس المال، وبالتالي من الأصوات وقد زاد عدد الأعضاء في نهاية التسعينات إلى ١٨١دولة من أصل ٢٨ دولة في فترة التأسيس.

ويأتي نصيب الأسد من الحصص للولايات المتحدة الأمريكية حيث تبلغ ١٨٪ من مجموع الحصص، وقد كانت هذه النسبة أصلاً ٣٧٪، ومن هنا فإن لها دوراً متميزاً جداً بين جميع الدول الأعضاء.

وقد حرصت أمريكا على ذلك منذ نشوء البنك حين أصرت على أن يكون المقر الرئيس لها أمريكا، وهناك اتفاق غير مكتوب مفاده أن رئيس البنك ترشحه أمريكا، حتى يصبح تأثير السياسة الأمريكية على سير العمل في البنك شيئاً مقبولاً ولا يتسم بأي معارضة، بعكس الأداة السياسية البارزة للعولمة (أي الأمم المتحدة) والتي مقرها في نيويورك، فإن سياسة أمريكا فيها تتعرض للضغوط من قبل التدخلات الإدارية للوفود الأعضاء حيث ترسل الدول الأعضاء ديبلوماسية كاملة لتمثلها في الأمم المتحدة ولتتابع أعمال الأمم المتحدة متابعة تضطرها كثيراً للتدخل في أعمال الإدارة(٣).

---

(١) د. الببلاوي: النظام الاقتصادي، ص ٤٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٧، وانظر: رمضان عبد الله: تحولات الاقتصاد العالمي عن التقرير الحولي لمركز الدراسات الحضارية، ص٤٧، مرجع سابق، وانظر عبد الوهاب: مزارعة البنك الدولي، أهدافه خدماته،

أما أعضاء البنك الدولي والذي مقره واشنطن، وإن كانت هناك بعثات دبلوماسية من قبل الدول الأعضاء لمتابعة أعمال البنك والصندوق الدوليين، إلا أن جل اهتمامها هو بالعلاقات الثنائية لبلدانها مع الحكومة الأمريكية [(١)].

فالبنك في أمريكا لا يخضع إلا للسياسة الأمريكية وحدها، وأياً ما كان الأمر فإن البنك يديره إلى جانب الرئيس مجلس إدارة يتكون من ٢١ عضواً منهم خمسة دائمون والباقون منتخبون.

مهمة البنك الدولي:

ويمكن إجمال ما يقوم به البنك بالنقاط التالية: -

١ - الإقراض المشروعي (Project Finaneing) وخاصة مشروعات البنية الأساسية في المرحلة الأولى (الخمسينات).

٢ - التمويل البرامجي - وهذا بدأ في الثمانينات - فلا يمول البنك مشروعاً محدداً بعينه وإنما يمول حزمة من السياسات خاصة المتعلق فيها بالإصلاح الاقتصادي والتكييف الهيكلي.

٣ - تمويل يهتم بخصخصة المشروعات - وبدأ التحول نحو هذه النقطة من بداية التسعينات - ولما كان اسم البنك مرتبطاً بالإنشاء والتعمير، فقد كانت عملياته الأولى مختصة بإعادة إنشاء وتعمير الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية وكانت هي المستفيدة بالدرجة الأولى. ثم تحولت عمليات البنك إلى التنمية فتحول نشاطه تبعاً لهذه التسمية إلى البلاد التنموية (العالم الثالث) فكانت هي الأكثر استفادة من قروضه بعدئذ[(٢)].

أساس فكرة القروض[(٣)]:

وأما أساس هذه الفكرة فهي قائمة على توفير مصدر لتمويل الدول غير القادرة على الالتجاء إلى السوق المالية الدولية ولذا فإن المتعاملين مع البنك هم الدول الفقيرة، حتى إذا تحسنت أوضاعها توقف البنك عن إقراضها، ويقال أن الدول الفلانية قد تخرجت

مصادر تمويله، عن جريدة النور، اليمنية، العدد (١٣٠١٦) يوليو ٢٠٠٠م، ص ١١.

(١) د. الببلاوي: ص ٤٧، ود. رمضان عبد الله، تحولات الاقتصاد العالمي، ص ٤٨.

(٢) انظر: الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي، ص ٤٧، وانظر: فضل علي مثنى: الآثار المحتملة، ص ٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٨، وانظر فضل علي مثنى: الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م، ط١، ص٤١.

(Graduated) وأصبحت غير قادرة على الاقتراض التجاري.

وهنا يتبادر سؤال بعد معرفة فكرة القروض، إذاً كيف تتم القروض؟

إنها تتم بضمان من الحكومات في الدول المعنيـة، أي أن قـروض البنـك دائمـاً قـروض سيادية (Sovereing loans).

ومع تطور الأوضاع الاقتصادية العالمية وتطور الفكر الاقتصادي في مجال التنميـة تحـول البنك إلى قضايا التوزيع والعدالة (Redliotribution with Growrh) وبظهور أزمة التنميـة والمديونية في الثمانينات اتجـه الاهتمـام الأكـبر إلى بـرامج الإصـلاح الاقتصـادي والتكييـف الهيكلي.

ومع انهيار الاتحاد السوفيتي اتجه البنك الدولي كونـه مؤسسـة بيـد الغـرب إلى التعامـل السيادي حيث بدأ يفرض نفسه في كل صغيرة وكبيرة للتدخل في الهياكل الاقتصادية للـدول النامية وأنظمتها السياسية ومفاهيمها وخصوصياتها ويعتبر ذلك تـدرجاً نحـو توحيـد الرؤيـة الاقتصـادية العالميـة علـى الـنمط الليبرالـي الغربـي ومـع بـزوغ أهميـة تحـول الاقتصـادات الاشتراكية إلى اقتصادات السوق، احتلـت خصخصـة المشـروعات أهميـة كـبيرة في النشـاط التمويلي للبنك [١].

الشروط الأساسية المصاحبة للقروض:

ولأن قروض البنـك متعلقـة بـبرامج الإصـلاح الاقتصـادي والتكييـف الهيكلـي فإنهـا تشترط لذلك تنفيذ سياسات اقتصادية محددة، ولا يهمها بعد ذلك تنفيذ المشروعات المعينـة، ويغلب على البنك طابع تصدير المعرفة وتقديم النصح أكثر من كونه مصدراً لتـوفير المـوارد المالية في كثير من الأحيان تكون قروض البنك الدولي أو صندوق البنك الدولي هي شروط للحصول على التمويـل مـن المصـادر التجاريـة، أو تكـون إشـارة إلى المسـتثمرين الأجانـب لسلامة الأوضاع الاقتصادية في الدول النامية.

ثم ظهرت فلسفة جديدة سادت دوائر البنك، وتغيرت مع نهاية الثمانينات حيث دعت هذه الفلسـفة إلى تشـجيع دور القطـاع الخـاص، وتقلـيص دور الدولـة والاهتمـام بصـياغة

(١) د. حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي، ص ٤٩، وانظر فتحي يكن ورامـز طنبـور: العولمـة ومسـتقبل العالم الإسلامي، ص ٦٢، ٦٣ وانظر شايف الحسيني: حديث العولمة وآفاق تطور اليمن، ص٩١.

التصدير مع أن البنك كان في فترة الخمسينات والستينات يدافع عن تدخل الدولة المتزايد في النشاط الاقتصادي [١].

وإن كان ثمة تعليق على ما سبق فالملاحظ أن البنك يمثل إخطبوطاً سرطانياً يريد أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في النواحي الاقتصادية والسياسية، ويريد أن يجعل نفسه المعلم السامي والناصح الأمين، ويمهد بعد ذلك باسم الخصخصة للشركات الأجنبية التي تفوق قدراتها وإمكانياتها المدنية المفترضة سياسياً واقتصادياً، ومن هنا تصبح الشركة هي الدولة وتصبح الدولة مسلوبة الإرادة تماماً في ظل تواجد هذه الشركات المدعومة والمملوكة أصلاً لزعماء الدول الصناعية الكبرى وربما بل ومن المؤكد أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً باليهود فهم وراء كل فساد.

وبالإضافة إلى الشروط التي سبق وأن تعرضنا لها في سياسة صندوق النقد الدولي فإن البنك قد فرض شروطاً خاصة على الدول النامية إمعاناً منه في التدخل والرقابة الأمر الذي يتعارض مع مفهوم والسيادة الدولية والشروط مفصلة هي:

١- أن تلتزم الدول النامية بسيادة حكم القانون.

٢- لا بد من انتهاج أسلوب الديمقراطية في الحكم.

٣- النظر بعين الاعتبار إلى حماية حقوق الإنسان.

٤- النزوح إلى المعالجات السلمية للأسباب الحقيقية للنزاعات الداخلية وتحجيم العمل العسكري.

٥- الإفساح للمواطنين من غير فرق بين المرأة والرجل للمشاركة في الحياة السياسية الاقتصادية.

٦- تحقيق الإدارة الرشيدة للمال العام.

٧- العمل على معالجة الفقر ومشاكله ومسبباته.

٨- الحرص على مواجهة وقمع الفساد.

---

(١) د. حازم الببلاوي: المرجع السابق، ص ٤٩.

٩- العمل على تحقيق التوازن بين التنمية المستدامة وحماية البيئة.

هذا الأمر جعل من الدول النامية وخاصة الإسلامية مرتعاً للأجانب إلى التدخل المبرر وغير المبرر في شؤونها الداخلية وانتقاص سيادتها الوطنية وأخذ ما يملى عليها مقابل الاستفادة من الميزات المقدمة من المؤسسات المال العالمية المتمثلة بـ (الصندوق والبنك الدوليين).

وإلا فالحصار الاقتصادي السياسي والدبلوماسي ينتظرها وإلا لم فالتدخل العسكري إمعاناً من الدول الكبرى وقوى العولمة في ترسيخ النظام العالمي الجديد [1].

* * * * *

المطلب الرابع:
منظمة التجارة العالمية

توطئـــة:

تشكل التجارة العالمية الدولية العصب المركزي لاقتصاديات ودول العالم ولها أهمية عظمى في العلاقات بين الدول ومع هذه الأهمية فقد:

مرت التجارة الدولية بموجات من المد والجزر في مجال الحمائية - مثل الجمارك - والقيود النوعية والكمية على الواردات، ومن المعلوم فإن الحروب تشكل أكبر عائق أمام إنسيابية التجارة الدولية بسبب فقدان الثقة بين الدول التجارية، وكان يصاحب ذلك وقت تصدير واستيراد الذهب والفضة على وجه الخصوص بسبب كونهما نقوداً مقبولة في كثير من أنحاء العالم، ولمدة قرون طويلة، حيث يعتبران بمثابة غطاء إلزامي للنقود الورقية، ولما تغير وضع النقود، وأصبحت لا تصرف بالمعدن الثمين، خفت تلك الآثار من جهة، وزادت من جهة أخرى، فأصبحت الدول التجارية تتعامل بعملات قوية مصدرة في بلد غير مشمول بالحرب، وتمتد آثار الحروب الضارة لتشمل بتأثيرها السيئ كثيراً من الأدوات الاقتصادية، ومن هنا فقد كانت الحربان العالميتان الأولى والثانية، ذواتي أثر كبير وضرر بالغ على التجارة العالمية،

---

(١) عبد الوهاب مزارعة: البنك الدولي أهدافه خدماته، عن جريدة الثورة اليمنية، العدد (١٣٠١٦)، ص١١.

وبرز هذا الضرر أكثر في البلدان المتقدمة، لذلك فقد قامت جهود كثيرة من العالم المتقدم المتضرر لتصحيح المسار السيئ والخلل الناتج من الحروب على التجارة العالمية.

وكان الحظ قد حالف الولايات المتحدة خاصة في هاتين الحربين إذ لم يلحقها أي أذى أو ضرر من تلكما الحربين، بل خرجت منتصرة، ففرضت سياستها على العالم بتشكيل مؤسسات ومنظمات عالمية، لتحل بها كثيراً من المشكلات التي نشأت عن تلك الحروب، ولم يفتها ذلك الوضع السيئ للعالم فحرصت على أن تكون أكبر المستفيدين من خلال تلك المؤسسات حيث كانت من أكبر الداعمين لها: مثل (منظمة الأمم المتحدة) والهيئات والوكالات التابعة لها، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير).

وكان الغرض الرئيسي منها ترتيب الوضع السياسي والاقتصادي في العالم، وفي تلك الأثناء تم اقتراح إنشاء (منظمة التجارة العالمية)، وبالفعل تم ذلك من خلال مؤتمر (هافانا)، ولكن لم يكتب لهذه المنظمة البقاء والاستمرارية نتيجة لاعتراض الكونجرس الأمريكي عليها، نظراً لسحبها كثيراً من صلاحياته [(١)]، إلا أن جهوداً فردية من مسؤولي تلك القطاعات التجارية والاقتصادية التي لها علاقة بالحركة الانسيابية للتجارة الدولية بلورت من تلك اللقاءات أطراً حظيت خلالها بقبول عام بين الدول التي شكلت فيما بعد ما يسمى بالاتفاقية العامة للرسوم الجمركية والتجارة (الجات) (GATT).

فكرة منظمة التجارة العالمية:

إن فكرة إنشاء منظمة للتجارة العالمية وردت ضمن مؤتمر (هافانا)، حيث كان الهدف الرئيس تأكيد مبدأ حرية التجارة وإنشاء منظمة التجارة الدولية [(٢)].

وقد سبق أن قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإعداد مشروع لإنشاء منظمة للتجارة العالمية قبل بروز (الجات) دعت إليه ضمن مؤتمر بروتون وودز إلا أن ذلك لم يتم في حينه،

---

(١) عبد الناصر نزال العبادي منظمة التجارة العالمية واقتصاديات الدول النامية ط١/ ١٩٩٩م دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان صـ(٨٩، ٩٣)

(٢) د. حازم الببلاوي – النظام الاقتصادي الدولي المعاصر (من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة) سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٥٧) الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ط ١، ٢٠٠١م، ص ٦٠وانظر الببلاوي المرجع السابق صـ٦٢، ٦٣، وانظر فضل علي مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة مكتبة مدبولي ط١ / ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م صـ(١٤، ١٥)

وتأخر هذا الموضوع قرابة خمسين عاماً إلى أن تم اتخاذ قرار بإنشاء هذه المنظمة ضمن قرارات الجولة الثامنة لاتفاقيات (الجات)وهي جولة الأورغواي

ويعتبر مؤتمر (هافانا) بمثابة اللبنات الأساسية لقيام منظمة التجارة العالمية [١].

وحتى تتضح فكرة منظمة التجارة العالمية فلا بد من إبداء فكرة موجزة عما سبقها وهيأ لظهورها وهو ما يتمثل في الاتفاقية العامة للتعريفات التجارية المعروفة يصير عنواناً اختصاراً بكلمة (الجات).

سعى المجتمع الدولي بخطى حثيثة نحو التغلب على الآثار والحد من نتائج الحرب العالمية الثانية وخاصة في الجانب الاقتصادي، وقد كان من أبرز نتائج هذا السعي وهذه الجهود المؤتمر الذي عقد في براتين وودز (Bretton Woods) في الولايات المتحدة الأمريكية في شهر تموز ويوليو ١٩٤٤م وذلك لمعالجة الآثار والمشكلات الاقتصادية التي تعرضت لها دول العالم وحشد الجهود وتنسيقها لإعادة الوضع الاقتصادي إلى مساره الصحيح والسعي إلى تنظيم العالم اقتصادياً والنهوض به من جديد[٢].

وقد كان من أبرز نتائج هذا المؤتمر إنشاء كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي بحيث يقوم البنك الدولي بتقديم القروض للمشاريع في حين يقوم الصندوق بتقديم النصح والإرشاد للدول التي تعاني من مشكلات اقتصاد[٣].

كما تم عقد مؤتمر آخر في (هافانا) عاصمة(كوبا) بدعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع لهيئة الأمم المتحدة خلال الفترة من أواخر نوفمبر ١٩٤٧م إلى شهر مارس ١٩٤٨م حضره مندبو ست وخمسين دولة واتفقوا فيه على وضع ميثاق للتجارة الدولية (وهو الموضوع الذي أغفله مؤتمر براتين وودز في العلاقات الاقتصادية بين الدول) وأطلق على هذا المؤتمر اسم (ميثاق هافانا) وقد كان للولايات المتحدة الأمريكية والمملكة

---

(٣) عن محمد بن سعيد بن سهوايو زعرور – القات ومنظمة التجارة العالمية بين النظرية والتطبيق، دار البيارق، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ١٣.

(٢) عن محمد بن سعيد بن زعرور، المرجع السابق، ص١٣.

(٣، ٣). انظر إبراهيم العيسوي، ص ٢٠، وانظر د. حزام الببلاوي النظام الاقتصادي الدولي المعاصر (٢٥٧) ص٦٢، وانظر فتحي يكن العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص ٦٨ مرجع سابق. وانظر فضل علي مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية صـ٨، د. إبراهيم العيسوي: إلغات وأخواتها – النظام الجديد للتجارة العالمية ومستقبل التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢/ ١٩٩٧م ص٢٠.

المتحدة الدور الرائد في التخطيط للجان، والتوصل إلى صياغة أسس النظام التجاري العالمي الذي تضمنته مواد هذه المعاهدة [١].

القواعد التجارية التي تم الاتفاق عليها بين الدول الأعضاء في ميثاق (هافانا) [٢]:

١- تخفيض التعريفات الجمركية ووضع بعض القواعد الخاصة بها التعريفات والرسوم الأخرى المتعلقة بالواردات والصادرات.

٢- حظر نظام الحصص على الواردات بشكل عام مع وضع عدد من الاستثناءات الهامة على هذه القاعدة.

٣- إلغاء إعانات التصدير.

٤- تحقيق التنمية الاقتصادية للدول الاعضاء.

ولما كانت الولايات المتحدة غير مستعدة ولا متهيئة لتنفيذ مثل هذه البنود خوفاً من أن يلحق تحرير التجارة في تلك الفترة الضرر في اقتصادها تمنعت من المصادقة على الميثاق بحجة حماية اقتصادها وصناعاتها العملاقة التي كانت تتهيأ للانتشار عالمياً، وهذا الموقف نابع من مصالحها ونفعياتها الزامنة الخاصة بها، حتى أنها لا تحركها إلا مصالحها فقط، وعندما تتعرض هذه المصالح أياً كانت لخطر ما فإنها تتحرك على الفور[٣].

ولكن في هذه الأثناء وقبل أن ينتهي مؤتمر هافانا اجتمعت (٢٣) دولة في صيف عام ١٩٤٧م لمناقشة الأمور المتعلقة بتحرير التجارة فيما بينها، وعقدت هذه الدول اتفاقية سميت " الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (GATT) وتعتبر هذه أول جولة عقدت بشأن هذه

---

(٢) محمد سعيد زعرور: القات ومنظمة التجارة العالمية، ص ١١، د. مصطفى عبد الغني - الجات والتبعية الثقافية مركز الحضارة العربية، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٥، فتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٦٨.

(٣) محمد سعيد زعرور، القات.... ص ١١، د. مصطفى عبد الغني - الجات والتبعية الثقافية مركز الحضارة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٥، د. إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها - النظام الجديد العالمية ومستقبل التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢ / ١٩٩٧م ص٢٠، فتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص ٦٨.

الاتفاقية [١].

وقد كانت تجري مراجعة هذه الاتفاقية بين الحين والآخر ليتم التطبيق العملي لها فتمت مراجعتها في المرة الأولى عام ١٩٥٥م ثم ١٩٦٥م وأضيف إلى الاتفاقية الجزء الرابع منها المتضمن للمواد (٣٦ – ٣٨) حيث أطلق على هذا الجزء من الاتفاقية تسمية (التجارة والتنمية) بهدف وضع قواعد خاصة بتحرير التجارة الدولية ومراعاة الدولة النامية من الأعضاء، ينص على قيام الدول المتقدمة بمنح الدول النامية معاملة تفضيلية في مجال التبادل التجاري، حتى وإن كان ذلك وفق أسس تناقض ومبادئ الجات الأساسية[٢]. وقد خصصت جولات المفاوضات الست الأولى لبحث مسألة تخفيض الرسوم الجمركية، ثم تلتها الجولة الثانية التي عقدت في أنسي Anecy بفرنسا عام ١٩٤٩م حيث شاركت فيها ثلاث عشرة دولة.

أما الجولة الثالثة فقد عقدت في توركاي Torguay بإنجلترا حضرتها ثمان وثلاثون دولة، وعقد الجولة الرابعة في جنيف بسويسرا عام ١٩٥٦م وشاركت فيها ست وعشرون دولة أعطت هذه الجولات الأربع أهمية خاصة لموضوع تخفيض الرسوم الجمركية.

وهكذا تلتها جولات أربع أخرى عقدت الخامسة في جنيف بسويسرا أيضاً خلال عام ٦١ – ١٩٦٢م وسميت بجولة (ديلون Dillon) وهو وزير الخزانة الأمريكي آنذاك، وكان أهم موضوع بحث في هذه الجولة هو (أثر قيام السوق الأوروبية المشتركة على الجات) وقررت الدول المنظمة للسوق الأوروبية مساعدة وتقدم الامتيازات الخاصة إلى باقي الدول الأعضاء المتضررة من قيام السوق.

ثم عقدت الجولة السادسة في مدينة جنيف بسويسراً كذلك خلال الفترة من عام ٦٤ – ١٩٦٧م، وأطلق عليها اسم (جولة كيندي) وشاركت فيها اثنتان وستون دولة.

أما المفاوضات التجارية التي تمت في هذه الجولة فقد شملت موضوعين اثنين هما: –

---

(١) انظر عبد الحليم محيسن أضوء على الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة (GATT) جمعية رجال الأعمال الأوروبيين وانظر د. حازم الببلاوي النظام الاقتصادية، ص٦٤.

(٢) محمد زعرور الجات.. ص١٢.

١- تخفيض الرسوم الجمركية على السلع الصناعية بنسبة ٣٤٪. تشجيعاً لنمو التجارة العالمية.

٢- إحداث ما عرف باسم نظام مكافحة الإغراق أو السياسات الإغراقية (Anti - Dumping - Code) لتعارض ذلك مع المنافسة المشروعة[1].

الجولة السابعة والتي امتدت من عام (١٩٧٣ - ١٩٧٩م) وكانت أيضاً في جنيف وتعرف باسم جولة (طوكيو) البلد المضيف للجولة وبلغ عدد الدول المشاركة فيها تسع وتسعون دولة وشملت المناقشات موضوعين أساسيين هما: -

- تخفيض الرسوم الجمركية على السلع الصناعية والزراعية في الدول التسع الأكثر تصنعياً في العالم.

- دمج المعوقات غير الجمركية في المفاوضات التجارية متعددة الأطراف بهدف تسهيل أكثر لحرية التبادل التجاري بين الدول الأعضاء.

- ولقد أسفرت هذه الجولة عن عملية وضع أنظمة وقوانين اقتصادية ومحلية ذات العلاقة والأثر على حرية التبادل التجاري لا تسري إلاّ على الدول الموقعة عليها، وهي في الغالب نفس الدول التي تفاوضت فيما بينها من أجل الخروج بتفاهم مشترك حول السياسات والإجراءات الواجب على كل دولة الالتزام بها في كل نظام من الأنظمة السابقة ويمكن للدول غير الأعضاء في (الجات) التوقيع على الأنظمة السابقة والالتزامات ببنودها دون الالتزام بأسس ومبادئ عمل (الجات) الأخرى.

- وتم التوصل إلى أربعة قرارات مهمة أطلق عليها اتفاقيات الإطار القانوني تتخلص في[2]: -

١- المعاملة الخاصة والمتميزة للدول النامية تعني (المعاملة التفصيلية) التي تقدمها الدول المتقدمة، للدول النامية ولكن من غير أي صفة التزامية قانونية تترتب على عدم الوفاء بهذه المعاملة.

---

(١) انظر محمد زعرور المرجع السابق ص١٦، وانظر فضل مثنى المرجع السابق ص٤٩، والنظر إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها ص١٤، ٤٤.

(٢) انظر محمد زعرور المرجع السابق ص١٨، وانظر د. البيلاوي النظام الاقتصادي ص٦٦.

٢- اتخاذ قرار يتعلق بقيام الدول الأعضاء بإجراءات تتعارض مع مبادئ (الجات) الأساسية من أجل معالجة الخلل في موازين مدفوعاتها.

٣- اتخاذ قرار يجيز للدول النامية الأعضاء اتخاذ إجراءات حماية لصناعاتها الوليدة.

٤- كذا تم الاتفاق بين الأعضاء حول الموضوعات التالية: -

١ - عملية الأخطار أو التبليغ No Lification

٢ - آلية التشاور بين الأعضاء Consultation

٣ - معالجة الخلافات Dispute - settlement

٤ - الإشراف على تنفيذ بنود الجات Surveillance

وأخيراً جاءت الجولة الثامنة خاتمة الجولات ونقطة التحول الأخير، حيث كانت بمثابة انطلاق نحو العولمة وجاءت كضربة قاضية للدول النامية حيث فرضت الدول الصناعية الكبرى شروطها المجحفة فحررت التجارة وانتقال رؤوس الأموال، لكنها فرضت حماية مبالغ فيها للملكية الفكرية مما يجعل نقل التكنولوجيا والمعرفة أمراً باهظ التكلفة بالنسبة للدول النامية.

وعقدت هذه الجولة في عاصمة الأروغواي «بونتاوليسته إيستي» وذلك خلال الفترة ١٩٨٦م - ١٩٩٣م، بل وامتدت إلى ١٩٩٤م، وقد كان من المقرر أن تنتهي المفاوضات في عام ١٩٩٠م، إلا أن الفترة امتدت بسبب الأزمات والخلافات الحادة التي كانت تظهر من فترة لأخرى، خاصة في مجال تجارة السلع الزراعية وتجارة الخدمات، وقد شاركت مائة ودولتان في هذه الجولة، وتم عقد المفاوضات التجارية متعددة الأطراف في جنيف وأما الموضوعات التي تناولتها فيمكن حصرها في الآتي[1]: -

١- تجارة السلع الصناعية - الزراعية - الملابس والمنسوجات.

---

(١) انظر محمد زعرور الغات وتنظيم التجارة العالمية ص١٩و لمزيد من الإيضاح انظر د. إبراهيم العيسوي الغات وأثره ص٥١ - ٥٢ وانظر فضل علي مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية ص٥٤، ٦٠، ٦١، وانظر أ. محمد فائق - حقوق الإنسان في عصر العولمة رؤية عربية كلمة مقدمة في برلين عن أمين عام المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ٢٤ مارس ٢٠٠٠م.

٢- مناقشة السياسات التجارية المحلية والمعوقات غير الجمركية (كسياسات الدعم - إجراءات الحماية - سياسات الأفراد).

٣- إدراج موضوعات جديدة في المفاوضات التجارية متعددة الأطراف مثل: -

أ- الإجراءات الاستثمارية ذات العلاقة بالتجارة.

ب- الاتفاقية العامة لتجارة الخدمات.

ج- حماية حقوق الملكية ذات العلاقة بالتجارة.

٤- إنشاء منظمة التجارة العالمية(world - trade organization w. t. o)

والملاحظ في الجولة الأخيرة.

أولاً إن إضافة ما يسمى بحماية الحقوق الملكية أو الفكرية إنما ينطوي على أسلوب ماكر وخبيث في السيطرة على العالم، وإنه بالنظر إلى جدول مشتملات الحقوق في الاتفاقية فإنها تشتمل على عدة حقوق منها: -

العلاقة التجارية - المؤشرات الجغرافية - التصميمات الصناعية - براءة الاختراع - حماية المعلومات - تصميمات المعروضات من الدوائر المتكاملة - السيطرة على الممارسات التي تعين التنافس في مجال التراخيص التعاقدية.

وتشدد الاتفاقيات على البند الأخير في محاولة منها لتوظيف المنظمات الدولية لمصالحها الخاصة.

ثانياً: توصلت أمريكا من خلال الجولة الأخيرة في (الجات) إلى إجراءات عنيفة في (تطبيق حقوق الملكية الفكرية) من أهمها إجراءات انتقامية أو قوة ردع عنيفة Enforcement Mechanism.

أي أن من يجاوز حدوده في (الملكية الفكرية) سوف يجازى سواء كان ذلك على مستوى الفرد بالسجن أو الغرامات المالية أو على مستوى الدول التي تنتهك سيادتها كأسلوب ردع عنيف إذا تجاوزت حدودها.

وظائف الجات: وعلى هذا فيمكن حصر وظائف الجات (Gatt) بالآتي[١]:

١- وضع التنظيمات اللازمة للتجارة الدولية والإشراف على تنفيذ المبادئ والقواعد والإجراءات التي تنظمها الاتفاقات المختلفة.

٢- وضع التنظيمات اللازمة لجولات المفاوضات التجارية متعددة الأطراف لتحرير التجارة.

٣- فصل وحل المنازعات الناشئة بين الدول الأعضاء...

أو بمعنى آخر:

١- إزالة الحواجز الجمركية التي تضعها الدول في وجه تحركات السلع عبر الحدود الدولية.

٢- فتح الأسواق وإتاحة أوسع الفرص والمجالات للمنافسة الدولية[٢].

وفي سبيل تحقيق فتح الأسواق وضعت المنظمة مجموعتين من الالتزامات على الدول الأعضاء.

---

(١) انظر: إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها، ص ١٤، مرجع سابق ومحمد زعرور الغات ومنظمة التجارة العالمية ص١٥، ١٩، وانظر فضل مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية ص١٧، مرجع سابق..

(٢) د. فتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٦٦، مرجع سابق،

المجموعة الأولى:

١- عدم اللجوء إلى القيود الكمية على الواردات إلا في ضوء ما قررته الاتفاقية.

٢- معاملة الدول الأولى بالرعاية.

٣- مبدأ الثقافة.

وأما المجموعة الثانية فكلها تتعلق بمستويات التعريفة الجمركية مع ملاحظة الاستثناءات التي منحتها الاتفاقية للدول النامية الأعضاء مراعاة لظروفها وتيسيراً لحركتها الإنمائية.

والخلاصة التي توصلت إليها الجولات طويلة المدى أي من (١٩٤٧م حتى ١٩٩٤) هي:

١- تحقيق قدر متزامن من تعميق الصلات التجارية بين أعضائها بتحرير التجارة الجارية بينهم.

٢- المضي في تبادل المزيد من التخفيضات الجمركية، وإزالة العوائق غير الجمركية [١].

وقد كانت جولة أوروغواي بمثابة الطريق الممهدة لإنشاء منظمة التجارة العالمية والتي استمرت زهاء خمسين عاماً فجاءت الدعوة إليها لعدة عوامل منها[٢]: -

١- لإتمام صياغة جديدة تتمشى مع إعادة سياسة رسم الخريطة الاقتصادية للعالم.

٢- وضع قوانين لحركة التجارة العالمية من منظورها النظام العالمي الجديد.

٣- جاءت الدعوة إلى جولة أوروغواي من منطلق حرص الدول الصناعية على مواصلة سيطرتها على النظام الاقتصادي العالمي.

٤- الرغبة الملحة في احتواء النزاعات الاقتصادية التي تظهر من حين لآخر بين الدول الصناعية الكبرى، والتي قد تتطور إلى حروب جارفة خصوصاً في مجال الأسواق، وذلك في ظل بروز اقتصاديات جديدة ناشئة كقوة ربما يكون لها السيطرة العظمى والمنافسة في المستقبل المنظور.

---

(١) ود. سمير صارم، معركة سياتل حرب من أجل الهيمنة، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط١/ ٢٠٠٠ ص٢٤.

(٢) انظر: د. إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها، وانظر د. محمد العصيمي منظمة التجارة العالمية والعولمة الاقتصادية عن مجلة البيان (١٧٠)، ص ٤٨..

٥- ازدياد درجة الفوضى في النظام التجاري الدولي، كالتجاوز على قواعد الجات، والتحايل عليها بالاتفاقيات الثنائية، وضعت آلية فض المنازعات، وقدرة بعض الدول على عرقلة هذه الآلية.

٦- شعور الولايات المتحدة الأمريكية بهشاشة نفوذها الاقتصادي، وتآكله على الرغم من تعاظم دورها السياسي والعسكري، ورغبتها في تحسين وضعها وهيمنتها الاقتصادية من خلال حماية مصالح الشركات متعددة الجنسيات، وتوسيع نشاطها في شتى أرجاء العالم، مع إزالة العراقيل التي تحول دون ذلك[١].

وظائف منظمة التجارة العالمية:

ومما تضمنته جولة أوروغواي الاتفاق على إنشاء منظمة التجارة العالمية، وذلك لتولي المهام التالية[٢]: -

١- الإشراف على تنفيذ الاتفاقات المنظمة للعلاقات بين الدول الأعضاء بما في ذلك الاتفاقات الجمعية.

٢- تنظيم المفاوضات التي ستجري بين الدول الأعضاء، والفصل في المنازعات التي قد تنشأ بينها.

---

(١) ويندرج تحت هذا العامل عدة عوامل أخرى منها:
تنامي قوة اليابان والدول الآسيوية حديثة التصنيع.
سياسة الدعم الزراعي في أوروبا خصوصاً سياسة دعم الصادرات الزراعية الأوروبية التي أصبحت الدول الأوروبية ذاتها تنوء بأعبائها الثقيلة من ناحية، وأدت على تناقص نصيب الولايات المتحدة الأمريكية في الأسواق الزراعية.
ومنها تنامي قطاع تجارة الخدمات وتطلع الولايات المتحدة على فتح المزيد من الأسواق اعتماداً على ما تملكه في هذا المجال من مزايا نسبية ضخمة.
تنامي التجارة في حقوق الملكية الفكرية، ومن ثم ظهرت الحاجة على قوض الانضباط في هذا المجال لحماية مصالح هذه الشركات، دعم نفوذها في الأسواق المحلية، ورغبة الولايات المتحدة والدول الصناعية الأخرى في تمكين شركاتها الكبرى من العمل في أية رقعة على الكرة الأرضية من دون قيود تجارية، أو غير ذلك من الإجراءات المعيقة لحركتها عبر الحدود، وإن بروز مثل هذه القضايا فيه دلالة واضحة النوايا للدول الصناعية الكبرى، وخاصة الولايات على النحو الذي يعزز قدرة الدول الصناعية الكبرى في المجال الثقافي مع الحيلولة دون ظهور أي منافس خاصة من الدول النامية.

(٢) انظر إبراهيم العيسوي الجات وأخواتها، ص ٤٧، ٤٨، مرجع سابق، محمد سعيد بن زعرور - القات ومنظمة التجارة العالمية، ص ٤٥ مرجع سابق، وسمير صارم - معركة سياتل، ص ٢٢.

٣- متابعة ومراقبة السياسة التجارية للدول الأعضاء وفق الآلية المتفق عليها.

٤- التعاون مع صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي والوكالات الملحقة بهما من أجل تأمين المزيد من الاتساق في محلية صنع السياسات الاقتصادية على الصعيد العالمي.

وأصبحت (منظمة التجارة العالمية W. T. O) ذات صفة قانونية مستقلة لها كافة الحقوق والامتيازات الممنوحة لوكالات الأمم المتحدة، وهي تمثل الإطار التنظيمي والمؤسسي الذي يحوي كافة الاتفاقات التي أسفرت عنها مفاوضات جولة(الأروغواي)، وقد أنيطت بها مسؤولية الإشراف والتنظيم والمتابعة والمراقبة والمذكورة أعلاه وعلى ذلك فقد شكل لها هيكل تنظيم يتكون من:

١- مجلس وزاري. ٢- مجلس عام. ٣- مجلس تجارة السلع.

٤- مجلس تجارة الخدمات. ٥- مجلس الملكية الفكرية.

وتعمل هذه المجالس عدا المجلس الوزاري - تحت إشراف المجلس العام، ولها أن تنشئ أجهزة فرعية حسب الضرورة [1].

ومن الجوانب التي استحدثت في المنظمة:

جانب السلع الزراعية - كيفية النفاذ للأسواق - الملكية الفكرية - الاستثمار الأجنبي - جانب الخدمات كالتأمين والمصارف - الملاحة - النقل، وغيرها.

مسألة السماح للدول الأعضاء باتخاذ إجراءات لمكافحة الإغراق - الدعم ضد إدخال المنسوجات ضمن الاتفاقية.

ولهذا فقد تكلل النجاح في هذه المنظمة وأخصُّ ما ترمي إليه من أهداف تتمشى مع مصالح الأقوياء والكبار واتسعت الهوة وتعمقت بين الأغنياء والفقراء، بين الأقوياء والضعفاء، كل ذلك على حساب الدول النامية بما فيها الإسلامية، وازداد الأغنياء غنى والفقراء فقراً.

---

(١) سمير صارم - معركة سياتل ص ٢٤، ٢٥.

نتائج جولة الأوروغواي السلبية على الدول العربية: -

أسفرت دراسات مؤتمرات عدة ركزت جهودها حول معرفة آثار الجات على الدول العربية من بين المؤتمرات المؤتمر المنعقد في المنامة في شهر مارس عام ١٩٩٦م وانتهى المؤتمرون بالحقائق التالية[١]: -

١- إن العرب والمسلمين لا يمكن أن يكون لهم دور فاعل إلا إذا انضموا إلى منظمة التجارة العالمية ككتلة وليس كدويلات متناثرة مما يعزز قوتها التفاوضية، وإعلاء الشروط للتبادل التجاري.

٢- الوضع الحالي للصناعات البتر وكيماوية قد تؤدي في أحسن الأحوال إلى عدم زيادة الصادرات العربية بسبب تعرضها للمنافسة من قبل الواردات المماثلة [٢].

٣- لأن النظام التجاري الموقع عليه يفترض لاستمرار صناعة ما خفض كلفة الإنتاج والمحافظة على جودته وهو ما لا يتوفر في المنتجات العربية الآن، فإن من المتوقع أن ينخفض حجم الصادرات العربية.

والملفت للنظر أن أهم إنتاج عربي وعالمي، وهو النفط الذي يمثل ٨٠٪ من الصادرات العربية لم تشمله اتفاقيات الجات الأخيرة مما يتيح للدول الصناعية التحكم في سوقه، ووضع القواعد التي تراها مناسبة لها، فهي تفرض ضريبة على كل برميل نفط حماية للبيئة من التلوث، وتعطي لنفسها المرونة في هذا المجال حتى تسمح لها بتطبيق القواعد التي تراها مناسبة، وتحقق أكبر نفع مادي لها.

والجدير بالذكر أن أكبر مستفيد من هذا الوضع هي الولايات المتحدة الأمريكية[٣].

وحول إنتاج الدول العربية للأدوية والمستلزمات الطبية انتهت الدراسة التي أعدها الاتحاد العربي في نفس التأريخ السابق ٣/ ١٩٩٦م إلى نتائج سلبية مشابهة لما أسفرت إليه الدراسات المذكورة أعلاه.

---

(١) عن د. أحمد بالوافي العربو تحديات القرن الحادي والعشرين الحلقة الثالثة، عن مجلة السنة الصادرة عن مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام - بريطانيا العدد٥٧ محرم سنة ١٤١٧هـ، ص٣١..

(٢) عن الصحف العربية ١٧، ١٨/ ٣/ ١٩٩٦م.

(٣) عن الحياة ٣ / ٤/ ١٩٩٦م.

ومما أثبتته هذه الدراسة: أن مسألة حقوق الملكية الفكرية الواردة في الاتفاقية إنما فرضت كحرب غير عادلة على الدول العربية بما حدث من قدرتها على مجاراة التكنولوجيا الدوائية الحديثة لتوفير دواء فعال وبسعر معتدل لمواطنيها.

ومن آثار (الجات) التي أثبتتها هذه الدراسة على صناعة الأدوية العربية ما يلي: -

١- زيادة فاتورة الاستيراد مع تراجع حجم الصادرات.

٢- تراجع الإنتاج الدوائي العربي.

٣- التضييق على المستوردين والموزعين [(١)].

والخلاصة أن المستفيد الأكبر هو من يقدر على التصنيع بكفاءة واقتدار، ومع ما قيل عن حرية التجارة والدعاية الإعلامية الكبيرة إلا أن قانون الغاب يبقى هو الغالب.

انطباعات الغربيين عن منظمة التجارة العالمية:

بحسب تعبير صحيفة الإندبندنت البريطانية فقد وصفت منظمة التجارة العالمية بـ:

١ - «إنها تتمتع بسلطات تفوق سلطات الحكومات، حيث تؤثر قراراتها على حياتنا وتستطيع ضرب القوانين التي توافق عليها أقوى وأكبر الحكومات ديمقراطية، كما تستطيع شن الحروب التجارية، ويمكنها جعل بنود الاتفاقات الدولية التي صدقت عليها دول العالم الثالث بلا قيمة» [(٢)].

وتضيف الصحيفة قائلة:

٢ - «إن الطريقة التي استغلت بها هذه المنظمة سلطاتها في اتخاذ أحكام ملزمة قانوناً في النزاعات التجارية الدولية، والتفويض بفرض عقوبات تجارية قد أدت إلى القول أنها منظمة السيطرة على العالم ففي سلسلة من الأحكام قامت المنظمة بضرب العديد من الإجراءات التي قصدت بها مساعدة الفقراء، وحماية البيئة، وذلك لصالح شركات خاصة تكون في الغالب أمريكية» [(٣)].

---

(١) د. أحمد بلوافي، عن مجلة السنة، العدد ٥٧ محرم ١٤١٧هـ، ص ٣١، ٣٢، ٣٣.

(٢) انظر د. سمير صارم - سلسلة قضايا الساعة - معركة سياتل - حرب من أجل الهيمنة، دار الفكر المعاصر، ط١/ ٢٠٠٠، ص٢١.

(٣) انظر: د. سمير صارم - سلسلة قضايا الساعة - معركة سياتل - حرب من أجل الهيمنة، دار الفكر المعاصر،=

ونقلت الصحيفة عن (روني هول) من منظمة (أصدقاء الأرض الدولية) قولـه: " يبـدو أن منظمـة التجـارة العالميـة قـد بـدأت حملتهـا لزيـادة الأربـاح الخاصـة علـى حسـاب كـل الاعتبارات الأخرى، ومن بينها حياة البشر في كل أنحاء العالم، ويبدو أنها تشـن حملـة قاسـية لإحراز المزيد من السلطات "[(١)].

* * * * *

المبحث الثاني:
الأدوات الثقافية

– توطئة لنظريتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات:

لقد أبرزت مقالتا نهاية التاريخ وصدام الحضارات عمـق النزعـة الاسـتعلائية الغربيـة، حيث أراد الغرب من خلالهما إثبات تفوقه الحضاري والثقافي وكل ما عدا الحضـارة الغربيـة أو الثقافة الغربية لا ينبغي لـه أن يظهر على الساحة، بل يجب أن ينطوي وينطمـر أو يـذوب ضمن الحضارة الغربية.

وبدافع الغلو والكبر والغرور والشـعور بالفوقيـة اسـتخدم الغـرب تكنولوجيـا المعرفـة وثورة الاتصالات لاختراق الثقافات وتذويبها ومحو خصوصـيتها، ولمـا لم يكفهـم ذلـك لجـأ مفكروهم إلى إخراج آخر لهذا الـدافع فشـن حربـاً كلاميـة ومقـولات جرائديـة سـرعان مـا أصبحت تروج على أنها نظريات ودراسات كان من أبرزها: –

– مقولة " نهاية التاريخ " (لفرنسيس فوكوياما).

– ومقولة " صدام الحضارات " (لصموئيل هيتنغتون).

كلاهمـا قـد اشـتركا في اسـتعداء الإسـلام واتخـاذه عـدواً واعتبـاره نقيضـاً للقـيم الحضـارية الـتي جـاء بهـا الغـرب المتمثلـة بقـيم الديمقراطيـة وحقـوق الإنسـان كمـا يريـد الغـرب وحـده لا كمـا تصـبو إليـه الإنسـانية جمعـاء. وسـأحاول التحـدث عـن هـاتين المقـالتين مـع التركيـز علـى المقولـة الأخـيرة (صـدام الحضـارات) حيـث أنهـا أثـارت

=ط١/ ٢٠٠٠، ص٢١.

(١) عن صحيفة القبس ٢١/ ٨/ ١٩٩٩م منظمة التجارة العالمية تعمل لصالح الأقوى، مركز الخليج والدراسات الاستراتيجية.

ضجة واسعة، وحظيت بأصداء بين النخب الفكرية وكان الترويج لها أكثر من سابقته، لما طرح صاحبها من مفاهيم أثارت الحفائظ وزرعت الضغائن وهذا ديدن يهود دائماً.

إن هاتين (النظريتين) بمثابة رسالتين للنظام العالمي الجديد، وصاحباهما قد أعدا أنفسهما ليكونا رسولين مبشرين لهذا النظام (الدين الجديد) المسمى بالعولمة.

إنهما يعكسان فلسفة الجدل العقيم والحديث السقيم وهما صورتان بارزتان لتشويه وإغفال معالم وحضارات وثقافات وخصوصيات سائر الأمم والشعوب. إنها دعوة واضحة إلى الجهوية والصدامية. فلسان حالهما: أن هذا النظام الجديد أحق بالاتباع من غيره متذرعين بحجج واهية أوهى من خيوط العنكبوت، ومتعمدين تشويه التأريخ، وتزييف الحقائق، زاعمين أنهم وصلوا بالعالم إلى بر الأمان، وإلى النهاية التي ليس بعدها إلا الهلاك، فلا يحق بعد هذا أن يخالفهم أحد أو يجرؤ على معارضتهم.

إنها روح الهيمنة ونزعة السيطرة التي تتعمد إقصاء الآخر وتهميشه وتذويبه، إنهما يزعمان أن الحضارة الغربية هي التي يجب أن يحذو حذوها كل من يريد أن يتبوأ مكانة محترمة ومقبولة في هذا العصر وإلا كان فيه بجسده، وخارجه بروجه وفكره، لكن الأصداء السلبية والردود والتعقيبات الكثيرة عليهما أكبر دليل وأوضح برهان على عدم قبولهما ولا سيما المجتمعات المتفتحة والمتفوقة.

قد جاءت (نظرية) صدام الحضارات كأسلوب ضغط تخويفي وترهيبي وتركيع للعالم وخصوصاً العربي والإسلامي فيه.

وجاءت نظرية نهاية التأريخ كأسلوب ضغط آخر استخدم عامل الترغيب والحث على الانضمام إلى هذا الركب الذي سينقذ العالم من جراء التخلف والفقر والمرض باسم الحضارة مستخدماً أقصى ما يملك من ثورة التكنولوجيا والاتصالات والمعرفة!! وفي الأخير فإن المستفيد الأكبر هي الدول المالكة لتفوق اقتصادي يمكنها من فرض مصالحها على العالم وبالأخص أمريكا وحدها.

* * * * *

المطلب الأول:
مقولة نهاية التأريخ

جاءت مقولة فوكوياما (نهاية التأريخ) كتوظيفٍ واضحٍ للعديد من المفاهيم الفكرية والفلسفية التي تعمل في سلك خدمة النظام العالمي الجديد وتروج له كنسق فكري ومعطى اقتصادي وسياسي ثقافي حضاري، حيث ينطلق من حتمية نجاح الرأسمالية الليبرالية واقتصاد السوق وفق النمط الأمريكي القائم على العلوم والتكنولوجيا، تقود حتماً إلى قيام النظم الديمقراطية الليبرالية.

وبعبارة أخرى فإن العلوم والتكنولوجيا هي طريق الرأسمالية التي هي السبيل الأوحد للحرية، واستقلالية الفرد ورخائه، والحرية هي الطريق المفتوح لقيام الحكم الديمقراطي الليبرالي الذي هو (نهاية التأريخ)(١).

وإن وقفة تأمل وتمحيص لهذا المنطق المتسلسل في ظاهره يقودنا حتماً إلى اكتشاف الاختزال والتبسيط والإشكال من طرح مصطلح نهاية التأريخ(٢) ويظهر الاختزال والتبسيط في:

- نسق التطور المزعوم الذي لا يمكن أن يحصل في مجتمع بعينه، فكيف يتم ذلك في مجتمعات عدة! كالمجتمع الدولي مثلاً!!

- وإن الديمقراطية الليبرالية المزعومة لا يمكن أن تصل في أي مجتمع إلى ما وصلت إليه الآن في المجتمع الأمريكي الذي يضرب به المثل (كمجتمع مثالي)!! حسب تخرصاتهم.

- ونظرة فاحصة للتأريخ فإن إفرازات النظم في تأريخ المجتمعات الغربية قد مرت بنزعات استبدادية متطرفة، فكيف بالمجتمعات قاطبة!! (٣).

وأما الإشكال في المصطلح فيبدوا جلياً من العنوان! حيث يحوي العنوان (نهاية التأريخ والإنسان الأخير) بذور النفي المولد لمعاينة أي أن انتفاء المعنى يولد معنى جديداً فعنوان (يؤسس على الهدم والعدم) إذ تنذر ضمنياً كل نهاية ببداية أخرى لا تنطلق من الصفر، بل من الفرد الأوحد " الأخير " المتبقي (النظام الليبرالي) الذي هو أمل البعث الجماعي

---

(1) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١/ ١٩٩٩م ص٢٣ وما بعدها.

(٢، ٣) المرجع السابق ص ٢٤.

المتجدد، ويستغل كلمة تأريخ لغرض الفهم على القارئ بأن منطلقاً وحركية جديدة مغايرة لما ساد إلى حد الآن سوف يحرك البشرية ويقود نسق ونمط تطورها (العولمة) (١).

إن مقولة (نهاية التأريخ) [– التي تطورت إلى أطروحة وكتاب –] تسعى إلى إلغاء البعد التاريخي ووضع الأمم والجماعات كافة عراة قبالة الصنمية الاقتصادية التي تنزع إلى تسوية الجميع إزاء مطالبها، وتعمل على أن تصل بالعالم أجمع سوى عالم الأقوياء، إلى الانسلاخ من تأريخهم وإفقادهم روح التميز عن الآخرين (الهويات)، وتريد منهم أن يلتصقوا بالقوى المتحكمة في آليات الاقتصاد العالمي، وأن تجرد العالم من بطانته الروحية، والوجود من تجذر في الغيب، وتمنح السلطة المطلقة للاقتصاد فيميل بالميزان، ويكون الإنسان هو الخاسر الوحيد في ظل ضياع وتجاوز منظومة القيم الخلقية وثوابت العقائد والأديان والمطالب الأساسية للإنسان، ومن وراء ذلك تكمن الخبرة الصليبية واليهودية والاستعمارية والرأسمالية(٢).

وتعمل هذه(الأطروحة) في إطار البعد الثقافي للعولمة، وكأداة من أدوات العولمة الثقافية، حيث يبشر صاحبها بمولد عالم جديد يقفز على كل الأبعاد الثقافية والحضارية، وحتى السياسية على الشعوب، وكذا على الأفراد، بنفي حق الاختلاف في الفكر والممارسة والعادات والتقاليد والعقائد والأعراف واللغات وكل الجماليات المتنوعة ليحصرها فيما بشر به من نهاية التأريخ والإنسان الأول! ما الأول؟ ليعلن مع ذلك كله نفيه للمرجعيات والحضارات والثقافات المكتسبة، وليقدم من خلال هذه (الأطروحة النموذجية) المثل والحل الأوحد والأداة الموصلة إلى الحكم الديمقراطي الليبرالي (الإنسان الأخير) كأيدلوجيا جديدة بهيمنة النمط الأوحد وديكتاتورية النيوليبرالية التي تفادي المصطلح وتفيد في الحقيقة المادية معناه(٣).

إن هذا التبشير بتعميم هذا النظام الجديد (العولمة) هو في الحقيقة اعتداء سافر على غرائز الشعوب، المتمثل بخصوصياتها الثقافية الذي يعتبر مقوماً من مقومات وجودها كالديانات والعبادات والطقوس والفلسفات والمسرح والآداب والأفكار والفنون والطرق الخاصة باللباس والأكل والأعياد والعلاقات الاجتماعية والإبداعات واللغات والسمات

(١) انظر عماد الدين خليل – العولمة عودة إلى الاستعمارات العتيقة بثياب جديدة – النور العدد (١٠٤) شعبان ١٤٠٢هـ ص٢٦.
(٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٤.
(٣) حاتم بن عثمان – العولمة والثقافة – ص٢٥ مرجع سابق.

والقسمات التي تميز هوياتها عن هويات غيرها من المجتمعات [١].

ومن ثم ترفض هذه المجتمعات وخاصة النيرة منها والمعتزة بمبادئها، أيَّ تعميم يفرض عليها، سواءً من قبيل النظريات، أو من قبيل الطرح المباشر عبر آليات وأدوات ووسائل الإعلام المباشر وغير المباشر، المسمى بالنظام السمعي والبصري، الذي ينقل الصورة والفكرة مع القيم والسلوكيات، ويفرض وعياً معيناً ليصل في النهاية إلى فرض أيدلوجية يتقبلها العام والخاص باسم التحديث والتوفيق والانفتاح والتقدم تحت أي مسمى من مسميات العصر كالعولمة أو غيرها.

ولذا " وإنها رؤية خاطئة بحسب عماد خليل تتشكل على النقيض من قوانين التأريخ الذي جبل على التغاير والتنوع والتدافع والاختلاف.

قال تعالى:**{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ}** [٢].

وقال تعالى:**{وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ}** [٣].

وقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}**[٤].

لقد جبلت النفس البشرية على الانتماء للتأريخ وكل محاولات فك هذا الارتباط (بين الإنسان وتأريخه) باءت بالفشل، وبقي العمق الزمني الذي ينطوي على الخصائص والمقومات ماضياً لكي يعمل عمله في صميم الممارسات والخبرات[٥].

إن مقولة (نهاية التأريخ) هي في الحقيقة تحطيم لأسطورة التأريخ أولاً، ونهاية لرموز الشعوب وعلامات الأزلية، وعلاقتها الحميمة بالزمن، يهدف منها إلى أن يعيش الإنسان لساعة ويحيا للاستهلاك، ولا معنى للغد في قاموسه، لأن التأريخ قد مات وانتهى، رغم

---

(١) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - ص٢٥، وانظر نفس المعنى د. حسن حنفي - ما العولمة - تعقيباً على د. صادق العصم - غير أنه لم يتطرق إلى الدين أو المعنى الروحي، وانظر حسن قطامش - عولمة أم أمركة - مكتب الطيب القاهرة ط١/ ١٩٩٩م ص٥٢.

(٢) (البقرة آية ٢٥١).

(٣) (هود آية ١١٨).

(٤) (الحجرات آية ١٣)

(٥) انظر عماد الدين خليل العولمة عودة إلى الأستعمارات المرجع السابق ص٢٦، ٢٧.

عظمته، ودروسه وسجلاته، فما بالك بالإنسان هذا الكائن البسيط، الباحث باستمرار عن وجوده [(١)].

بل إنها كما يصورها حاتم: " اقتراح لدعاة العولمة مقابل كليانية وقمعية النظم الشيوعية، ودكتاتورية البرولتبتاريا وهيمنة ووحشية ودكتاتورية الماليين، ومختلف المؤسسات التجارية والمالية العالمية باسم الحرية والديمقراطية ذاتها [(٢)].

إن من الأسباب التي طرحت لأجلها هذه الأطروحة كما يبدو هو إعلان نهاية الماركسية كمنظومة فكرية وأداة لرصد وتحليل أوجه الصراع، ودرجات حدته وتطوره داخل المجتمعات أو فيما بينها، لأنها (الفكرية الماركسية) قائمة على التأريخ فجاء فوكوياما ليعلن عن فكرة نهاية التأريخ فتنتهي بها المنظومة الفكرية الماركسية وتموت بمماته وهذا هدف خطير وغاية خسيسة والكلام لحاتم عثمان يريد أن يصل إليها المتحدث الغربي بلسان فوكوياما ليجعل من الإنسان (غير الغربي) فرداً استهلاكياً وهدفاً استثمارياً يعيش لنفسه وشهوته وساعته ويحيى مستهلكاً نهماً شرهاً كالحيوان ولا يرتبط بالماضي ولا ينجذب إليه، بل الحاضر هو الأصل وعليه أن ينسى ذلك الماضي وما يحتويه وتأريخه المجيد وعظمته السامية. وليعيش للقيم والمثل الغربية التي هي المحطة النهائية عنده.

بعكس ما هم عليه، فإنهم يولون التأريخ أهمية خاصة في التعامل المالي مع الأمم والشعوب الأخرى فقد قال ترنت ستيف (Trent Stave): " إن الإحصائيات موجودة في الكمبيوتر، لكن الأهم هو الجو العام، التوترات والصراعات الخفية، ولذا عليك بالتأريخ فمن يدرس تأريخ بلد ما، سيكون بوسعه التنبؤ على نحو أفضل بما سيحدث عند اندلاع الأزمات " [(٣)].

---

(١) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - ص٥١، ٥٢ مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٥، ٥٦ مرجع سابق.

(٣) د. محمد مقدادي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م، ص١٠٨.

مع أن كتاب ربنا سبحانه وتعالى يجعل من الماضي تأريخاً مهماً لاستلهام العبر ودروس العظات وأخذ الفكر والنظر فيه بعين الإعتبار قال تعالى:**{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [(١)].

ففي التأريخ العبر، وفيه الذكرى وفيه الحق، وفيه التثبيت للأنبياء وللدعاة بعدهم وفيه تفصيل وفيه الهدى والرحمة للمؤمنين وفيه....... إلخ.

فإهمال التأريخ دعوة لإهمال ما في القرآن والسنة والسير والتراجم، وغيرها مما نستلهم به حاضرنا من ماضينا وماضي من سبقنا.

* * * * *

المطلب الثاني:
صراع الحضارات

إن سنة التدافع والصراع بين أهل الحق والباطل معلومة لدى المسلم من الدين بالضرورة، فهي مما لا ينبغي أن يخفى عليه أو أن يجهله، وهي سنة قديمة قدم الخلق وماضية إلى قيام الساعة، وقد بدأت بالتحديد من يوم أن أمر الله تعالى ملائكته أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر اعتراضاً واستكباراً واستنكافاً فأضمر العداوة لآدم وذريته من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، فمنذ ذلك الحين والصراع حتم ولازم وسنة جارية. قال تعالى:**{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**[(٢)].

---

(١) يوسف آية (١١١).
(٢) (سورة، ص آية: ٧١ إلى آية ٨٣).

ومن حين أقسم إبليس ذلك القسم المذكور في سورة (ص) وغيرها من السور القرآنية بدأ الصراع وسيظل إلى يوم القيامة سنة من سنن الكون لا تبديل ولا تغيير، وأما مقولة صراع الحضارات التي توجس كثير من المسلمين منها خيفة وزرعت في قلوبهم الهلع فما هي من الحقيقة ببعيد، وإن أصل فكرتها رد على فكرة أخرى سبقتها وهي فكرة نهاية التأريخ التي حاول صاحبها أن ينفي دواعي الصراع ودواعي التسليح بانتهاء الناس إلى نهاية الديمقراطية والليبرالية الجديدة ذلك بأنها حرس الأمان، وقد ظن صاحب مقال (صدام الحضارات) أن نظريته جديدة، وأنها إبداع واستراتيجية قدمها خدمة لسادته وأهل ملته، فأخذ يعرض فيها بالإسلام والمسلمين ويركز عليهم، وأنهم قوة الشر التي ستقف في وجه الخير الذي يزعمون (الحضارة الغربية)، مع أنها في الأصل جاءت كصاعقة تدميرية للفكرة السابقة (فكرة فوكو ياما) القائلة بنهاية التأريخ والتي فسرت تلك المنظومة السوفيتية على أنها انتصار للقيم الليبرالية على القيم الشيوعية، وتأكيد لمصداقية النظام الرأسمالية والاقتصاد الحر، وتهافت نموذج المساواة الاقتصادية والاقتصاد المسير، وأن التهديد العسكري والسياسي والثقافي والاجتماعي الذي كان يكمن في ذلك النظام البائد، قد اضمحل وانتهى وبقيت المنظومة الفكرية الاجتماعية القائمة على التصور الليبرالي الذي يمثل أعلى مراحل الرأسمالية ولم يعد ثمة حاجة إلى إحداث أي تغيير في التصورات النظرية والبنية الفعلية للمجتمع الغربي، وأن التناقضات التي كانت موجودة قد انتهت[١].

وأصبح النموذج الغربي ممثلاً بالليبرالية خيار ومنتهى العالم الحر. بل هو الاختيار الوحيد والسديد لجميع الغرب بما فيها تلك الشعوب التي كانت ترزح تحت الحكم الشمولي والأيدلوجية الاشتراكية خاصة بعد الانهيار السريع للاتحاد السوفيتي، التي تناثرت شعوبه كعقد انخرطت حباته، وتساهلت الدولة العجوز فأعطت الحرية للشعوب التي كانت تعتنق فكرتها لتواجه مصيرها بنفسها، وهذا يعني ضمنياً أن الغرب لم يعد يحتاج إلى ميزانية دفاع ليواجه بها خصماً آخر وعدواً جديداً [٢].

---

(1) د. لؤي الصافي - العولمة والمشروع الحضاري الإسلامي الغرض والتحديات - عن مجلة الكلمة العدد ٢٨ صيف ٢٠٠٠م.

(٢) د. محمد عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر صراع الحضارات - عن مركز دراسات الوحدة العربية ط١ ١٩٩٧م ص٩٥.

وكذلك يعني بالنسبة لأمريكا أنه ينبغي لها أن تستعد لتستلم زمام قيادة العـالم [(١)]. وقـد روج لهذه الفكرة فوكو ياما بإخراج أسماه (نهاية التأريخ) ثـم يـأتي هنتغتـون بهـذه النظريـة الجديدة (نظرية صدام الحضارات) ليدحض بها فكرة نهاية التأريخ أن كانت تتضـمن معنـى أن الليبرالية لم تعد تواجه عدواً خارجياً جديداً، أو أنه آن لها أن تستريح.

إن لسان حاله – وهو الرجل المعروف المرمـوق الـذي قـد تعـود علـى الكتابـة المنظمـة المنهجية والمتخصص في الإدارة العامة ومـدير معهـد جـون أولـين للدراسـات الإسـتراتيجية بجامعة هارفرد الشهيرة، وقد كرس صياغة لموضوع الاستراتيجية العسكرية بحثـاً وتدريسـاً – يقول: إذا كانت هذه هي النتيجة فمن الصعب إقناع الناخب الأمريكـي والكـونجرس الـذي يمثله بضرورة الموافقة على ميزانيـة وزارة الـدفاع المرتفعـة جـداً، إن هـذه الحقيقـة هـي الـتي حركت هنتغتـون بفعـل مـن نفسـه أو بفعـل فاعـل**!!** وهـو الاختصاصـي كمـا أسـلفت في "الاسـتراتيجية العسـكرية" ليتصـدى – بحسـب الجـابري – بسـرعة وعنـف لفكرة(نهايـة التأريخ)[(٢)].

ليقرر أن التأريخ لم ينته وأن الصراع مستمر والصدام سيبقى، ولا يختلـف الباحـث مـع هذا الرأي من حيث هو، إذ أن ما يسمى بالصراع بين الحضارات هو مقـرر في صـميم ديننـا **بسنة التدافع** بين الحق والباطل وبين الخير والشر بين الهدى والضـلال بـين النـور والظـلام. وعلـى المسـلمين أن يعـوا هـذه الفكـرة تمامـاً ويتحملـوا مسـؤولية ذلـك، والله عـز وجـل يقـول:**{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ}** [(٣)].

صاحب المقالة هنا يقرر نفس الفكرة، إلا أن الفرق بين فكرة الإسلام وفكرة الغرب أن الإسلام يريد بـالأمم الخـير والرشـاد والهدايـة والصـلاح في حـين أن الغـرب يريـد الهيمنـة والسيطرة والعلو والفساد في الأرض وإن أفضل استراتيجية لإبطال فكـرة وطمرهـا بحسـب الجابري، هي الترويج لفكرة تقرر العكس دون الدخول معها في جدال صريح[(٤)].

---

(١) عن هشام سعيد شمسان – مجلة الثورة الملحق الثقافي – بتاريخ ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٢م ص٨.
(٢) د. محمد الجابري – ص١٥ مرجع سابق.
(٢) (الحج آية ٤٠)
(٤) د. محمد عابد الجابري – قضايا في الفكـر المعاصـر صـراع الحضـارات – مرجـع سـابق، وانظـر د. يوسـف

" إن محاولة إماتتها والكلام للجابري هو الطريق الأقوم لتحقيق الفكرة المضادة "، التي لاقت استحساناً من الحكومة الأمريكية – قائدة النظام العالمي الجديد – وانعكس ذلك الاستحسان لينفذ كسياسة مستقبلية للولايات المتحدة فروجت لها وسائل الإعلام الأمريكية والدولية وعلى الرأي العام الدولي، وتشارك العالم الثالث ومنه العالم الإسلامي كفكرة مسلمة واستسلم لها الكثير وانهزم أمامها وما كان لهم ذلك. والله تعالى يقول:**{وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**(١).

فالصراع أو التدافع أو التداول أو الحوار الحضاري سنة اجتماعية من سنن الله تعالى كما سلف لا تتبدل ولا تتخلف، كما أنها سنة فردية أيضاً فالإنسان كفرد ليس خارجاً عن دائرة الصراع والتدافع الذاتي في الاختيار بين دوافع الخير ونوازع الشر في نفسه لأن في ذلك تتحدد حرية الإنسان في الاختبار، وتتميز كرامته، وتبيين فضله. والشر من لوازم الخير، وبضده تتميز الأشياء. (٢) والصراع سبيل الحيوية وعلامة الحياة والاستمرار، وهو إحدى محركات الحياة، وهو صور وضروب منه ما يأتي على شكل حوار، ومثاقفة ومناظرة، ومنه ما يكون على شكل آخر كالقتال والمواجهة والمنافسة والسباق والمغالبة ومنه ما يحكمه الشرع ومنه ما لا يحكمه إلا قانون الغاب(٣).

فالصراع بين الخير والشر والعدل والظلم، والحقد والحب، والعفو، والثأر، والإيثار والأثرة، والحق والباطل، أو بعبارة موجزة المعروف والمنكر لا يتوقف إلا بتوقف الحياة (٤). قال تعالى:**{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً}**(٥)وقال تعالى:**{ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ}**(٦)

القرضاوي – المسلمون والعولمة – ص١١١ مرجع سابق.

(١) (آل عمران آية ١٣٩)

(٢) د. عمر عبيد حسنة مقدمة لكتاب د. أحمد القديري كتاب الإسلام وصراع الحضارات أحمد القديري – ص١٠ سلسلة الأمة (٤٤). الصادر.

(٣) د. عمر عبيد حسنة مقدمة لكتاب د. أحمد القديري كتاب الإسلام وصراع الحضارات أحمد القديري – ص١٠ سلسلة الأمة (٤٤). الصادر.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠، ١١.

(٥) (الفرقان آية ٣١).

(٦) (محمد آية ٤).

وقال تعالى:**{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}**[(١)] وقال تعالى:**{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}**[(٢)].

فهذا سيد قطب في سياق تفسيره للآية ١٢٠ في سورة البقرة يقرر دوام الصدام والاحتكاك والصراع بين الحق والباطل أمر يقرره الشرع ولا ينتهي إلا بانتهاء الحياة فيقول: "إن الصراع بين الحق والباطل أياً كان الباطل سواء ما يتمثل باليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو غيرها وعلى رأسهم اليهود دائم ديمومة الحياة، والله سبحانه وتعالى بين هنا الحقيقة وهذه السنة وأنهم لا يرضيهم حال المسلمين حتى لو بقي المسلمون في جانب واليهود والنصارى في جانب من غير احتكاك أو اصطدام، ولهذا فإن الآية الكريمة قد بينت هذا المعنى صريحاً، ودرساً للمسلمين واضحاً لا ينبغي تجاهله أو الغفلة عنه طرفة عين" [(٣)].
قال تعالى:**{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}**[(٤)] ويضيف سيد قطب في تفسيره: " فاللفظ واضح وصريح ولا يحتمل غير المعنى اللفظي للآية فلا يمكن أن يرضوا عن المسلمين أبداً إلا أن يتبعوا ملتهم، وواقع الحال أبلغ وأوضح من المقال، وهكذا سيظل الصراع بين المسلمين وغيرهم بشتى الأساليب والوسائل، بالحرب تارة وبالكيد أخرى وبالمكر والخبث والتورية، إنها العقدة الدائمة التي ترى مصداقيتها في كل زمان ومكان، إنها العقيدة والمعركة قائمة في كل زمان ومكان، في كل أرض توجد فيها عقيدة الجماعة المسلمة، وها نحن نراها رأي العين وحق اليقين في كل بقعة من بقاع الأرض توجد فيها جماعة إسلامية أو مجتمع إسلامي إلا ويحيطها المكر والكيد والخداع والضرب والصراع الذي لا ينتهي إلا بانتهاء أحد الطرفين، فأعداء الإسلام لا يرضون ببقاء الإسلام ولا بقاء أهله وإن تفلتوا عنه وإن بدا منهم الرضا بما يستهوي الكفرة والملحدين، إنهم لا ولن يرضوا حتى يتبع المسلمين ملتهم"[(٥)].

---

(١) (هود آية ١١٨).
(٢) (النحل آية).
(٣) انظر سيد قطب في تفسير الظلال ج١، ص١٠٨.
(٤) (البقرة آية ١٢٠).
(٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد كرر القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية وفي أكثر من مناسبة، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى:**{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}**[(١)]وقال تعالى:**{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ}**[(٢)].

ويمضي قطب فيبين الغاية من الصراع، الغاية التي يريدها الله سبحانه وتعالى فيقول:

"إن الصراع بين الحق والباطل غاية غايته العليا إنما هو الصلاح في الأرض وإرادة الخير للناس كل الناس من غير تمييز بين لون وآخر وجنس وطبقة وأخرى.. إلى عامة الناس"[(٣)].

قال تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**[(٤)]وقال تعالى:**{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}**[(٥)]، وقال تعالى:**{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ}**[(٦)] يقول سيد في تفسير الآية: " لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مدخورة، وتظل أبداً يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة فوائدها وأسرارها الدفينة... وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء بقيام الجماعة الخيرية المهتدية المتجردة تعرف الحق الذي بين الله لها، وتعرف طريقها إليه واضحاً، وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض، وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور، وأن تتحمل في سبيله ما تحتمل في الأرض من طاعة الله وابتغاء مرضاته" [(٧)].

وفي سياق التحذير من اتباع الأمم الأخرى (اليهود والنصارى) وأن في اتباعهم الكفر والضلال والردة يقول سيد: " لقد جاءت أمة الإسلام لتنشئ في الأرض طريقها على منهج

---

(١) (النساء آية ٨٨).
(٢) (البقرة آية ١٠٩).
(٣) المرجع نفسه، ص٢٧٠.
(٤) (الأنبياء آية ١٠٧).
(٥) (البقرة آية ١٩٣).
(٦) (البقرة آية ٢٥١).
(٧) انظر تفسير الآية في الظلال ج١/ ص٢٧٠، ٢٧١.

الله وحده متميزة متفردة ظاهرة، لقد انبثق وجودها ابتداءً من منهج الله لتؤدي في حياة البشر دوراً خاصاً لا ينهض به سواها، لقد وجدت لإقرار منهج الله في الأرض، وتحقيقه في صورة عملية، ذات معالم منظورة، تترجم منها النصوص إلى حركات وأعمال ومشاعر وأوضاع وارتباطات، ولا يتحقق لها ذلك إلا بهذا المنهج، وإلا إذا تولت قيادة البشرية بما تتلقاه من رب البشرية وحده، من الله لا من أحد من خلقه أبداً، هذا ما يؤكده القرآن في أكثر من مناسبة وهذا ما يقيم عليه مشاعر الجماعة المسلمة وأفكارها وأخلاقها كلما سنحت الفرصة [(١)].

إنه توجيه دائم لهذه الأمة في كل أجيالها لأنه هو قاعدة حياتها ووجودها.. وتحذر هذه التوصية أمة الإسلام من اقتباس مناهج أهل الكتاب وأوضاعهم لأن ذلك يعني الهزيمة الداخلية التي هي نوع من الصراع في مسألة الشعور بأن ما عند الغير أفضل، وهذا مما لا ينبغي أن يكون عند المسلمين وإن تقرر في نفوسهم هذا المعنى، فسوف يقودهم ذلك إلى الشك في كفاية منهج الله. ولقد تمعر وجه رسول الله ﷺ عندما عرض عليه عمر ما كتب له بعض أهل الكتاب من كتبهم ثم قال ﷺ: **«والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي»** بل قال في رواية أخرى: **«لو كان موسى وعيسى حيان ما وسعهما إلا اتباعي»** [(٢)].

ويفاجأ العالم الإسلامي بمقالة (صدام الحضارات) التي تطورت إلى نظرية حيث يتوقع صاحبها صامويل هينتنغتون أن هذا الصدام لن يكون كما كان الحال عليه في القرن الـ(١٩)...

تفنيد نظرية صدام الحضارات:

لقد أثارت هذه المقالة ضجة كبرى تمخضت عنها حملة شعواء من الردود والتعليقات والتحفظات سيحاول الباحث أن يشير إليها كما سأحاول جاهداً تتبع ما يمكنني منها وعزوها بقدر المستطاع:

١ - عندما تنبأ صاحب هذه المقالة بأن الصراع سينحصر بين الحضارات لا بين السياسات باعتبار أن الحرب الباردة قد انتهت وولت وركز على الحضارة الإسلامية على

(١) نفس المرجع ص٤٣٧، ٤٣٨.

(٢) الحديثان مخرجان عند الإمام أحمد في مسند جابر رضي الله عنه، انظر مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر ج١١/ ص٥٠٠ تحت رقم ١٤٥٦٥، وإسناده حسن وهو عند البيهقي ج١، باب الصلاة.

أنها منبع الصراع وأنها المستعصية الوحيدة التي لا تقبل الحوار بل الصراع أيدلوجية عندها. وأن المسلمين برابرة متوحشين تعامل أو تجاهل عن الكثير مما وهو يعلم عما تحمله هذه الحضارة الراقية السامية من مثل وقيم. وسلوك وحوار، وجدال بالتي هي أحسن، لا ترقى أي حضارة أخرى في العالم إلى مثلها، ونسي بل تناسى: أن الحرب العالمية الأولى والثانية، والحرب الباردة كلها كانت داخل حضارة واحدة وإن اختلفت أيديولوجياتها.

إن الحضارة الحقيقية تعني في جوهرها التقدم المادي والروحي للأفراد والجماعات، وإنها ترتقي بالإنسان مادياً وروحياً وتهذب أخلاقه، وتحد من نزواته العدوانية [(١)]، وتختزل كثيراً من مطامعه ومصالحه الشخصية الضيقة، وتربو به عن الصدام المفضي إلى السيطرة والتسلط، وإن كان قد حدث صدام مسلح في عصور الإسلام الأولى مع حضارات أخرى كالروم والفرس لكنه لم يكن لينتج عنه تسلط أو قهر وإذلال ومحو للآخرين أبداً. إنه صدام خير ورحمة وإيصال الرحمة للعالمين أجمعين. عنوان المسلمين في ذلك قوله تعالى:**{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}** [(٢)] إن فلسفة الصراع الحضاري الذي ينطلق من الإسلام، لا يأتي في سياق استبدادي تسلطي تحكمي، هدفه التسلط على الرقاب ونهب خيرات العباد بل غايته الأخيرة إصلاح العباد والصلاح في الأرض وتعميرها وإرادة الخير لكل الناس في غير تمييز كما مر سلفاً وإن الحضارة الإسلامية السامية لم تستنكف أن تستفيد من غيرها من خلال ترجمة علوم ومعارف الحضارات الأخرى، في ظل التصورات الإسلامية الراقية، التي تربأ أن تستخدم العلم إلا فيما ينفع الإنسان ويفيده ولا يمكن أن يضره، والتأريخ الناصع للإسلام والحضارة الإسلامية خير شاهد.

ولذا فالمتوقع بالتأمل والاستقراء كما يتوقع الكثير [(٣)]أن القرن القادم سيكون قرن الحوار الهادئ، لا قرن الصدام والصراع، وأن الإسلام بفضل الله، ثم بالتقدم التقني المعلوماتي وثورة الإتصالات والتكنولوجيا، سيصل إلى كل زاوية في الأرض، تصديقاً لقوله تعالى:**{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ**

---

(١) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في عصر العولمة، مكتبة الشروق، ط١، ١٤٢١هـ، ص ٧٤.

(٢) الأنبياء: آية (١٠٧).

(٣) انظر: زقزوق: الإسلام في عصر العولمة، ص ٧٢.

المُشْرِكُونَ} [١]

وتصديقاً لقول رسول الله ﷺ: **«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»** [٢].. إلخ.

ومن هنا تأتي أهمية الحوار تجنباً للأخطار العالمية التي تهدد جميع سكان الأرض، وتتطلب من الجميع حواراً وتكاتفاً وليس صراعاً وحروباً. ولعل هذا الأمر يكون أكبر العوامل لإثراء الحوار وليس لإذكاء الصراع.

وهناك صيحات غربية مدوية، ينبغي أن تصغي لها آذان العقلاء تنقد هذه المقولة المزعومة (صدام الحضارات)، وتنم عن عقول بأصحابها الراجحة اتسمت بالصدق والإنصاف والشجاعة فهذا الأمير (تشارلز) ولي عهد بريطانيا يلقي محاضرة مهمة في ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٣م في مسرح شيلد ينان باكفورد بمناسبة زيارته لمركز الدراسات الإسلامية ومما قاله فيها: «إن الذي يربط العالمين الغربي والإسلامي أقوى بكثير مما يقسمها، فالمسلمون والمسيحيون واليهود جميعهم «أصحاب كتاب» والإسلام والمسيحية يشترطان في النظرة الوجدانية: الإيمان بإله واحد وبأن الحياة الدنيا فانية، وبالمسئولية عن أفعالنا والإيمان بالآخرة إننا نشترك في كثير في القيم [٣].

وقد أشار في نفس المحاضرة إلى معاناة المسلمين من الحكم الغربي الخاطئ على الإسلام حين قال: «لقد تشوه حكمنا على الإسلام لأننا حسبنا التطرف هو الأمر العادي والأساسي، كثيرون من الناس هنا ينظرون إلى الشريعة الإسلامية على أنها قاسية وبربرية وغير عادلة، إن صحفنا قبل الجميع تعشق الخوض في هذه الأحقاد، ولا تعرف روحانية الشريعة الإسلامية التي ينص عليها القرآن الكريم أساسها الرحمة والعدل» [٤].

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٣.

(٢) الحديث في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، الجزء الثامن عشر، مع شرح النووي. وهو عند الترمذي كتاب الفتن باب: ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ج١٠ ص ١٧٢ رقم (٢١٧٤).

(٣) انظر زكي الميلاد، وتركي على الربيعو - الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١ / ١٩٩٨م، ص ٢٨.

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.

ومما نوه إليه أيضاً هو أن التطرف ليس حكراً على الأمة الإسلامية بل ينسحب إلى سواها من أهل الشرائع الأولى فقال: «إن التطرف ليس حكراً على الإسلام، بل ينسحب إلى ديانات أخرى بما فيها المسيحية والغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال ودينهم هو دين الاعتدال». [١]

وهو يرفض مقولة صدام الحضارات، يقول: «أنا لا أوافق على مقولة أن العالم الإسلامي والغربي ينهجان نحو الصدام في عهد جديد من الخصومة والعداء، بل إنني على قناعة تامة بأن لدى عالمينا الكثير لكي يقدماه إلى بعضهما البعض». [٢]

ويختم محاضرته بقوله: " إني مقتنع تماماً بأن عالمينا – الإسلامي والغربي – يستطيعان العطاء، ومنح الكثير كل للآخر، «والإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني، وقد ساهم في إنشاء أوروبا المعاصر، إنه جزء من تراثنا وليس شيئاً منفصلاً عنه[٣] وهناك الكثير مما تستطيع أن نقوم بتنفيذه معاً»، وإنه يسرني والكلام له بأن أعلم أن الحوار قد بدأ في بريطانيا وغيرها، ولكننا ما زلنا نحتاج إلى بذل جهد أكبر ليفهم كل منا الآخر وأن نتخلص من سموم التفرقة ومن أشباح الخوف والتشكك وكلما طال مشوارنا في هذه الطريق فإننا نكون قد خلفنا عالماً أفضل لأطفالنا وللأجيال المقبلة "[٤].

وهذا وزير الخارجية البريطانية (روبين كوك) يشير إلى أن جذور الثقافة الغربية ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب، بل هي إسلامية أيضاً، ويرفض ويناقض مقالة صراع الحضارات وأن الإسلام العدو الجديد للغرب حيث يقول: «إن البعض يقول: إن الغرب بحاجة إلى عدو، ربما أن الحرب الباردة قد ولت إلى غير رجعة فإن الإسلام سيأخذ مكان الاتحاد السوفيتي القديم كعدو، ويقولون: «إن صراع الحضارات قادم وأنه لا مفر منه»، وأنا أقول – والكلام لوزير الخارجية البريطانية – إنهم مخطئون خطأً فادحاً، فنحن لسنا

---

(١) د. زقزوق الإسلام في عصر العولمة ص (٧٧).

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٤) زكي الميلاد وتركي الربيعو الإسلام والغرب ص (٢٨، ٢٩).

بحاجة إلى الإسلام كعدو، بل نحن بحاجة إليه كصديق»[١] وأشار كصاحبه الأول (ولي عهد بريطانيا) إلى أن: «الغرب مدين للإسلام بالشيء الكثير، فالإسلام قد وضع الأسس الفكرية لمجالات عديدة مهمة وكبيرة في الحضارة الغربية، إن ثقافتينا قد تشابكتا مع بعضهما عبر التاريخ والأجيال، وهما تتشابكان أيضاً في وقتنا الحاضر»[٢].

وهذا رئيس ألمانيا (رومان هير تسوج) الذي يرفض أيضاً مقولة صدام الحضارات، ويتبنى الدعوة إلى حوار حضاري بين أوروبا والعالم الإسلامي، وفعلاً وجه رئيس ألمانيا الدعوة إلى هذا الحوار[٣] عبر أعلى مستوى للدول الإسلامية والغربية. وللباحث تحفظ على تلك الدعوة من حيث أنها لو شملت أيضاً بعض الدول الإسلامية الأخرى مثل السعودية واليمن وباكستان وغيرها وليكن ممثلو الحوار علماء الأمة الإسلامية الذين يمثلون الإسلام تمثيلاً حقيقياً حتى يعرف الغرب معنى الإسلام ولينقلوا رسالة الإسلام المشرقة الوضاءة التي تخفى على كثير من شعوب الغرب بسبب حجب الرؤية الواضحة لديهم وعبر وسائل إعلامية معادية للإسلام التي لا تظهره عادةً إلا كعدو ووحش كاسر.

إن هذا الاعتراض من شخصيات غربية لها وزنها في الغرب وفي العالم كله دلالة واضحة على أن مقالة (صدام الحضارات) لا تخدم إلا فئة الواحد بالمائة، التي تمسك بزمام الإعلام، على مختلف مستوياته، بزعامة راعية النظام العالمي الجديد الولايات المتحدة الأمريكية، وإن تسليط الأشعة على هذه المقولة، والترويج لها في الإعلام، لا شك أنه من كيد يهود للتحريش بين المسلمين وغيرهم، وللحيلولة دون وصول الإسلام (إسلام الرحمة، والخير والمحبة، والهدى، والحق، والنور) إلى أمة الغرب، ولكنه بإمكان المسلمين أن ينفذوا من خلال هذه الوسائل لإيصال رسالة الإسلام كما يريدها الله سبحانه وتعالى إلى الناس كافة، وباستغلال الفضائيات، ووسائل الاتصال الأخرى كالكمبيوتر والإنترنت، وإنها لوسائل ناجحة جداً إن استغلت أحسن استغلال، وتمكن المسلمون منها فإنها من خير الوسائل لنشر هذه الرسالة الخالدة. تطبيقاً لقوله تعالى:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن**

---

(١) د. زقزوق الإسلام في عصر العولمة ص (٧٧).
(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها.

رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} [١].

وقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [٢].

وممن يرد على هنتغتون د. فؤاد عجمي أستاذ دراسات الشرق الأوسط يدعي هينتغتون في كتابه أنه ربما تتحد حضارة الإسلام مع الحضارة الكونغوشية (الصين – اليابان – كوريا وغيرها) لذلك لا بد من الاستعداد لهذا العدو الخطير، ويستدل على ذلك بما سبق من علاقات بين هذه الدول وغيرها من الدول العربية الإسلامية حين كانت تستورد السلاح من هذه الدول وأن هذه العلاقة لم تكن إلا علاقة تجارية محضة، لعب بالهويات والمصالح على حساب الربح والثمن الباهظ والجاهز[٣].

يدعو هنتغتون الدول الغربية وأمريكا إلى تكوين اتحاد حضاري قائم على أساسين هما الثقافة باستعادة الوحدة الحضارية الغربية ومكافحة التعددية الثقافية [٤] إقامة تحالف سياسي عسكري بين الولايات المتحدة وأوروبا إقامة تحالفات ذات طبيعة استقطابية لحضارات ضعيفة (أمريكا اللاتينية وأفريقيا). ضد الحضارات التي تشكل خطراً على الغرب وخاصة الإسلام.

و يدعو إلى إعادة تكوين المنظمات الدولية (الأمم المتحدة – اليونسكو – اليونسيف – البنك الدولي وصندوق النقد الدولي – ومنظمة التجارة العالمية وغيرها) بحيث تعكس في سلوكها وفي التزامها قيم الحضارة الغربية ومصالحها[٥].

بهذه الدعوات الموجهة والمقصودة يستنفر هنتغتون الغرب إلى مواجهة ثقافية عن طريق إلغاء التعدد الثقافي، والدعوة إلى ثقافة واحدة تنتظم الجميع، ويدين لها الجميع بالولاء، وهي

---

(١) النساء آية(١٧٠).
(٢) يونس(٥٧).
(٣) محمد السماك موقع الإسلام في صراع الحضارات، ص١٥٥. وانظر رعد كمال الحيالي صدام الحضارات المقدمات والنتائج عن مجلة النور اليمنية العدد (١٢٥) رمضان ١٤٢٢ ص٢٢.
(٤) محمد السماك المرجع السابق ص ١٥٧.
(٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الثقافة الأمريكية بالطبع. ومواجهة عسكرية أمنية دولية عن طريق الدعوة إلى تحالف دولي لمواجهة الخطر الجديد حيث انتحلوا له مسمى فضفاضاً عائماً (الإرهاب) والقصد وبلا شك ولا ريب (الإسلام).

محاولة هنيتغنون إثبات عداوة للغرب:

ويحاول إثبات عداوة الإسلام للحضارة الغربية بطرح أمثلة بتراء ليقدم من خلالها الدليل الناقص المبتور للحضارة على ذلك العداء من هذه الأمثلة: -

١- عداء العراق للغرب. متجاهلاً أساس ذلك العداء.

٢- عداء البوسنة للغرب. متغافلاً عن الصراع الصربي الكرواتي.

٣- السودان وصراعاتها مع أفريقيا. ولا يتوقف عن الصراعات الأخرى في روانـدا وليبريا وزائير حيث لا يوجد هناك أي دور للإسلام [(١)].

فهو لا يذكر أسباب تلك الصراعات، وأن الحقيقة هي أن الغرب في الأساس هو أساس ذلك العداء لأنه الوريث الشرعي للإغريق واليونان ولا يعرج على التحدي الأكبر المفروض على الأمة الإسلامية بسبب توسع دولة يهود، الذي هو أخطر مواطن الصراع الحضاري في المستقبل، إذ يتجاوز حجم تلك المعركة مجرد رسم الحدود لنواة دولة فلسطينية إلى أن يصبح مواجهة بين حق الإسلام التأريخي المكتسب في القدس منذ الفتح الأول وبين مشروع تشويهي دخيل تتضافر فيه جهود الصهيونية والصليبية، لا لمجرد احتلال أرض، بل لتطويق دار الإسلام وتفجيرها من الداخل (مشروع السوق الشرق أوسطية، والنظام العالمي الجديد، ومخطط تحريف الأنهار عن مجراها، وبرامج تهويد المدن في فلسطين) [(٢)]. فهذا إهمال مقصود عن أيدلوجية مرسومة ومحسومة. حيث يضع الثقافة اليهودية مع المنظومة الثقافية الشرقية، ويدرج فيها الإسلام، أيضاً وهذا نوع من التضليل يندرج في مخطط المشروع الاستعماري الإمبريالي الفكري والسياسي [(٣)]، ولا يعرج على شيء من الصراعات الداخلية في الحضارة الغربية، ولا ينوه حتى بذكرها، ولكنه ويؤجج نار الفتنة حين يدعي أن الصراع

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٨ وانظر رعد كمال الحيالي صدام الحضارات المقدمات والنتائج عن مجلة النور اليمنية العدد (١٢٥) ص٢٣مرجع سابق.

(٢) انظر د. أحمد القديري الإسلام وصراع الحضارات ص٥٧.

(٣) المرجع نفسه ص٥٨.

سيكون صراعاً ثقافياً بين الحضارات، متجاهلاً أن الإسلام - على مر الزمان والمكان - يتعايش دائماً بسلام، فهؤلاء اليهود والنصارى إبان حكم الدولة الإسلامية، يتعايشون مع المسلمين، وحقوقهم مصونة، وحرياتهم مأمونة، ولهم ثقافتهم وحريتهم الدينية ما داموا على العهد كذمِّيِّين، ولم يعلنوا حرباً على المسلمين، ولم يجد المسيحيون الذين عاشوا مع المسلمين في أي مكان في ظل الدولة الإسلامية المترامية الأطراف أي حرج أو عنت أو مشقة أو أي إسفاف بحقهم ما لم يكونوا محاربين أي ما داموا ذميين. ولهذا تعتبر الحضارة الإسلامية هي أول من دعا إلى فكرة المواطنة (المواطن العالمي) (١).

فحرية الدين في الإسلام من أساساته ومن مبادئه الأصيلة إذ يقول تعالى:**{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ}** (٢). وقد ثبت في التأريخ أن كثيراً من غير المسلمين دخلوا في الإسلام طائعين، واعتنقوه راضين من غير إكراه ولا تسلط، إنما بالحجة والبيان، وهذه شعوب الدول الآسيوية، لم تدخل الإسلام عن طريق السيف والسنان ولكن من خلال احتكاكهم بالتجار المسلمين، وملاحظاتهم لسلوكياتهم وعهودهم وأماناتهم وثقافتهم الحضارية الإسلامية فلم يتلكأوا أو يتململوا أن يدخلوا الإسلام عن رضى وقناعة، فإذا بهم يرفعون راية الإسلام عالية خفاقة.

إن المسألة كما يصورها البعض ليس صدام حضارات على وجه التحقيق، وإنما هي مسألة عوارض تأريخية ذات مخاطر وجودية، وصدام مصالح وغايات تبعث على الخوض، وتتطلب المقاومة، وتكمن مصالح الغرب في حماية وجودة، وضمان مصالحه، والحفاظ على هيمنته الكونية، مقابل أي مصدر من مصادر الخطر، الكامنة الصريحة، وغاياته تحقيق السيطرة الكاملة على جميع الشعوب، في عالم تسوده المنافسة الاقتصادية والمنفعة وهواجس الخوف، وفقدان الثقة، والحذر والريبة وللخطر دور حاسم في توجيه الفعل (٣).

نقاط الضعف فى مقولة هنيتنغتون:

إن نقاط الضعف في مقولة هنتنغتون إن جاز التعبير كثيرة جداً، إضافة إلى ما ذكرت

---

(١) انظر مقدمة عمر عبيد لكتاب الإسلام وصراع الحضارات ص ٣٠ مرجع سابق.

(٢) البقرة آية (٢٥٦).

(٣) انظر د. علي الفقيه صراع من أجل الحرية ولد إرثاً صدامياً عن الملحق الثقافي لجريدة الثورة اليمنية العدد (١٣٧٤٦) تاريخ ١/٦/٢٠٠١ ص ٨ وانظر عبد الفتاح البتول الحوار في عالم الصراع الملحق الثقافي العدد (١٣٦٤٨) ص٩.

حيث أنه يلغي المسافة بين العرب والفرس، ويتجاهل الحضور المسيحي العربي المتميز عن الإسلام العربي كل ذلك من أجل أن تضخم الوحش الكاسر الإسلام [١].

وعندما يتحدث عن الهوية يسجل أن الناس لديهم في العادة عدة مستويات من الهوية، فالإيطالي مثلاً يعتبر نفسه إيطالياً كاثولوكياً ومسيحياً وأوروبياً وغربياً، ووفقاً لهذه الأطروحة فإن التعريف الأوسع هو الذي يحدد الانتماء الحضاري، وربما يكون هذا صحيحاً في أحوال كثيرة، إلاّ أنه لا يكون قاعدة، فالحضارة الإسلامية التي ينتمي إليها كثير من المسلمين، نجد أن بعضه يحدد هويته وانتماءه الوجداني إلى الحضارة الغربية، أو إلى الحضارة الفرعونية أو إلى الحضارة الفارسية، بمعنى أن هذا التعريف قابل للتحول.

ويهمل هنتنغتون دور الدول الرئيس في الصراعات المستقبلية، باعتبار أنها الوحدة الحقيقية الواقعية التي يشكل فيها المجتمع الدولي، وإن للدولة هوية سياسية ووطنية تتمسك بها، ولها مصالح اقتصادية تدافع عنها، وفي الحالتين أو الأمرين معاً نجد أنها قد تتجاوز انتماءها إلى حضارة واحدة، ولعل التجمعات الإقليمية الاقتصادية أكبر دليل على ذلك[٢].

وبحسب د. الجابري أنه كان الأولى بالاهتمام أحداث جسام، حدثت في القرن العشرين، وتحدث باستمرار، كمصرع الشيوعية، وحروب دامية طويلة وكثيرة جداً على مستوى إقليمي، أو على مستوى محلي، فيقول: «لقد كان من المفروض أو على الأقل هذا ما كنت أتصوره أن ينشغل المثقفون والأكاديميون بانهيار الاتحاد السوفيتي تماماً، بسقوط الشيوعية، ومعها نهاية الماركسية، وفشل البيريستروسكا (إعادة البناء)، وأن يبحثوا عن العوامل والأسباب التي أدت إلى وضع حد لأحلام الطبقة الكادحة، وللمخاوف التي أثارتها لدى خصومها، ولما رافق تلك الأحلام والمخاوف وعززها، ونماها، من كتابات من مختلف المستويات والاتجاهات أكاديمية، وأيدلوجية، ودعائية، محض[٣]...، بالإضافة – والكلام لا زال للجابري – إلى أحداث أخرى جسام شهدتها الساحة العالمية، كان للماركسية الشيوعية دور بارز، لما فيها من حروب، وسقوط أنظمة، واغتيالات، وغيرها من الأحداث التي لم

---

(١) انظر محمد السماك موقف الإسلام في صراح الحضار، ص ١٥٩.
(٢) المرجع السابق ص١٦١ وانظر وحيد عبد المجيد جريدة الحياة ١٧ /٨/ ١٩٩٣م.
(٣) انظر د. عايد الجابري – قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ٨٦.. وانظر رعد كمال الحيالي صدام الحضارات المقدمات والنتائج النور العدد(١٢٥) صـ٢٢.

تحرك أقلام الأكاديميين أو المحللين الاستراتيجيين» [(١)]،

كما يضيف: «إنها مسألة مثيرة للاستغراب أن تسكت النخب عن هذه الأحداث وينشغلوا بمقال هو مجرد وهم وفكرة غير معقولة، ثم يقرر أنها تنطوي فعلاً على قضية استراتيجية سياسية عسكرية، ثقافية ويضيف أنه لزاماً يجب تعميم الوعي بها وبمضمونها وأهدافها ويجب فضحها» [(٢)].

ليس صموئيل هنتغتون هو وحده الذي كتب في مسألة صراع الحضارات. لقد اعتمد في مقالته (صدام الحضارات) على كتاب آخرين قبله مثل المستشرق (برنار لويس) المعروف بعدائه الصريح والواضح للعرب والمسلمين (وباري يوزان) الكاتب الصحفي المرموق أستاذ الدراسات الدورية بجامعة(ووردريك) البريطانية الذي يقرر بعد التحليلات والتخمينات، أن الحرب الباردة القادمة ستكون بين الإسلام والنصرانية، لا سيما وأن الإسلام يحمل قيماً تتعارض مع العلمانية السائدة في الغرب، ونظراً للتنافس التاريخي بين الإسلام والمسيحية، ونظراً لغيرة المسلمين من قوة الغرب بحسب تعبير هذا الصحفي إضافة إلى الجوار الجغرافي، فإذا اجتمعت هذه العوامل مع زيادة هجرة العرب والمسلمين فإن كثافة هذه الهجرة تشكل خطراً على أمن دول الغرب كافة ولذلك لابد من أخذ الحيطة والحذر، ولا بد من الاستعداد، وصدق الله العظيم حيث يقول عن اليهود:**{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** [(٣)].

وهي عادة وسجية في نفوس اليهود إذ لا يستطيعون العيش إلا على دماء الآخرين مهما كانوا.

ولهذا يلجأ صموئيل في رسالته إلى هذا الأسلوب الصدامي بين الحضارتين الإسلامية والغربية إنه يتناقض كثيراً مع نفسه في مقالة (صدام الحضارات).

إنه يبدأ مقالته على أنها فرضية يحمل الناس على الإنصات والانتظار حتى لا يستعجل

---

(١) د. عابد الجابري المرجع السابق ص٨٦.
(٢) د. جابرى المرجع السابق ص ٩٤.
(٣) المائدة (٦٤).

بالنقد والنظر، وتنطوي الفرضية على مكر ودهاء حين يحولها فجأة إلى حقائق يتم تقريرها ولا يحتاج لتثبيتها في ذهن القارئ إلا إلى أمثلة مقتضبة، يحشدها حشداً تغني عن التحليل، وتقوم مقام الدليل،

ومثلاً يوهم القارئ في البداية أنها فرضية، وإذا بها فجأة تتحول إلى نبوءة وقراءة للمستقبل متبعاً أسلوباً هجومياً تتدافع فيه العبارات التأكيدية كقذائف متتالية متساقطة من فوهة مدفع (١).

يقول صموئيل هنيغتون: " تقوم فرضيتي على أن المصدر الجوهري للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون أيدلوجياً أو اقتصادياً بالدرجة الأولى، فالانقسام الكبير داخل الجنس البشري، وكذا مصدر الصراع المسيطر سيكون حضارياً، إلا أن الصراعات الرئيسية في السياسة الأولية ستنشب بين الدول وبين مجموعة من الحضارات المختلفة، وستكون حدود التوتر الفاصلة بين تلك الحضارات هي خطوط المعارك الكبرى في المستقبل ". (٢)

وبصورة تكتيكية ينتقل إلى الرد على فكرة نهاية التأريخ وقد لخصت ذلك الرد والفكرة التي بنيت عليه في مطلع هذا المطلب.

تفسير صمويل للصراع الحضارى:

ثم يقرر أن الصراع بين الحضارات إن هو إلا الطور الأخير في عملية تطور النزاعات في العالم الحديث حيث مرت كما يقول بخمس مراحل سابقة: - (٣)

١- صراع بين الأمراء والأباطرة.

٢- صراع بين الملوك المستبدين والملوك الدستوريين.

٣- صراع بين الدول القرمية " أو الأمم " وهذه انتهت منها الحرب العالمية الأولى.

٤- صراع بين الأيديولوجيات بين الشيوعية والفاشية والنازية والديمقراطية الليبرالية وانتهت بنهاية الحرب العالمية الثانية.

٥- صراع بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية وانتهت بنهاية الحرب الباردة.

---

(٢) د. جابري المرجع السابق ص٩٤.

(٢) انظر الأستاذ خلدون الشمعة عن الشرق الأوسط ٢١ - ٢٣ / ١ / ١٩٩٥.

(٣)د. الجابري قضايا في الفكر ص ٩٦

متغافلاً ومتناسياً الصراعات الدينية في أوروبا والصراعات الإنكليزية الأمريكية(حرب الاستقلال) والصراعات الإنكليزية والفرنسية) من أجل المستعمرات والطريق إلى الهند والصراعات في أمريكا الشمالية والجنوبية في آسيا وأفريقيا من أجل التحرير،

وفرنسا مع الصين في الهند، وفرنسا مع المغرب والجزائر، وحرب الفيتنام التي هزمت فيها أمريكا شر هزيمة [(١)]، حرب السويس، وغيرها من الحروب الكثيرة، كل هذه الحروب التي كانت الدول الاستعمارية وأمريكا طرفاً فيها

إنما هي حروب استعمارية بل تخريبية للنهب والاستعباد انتصر فيها الأقوى ثم تحررت الدول الضعيفة من رقعة الاستعمار ثم تحررت من ربقة تلك الدول المستعمر، وما الصراع الأخير الذي تنبأ به هينتغتون إلا امتداداً للصراع القديم كما تريد الإمبريالية المهيمنة عالمياً، سواء تحت غطاء الليبرالية أو أي غطاء آخر أو السيطرة التامة على الشعوب الفقيرة المعوزة (شعوب العالم الثالث ومنه دول العالم الإسلامي).

الهدف من هذه المقولة:

وما هذه النظرية التي كادت أن تكون نبوءة إلا مجرد تعبير كاذب يقصد به صرف النظر عن حقيقة الصراع القائم والمقبل الذي يقوده الغربيون أنفسهم بدءاً بالتنظيرات على أيدي مفكريهم ومحلليهم، ثم ختاماً بالمعارك العسكرية التي غالباً ما تكون لهؤلاء المحللين اليد الطولى فيها عند تأجج الصراعات والنزاعات بين الدول الإسلامية، أو عندما يأججونها هم بدعمهم في كل صراع للجهات الموالية للغرب، ودعم المؤسسات الدولية التي تكرس المصالح والقيم الغربية [(٢)].

إن الشعوب الإسلامية وشعوب العالم الثالث لم تحارب يوماً الحضارة الغربية بل بالعكس لقد استقبلتها الحركات الوطنية التي قاومت الهيمنة الاستعمارية الأوروبية والأمريكية وثبتتها كنموذج أوروبي أمريكي بل إن زعماء تحرير بلدان العالم الإسلامي والثالث كانوا ممن تربوا على يد الغرب (المتحضر) ودعوا إلى تحرير الشعوب وتحديثها بتبني

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٦.
(٢) انظر: رعد كمال الحيالي: صدام الحضارات، النور العدد (١٢٥)، ص ٢٣.

الأفكار الغربية، وزعموا أن التقدم لن يكون إلا بذلك وأجبروا شعوبهم على ذلك!! [(١)].

ويهدف هينتغتون من خلطه بين الحضارة والثقافة، وجعله من الحضارة هوية ثقافية، فتنضوي جميع الشعوب الغربية تحت حضارة واحدة وثقافة واحدة والشعوب الإسلامية والعربية تحت حضارة واحدة مميزة عن الحضارة الغربية، ويجعل من الصين حضارة خاصة، ولا يمكن أن تلتقي مع الغرب بل تشترك مع الحضارة الإسلامية في عدائها وتمردها على الغرب، لأن كلتا الحضارتين تتقاسمان مجموعة من المبادئ التي تصطدم مع الديمقراطية الغربية كالاهتمام بالواجبات دون الحقوق والجماعية دون الفردية (في الحضارة الكنفوشية الصينية) أو عدم الفصل بين الدين والسياسة والإيمان بالوحدانية والحاكمية لله في الإسلام[(٢)].

ومن هنا فإن الحرب القادمة(الحرب العالمية الثالثة)ستكون حرباً بين الحضارة الغربية والحضارة المتمردة عليها(الممثلة في الحضارة الإسلامية والحضارة الكنفوشية) ثم لا يعرج على الحضارات الأخرى إلا على سبيل التنبؤ بمدى اندماج بعضها مع الحضارة الغربية [(٣)].

تخبط صمويل في تصنيف الحضارات:

ويعترض عليه الجابري [(٤)]في مسألة (تصنيف الحضارات) فهو ينسب كل حضارة إلى شيء غير نسبته إلى الحضارات الأخرى، فالحضارة الإسلامية ينسبها إلى الإسلام، والحضارة الهندية واليابانية نسبة إلى بلديهما، والإفريقية إلى قارة الحضارة الكنفوسيوسية إلى كنقونوشيوس الحكيم، والحضارة السلافية الأرثوذكسية نسبة إلى عرق لا دين.

وهذه المقاييس تختلف اختلافاً كثيراً عن العوامل التي يجعلها هتتغتون مسؤولة عن تمايز الحضارات في حين أنه يناقض نفسه حين يقول: إن التمايز بين الحضارات يرجع إلى اللغة والدين والثقافة والتراث واللغة والتأريخ مع أن هذه العوامل قد تشترك فى أكثر من حضارة

---

(١) انظر د. عابد الجابر: صراع الحضارات، ص ٩٩.

(٢) انظر د. الجابري، المرجع السابق، ص ١٠١، ورعد كمال الحيالي، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣) انظر: نفس هذا المعنى لأحمد الشهاب في: نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، عن مجلة العلم، العدد (٢٥)، ص ٦٣، مرجع سابق.

(٤) د. الجابري: صراع الحضارات، ص ١٠٣.

بحسب مقاييس فيها.

ولماذا لا يجعل أساس التمايز هو الدين مع أنه يقول أن الدين هو العنصر أو العامل المهم في التميز بين الحضارات؟

ويضيف الجابري بأن هذا الخلل في التصنيف بين الحضارات جعله يقفز ليعود إلى التصنيف الثنائي الواقعي وهو القرب من جهة والدول الغربية من جهة أخرى، ونراه يعتمد مقياساً آخر يسميه الوعي (الوعي الحضاري) إلى غيرها من الانتقادات في هذا الجانب [١] فليرجع إلى مظانها لأنها قد تسهم في إطالة المطلب البحث، وهذا يكفي في نظر الباحث حتى يعلم أن مقولة صراع الحضارات مقولة مليئة بالتناقضات والشطحات والتنبؤات العارية عن الصحة والمصبوغة بالصبغة اليهودية الحاقدة التي جبلت على الفساد والإفساد بين الناس كما قال تعالى: **{وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** [٢].

كما يحاول هنتغتون أن يثبت أن التكتلات الإقليمية الاقتصادية لا تفلح إلاّ إذا كانت ذات جذور حضارية مشتركة ويضرب لذلك أمثلة تعسفية: -

١- المجموعة الأوروبية.

٢- منظمة التجارة الحرة الأمريكية الشمالية.

٣- اليابان وعدم إمكانيتها في إقامة تكتل اقتصادي في شرق آسيا.

٤- الصين وإمكانية خلق مجموعة إقليمية اقتصادية في شرق آسيا تحت زعماتها.

وهذا فيه ما فيه من المغالطات المبنية على أصل فاسد، فليس الاشتراك في حضارة هو الذي يجمع تايوان وهونغ كونغ وسنغافورة مع الصين، بل يجمعها الانتماء إلى أمة واحدة وإلى بلد واحد وإلى تأريخ واحد وجغرافية واحدة [٣].

الفتوحات الإسلامية ووجهة نظر صمويل:

ويرجع هنتغتون إلى الوراء وإلى قرون الفتوحات الإسلامية ليجعل منها السبب الرئيسي

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

(٢) المائدة آية: ٦٤.

(٣) لمزيد من الإيضاح انظر الجابري ص ١١١ وما بعدها، انظر د. أحمد محمد العبسي: قراءة تقوية لمفهوم تصادم الحضارات، عن مجلة البيان، العدد، (٧١) ١/ ١٩٩٣م، ص ١٠١.

والواضح الأول في الصدام بين المسيحية والإسلام، حينما وصل العرب إلى مدينة تور الفرنسية عام ٧٣٢م مخترقين شبه الجزيرة الإيبرية وخيال البرانس ليتوغلوا في فرنسا حتى تجدد الصدام في القرن الـ ١١،

والقرن الـ ١٣ الميلاديين خلال الحروب الصليبية، ثم في القرنين الـ ١٤، والـ ١٧ على عهد الإمبراطورية العثمانية، ثم بين الاستعمار الأوروبي وبين معظم شمال أفريقيا والشرق الأوسط

ئ وبعد نهاية الاستعمار تجدد الصراع بين الغرب والقومية العربية، وهاهي الأصولية الإسلامية على حد زعمه تحل محل القومية العربية مشيراً إلى خطرها على الغرب، ثم يعرج على الصراع الإسرائيلي الغربي مع الإشارة إلى أن إسرائيل (من صنع الغرب) أي أن الصراع بين الغرب والمسلمين وأخيراً الحرب بين الولايات المتحدة والعراق في ١٩٩٠م بحجة الدفاع عن دولة عربية أخرى أي أن تأريخ الإسلام والغرب تأريخ سلسلة من الحروب والاحتكاكات المتواصلة والمتجددة [(١)].

أسباب الصراع عند صمويل:

ولا يفوته أن يذكر أسباب الصراع من وجهة نظره والتي تزداد كل يوم في نظره وتشتد بين الغرب والمسلمين بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وهذه بعض الأسباب التي أبداها [(٢)]:

١- هناك لدى بعض العرب (شعور بالفخر) لأن صدم حسين هاجم إسرائيل، وتحدى الغرب.

٢- ولدى بعضهم شعور بالهوان، ويستنكرون الوجود العسكري الغربي في الخليج الفارسي.

٣- السيطرة الغربية الساحقة ولدت أيضاً شعوراً لدى بعض العرب بعدم قدرتهم على صياغة مصيرهم بأنفسهم.

٤- النفط الذي وصل ببعض العرب إلى مستوى من التطور جعل الحملة من أجل الديمقراطية تجد آذاناً صاغية في هذه الأقطار، الأمر الذي أدى إلى انفتاح (على

---

(١) زكي الميلاد، تركي علي الربيعي: الإسلام والغرب، ص ٤٨، ٤٩.
(٢) د. الجابري المرجع السابق ص ١١٧.

الديمقراطية) فكان المستفيد الرئيسي هو الحركات الإسلامية!!.

بل يصل به الأمر إلى أن يصرح بأن تعميم الديمقراطية في العالم، وطبعاً بالذات في العالم الإسلامي، إنما تؤدي إلى تعزيز القوى السياسية المناهضة للغرب.

فلماذا إذاً حسب تعبير الجابري التشدق بالديمقراطية وحقوق الإنسان في الدول غير الغربية.

٥- إن النمو السكاني الهائل في الدول العربية وبخاصة في الشمال الإفريقي، وتزايد هجرة سكان هذه الدول إلى أوروبا يؤدي ذلك إلى هيمنة الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وحتى يثبت صحة فطرية الصدامية وأن للإسلام حدوداً دموية يسوق أمثلة من الصراعات بين المسلمين، والمسيحيين، واليهود، ويمثل بالسودان مع الجنوب، والحرب التشادية مع المتمردين؟! وأهل الجنوب؟! والتوتر في القرن الإفريقي بين الشعوب الأورثوذوكسية والمسلمين وكذا الحرب الدائرة في البوسنة وصربيا وبلغاريا وأرمينيا بين الأرثوذوكس والمسلمين، وغيرها من الأمثلة متجاهلاً أي صراعات أخرى تحدث في داخل الحضارة الغربية.

ويخرج بنتيجة هي مبنية على (فرضية) بل (حقيقة) التي يؤكدها مسبقاً كمنظر قدير لأسياده الغربيين كما يحبون أن يفهموا بأن (للإسلام حدوداً دموية) ولا بد من الاستعداد التام [1].

ويقرر هنتغتون في النهاية إلى أن الحضارة الغربية، وإن كانت مسيطرة سيطرة تامة لكن هذه السيطرة إنما هي على المستوى السلعي والاستهلاكي، أما القيم الغربية والتي تتنافى تماماً مع قيم الإسلام والمسلمين، فإنها لا تحظى بقبول تام لا في بلاد المسلمين ولا في غيرها من البلاد وبالذات البلاد الصينية [2].

ولهذا يربط بين حضارة الإسلام والحضارة الكنفوشية، وأنهما قد يتحدان ويسعيان بجد إلى التقدم وامتلاك التكنولوجية والاقتصادية والعسكرية [3].

(١، ٢) الجابري ص ١١٨ وما بعدها.
(٣) انظر نفس المطلب، ص (١٦٣)

وعليه فعلى الغرب أن يأخذ حذره وأن يتخذ جميع التدابير على المستوى القريب والبعيد للدفاع عن مركزه ومصالحه، وليعمل على احتواء الحضارات الأخرى وتحجيم المتمرد منها بل وابتلاعه قبل أن يبتلعه.

رؤية الباحث للمقولة:

ويخلص الباحث بعد هذه الإسهابة الطويلة إلى أن أساس وبؤرة المقاومة أو مقاومة الغرب المتسلط من وجهة نظر صمويل هنتغتون (هو الإسلام) بالدرجة الأولى لاختلاف المنهجية وعدم إمكانية تقابلهما ثم الصين في الدرجة الثانية مع أني لا أشك أنها لن تكون مع الإسلام أبداً وما ذلك إلاّ: -

١- لامتلاكها للسلاح الذري والنووي.

٢- نزوعها للسياسة المستقلة.

٣- دخولها في مرحلة الإقلاع الاقتصادي الذي قد يجعل منها منافساً حقيقياً لمصالح الغرب الاقتصادية في شرق آسيا.

وفي النهاية فإن مصالح الغرب هي التي تحكم السياسة الخارجية ولا شيء غير ذلك، فالغرب يقدم في سياسته الخارجية دائماً وتأريخه حافل بذلك مصالحه ولو كان الضحية أمماً وشعوباً.

وإنما تأتي دغدغة عاطفة الرأي العام متسترةً بشعارات تغطي على الدهماء من الشعوب باسم حقوق الإنسان والديمقراطية والتنوير ومحاربة التطرف والأصولية والتزمت في الدين الحضارة والثقافة والدين والأصولية.

لماذا يجنح الغرب إلى العداء وإلغاء الآخر:

ولكي تتضح بعض العوامل التي تدفع بالغرب نحو العداء أو الإلغاء أو عدم الاعتراف بالآخر ثمة نقاط ذكرها الغربيون وغيرهم أدت إلى ذلك منها:

١ - إن العقدة التي تدفع بالغرب نحو العداء أو الإلغاء أو عدم الاعتراف بالآخر

(بالحضارات غير الغربية) هو عقدة التمركز على الذات التي يقول عنها (مكسيم رود نسون) في كتابه (جاذبية الإسلام) [١]:«إن التمركز على الذات الأوروبية أمر جليّ، إذا كان من الحماقة فضحه اليوم بقوة، والاسترسال بصدده في فيض من الاستنكار الأخلاقي، إلاّ أنه لا بد من تسجيله ومعاينة مفاعليه الضارة، ليس فقط في المجتمع والحضارة الأوروبيتين يوضعان نموذجاً أو نمطاً صالحاً كونياً، وليس فقط تفوقهما المطلق في كل الأصعدة التفوق المحدود، مثلاً في التقنيات –، ولئن كان بعضها بالفعل عوامل كلية كونية فليس الأمر هكذا بالنسبة لها جميعاً، وهذا العقل الميكانيكي كان ضاراً ومشؤوماً بوجه عام».

وهذه النظرة يؤكدها روجيه غارودي حيث يقول: «إن الغرب اعتقد أنه مباح له تحديد مكانة الآخرين والحكم عليهم لصالح تأريخه وغاياته وقيمه» [٢].

٢- إن هذه النظرة إلى الآخر لن تتغير وتتطور إلاّ برؤية فلسفية تعيد تشكيل الذات الفلسفية للغرب الذي يعتقد أن النزاع والصدام هو الذي يوفر أساسات التقدم والتطور، وبأن يضع أمامه عدواً ليضمن لذاته التنافس الخارجي والتماسك الداخلي متأثراً ببعض الفلسفات الأوروبية التي كان لها الأثر الكبير في تكوين العقل العربي وتذهب إلى أن التناقض هو أساس التطور مثل:

(النشوء والارتقاء، البقاء للأقوى) (لدارون) وفلسفة القوة عند (نيتشه)، وفلسفة التناقض عند (هيجل) وفلسفة (الصراع الطبقي) عند (ماركس) [٣].

٣ – وجد الغرب في الإسلام أنه ليس مجرد دين كالأديان، التي يعرفها كالمسيحية واليهودية وغيرها، بل هو إلى جانب ذلك يمثل نموذج حياة للناس، وإن من يعتنقه يكشف التحضر والتقدم من داخل هذا الدين، في حين أن الغرب لا يرضى لنموذج آخر ينافسه في الانتشار العالمي والهيمنة الحضارية، أو أن يقدم إلى العالم نموذجاً للحداثة والتقدم يختلف عن النموذج الغربي.

٤ – يمثل الإسلام الركيزة الرئيسية التي وقفت في وجه التحديث الغربي في المجتمعات

---

(١) انظر مكسيم رودنون: جاذبية الإسلام، ترجمة إلياس مرفض، بيروت، أكتوبر، ١٩٨٢م، ص ٧٤، وانظر: زكي الميلاد: ص٥٣ مرجع سابق.

(٢) روجيه غارودي – الإسلام دين المستقبل ترجمة عبد المجيد بارودي – بيروت دار الإيمان ١٩٨٣م صـ ١٧٥.

(٣) د. الجابري قضايا في الفكر ص٩٦.

العربية والإسلامية، التي حالت دون اختراق هوية هذه المجتمعات.

٥ – إن في اعتقاد الغرب أن ما حققه من تقدم يفوق ما أنجزه الإنسان في تأريخه، وأن ما وصل إليه من حداثة متطورة، جعلت من موطنه محمياً من تأثيرات كل ما هو غير غربي، من فلسفات ومذاهب وأديان وأفكار وغيرها، لأنه من غير الممكن كما في اعتقاد الغرب أن تصمد هذه الأفكار والمعتقدات أو أن تجد طريقها وهي مجرد تصورات تفتقد الأنموذج والمصداق التطبيقي من التقدم الذي تنافس به الغرب.

٦ – إن ما نعيشه كمسلمين من تخلف شامل يعكس عنا صورة سيئة وفاشلة خصوصاً عند تلك المجتمعات التي قطعت أشواطاً من التقدم

٧ – وأكثر من هذا أن الغرب كان يظن أن هذه الأفكار والمعتقدات لن تصمد ولن تستطيع الدفاع عن نفسها أمام مثيرات الحداثة الجارف في مواطنها، وليس هناك ما يعرقل من اكتساح الحداثة أينما وصلت في هذا العالم، وقد كشف الواقع خلاف هذا كله، بل ويندهش الغرب ويضطرب وتضطرب أمواجه وتتلاطم نظرياته حينما يجد من تخلى عن حداثته من داخل مجتمعاته لصالح أفكار أو معتقدات من خارج مرجعية الأوروبية.

٨ – هذا ولقد كشفت الشواهد للغرب خلاف ما كان يعتقد، فالتقارير والدراسات المسيحية والبحثية الصادرة من جهات مطلعة ومتخصصة من هناك، تؤكد على توسع انتشار الإسلام وتقدمه على كل الديانات الأخرى، ولا يقتصر انتشاره على فئة دون أخرى، بل وصل إلى فئات اجتماعية مختلفة بما فيها تلك الفئات التي توصف بالطبقات الراقية.

وللأسف فإن الإعلام الغربي يتكاتف لنفث سمومه لتشويه المسلمين ووصفهم بالنعوت المنفرة، فيدفعون بالغرب والشعوب الغربية نحو الصدام والعداء السافر ويصورون الإسلام على أنه وحش كاسر مكشرٌ عن أنياب الافتراس لكل ما عداه، مع أن الوجود الإسلامي – وقد شهد الكثير من الغربيين بذلك – له إيجابياته، خاصة في المجال الأسري، والاجتماعي، الذي وصل في بلاد الغرب، إلى حافة الانهيار، حيث فقدت الروابط الاجتماعية والأسرية مضامينها المعنوية والاجتماعية، وتحولت إلى ما يشبه مؤسسة مالية أو تجارية في علاقة الزوجة بالزوج، وعلاقة الآباء بالأبناء.

بالإضافة إلى ذلك:

فإن الغربيين يعتقدون أن حضارتهم تفوق الحضارات الأخرى من نواحٍ شتى، وبالأخص أنها عقلانية وتؤهلها هذه العقلانية لأن تكون حضارة عالمية وعلى حد تعبير هجيل الذي يمثل كثيراً من سياسة الغرب: «إن الروح الأوروبية هي الحقيقة المطلقة التي تحقق نفسها بنفسها من غير أن تكون مدينة لأحد سواها وهي لم تفرض نفسها على أوروبا والولايات المتحدة فحسب، بل على كل المجال الفكري لأطراف العالم» (١).

بل إنهم يعتقدون أن غزوهم لأي بلد في العالم إنما يرجع ذلك من وجهة نظرهم أنهم يقدمون خدمة للعرب ولملوكهم ولتنوير الآخرين، وهذا المعتقد عندهم يعتبر الحقيقة المطلقة، كما يعتبرونه خدمة لله بحسب مؤرخهم الأسباني الذي سوغ ذهابه وزملاءه لغزو الجزر الهندية بقوله : «إنما ذلك خدمة لله ولصاحب الجلالة ولنقل النور إلى أولئك الجالسين في الظلام، ولنصير أغنياء كما أن كل إنسان يريد أن يصير» (٢).

ويقول مؤرخهم المعاصر وهو ثاني عطفه بلسان الاستعلاء والكبر مفتخراً: «.... وقد خرجت أمة جديدة في المقاطعات البريطانية السابقة في أمريكا الشمالية، وفي الجنوب استطاع الأسبان أن يحطموا حضارتين ناضجتين ليغرسوا حضارتهم» (٣).

وهكذا في القرن التاسع عشر والعشرين استطاع الغرب أن يفرض سيطرته وحضارته بالقوة العسكرية على أفريقيا كلها والقارة الهندية وبقية آسيا والوطن العربي والإسلامي.

تسويغ الهيمنة الغربية على العالم:

ولما انفجرت ثورة الاتصالات والمعلومات، وبلغت إمكانية الحضارة الغربية أوجها، أسفرت عن مصطلح جديد في ظل نظام عالمي جديد اسمه (العولمة)

(١) انظر. أ. د جعفر شيخ إدريس: العولمة وصراع الحضارات، عن مجلة البيان (١٧٠) ص ٢٨.
(٢) أ. د جعفر إدريس، المرجع نفسه، ص٢٨.
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠.

لتسويغ الهيمنة الغربية، بحجة أنها القادرة، والمتمكنة فيجب أن تسيطر لأسباب كثيرة لخصها أحد الأمريكان مع التحفظ عليها لاعتقادهم أن الحضارة الغربية بقيمها وثقافتها هي رسالتهم للعالم، وأنهم أوصياء على العالم تحت حجج واهية، وأوهى من بيت العنكبوت، ذلك أن الوصاية الحقيقية هي لمن يملك غذاء الروح، والحضارة الغربية لا تملك هذا الجانب أبداً والنقاط هي:

١ – الحضارة الغربية تملك وتدبر النظام المصرفي العالمي.

٢ – تسيطر على كل أنواع العملة الصعبة.

٣ – أنها هي الزبون العالمي الأول.

٤ – توفر هذه الحضارة للعالم معظم بضائعه.

٥ – تسيطر على أسواق الرأسمال العالمية.

٦ – وتمارس قدراً كبيراً من القيادة الأدبية في كثير من المجتمعات.

٧ – لها القدرة على التدخل العسكري العظيم.

٨ – أنها تسيطر على المضايق البحرية.

٩ – أنها تقوم بمعظم البحوث والتطوير والتقنية المتقدمة.

١٠ – أنها المتحكمة في التعليم التقني الفائق.

١١ – أنها المهيمنة على المدخل إلى القضاء – وعلى صناعة الطيران – على وسائل الاتصالات العالمية وعلى التقنية العالمية لصناعة الأسلحة [(١)].

ونحن من جانبنا نرفض هذه الوصاية التي هي في الحقيقة استعباد وامتلاك لرقاب العباد ونهب لخيرات البلاد، في ظل التنافس المحموم باسم السوق الحرة والشره المفرط باسم الانفتاح والاندماج وفي ظل غياب القيم النبيلة والمثل السامية والأفكار النيرة وفي ظل العنف المنظم خاصة بعد امتلاك أكبر قوة اقتصادية وسياسية، عسكرية نووية قد تؤدي إلى خراب العالم وفنائه.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

وعوداً على بدء فإن صمويل هينتغتون يتوقع أن صدام الحضارات لن يكون كما كان الحال في القرن الماضي (القرن الـ١٩) أي من خلال اختلاف النظم الاجتماعية والأيديولوجية، بل إن ما سيحددها هو اختلاف الحضارات، التي ستصادم بكل ما لديها بالطبع من قداسات دينية وثقافية. وإن الحضارة الغربية - بزعمهم - هي حضارة الخير والقيم السامية والسلوك المثالي وإن خصمه الأيدلوجي الجديد (الإسلام) هو محور الشر وإمبراطوريته ورمزه المطلق. ولم يزل الخطاب الأمريكي منذ تأسيس أمريكا يدعى أنه صاحب رسالة إلهية مفوض لتغيير العالم. فهذا جورج واشنطن أول رئيس أمريكي في خطابه عام ١٧٨٩م يقول: إذ أنه توكل بمهمة يمدها الله إلى الشعب الأمريكي.

وفي نفس السياق وعلى النغمة نفسها يكرر توماس جيفرسون في خطابه الرئاسي عام ١٨٠١م فيقول: «الأمريكيون شعب الله المختار».

وأما الرئيسي " داريت آيزنهاور" فقد خاطب أمته في عام ١٩٥٣م قائلاً: «لمواجهة تحديات العصر حمل القدر بلدنا مسؤولية قيادة العالم الحر».

وهذا هو ديدن الأمريكان «والسنفوانية التي يعزفون عليها دائماً طوال عهودهم، فلم ينس الخطاب الأمريكي على العموم يوماً ما أن يلح في المقابل على أن أمريكا هي «البلد الذي باركه الرب» [(١)] (God Blessed Country).

أصل هذه المقولة ومدى تأثيرها على السياسة الأمريكية:

والحقيقة أن مقولة صراع الحضارات خطاب قديم، مستعاد لإذكاء جذوة الصراع من جديد بين ما يسمى في المسيحية " مدينة الله " و" مدينة الشيطان " كما جاء على لسان القديس "أوغسطين "[(٢)]، ويصور الصراع كما هو حال أهل الشر على أنه من أجل القداسة التي ينبغي أن يحافظ عليها، وأن ما يذهب من أبرياء المدينتين ضحية هذا الصراع لا اعتبار

(١) انظر حسن قطامش: نهاية الجغرافيا، عن البيان، (١٤٩)، ص ٩٥، وانظر يوهان جالتونج: هوت اليمنية الأمريكية، ضمن كتاب جارودي: أمريكا طليعة الانحطاط.

(٢)انظر: علي مبروك، صدام القداسات، عن مجلة سطور، الصادرة في مصر، مؤسسة الأهرام، العدد (٤٢) ٥/ ٢٠٠٠م، ص ٩.

لـه فهو ضرر محتم لا مفر منه، وهو خير محض ويطلقون عليه الضرر المصاحب، ولـيس ثمـة هم أو كدر أو أدنى حس إنساني حينما تزهق أرواح الآلاف أو الملايين من البشـر، أو تهـدم عليهم بيوتهم بما فيهـا، في سـبيل انتصـار القداسـة الملتصـقة بالحضـارة الغربيـة المزيفـة زوراً وبهتاناً! [١].

إن ما يثير الدهشة في كتاب صراع الحضـارات هـو بشـاعة الرؤيـة، مـن خـلال إثارتهـا لشجون العامة والخاصة من الغربيين أنفسهم، ولا سيما أن الدراسـة تضـع الخطـوط الزيتيـة لهذا الخطر القادم ممثلة بالعقدين الأولين من القرن الـ٢١، ولا يكتفي بذلك بـل يحـدد العـام ٢٠١٠م ليكون عام الهجوم النووي الإسلامي (المتطرف) على بعض المدن الغربيـة الكـبرى، ثم يتنبأ بقيام حرب عالمية ثالثة أعظم الخطر فيها وأهمه هو الخطر الإسلامي، ثم تعـزز هـذه النبوءة بما حدث في الحـادي عشـر مـن سـبتمبر ٢٠٠١م مـن هجـوم علـى المركـز التجـاري الأمريكي لتصبح النبوءة حتماً لا خبراً، وليصبح الإسلام في نظر الغرب هو الخطـر الأعظـم فعلاً، والعدو اللدود والأول للغرب عامة، ولأمريكـا خاصـة، الأمـر الـذي دفـع الولايـات المتحدة لشن حرب شعواء ضد الإسلام والمسلمين، فسخرت وسائل إعلامها الضخم لخدمة هذا الغرض ولتصور المسلمين بأبشع الصور، ولتنعتهم بأقذع النعوت وأفظعها مـن أصـولية وإرهاب وتطرف!!.[٢].

ثم بعد ذلك يتم تعميم هذا الأمر وإطلاقه لعامة الحركات الإسلامية سواء المعتدلة منها أو التي تعمل في خط المواجهة مـع الاحـتلال الغاشـم الظلـوم الإرهـابي (المتمثـل بالدولـة) المزعومة " إسرائيل "، أو حتـى أي دولـة تريـد أن تقـيم في أرضـها - الإسـلام - أو تحكـم شعبها به، فتعمم هذه الألفاظ وتلبس عليها غير من التهم وهي منهـا بـراء، ليتسـنى ضـربها تحت ذريعة الإرهاب وقد كان كبش الفداء الأول " أفغانستان ".

وهانحن نرى بوادر العاصفة الحمراء في الأفق المظلـم تتجـه نحـو العـراق، ولـيس ذلـك أيضاً إلا لأنه خارج عن نطاق السيطرة التي يحلم بها النظام العالمي الجديد بقيادة الأمريكان.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩، وانظر أحمد الشهاب نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، الكلمـة العـدد (٢٥)، ص ٩٢، مرجع سابق، وانظر عبدالجليل كاظم الوالي: جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، عن مجلة المستقبل العربي (٢٧٥) ١/ ٢٠٠٠، ص ٦٥.

(٢) هشام سعيد شمسان الملحق الثقافي لجريدة ٢٦ سبتمبر اليمنية العدد (١٣٦٤٨) ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٢م ص٨.

إن ما ذكره هنتغتون ليس أمراً جديداً، لكن الظروف التي طرح فيها أفكاره وتوقيت هذا الطرح، هو الذي هيأ المناخ لنشرها ومناقشتها على نطاق واسع.

فقد جاءت هذه الأفكار بعد نهاية الحرب الباردة، وجاءت في أعقاب ما تنبأ به الرئيس الأمريكي السابق نيكسون من صراع حتمي بين الغرب والعالم الإسلامي بسبب النمو المتزايد في أتباعه، ونمو قوته المالية بحسب بعض المراقبين الغربيين حيث يقول: " إن بعض المراقبين ينبهون إلى أن عالم الإسلام سوف يتحول إلى قوة جيوسياسية موحدة ومتعصبة وأنه بسكانه المتزايد العدد وقوته المالية الكبيرة سوف يشكل تحدياً كبيراً، وأن الغرب سوف يضطر إلى عقد تحالف جديد مع موسكو لمواجهة عالم إسلامي خصم وعدواني.. وإن وجهة نظر كثير من الأمريكيين ينظرون إلى الإسلام على أنه في الطرف النقيض مع الغرب، فهما نقيضان لا يقبلان التصالح، وإن قوى الإسلام تنظر إلى ديار الغرب على أنها دار حرب، وهي تعمل لتحقيق تفوقها على الآخرين.. " [(١)].

ويذهب نيكسون إلى أنه " يميل كثير من الأمريكيين إلى تصور المسلمين على أنهم نمط واحد من الناس غير المتدنين (غير النظيفين)المتوحشين وغير العقلانيين، وعلى الغالب لا يلفت انتباهنا إليهم سوى أن بعض زعمائهم لهم الحظ السعيد في أنهم يحكمون أقاليم تحتوي في باطن أرضها على ثلثي الاحتياطات المؤكدة من النفط في العالم " [(٢)].

وإثر انتهاء الحرب الباردة تعمد الغرب في أكثر من جبهة تصعيد العدوانية ضد الإسلام، فهذا مدير معهد بروكنغر في واشنطن هيلموت سوتيفيل يقول: " إن حلف شمالي الأطلسي سوف يعيش، وإن الغرب سيبقي مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة، وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامي " [(٣)].

وعلى نفس الوتر يلقي هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية قال فيه: " إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها

---

(١) انظر ريتشارد ينكسون رئيس الولايات المتحدة الأسبق - أمريكا والفرصة التاريخية - ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل سفير سوري سابق مكتبة نيسان ط١/ ١٩٩٢م ص١٨٧.
(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(١) انظر محمد السماك - موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد - دار النفائس ط١/ ١٩٥٥م ص١٧.

هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب... إلى أن قال : " وإن حلف الأطلسي باق رغم انخفاض حجة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن أكثر الأخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا، ويؤكد أنها ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط " (١).

بمثل هذه الكلمات وغيرها يتأجج الصراع وكأن المتحدث هنا يهودي، فهذا هو نفسهم، فهم يحاولون دائماً وأبداً إشعال الحروب، والسعي في الأرض بالفساد، وخاصة في ديار المسلمين، فهذا الخطاب إنما هو من صنع يهود الذين نعرف وصفهم من كتاب ربنا سبحانه وتعالى حيث يقول:**{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً}** (٢).

ونفس المعنى يؤكده الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ويلي كلاس Willy Claes حينما يصف الأصولية الإسلامية في خطاب رسمي له بقوله: " إنها أعظم خطر راهن يواجه الحلف" وتنشر مجلة الأيكونوميست البريطانية على غلافها موضوعاً بعنوان " الإسلام الأيدلوجية البربرية المعادية للغرب " (٣).

بل يصل الأمر بالجماعات الخضر في ألمانيا إلى أن يصفوا الصراع بين الإسلام والغرب خاصة بعد أزمة الكويت بأنه: «صراع بين الإسلام والتنوير أو التحرير» حتى إن مجموعة منهم ليطالبون بتشكيل بوليس دولي لحماية البيئة من العرب (٤).

حتى لقد أصبح الأمر بديهياً وطبيعياً ومقبولاً أن تقوم الولايات المتحدة بأي تصرف أمريكي يعتمد على القوة العسكرية المتفوقة، متجاهلة لقرارات الأمم المتحدة مع الادعاء بالاعتماد على شرعيتها ما دام الأمر الواقع هو العقلانية أو الإسلام. بل إن التدخل الأمريكي في أي بقعة من بقاع المسلمين ولو أدى إلى أضرار تتعدى العملية الجراحية – كما يزعمون – يصبح حملة تبشيرية من أجل الحضارة والحرية، وتنوير الشعوب الأخرى(٥).

---

(٢) المرجع السابق، ص ١٧، ١٨.

(٢) المائدة آية ٦٤

(٣) محمد السماك، ص ١٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٨، وأقرب مثال على ذلك ما حدث لأفغانستان والعراق، بحجة مطاردة الإرهاب والبحث عن أسلحة الدمار الشامل المزعومة زوراً وبهتاناً وتحرير الشعب وتنويره وقد رأينا ذلك جهاراً نهاراً كيف يتم تحرير هذا الشعب المغلوب على أمره بالسحل والقتل والتدمير والتخريب.

(١) المرجع السابق نفسه.

إن الصراع بين الإسلام والغرب ليس جديداً على الأمة الإسلامية وشواهد الحال أو الواقع أكثر من أن تحصى، فالحروب المفروضة على المسلمين في كشمير - الشيشان - فلسطين - الفليبين - أندونيسيا - الصومال - أفغانستان والعراق وغيرها ليس لها سبب إلا الإسلام، وإلا أن يقول المسلمون : ربنا الله، وصدق الله العظيم حيث يقول:**{وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد}**(١) وقال تعالى:**{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}**(٢).

والحقيقة التي لا ريب فيها هي أنه لما تخلى المسلمون عن دينهم، وغفلوا عنه، وجعلوه وراءهم ظهرياً، وجعلوا من القرآن تمائم ورقى، يستشفون بها، ويدفعون عنهم الأذى والجن، ولم يحكموه في واقعهم، ولم يعملوا بما أنزل من أجله، وما أنزل إلا كذلك، ولم يتدبروه، بل خالفوا نهجه، فتفرقوا شيعاً وأحزاباً، وقد دعاهم إلى الاعتصام بحبله والاستمساك بالعروة الوثقى، فشلوا وتنازعوا وذهبت ريحهم واستبد بهم القريب قبل الغريب، والصديق قبل العدو، فنزل بهم البلاء، وألمت بهم المصائب، وصارت فيهم سنة الله كما خلت على الذين من قبلهم، قال تعالى محذراً أمته مما وقعت فيه أُمَمٌ قبلنا:**{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}**(٣).

وقال تعالى:**{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِين}**(٤) وقال تعالى:**{قد خلت من قبلكم سننٌ}** (٥) وقال تعالى:**{سُنَّةَ اللَّهِ فِي**

(٢) البروج آية ٨.
(٣) المائدة آية ٥٩.
(٤) المائدة آية ٧٨ - ٧٩.
(١) المائدة آية ٦٨.
(٢) آل عمران آية ١٣٧.

الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} [1].

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم أن الواجب على هذه الأمة أن تقود الناس إلى الخير، فلا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إلا ما يحقق لها النفع، وعليها أن تعرف حقيقة وجودها ومكانتها، وأن تعطي الأمم الأخرى ما عندها من خير في المنهج والتصور والاعتقاد، فهذا واجبها وعليها أن تأخذ بزمام العلم حتى تكون صالحة للقيادة، وإلا فإن الزمام سينفلت منها كما هو حاصل اليوم، فأصبحت هذه الأمة تُدعى وكان اللازم أن تَدعو وتؤثر في الأمم الأخرى وتنشر الخير والمعروف والأمن والسلام في كل المعمورة. قال تعالى:**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [2].

وقد جاءت في السنة أحاديث كثيرة تنهى عن التفرق والاختلاف والتنازع والشتات فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**[3].

ومن الأحاديث قوله ﷺ: **«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»** [4].

وقوله ﷺ: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»** قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: **«لا بل كثير»** [5].

---

(٣) الأحزاب آية ٦٢.

(٤) آل عمران آية ١١٠.

(٥) رواه البخاري فى صحيحه كتاب الخصومات، باب يذكر فى الأشخاص، والخصومة بين المسلم واليهود رقم (٢٢٣٢).

(٦) أخرجه الترمذي عن حذيفة وهو عند الإمام أحمد في مسند حذيفة، وانظر صحيح الجامع الصغير، للألباني، ج٢، ص١١٨٩، برقم (٧٠٧٠)

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام أبو داود في مسنده عن ثوبان انظر: السلسلة الصحيحة للألباني برقم(٩٥٦) وانظر: صحيح الجامع، ج٢/ ص١٣٥٩ برقم (٨١٨٣، ٣٢٥٧)وانظر صفحة (١٣١) من الرسالة.

ولقد بدأت جذور العولمة بروحها الصدامية، وكشرت عن أنيابها منذ القرن الخامس عشر والسادس عشر من يوم أن بدأت الكشوفات الجغرافية، حينما زرعت الدول الأوروبية مستعمراتها في أفريقيا وآسيا والعالم الجديد (أمريكا)، وفرضت طوقاً من الحصار على دول الإسلام والعالم العربي،

أي منذ سقوط الأندلس في عام ١٤٩٢م بدأ الشر يحيط بالمسلمين من كل جانب.

ثم مر العالم بمراحل كوارثية ثلاث كانت: -

أولاها: مرحلة القطرين من عام ١٥٠٠م - ١٨٠٠م.

ثم تلتها: مرحلة الاحتلال من عام ١٨٠٠م - ١٩١٥م.

ثالثها: مرحلة التقسيم وهي مستمرة حتى اليوم من عام ١٩١٥م ولا زالت [١].

وأسفر هذا التقسيم عن حروب وصراعات لم تنته بعد، ولم يكتف النظام العالمي الجديد بذلك بل زرع الحقد والشتات والفرقة والاختلاف بين الدول الإسلامية وبعضها، ولا زال يحاول إلى اليوم أن يقسم المُقَسم، ويشعل الصراع أكثر حتى يتسنى له دخول البلاد من غير أي مقاومة.

إن مقال صراع الحضارات لم يكن سوى تنظيراً واضحاً لاتجاه أمني جديد في العالم الغربي، وليس بحثاً في العلاقات بين الحضارات، ومن أجل ذلك بدت الصورة قاتمة في علاقات الغرب المستقبلية بالإسلام [٢].

* * * * *

---

(١) انظر محمد السماك - موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد - دار الفائي ط١/ ١٩٩٩م ص١٩ - ٢٧.

(٢) د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف في مصر - الإسلام في عصر العولمة - مكتبة الشروق ط١/ ٢٠٠١ ص٧٣، ٧٤.

المطلب الثالث:
القضاء على الخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب

تسعى قوى العولمة إلى خلط كافة الحضارات، وإذابة خصائص المجتمعات حتى لا يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية أو هوية شخصية، وشيئاً فشيئاً تزول كل الأصول الحضارية، وتقل كل الروابط الأسرية، وينتهي ما يطلق عليه فريضة الخصوصية الوطنية.

خصوصيات المسلمين الثقافية:

وأهم غاية لقوى العولمة، القضاء على الخصوصية الإسلامية والعربية، المتمثلة في خصوصيات المسلمين في عقيدتهم، وسلوكهم، وكيانهم، ومنهج حياتهم الثابتة في الدين الإسلامي، والتوجيه الرباني. مع أن منهج المسلمين شامل كامل لكل ما يتصل بالحياة الإنسانية، من اقتصاد وسياسة وأسرة واجتماع وبيئة ونماء وحضارة بوجه عام، فالتطرق إليه بالتبطيل والتنقيص هو تطرق إلى هذه الخصوصية، وافتئات على دين الله وحق المسلمين في تعبدهم وامتثالهم لله[1].

وينبني التصور الخاص للعولمة، على تهميش العقائد الدينية، التي تنتج عن ثقافات العولمة، من حيث النموذج الكلي لسلوك الإنسان، وقيمه، وعاداته، وأفكاره، وأفعاله، وربطها كلية بظواهر التخلف والإرهاب، فالإيمان بالغيب خرافة، والتمسك بالدين رجعية، وأداء الشعائر غباء وشكلية، حتى تنتهي إلى الفوضى، وإذا لم تستطع العولمة نفي الدين فلا أقل من أن تقوم بتهميشه حتى لا يتذرع به أحد في إثبات ذاته، وتفرده عن غيره من الناس.

إن الذين ينادون بالعولمة لا يستطيعون أن يعيشوا مع غيرهم، وخاصة مع المسلمين، لأنهم سيقفون أمامهم حجر عثرة في تحقيق الهيمنة الاقتصادية العالمية[2].

ذلك لأن الدول الرأسمالية خصوصاً الراعية للعولمة، وأخص بالذات الولايات المتحدة تعمل جاهدة لتحقيق مظاهر الترابط بين كافة أبعاد العولمة والمدخل الأول كما هو معلوم

(١) انظر: نور الدين الخادمي: بين عولمة الغرب وعالمية الإسلام، عن مجلة الأسرة السعودية، العدد (١١٧)، ذو الحجة ١٤٢٤هـ، ص٨٠

(٢) د. كمال عبد الغني المرسي – العلمانية والعولمة والأزهر – المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ١٧١.

الاقتصاد، وبتعبير آخر حسب ماجد شدود - استكمال جميع الأسس والمرتكزات لظاهرة العولمة وتحويلها إلى بنية متكاملة تشمل جميع مظاهر المجتمع وفعالياته وبما ينسجم مع المفهوم العام لظاهرة العولمة وبما يحقق السيطرة الكاملة للدول القوية على الدول الأخرى. وبالفعل بدأت مظاهر العولمة الثقافية على السطح من خلال التطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وتسارع الثورة المعرفية، وثورة الاتصالات، وذلك بهدف اختراق الثقافات الأخرى وتغييب دورها [(١)].

والعولمة في هذا المجال هي أكثر فاعلية وتأثيراً، فهي تدفع بالثقافات إلى الترابط عن طريق إزالة الحواجز أمام إنسانية الشعوب والثقافات، والسلع الثقافية في قرية كونية بحسب مكوهان بما توحي كلمة القرية من قرابة وحوار ومحدودية في المكان والزمان، ولكن هذا الكلام لا يقبل من حيث الواقع، لأن التأثير الثقافي الحاصل إنما هو من جانب واحد، وليس هناك تبادل أو تكافؤ في العلاقة ولا حسن جوار - ولا شيء مما يقال عنه سوى تسويق ثقافة سوقية انحطاطية سطحية استهلاكية الغرض منها الربح، والربح فقط.

ولما كانت الثقافة تعبيراً واضحاً عن عقيدة الإنسان فإن سلوكه وعاداته وقيمه ومظهره ومخبره ومخرجات أفكاره وأفعاله، وكلها ناتجة عن ثقافته النابعة من عقيدته ودينه، ومن هنا فإن ثقافة الغرب، أو بتعبير آخر ثقافة العولمة إنما هي دعوة واضحة لتغيير عادات وقيم وسلوك المجتمعات العالمية كافة، والتركيز في ذلك على المجتمعات الإسلامية، حتى يسهل السيطرة عليها، واستغلال موارد تلك الشعوب، ولهذا فإن اختراق ثقافة العولمة لغيرها من المجتمعات، إنما هو اختراق لوعي الإنسان والتحكم به، وهو اختراق للدين وللتقاليد وللأعراف المحلية والثقافات الحاضرة، وذوبان للمجتمعات، ومسخ للهويات، وهذا لا يمكن أن يقبله أي مجتمع لأن في ذلك تهميش ومسخ وإزالة له، قد جعل الله سبحانه وتعالى الاختلاف والتنوع من السنن الكونية، حيث قال سبحانه تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [(٢)] قال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ}** [(٣)]

(١) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها مظاهرها - ص ١٢٧، مرجع سابق.
(٢) الحجرات آية ١٣.
(٣) سورة هود آية ١١٨.

وأما المسلمون فليس لهم عزة، ولا ذكر بين الأمم، ولا رفعة، ولا شأن، إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قال تعالى:**{لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}** [(١)]وقال تعالى**{... إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}** [(٢)].

فالثقافة إذاً عنصر أساسي من عناصر تكوين الأمة، وتمتين عناصر وحدتها، وصياغة شخصيتها المتكاملة، وخلق حياة قومية مزدهرة متطورة. ولكن ليس في معزل عن التفاعل من حيث التأثر والتأثير مع ثقافات الأمم الأخرى فهي تتأثر حتماً مع غيرها من الثقافات سلباً أو إيجاباً [(٣)].

استخدام قوى العولمة الثقافية للسيطرة على الأمم.

إن الدول القوية والمتطورة تحاول الآن في إطار ظاهرة العولمة استخدام الثقافة أداة فاعلة لفرض سيطرتها على الأمم والشعوب الأخرى، من خلال العمل على تقويض قانونية تعدد الثقافات في العالم لصالح نموذج ثقافي معين، وهو ثقافتها المعممة التي تحمل قيمها وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها المختلفة مما يعود بالضرر الكبير على ثقافات الأمم والشعوب الأخرى، وهاهم أرباب العولمة يزعمون تفوق ثقافتهم على ثقافات بقية الأمم، وبالتالي فلا بد من اختراق وتفتيت تلك الثقافات وهذا قد يسهل عليهم مع كل ثقافة غير ثقافة المسلمين.

إنهم يريدون تشكيل ثقافة جديدة في بنيتها ومضمونها هي " ثقافة العولمة " وظيفتها " عولمة الثقافة " وذلك بنفي ما هو محلي في الثقافة لحساب الثقافة الجديدة (ثقافة العولمة) ووسائلها في ذلك: -

١- الشبكة الواسعة من الاتصالات.

٢- السيولة الكبيرة من المعلومات.

٣- التقدم العلمي التقني الكبير.

٤- قوة السيطرة الاقتصادية المادية الكبيرة عبر الشركات متعددة الجنسيات[(١)].

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠.

(٢) سورة الزخرف الآيات ٤٣، ٤٤.

(٣) د. ماجد شدود - العولمة مفومها سبل التعامل معها، ص ١٢٩، مرجع سابق.

(٤) ماجد شدود، المرجع نفسه ص ١٣١.

وقد حققت هذه الوسائل بعض النجاح في جل دول المسلمين، ولذلك فإن ما يسمى بالخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب يكاد يكون مفقوداً اليوم في ظل ثورة المعلومات والاتصالات والقنوات الفضائية التي اخترقت الحدود وهدمت السدود، بل واستطاعت أن تدخل إلى غرف النوم في البيوت ولم تلتزم حدودها المحلية بل انطلقت منفلتة من قيودها لتجد الطريق أمامها فسيحاً معبداً، سهلاً، وذلك بسبب تقنيات العلم الحديثة التي أخذ بزمامها علماء الغرب، فلم يتوانوا في نشر ثقافتهم وسلوكياتهم وأفكارهم التي يرون أنها تخدم حضارتهم فكان أن نشروا الأقمار الصناعية بالعشرات بل بالمئات في الفضاء الكوني الرحب لتخترق الفضاء وتنتشر في الكون كله الأرضي فتصل بكل سهولة ويسر إلى كل بيت من غير النظر إلى خصوصيات الشعوب المستهدفة الثقافية والحضارية.

ومن المؤسف أن نجد البضاعة التي يبيعونها ويروجون لها ليست غالية الثمن، وليست مما لا يمكن اقتناؤه، أو مما يمكن التجافي أو التغاضي عنه، خاصة من قبل شريحة الشباب والأطفال والنساء، إنها مغريات المعلومة والصورة، تقدم للمستهلك الثقافة المراد نشرها، بصورة جذابة وجميلة وأنيقة ومعطرة، يروق للمشتري استهلاكها ويحلو له اقتناؤها، وإن ذلك يسير بخطى مدروسة، وسيناريو محبوك، وحوار سريع الإيقاع [(١)]، إنها تستهدف إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي واختراق الهوية الثقافية للأمم والشعوب، وتعميم القيمة الاستهلاكية [(٢)].

والثقافة التي تدعو إليها العولمة هي ثقافة سيادية نابعة من: قيم المادة والكم، وثقافة لا مكانة فيها للإنسان رغم زعمهم أنهم حريصون على حقوق الإنسان [(٣)]، إنها تستهدف العالم الإسلامي والعربي بشكل أساسي، إنها ترمي من خلال غزوها المتواصل عبر الأفكار والقيم والمعلومات والثقافات واللغة إلى اقتلاع مجتمعات من واقعها، للوصول إلى تغريبها وتسطيح وعيها في عالم تتناقض فيه إلى أبعد حد في الآمال والإمكانات والحاجات والقدرات، ويتزامن ذلك مع ضياع الأسس المرجعية للأمة الإسلامية، وتفجير أزمات الهوية، والاعتماد من خلال تفجير الصراعات بين الأمم والشعوب، وداخلها، للوصول إلى تفكيك وتحطيم ثقافات تلك الدول مستخدمة أسلوب الضغط في ذلك كشعارات جوفاء

---

(١) رعد كمال الخياري - العولمة وخيارات المواجهة ص ٤٠ الصورة، عدد (١٠١) مرجع سابق.
(٢) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها مظاهرها سبل التعامل معها، ص ١٣١، مرجع سابق.
(٣) باقر النجار العرب والعولمة المخاوف والتحديات عن وجهة نظر المصرية، ص ١٥.

مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والدفاع عن الحرية والعدالة كأيدلوجية لتحقيق سيطرتها[(١)]، وإن كانت بعض المجتمعات الغربية نفسها قد استاءت من الغزو الثقافي للعولمة، المتمثل بالقيم والسلوكيات الأمريكية التي تصور عبر شاشات الفضائيات والأفلام وعبر الإنترنت، مثل فرنسا وكندا والاتحاد الأوروبي الذي أصدر قانوناً يتيح لـ(٥١٪) من المنتوجات الدرامية. لا بد أن تكون أوروبية، ولكن باسم العولمة وباسم حرية التجارة العالمية تصر الولايات المتحدة الأمريكية على إزالة أي قيود تمييزية في دول الاتحاد الأوروبي، وغيرها من البلاد، لصالح الإنتاج التلفزيوني المحلي وضد الإنتاج الأمريكي، ومع ذلك ترفض دول الاتحاد الأوروبي ذلك بإصرار، كجزء من إصرارها على أن تكون لها هويتها الثقافية المحضة، ضد الذوبان في الهوية الأمريكية، التي تروج بدورها لنموذج الرأسمالية المتوحشة والفردية الصارخة، حيث تتحكم الولايات المتحدة الأمريكية بـ(٦٥٪) من المادة الإعلامية. ومن هنا تدرك مدى سر حرص الولايات المتحدة على نشر ثقافتها، فقد أشار بريجينسكي مستشار الرئيس جيمي كارتر السابق للأمن القومي بقوله: " إن على الولايات المتحدة الأمريكية وهي تمتلك هذه النسبة الكبيرة من السيطرة على الإعلام الدولي أن تقدم للعالم أجمع نموذجاً كونياً للحداثة ونشر القيم والمبادئ الأمريكية " [(٢)].

وقبله دعا الرئيس السابق ريتشارد نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) إلى نشر القيم الأمريكية إذا ما أرادت أمريكا أن تكون زعيمة العالم [(٣)] لأجل هذا فيجب على المسلمين أن يطالبوا بما تطالب دول الاتحاد الأوروبي على الرغم من أن الأخير يمكن أن ينضوي تحت مظلة الحضارة الغربية وبحكم قرابة الدين واللغة والعادات و.....

إذاً فالعولمة الثقافية بحسب عبد الإله بلقزيز ليست سوى السيطرة الثقافية الغربية أو (الأمركة) على سائر الثقافات، بواسطة استثمار العلوم والثقافة في ميدان الاتصال، وهي التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة، بدأت منذ انطلاق عملية الغزو الاستعماري منذ قرون، وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية عديدة، وبخاصة في أفريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية [(١)].

---

(١) انظر د. ماجد شدود، العولمة مفهومها، ص ١٣٥ مرجع سابق.

(٢، ٣) انظر رعد كمال الحيالي: العولمة وخيارات المواجهة، عن مجلة النور اليمنية، ص٤١، مرجع سابق.

(٤) انظر عبد الإله بلقزيز – العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة عن العرب والعولمة، ص ٣١٨.

ويتابع بلقزيز: «ولعل هذا يؤكد أن العولمة لا تؤرخ لنهاية عصر الدولة القومية بل تعلن عن ميلاد حقبة جديدة من تمددها المستمر، وما يسمى بالعولمة الثقافية ما هو إلا مظهر من مظاهر ذلك التمدد خارج الحدود»[١].

وتعمل العولمة الثقافية على سحق الثقافات والحضارات المحلية وإيجاد حالة اغتراب ما بين الإنسان والفرد، وتاريخه الوطني والموروثات الثقافية والحضارية بفصل الجذع عن الجذور العميقة الممتدة، وفصل السطح عن الأعماق وإيجاد شكل جديد من أشكال الثقافة العالمية (بل العولمة) تعمل كل ذلك من خلال ما تصنعه وتقيمه وسائل الإعلام المختلفة باستخدامها البث المباشر للعالم بأسره، فتعيد تشكيل الذاكرة والوعي الخاص بالبشرية جمعاء، ويضيع ويختفي الخاص، ويبتلع في جانب العام، وتذوب الخصوصية الوطنية مع تعاظم الاتجاه نحو العولمة، واستخدام آليات الإبهار بوحدة العالم، وتنمية التعامل مع عالم بلاحدود، وسياسة ودون قيود، لانتماء وطني محدود، أو دولة بعينها ودون الحصول على تصاريح أو موافقات أو إذن أو إجراءات حكومة بعينها[٢].

إنها ثقافة تقتحم مجالات الوعي والثقافة المحليين، وتعمل حتى على تعميم أوقات الفراغ وأنماط الترفيه والاستهلاك المادي والثقافي. [٣]

ثقافة سطحية حسية مادية منحرفة كما يصفاها (كاهن، وونز) الباحثان الغربيان [٤].

تأثير العولمة الثقافية على حياة الناس :

ولم يعد ينحصر تأثير العولمة كما تبين لنا مما مضى في التطورات التقنية والمعلوماتية والاتصالية المتسارعة فحسب، بل امتد تأثيرها الحقيقي إلى نفوس الأفراد وسلوكهم النفسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، أي إلى نهج حياتهم وممارستهم ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يلي:

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣١٩.
(٢) د. محسن الخضيري – العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللا دولة، ص ١٣٠، مرجع سابق.
(٣) انظر العرب والعولمة ص ٢٨٣، ٢٨٤.
(٤) ماجد شدود، العولمة مفهومها، ص١٣٣.

- ظهور الاتجاه الذي يجيز الوصول إلى الغايات بمنأى عن القيم الثابتة النابعة من الدين والأعراف والتقاليد الطيبة، ويبدو ذلك بوضوح في أنماط العلاقات المتبادلة بين الناس أفراداً وجماعات في شتى المجتمعات المتأثرة برياح العولمة للوصول إلى الثروة بطرق مختصرة، ولو لم تكن مقبولة بحجة التسامح والسعة في الأفق.
- سطحية الثقافة المكتسبة من خلال مخرجات وسائل الاتصال بالمجتمعات، وعجز النظام التربوي في المدرسة والبيت عن تعميق القيم الفاضلة واستمرارها.
- التحول من الأمور العامة إلى الأمور الحيادية، وازدياد التكتلات المصلحية.
- سطوة الإعلام الغربي وأثره في العنف والجريمة.
- الحاسوب وأثره في السير نحو العزلة وضعف العلاقات الأسرية.
- تحول كثير من الأشياء إلى سلع استهلاكية قابلة للبيع والشراء.
- ازدياد وتيرة الانهيار العائلي كالطلاق الفعلي والطلاق العاطفي.
- الاستغلال شبه الوبائي لأمراض العصر (القلق – الضغط – السكر...) التلوث البيئي.

وهذا كله دليل على طغيان وهيمنة ثقافة العولمة التي لا تحسب للدين ولا للأعراف ولا للتقاليد حساب، وكأن الناس ما خلقوا إلا لإشباع بطونهم وفروجهم وهذا هو الدمار وهلاك المجتمعات والأمم [١].

إن خطاب العولمة الثقافي يعمل في أبعاد عدة أخطرها إذابة الخصوصيات الثقافية، ومسخ الهويات، ومحو الحضارات والترويج للأفكار الغربية، إنها خمسمائة قمر صناعي أو يزيد تدور حول الأرض وترسل عدداً لا نهائياً من الأشرطة والبرامج، تبشر بنموذج أيديولوجي واحد،

---

(١) عن لجنة البحوث والدراسات الإسلامية، مهارات الفهم العالمي العولمة تعريفها مخاطرها على العالم الإسلامي، صـ٦٦، ٦٧.

هو النموذج الليبرالي الذي غايته أن يبحث عالماً واحداً تنتشر في أرجائه ضرب واحد من البدائع وضرب واحد من الأفكار وضرب واحد من القيم والسلوكيات والأخلاقيات (١).

وإن من الأمور والقضايا التي أنتجتها العولمة الثقافية قضية الهوية على نطاق عالمي واسع وما يتهددها من مخاطر الإلغاء والإقصاء أو الذوبان والانصهار " لتعميم النسق الواحد للثقافة من خلال السيطرة على أدوات العولمة وآلياتها التي تنقل إلى العالم الصور والمعاني والرموز والقيم والأنماط، بواسطة الأقمار الصناعية والبث التلفزيوني، وبرامج الكمبيوتر وشبكة المعلومات الدولية، ويقوم موجهو العولمة المتسارعة اليوم بتحسين وسائل وأنظمة النقل الدولي، ويبتكرون تكنولوجيات وخدمات ثورية جديدة في مجال المعلومات، ويهيمنون على السوق الدولي للأفكار والخدمات وهو ما يؤثر في أسلوب الحياة والمعتقدات واللغة وكل مكونات الثقافة الأخرى، بل إن خمس عشرة شركة أمريكية كبيرة في مجال الاتصال تعرض مشاريع تنافسية ستؤدي إلى تمكين أي فرد في أي مكان من الاتصال الفوري بأن شخص أينما كان دون الحاجة إلى إنشاء أية بنية أساسية للاتصالات على الأرض بالقرب من المرسل أو المستقبل "(٢).

ورجعة إلى الخلف نحو أربعة عقود فقط أي إلى (المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) في دورته الرابعة عشرة نجد أنه قد جاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الأولي: -

١- لكل ثقافة كرامة وقيمه يجب احترامها والمحافظة عليها.

٢- من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته.

٣- تشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع خصب، وبما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءا من التراث الذي يشترك في ملكية البشر جميعاً.

---

(١) انظر مها دياب - تهديدات العولمة للوطن العربي عن المستقبل، ص ١٦٠، ١٦١، عدد ٢٧٦، ٢/ ٢٠٠٢م.

(٢) زكي الميلاد والفكر الإسلامي عن الكلمة العدد (٢٠) سنة ١٩٩٨م، ص ٩٣، وانظر ماجد شدود - العولمة مفهومها ص ١٣٤ مرجع سابق.

وليس في تنوع الهويات، وتعدد الخصوصيات ما يتعارض وقضاء المصالح المشتركة بين الشعوب والأمم، في إطار التعاون الإنساني القائم على قاعدتي التعارف والتعايش، وإنما ينطوي هذا التنوع على عناصر تغذي الميول الإنسانية الفطرية نحو امتلاك أسباب التقدم والرقي بحافز من التنافس الطبيعي وبوازع من التدافع الحضاري(١).

وبعد هذا يفاجأ العالم بنظام عالمي جديد تحت مسمى (العولمة) يعمل على إذابة الهويات، ومحو التعدد الثقافي، وتجاهل الحضارات، والعمل على تغييبها كواقع حتمي ولازم، لتنصهر جميعها في ثقافة عالمية واحدة، وتدعي لنفسها أنها تملك أسباب البقاء، بقيم وسلوكيات لا تمت إلى الأخلاق الكريمة بصلة ولا تستند إلى مرجعية دينية، بل ولا تعترف بأي دين، إنما دينها هو ما يسمى بـ النفعية أو الـ(براجماتية)، كل ذلك تحت الضغط، والقهر، والقسر، والإكراه والتسلط، ضارباً عرض الحائط بكل القوانين والمواد التي صاغها ذلك النظام العالمي حينها، عندما كان يرى مصلحته تكمن في مثل تلك المؤتمرات (٢).

إن خرق القوانين الدولية المتعارف عليها، وهو مس خطير بقواعد القانون الدولي ومواده، وتهديد للأمن والسلام والاستقرار العالمي.

إن الهوية التي تنشدها الأمم والشعوب - كل على حدة - إنما تعني بالدرجة الأولى الامتياز عن الغير، والخصوصية الذاتية المعبرة عن طابع تلك الأمة أو ذلك الشعب التي تميزه عن غيره من ناحية الدين - العادات والتقاليد - الأعراف - الأعياد -... إلى غير ذلك مما يميز كل أمة على حده، فيكيف يتسنى لأمة أن تحافظ على هويتها الثقافية في ظل تسلط (العولمة) وبسط نفوذها اليوم على المجتمع الدولي، بل كيف يمكن الجمع بين مقتضيات السيادة الخاصة بأمة ما وبين متطلبات (العولمة) التي تشير في اتجاه معاكس تماماً للسيادة الهوية.

تناقص الغرب فى موقفه من الخصومة الثقافية :

وبحسب الدكتور / عبد العزيز التويجري إن ما يثير الغرابة ويشد الانتباه عند التأمل، هو موقف الغرب من هويات الشعوب، ففي الوقت الذي يبدي اعتزازه الشديد بهويته وثقافته

---

(١) د. عبد العزيز عثمان التويجري - الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، ص ١٨.

(٢) د. محمد يحيى - قضية الهويات وحقيقته، عن البيان (١٠٣) ص ٩٧ وما بعدها.

وحرصه عليهما، يطالب الآخرين بالتخلي عن الاعتزاز بهوياتهم وثقافتهم لصالح ثقافته وهويته [١].

ففي أحدث دراسة لصموئيل هينتنغتون تحت عنوان مثير للغرابة " الغرب متفرد وليس عالمياً" يفرق فيها بين التحديث و(Modernization)وبين التغريب (Weslernezjation) ولم يسلط عليها الضوء كما جرى لمقولته السابقة الذكر (صدام الحضارات) يتضح من خلالها التناقض الذي تقع فيه قوى العولمة ففي الوقت الذي تدعو قومها إلى الاعتزاز والاعتداد بالهوية الثقافية تحرص على سلب هذه الهوية من قومها الآخرين بحجة القرية الكونية الواحدة وغيرها من الحجج الواهية.

وهذه مقتطفات من أقواله: يقول صموئيل هينتيغتون " إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم، والعادات والتقاليد، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية، والمسيحية الغربية، والأصول اللاتينية للغات شعوبها، والفصل بين الدين والدولة، وسيادة القانون والتعددية في ظل المجتمع المدني والهياكل النيابية والحرية الفردية ".

والملاحظ هنا أنه ينفي أن تدخل الحضارات والثقافات غير الغربية في النسيج الحضاري الغربي، وإن تغربت في الناحية الاستهلاكية المادية، لكن ستبقى الروح الحضارية منفردة متميزة، لكل خصوصيتة في ذلك.

ولا يكتفي بهذا بل يضيف قائلاً: (إن التحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحقق التقريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس، يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب، ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة، وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيويتها في مواجهة حضارات العالم، وهذا الأمر يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ورسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافي).

---

(١) انظر د. عبد العزيز عثمان التويجري - الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي عن الإسلام اليوم، ص١٩.

فهو يشير إلى أن التكنولوجيا لا تحدث فقط تحولاً في العالم بل إنها تسير نحو تكوين عالمها المجازي أيضاً وهو ينتقد من يدعون إلى ثقافة عالمية واحدة مرجعيتها الغرب بقوله: «كثيرون في الغرب يعتقدون أن العالم يسير نحو ثقافة عالمية موحدة هي ثقافة غربية، ومثل هذا الاعتقاد متغطرس، زائف، وخطير، فانتشار السلع الاستهلاكية الغربية لا يعني انتشار الثقافة الغربية» [١].

إن ما يقوله صموئيل هو عين ما أظهرته الأمم والحضارات، من مخاوف تجاه هوياتها وثقافتها ونماذجها الحضارية، وهذا الاستفزاز الغربي الموجه نحو جميع الثقافات والحضارات والهويات، وهذا الاصطدام المعتمد يبعث ما كان قد اندثر ومات من ثقافات أخرى كتلك التي أطاح بها الغرب لفترة من الزمن في أوروبا وأمريكا واستراليا.. فهي الآن تستعيد انبعاثها وقواها من جديد في أمريكا الشمالية وغيرها وملفات رحلات كريستوفر كولمبس الذي صوره الأوروبيون المكتشف لأرض الأحلام السعيدة – يتعرض اليوم لمحاكات تصفه بالقرصنة والتدمير، وإنه لم يكن مكتشفاً بل كان غازياً مارس القتل والنهب والسلب، وإن التأريخ في هذا البلد لا يبدأ من رحلته ١٤٩٢ كما تحدث كتب التأريخ الحديث في أوروبا، ولم يعد الغرب ذلك الحلم وأسطورة التقدم والنموذج الأمثل الذي يقتدى به وعليه – كما يحذر الكثير – أن يحد من اندفاعه في العالم، ويكف عن مغامراته، ويعيد النظر في أنماط السلوكية التي ألبت عليه الأمم والحضارات [٢].

إن الهويات والثقافات والحضارات لها طبيعتها التي تجعلها من غير الممكن اقتلاعها بسهولة، أو بضربة قاضية، وبصورة نهائية.

قد تختفي بعض الثقافات والهويات لزمن ما، ولكنها لا تموت ولا تندثر، وقد يخرج بعضها عن عجلة التأريخ ولكنها سرعان ما تعود مرة أخرى وهذه سنن كونية ثابتة والله عز وجل يقول:**{وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}**[٣] إن الله عز وجل قد جعل من سننه الكونية أن يداول بين الناس في الملك والظهور والحكم ولكن ليس على سبيل الدوام، فمتى ما تغيرت

---

(١) نفس المرجع عن صامويل هينغيون – الغرب إنه فريد ولكنه ليس كلياً جامعاً،ترجمة: فاضل جكلتر، أوروبا والعرب، سوريا، العددان، ١٦٦، ١٦٧، مايو يونيو، ١٩٩٧م ص ٥٥، عن مجلة فورين أفيرز العدد ٧٥ – تشرين الثاني، كانون الأول، ١٩٩٦م. وانظر زكي الميلاد الفكر الإسلامي وقضايا العولمة صـ١٣

(٢) المرجع نفسه – بتصرف، ص ١٤..

(٣) (آل عمران ١٤٠).

تلك الأمم أعطى الله الحكم لغيرها وهذا واقع ملموس على مر الزمان فتلك أمم سابقة غابرة حكمة وسادت ولكنها بادت وفق سنن الله الكونية القدرية ولا نذهب بعيداً بل نرجع إلى ألفي سنة مضت أين إمبراطورية فارس أين إمبراطورية الروم أين الخلافة الإسلامية أين إمبراطورية بريطانيا أين الخلافة الإسلامية العثمانية فلا نملك إلا أن نقول:**{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}** (١) حقاً وصدقاً وعدلاً إنها سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول.

إن السر(٢) الذي يجعل الهويات لها هذه الطبيعة هو أنها تكرس نفسها وتتجذر بطريقة شديدة العمق حيث تمتزج بوجدان كل أمة وروحها العامة، وتتداخل وتؤثر في كل أنماط الحياة السلوكية، ونظام القيم والحقوق والواجبات وأشكال التقاليد والأعراف بما في ذلك طريقة الأكل ونظم الزواج والعقود والمعاملات واللغة والعبادات والطقوس الدينية إلى غير ذلك.... ويظل هذا الامتزاج والتداخل يمارس لزمن طويل وفي ظروف مختلفة ومتبدلة بحيث يكون كفيلاً بأن يجذر ويكرس هذه الهويات التي تنتظم عليها فلسفة العيش المشترك والاندماج في حياة جماعة.

ولا يمكن بعد هذا كله لأي ثقافة أو حضارة أن تقولب أو تعولم هويتها وثقافتها لتعممها على سائر الثقافات والهويات أبداً، قد تحدث اختراقات شديدة وتستفيد من ثغرات عميقة، إلاّ أنها لا تصل إلى حد الذوبان والانصهار كلياً ونهائياً، فإن ذلك من الصعوبة الجزم به، خاصة وأن الثقافة (ثقافة العولمة) التي يراد لها أن تكون عالمية أنها سطحية ذات نوعية هشة، لا تهتم إلا بالمظهر دون المخبر، وبالمادية دون الروح، فهي بضاعة مزجاة همها ومساحتها لا تتجاوز البدن، وإشباع الغرائز البهيمية، فيه، ولا تهتم بالجانب الروحي أبداً، ولو بدا للعالم أنهم أهل حضارة، ومعرفة واسعة، فإن علمهم سطحي ويتعلق بظواهر الحياة ولا يتعمق في سننها الثابتة، وقوانينها الأصلية، ولا يدركون نواياها الكبرى وارتباطاتها الوثيقة، حقاً إنهم كما وصفهم الله سبحانه:**{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}** "(٣) (١) فهم لا يتجاوزون هذه الظاهر، ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه،

---

(١) (الرعد: آية ١١).
(٢) المرجع نفسه - بتصرف، ص ١٤..
(٣) الروم آية ٧ "
(١) انظر سيد قطب الظلال، ج ٥ / ص ٢٧٥٨.

فظاهر حضارتهم محدودة، مهما بدا للناس أنها واسعة شاملة فهم محجوبون عن المعرفة الحقيقية ولذلك يظهر الخلل عندهم، بغياب القيم والمثل والسلوك والأخلاق، وإذاً فلا يمكن أن تؤثر حضارتهم على أمة تحمل معها حضارة وثقافة متجذرة ومتأصلة، تهتم بالجانب المادي والروحي وإن كان هناك هالة وهيلمان وزوبعة وإعلام قوي لدى الغرب إلا أن الإسلام لا يمكن أن يموت أبداً فهي في حالة مرض سرعان ما يزول هذا المرض بعلاج بسيط، ولا يزال في الأمة من يدافع عنها وينافح عن حياتها، والله عز وجل قد بشرنا بقوله:**{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}** [(١)] والنبي ﷺ يقول **«ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار حتى لا يدع بيت حجر ولا مدر إلا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر وحزبه»** [(٢)].

كيفية اختراق هويات الشعوب :

يتم اختراق الهوية بالتسويق الهائل والعالمي للجانب الثقافي بصورة تماثل سرعة الضوء للسلع التي أطلق عليها اسم السلع الثقافية، والتي تتمثل في أجهزة التلفزيون والصور والدمى، وكل ما يرتبط بالفنون البصرية والسمعية، ومن المحقق أن هذه السلع ترتبط بشرائح معينة في المجتمع الغربي الذي تتحكم فيه قوانين السوق ولو على حساب المبادئ والقيم حتى القيم التي يتبناها الغرب نفسه أي الثقافة النفعية بأحلى صورها وكذلك ترمي المشاريع الاقتصادية الغربية إلى إشاعة نمط المعيشة الغربي وتغيير أذواق الناس واهتمامهم وأمزجتهم لتلائم نمط المعيشة الغربي (الذي لا يقيم وزناً للقيم والأخلاق) كل ذلك الجهد تقوم به المنظمة الغربية لكي تخلق سوقاً سهلاً في منطقتنا تجني منه الأرباح الطائلة) [(٣)].

ومما يساهم في تفعيل هذه السياسات التكنولوجيا الحديثة التي قاربت بين أطراف الأرض وكأنها تنتقص من أطرافها لتكون قرية كونية واحدة (بزعم مروجي العولمة) يسمع من في المشرق صوت من في المغرب قبل الانتهاء من حديثه، ويرى أحدهم الآخر في ذات

---

(١) (الصف آية ٩).

(٢) انظر مسند الإمام أحمد الجزء الخامس، رقم الحديث (١٦٥٠٩).تحقيق أحمد شاكر

(٣) السيد محمود الموسوي - العولمة المجتمع والتحديات الجديدة وبرنامج المهام، مجلة البصائر، العدد ١٢،٢٥ربيع ١٤٢٢هـ مرجع سابق.

اللحظة ولهذا فإن مجتمعاتنا تعيش في هذا الزمن كما يذهب إليه الموسوي أحداث المجتمعات الغربية وكأنها تحدث في عقر دارنا، فإذا سقط صحن في مطبخ الرئاسة الأمريكية، تهرع نساؤنا لمطابخهن يحسبن أن صحونهن قد انكسرت!! (١).

ومصداقاً لهذا الكلام، فإن النتائج التي أظهرها الاستطلاع البيئي في ١٨ بلداً عربياً والذي أجرته مجلة (البيئة والتنمية) بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة وجامعة الدول العربية، أظهرت أن معرفة الناس بالمصطلحات البيئية التي ترتبط بالبيئة الغربية، أكثر من معرفتهم بالمصطلحات التي ترتبط ببيئاتهم العربية لما للإعلام الغربي من تأثير قوي على مجتمعاتنا (٢).

وقبل هذا فإن مصداق هذا الكلام في ديننا الحنيف يتمثل في قول الرسول ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق ويتقارب الزمان ويكثر الهرج»** قيل: وما الهرج؟ قال: **«القتل»** (٣).

فها هي التكنولوجيا الحديثة قد جعلها الله السبب في تقارب الزمان والمسافات وحيث قربت البعيد غاية التقريب بحيث صارت مسافة السنة تقطع في يوم وليلة أو أقل من ذلك، وأعظم من ذلك أدوات الإعلام التي لا تقف على نبث سمومها وكذباتها وخداعها على مدى الأربع والعشرين ساعة.

* * * * *

---

(١) الموسوي - العولمة والمجتمع نفس الصفحة.

(٢) البيئة والتنمية عدد نيسان ٢٠٠٠م. وعن مجاة بصائر. المرجع السلبق ص١٢٢.

(٣) رواه الإمام أحمد فى سند أبى هريرة رضى الله عنه، فى كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث (١٠٦٧٢).

المبحث الثالث:
الأدوات السياسية أكبر
المطلب الأول:
هيئة الأمم المتحدة أكبر

ظلت أمريكا تراقب الوضع أثناء الحرب العالمية الثانية التي لم تدخلها إلا بعد عامين من اندلاعها – فضلاً عن أن أراضيها لم تشهد أي معارك، فأتاح لها ذلك كله فرصة التأمل الهادئ من أجل التخطيط لعالم ما بعد الحرب، وقد شهدت الولايات المتحدة – حتى قبل أن تشارك رسمياً في الحرب – ظهور عشرات المنظمات والهيئات التي ركزت كل جهودها لبحث سبل إرساء نظام جديد للعام، في وقت كانت فيه أوروبا مشغولة حتى النخاع ببحث سبل وآليات كسب الحرب، ولذلك لم يكن غريباً أن تصبح الصياغات الأولى لمشروع ميثاق الأمم المتحدة في مراحله الأولى كلها صياغات أمريكية بالأساس [(١)].

و لم يكن محض مصادفة أن يسمى إعلان الأمم المتحدة (إعلان واشنطن)، ويصدر في تلك العاصمة الأمريكية في يناير ١٩٤٢م، وأن تعقد أهم مراحل المفاوضات التمهيدية الخاصة بإنشاء المنظمة في مدينة (وامبرفون أوكس) إحدى ضواحي واشنطن عام ١٩٤٤م، وأن يعقد المؤتمر التأسيسي المنشئ للأمم المتحدة في (سان فرانسيسكو) عام ١٩٤٥م، وأن تصبح (نيويورك) هي المقر الدائم لتلك الحكومة العالمية بعد الإعلان عن قيامها في ٢٤/ ١٠/ ١٩٤٥م. إن تلك المنظمة – أو الحكومة بالأصح – أمريكية الوجهة، نصرانية المصدر، لأن صاحب الفكرة هي أمريكا ولأن الديانة التي تدين بها أمريكا هي النصرانية، وهي الديانة الأصلية للحضارة الغربية بأكملها الشرقي والغربي، ولم يكن ظل النصرانية غائباً عن بنود ذلك الميثاق الأممي، ويدل على ذلك دلالة صارخة: أن ما يعرف بـ (مجلس اتحاد الكنائس) كان أحد أهم جهتين وكلتا بتشكيل اللجان لصياغة الأفكار الأمريكية الرسمية، حول فلسفة المنظمة وملامح مبادئها، وقد ترأس تلك اللجنة (فوستر دالاس) الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية الأمريكية الرسمية، وقد شارك في اللجنة أيضاً عدد من رموز اليهودية والكاثوليكية.

---

(١) انظر عبد العزيز كامل – الحكومة العالمية، عن البيان (١٠٣) ص ٦٤، وما بعدها. وانظر روبرت. د. كانتور السياسة الدولية المعاصرة ترجمة د. أحمد ظاهر مركز الكتب الأردني ١٩٨٩م صـ٢٠٧ وانظر أحمد أبو سجادة مأساة هيئة الأمم المتحدة في ظل النظام العالمي الجديد. البيان العدد (١٢١) رمضان ١٤١٨ هـ صـ٦٤.

غياب الأمة الإسلامية حالة صياغة البنود :

إن هذه المنظمة (الهيئة) لا يوجد بين أبنائها اسم مسلم طوال تأريخها على الرغم من أن الدول الإسلامية الأعضاء فيها يبلغ نحو الثمانين أو يزيد وحتى عندما تقرر اختيار رئيساً لها من العرب لم يكن إلا نصرانياً [(١)].

إن إضعاف العالم الإسلامي يبدو حقيقة واضحة بارزة في واقعنا المعاصر، فما تفسير ذلك؟

من المعلوم أن العالم الإسلامي يتكون من أكثر من ثمانين دولة (جلها أعضاء في الأمم المتحدة)، فلماذا يحرم إذاً وهو تحت مظلة هذه المنظمة من أي وزن أو ثقل عالمي يؤثر سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو إعلامياً أو اجتماعياً.... إلخ، إنه يضم أكثر من ربع سكان الأرض ويتحكم في أغنى وأهم وأخطر مناطق الدنيا، ويشغل مساحات واسعة، تزيد على أربعين مليون كيلو متر مربع، ممثلاً بذلك ربع اليابسة..، هذا العالم المؤهل للسيطرة على أهم مراكز النشاط والاتصال بين القارات الثلاث المهمة (آسيا، أوروبا، أفريقيا) لإشرافه على طرق الملاحة المهمة فيها! وهو يتمتع بشتى المناخات والبيئات، ويحوي في جوفه من كنوز الأرض – ما يصل إلى ثلاثة أرباع احتياطي النفط في العالم، وأكثر من ثلث احتياطي الغاز الطبيعي... إضافة إلى ثرواته وتراثه البشري الضخم المتعدد الإمكانات والكفاءات، إن هذا العالم الإسلامي اليوم على اتساعه – من أقصاه إلى أقصاه ليست فيه دولة واحدة كبرى أو تكون فيه دولة واحدة ضمن دول النادي النووي المتملك لسلاح الردع الأول في هذا العصر، وليست فيه دولة واحدة تستطيع الاعتماد على نفسها، بفعل الحصار التقني في تصنيع السلاح التقليدي، بل وللأسف – فإن هذه الدول الثمانين من ضمن ١٨٠ دولة عضواً في الأمم المتحدة لا تمثل مجتمعة في عالم اليوم، وهي تزيد بسكانها على المليار نسمة – القوة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو حتى الخامسة، بل كلها في عداد ما يسمى بـ (العالم الثالث) أو بـ(العالم النامي) وهو اصطلاح مهذب يقصد به أصلاً (العالم المتخلف) الذي يصطلح اليوم على تسميته (الأمم غير المتحدة) [(٢)].

---

(١) انظر عبد العزيز الكامل – الحكومية العالمية، عن البيان، (١٠٣) ص ٦٥.

(٢) انظر عبد العزيز الكامل – الأمم المتحدة.. علينا.. نظرات في مواقف المنظمة الدولية والمتنفذين فيها تجاه الأمة الإسلامية البيان العدد (٩٦) ص ٤٨، ٤٩، ٥٠ ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

إننا نرى حصاراً اقتصادياً رهيباً على العالم الإسلامي، لا يقل ضراوة عن الحصار السياسي أو العسكري، يدل ذلك أبلغ دلالة أنه ليست في هذا العالم (الثمانين) دولة واحدة تدخل في عداد الدول الصناعية السبع أو الثمان أو العشر، تلك التي تنتج صناعات ثقيلة أو تتميز في ابتكار وإنتاج الصناعات الإلكترونية الحقيقية! بل إن أكثر دول العالم الإسلامي، تعتمد على غيرها، في توفير ما تحتاجه من دقيق الخبز، أو تستجدي المعونات من غيرها، بعد أن تدفعها أقساطاً من استقلالها وكرامة شعوبها [١].

ميثاق الأمم المتحدة وعرضه على مجلس الشيوخ :

إن ميثاق الأمم المتحدة بعد بلورته لم يعرض على غير مجلس الشيوخ الأمريكي لإقراره، حتى أصبحت أمريكا بعد ذلك المستودع للأفكار الخاصة، ليس فقط بإنشاء منظمة الأمم المتحدة ولكن أيضاً بإنشاء العديد من الوكالات الدولية المتخصصة والتابعة لها.

أما اليهود فإن أكبر دليل على ضلوعهم في هذه المنظمة حيث تبلغ نسبة وجودهم فيها أكثر من ٦٠٪ [٢] هو أن باكورة إنتاج الأمم المتحدة بعد قيامها كان إقامة دولة اليهود (إسرائيل).

فهل لأمة الإسلام دور في صياغة هذا الدستور الذي يطبق على دولها في شؤونها الدولية؟ هل استشيرت أمة الإسلام في وضع مبادئ هذا الدستور؟ [٣]. أو كان مصدراً من مصادر استلهامه؟ هل روعيت مصلحة الشعوب الإسلامية في أثناء وضع أهدافه؟ وهل تملك تلك الشعوب أو الدول مجتمعة أو منفردة أن تخرج عن إطار الهيمنة التي أدخلت نفسها بنفسها تحت سلطتها؟ وهل يملك أحد – ولو كانت الدول الإسلامية كلها أو الدنيا بأسرها – أن تغير حقائق وأهداف وقيم الدين وسلب أحقيته ولو نظريات في قيادة البشرية وتوجيهها بمقتضى رسالة الله الأخيرة إلى البشر؟**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}**[٤].

(١) انظر عبد العزيز الكامل – الأمم المتحدة.. علينا.. عبد العزيز كامل البيان العدد (٩٦) ص ٤٨، ٤٩، ٥٠ ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. وانظر أحمد أبو سجادة – مأساة هيئة الأمم المتحدة – البيان العدد (١٢١) صـ٦٤.
(٢، ٣) انظر البيان العدد (١٠٣) ص ٦٤ – ٦٧، ربيع أول ١٤١٧ هـ – يوليو (أغسطس، ١٩٩٦م.
(٤) (سبأ آية: ٢٨).

أحكام الخطة للحيلولة دون قيام أى منافس :

إن برنامج الأمم المتحدة لحكم العالم لم يضع لضمان سيطرة الغرب مع اليهود على العالم فحسب بل إنه أحكم خطته ليحول دون قيام أي منافسة له على زعامة العالم وخاصة إذا كانت من العالم الإسلامي الذي قامت إمامته على أنقاض خلافته الضائعة، إنه يريد للدول الصغرى وخاصة الإسلامية أن تظل مقودة إلى الأبد، وفي القاع إلى الأبد ومستضعفة إلى الأبد!.

إن هذه الفرضية لا ينبغي أن تغير من قناعة الأمة الإسلامية في أحقيتها الأصلية في أخذ الزمام وتسلم الدفة، إذ أن هذا الوضع شاذ المتمثل في تسلط الأعداء بـ(الشرعية) والإمعان في اختفاء الاحترام والتبجيل لهم، يساعد على ترسيخ مفهوم التبعية لدى شعوب المسلمين.

إن الهيمنة النصرانية اليهودية من خلال هذه المنظمة واضحة وضوح الشمس للعيان وذلك باستقراء ممارسات الدول الكبرى والفرق بين تعاطيها مع القضايا الإسلامية وتعاملها مع القوى الناهضة الأخرى ويظهر الانحياز السافر جلياً في كل المجالات، النماذج: (باكستان والهند، الدولة الفلسطينية والدولة العبرية، ألبانيا، كوسوفا، البوسنة مع الصرب وكرواتيا) والأمثلة كثيرة غيرها.

إن هيمنة الأمم المتحدة نتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م) التي انتهت واقعياً بانتصار الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى، ولذا فإن صياغة بنود ونظم هيئة الأمم المتحدة كان من صنع الدول المنتصرة والتي تسمى بالدول الكبرى، حيث سلمت نفسها بنفسها زمام وصاية وولاية وقيادة العالم ولم تكتف بإعطاء نفسها هذا الحق بل زادت عليه حق الاعتراض والنقض لأي قرار لا يوافق مصالحها.

إن هيئة الأمم المتحدة قد رسمت لنفسها خطوطاً عريضة لمناطق نفوذها التقريبية، وتركت بقية الأمم الضعيفة لتلقى مصيرها حسب نظرية (البقاء للأصلح) وبالفعل وكما يقول عبد العزيز كامل: " إن الحقيقة التي أبرزتها الأعوام الخمسون الماضية أو ما يزيد من عمر هذه المنظمة الدولية هي أن هناك (عالم حر) يتحكم ويستعبد (عالماً غير حر) وهناك (أمم متحدة) تتحكم في مصير (أمم غير متحدة) "(١).

ويضيف كامل: " إن هذا العالم الحر يتحد في صيغ كثيرة من صيغ الاتحاد السياسي أو الاقتصادي أو العسكري لأن الاتحاد يزيده قوة إلى قوة، بينما العالم الآخر (أقصد غير الحر) كتب عليه أن يبقى متفرقاً وفي تشتت واختلاف حتى يظل ضعيفاً بل ليزداد ضعفاً إلى ضعفه على مر الأيام إن العالم الحر يتفرغ للتقدم والبناء والعمران ورفاهية شعوبه، بينما العالم غير الحر منهمك في حل مشكلات وأزمات وعقبات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو حدودية تفعل ضده من حين لآخر بفعل آخر وقاصد "!! (٢).

وهاهو العالم الحر ينعم بالحرية والديمقراطية بينما العالم الآخر يتعثر دائماً في شباك الديكتاتورية والقمع والتسلط من الأنظمة المستعبدة وبالتبعية الواضحة للعالم الحر.

هذا هو واقع العالم الذي انحسر عنه طوفان الحرب العالمية الثانية، وعلى الأمم غير المتحدة أو النائمة – عفواً – النامية أن تتنازل دائماً وعن رضا عن جل ثرواتها ومقدراتها – إن وجدت – مقابل ثمن بخس دولارات معدودة.

إن المنتصر في الحرب العالمية كان منهمكاً في ترتيب أوراقه وأوضاعه في العالم لمرحلة ما بعد الحرب ولم تكن هيئة الأمم المتحدة – كما أسلفت إلا نتيجة من نتائج هذه الترتيبات الكبرى (٣).

والتى هى أصلاً الوسيلة السياسية المعلنة للنظام العالمى الجديد وإلى جانب مجلس الأمن وحلف الشمال الأطلسى (حلف الناتو).

---

(١) عبد العزيز كامل، الأمم المتحدة والأمم غير المتحدة، عن البيان، العدد (٩٥) ص ٨٩.
(٢) عبد العزيز كامل، الأمم المتحدة والأمم غير المتحدة، عن البيان، العدد (٩٥) ص ٨٩.
(٣) المرجع نفسه.

لقد كانت الحرب في حقيقتها صراعاً مسلحاً وشاملاً بين أطراف رأس المال الدولي، وكانت أمم المستعمرات التي تشكل الأكثرية الساحقة من سكان العالم متعطشة للتحرر من جيوش الاستعمار القديم، وقد رأى أقطاب (العالم الحر) وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية) في ذلك الاندفاع الأممي نحو الاستقلال والتحرر فرصة مناسبة لتعميم أسلوبها الجديد في الاستعمار الحديث القائم على النهب والسلب والاستعباد، ليس بواسطة الجيوش والاحتلال المباشر، ولكن على الطريقة اليهودية بواسطة المصارف والقروض والفوائد، وبواسطة المستشارين، وبواسطة الاستخبارات، وأيضاً بواسطة القوى المحلية العسكرية أو المدنية في البلدان المستهدفة ذاتها التى كانت موالية للولايات المتحدة..

* * * * *

المطلب الثاني:
مجلس الأمن

يتألف مجلس الأمن من خمسة عشر عضواً، خمسا من بينهم ذوو مقاعد دائمة أما العشرة الباقون فتنتخبهم لمدة سنتين الجمعية العامة، والدول الخمس دائمة العضوية هي وحدها التي تمتلك قوة نقض أعمال المجلس (veto) الفيتو وهي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سابقاً وحالياً روسيا والصين وبريطانيا وفرنسا وفيها تتركز القوة الحقيقية. ويقع على عاتق مجلس الأمن مسؤولية أساسية لضمان إجراء سريع فاعل يؤدي إلى المحافظة على الأمن والسلام.

إن القرارات المتخذة في أمور غير إجرائية، يجب أن تتخذ بموافقة تسعة أعضاء، ولكن لوجود الخمسة الأعضاء الدائمون فإنهم كثيراً ما تتعارض الإجراءات مع مصالحهم، فيتخذون ما أسموه بحق النقض (الفيتو) حتى وإن كان هذا القرار يعارض دوله واحدة منها فقط مع أنه في الأصل قد يكون في الصالح العام.

واستمرار اتخاذ هذا الحق طوال فترة الحرب الباردة بين القطبين سابقاً وهو في الحقيقة يمثل عرقلة دبلوماسية ويفتقر إلى أي دعم من أي جهة ويتحكم فيه صاحب القوة وهذه من أكبر سلبياته [١].

مهام مجلس الأمن:

إذا أردنا التعرف على مجلس الأمن ومهامه فإن أحد الأدوات السياسية لما يسمى بالعولمة، والناظر بعمق في هذا المجلس يجد أنه يتحكم في قراراته خمس دول فقط كما أسلفت (الأعضاء الدائمون) وهي تسعى من خلال قراراته لتحقيق مصالحها الخاصة فقط، وفرض سيطرتها على الدول الضعيفة والإسلامية منها بالذات، ويقال عن أي قرار يصدر عن هذا المجلس بأنه قرار دولي أو يعبر عن إرادة المجتمع الدولي، وهذا لعمر الله عجيب! – وما أكثر عجائب هذا الزمن – ومنها أن يقال عن القرار الصادر من خمس دول بأنه دولي، ويفرض على باقي دول العالم دون أدنى حق لها في إبداء الرأي، أو الاعتراض عليه، ولكنه في نفس الوقت بإمكان دولة واحدة من هذه الدول الخمس، إفشال أي قرار لا يعجبها كما مضى بصرف النظر عن مواقف بقية الدول، ومع هذا يقال عن أي قرار يصدر عن هذا المجلس بأنه قرار دولي.

وعلى هذا فهو (مجلس الأمن) إنما يعبر عن هيمنة أعضائه الدائمين على القرار الدولي، وهو بهذا الوضع القائم ما هو إلا امتداد لحقبة الاستعمار، الذي ولى بمظهره العسكري، ليحل بمظهره السياسي، فهو حقيقة مجلس استعمار، وليس مجلس أمن، وهذا ما تؤكده أفعال أعضائه وتصريحاتهم، فهذه الدول لا ترى ضرورة الرجوع إلى مجلسها أو استصدار القرار منه، فيما تقوم به من أعمال عدوانية أو تأديبية – كما يسمونها – تجاه الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية، بل تنطلق دولهم في تعاملهم مع هذه الدول من منطلق القوة، والنظرة الاستعمارية الماثلة في مخيلتهم أنهم فوق القرار، وأنهم قادة العالم وحكامه كما لو كانوا في أيام استعمارهم العسكري [٢].

---

(١) انظر روبرت كانثور ترجمة د. أحمد طاهر السياسة الدولية المعاصرة مركز المكتب الأردني ١٩٨٩م صـ٢٠٩ إلى صـ٢١١.

(٢) انظر د. محمد طاهر حكيم هذه حقيقة مجلس الأمن نراه في موافقه من قضايا المسلمين البيان العدد ٨٢= =نوفمبر ١٩٩٤م جمادي الآخر ١٤١٥هـ صـ٦٢ وانظر شائف علي الحسيني حديث العولمة (٨٩) مرجع سابق.

إن قرارات هذا المجلس، تفرض فقط على الدول الضعيفة ولا سيما الإسلامية منها، كما تفرض على هذه الدول العقوبات الاقتصادية والتجارية والعسكرية والمقاطعة الدولية، إذا لم تخضع لرغبة وهيمنة مجلس الأمن، بل وتدرج أسماءها في قائمة الدول المساندة للإرهاب، والمنتهكة لحقوق الإنسان... إلخ، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية المعروفة للجميع.

أما الدول غير الإسلامية والمحتلة لأراضي المسلمين، والتي تحظى بمساندة وتأييد أعضاء مجلس الأمن الدائمين، فلا تلزم بتطبيق أي قرار صادر عن مجلس الأمن، هذا إذا لم يجرها كبرياؤها وغطرستها إلى الاستهزاء والسخرية بقرارات المجلس (الموقر!) دون أن يثير ذلك حفيظة المجلس أو أن يكون فيه التحدي للمجتمع الدولي، وهذا يؤكد أن المجلس لن يقف مع أي قضية للمسلمين مهما كانت إذا كان الطرف الآخر فيها من غير المسلمين [١].

التكتل الثلاثي في مجلس الأمن:

إن المجلس يعكس بجلاء التكتل اليهودي (أمريكا) النصراني (بريطانيا - فرنسا) الشيوعي (روسيا - الصين)، فهل يرجى من خير للمسلمين فيه أو منه أليس هؤلاء هم أعداؤنا أليس الله قد حذرنا منهم ومن الاعتماد عليهم وموالاتهم [٢].

وهذه أمثلة من قرارات مجلس الأمن التي صدرت لصالح بعض من الدول الإسلامية ولكن لم ينفذ منها قرار واحد.

هناك أكثر من (٦٣) قراراً دولياً في قضية البوسنة لم ينفذ منها قرار واحد ولهذا فقد استمر الصرب في مذابحهم للمسلمين بحجة التطهير العرقي.

وقد اتخذ المجلس أكثر من مائة قرار لصالح قضية فلسطين أشهرها القرار (٢٤٢) فهل نفذ منها قرار واحد!!

ولكن للأسف لا زال الشعب الفلسطيني يعاني من قضيته أكثر من خمسين عاماً وقد تزامنت قضية فلسطين مع بزوغ نجم هيئة الأمم المتحدة!!

---

(١) المرجع السابق صـ٦٣.

(٢) المرجع السابق صـ٦٦.

وفي قضية كشمير المسلمة اتخذ المجلس أكثر من ١٣ قراراً لم ينفذ منها قرار واحد، بل لا يوجد أي دور للمجتمع الدولي في منع الجرائم التي ترتكبها قوات الاحتلال الهندوسي يومياً ضد شعب كشمير المسلم الأعزل[١].

ويعتبر الباحث موقف مجلس الأمن هذا موقف (لا غرابة فيه) لأنه يحقق أهدافه التي قام من أجلها وهي حراسة التحالف الذي سلف ذكره في بداية الحديث أقصد (التحالف اليهودي – النصراني – الشيوعي) وليس ذلك بخاف على أحد خاصة عندما يصرح أكثر من مسؤول أوروبي غربي وأمريكي ويهودي أن الخطر الحقيقي الذي يهدد العالم في نظرهم هو الإسلام وقد حذرنا الله منهم في كتابه الكريم فقال تعالى:**{وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}** [٢].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء} [٣].

وغيرها من الآيات الكثيرة المنثورة بين دفتي المصحف الكريم بل أن المسلمين اليوم يستجدون أعداءهم ليعطوهم أقواتهم وأسلحتهم فهل يعقل أن ينصح العدو لعدوه ويعطيه ما يتقوى من يغلبه إن مثلهم في هذا كمثل باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه قال تعالى:**{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ}** [٤].

وقد أمر الله المؤمنين أن يعدوا عدتهم وأن لا يغفلوا أبداً وأن يأخذوا بأسباب القوة والنصر والتمكين والله ناصرهم ومؤيدهم على أعدائهم وسيمكن لهم في الأرض ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم شريطة العبادة الصادقة والآيات في ذلك واضحة وجلية وصريحة**{إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}** [٥].

---

(١) انظر المرجع السابق، وانظر عثمان جمعة ضميرة آمال المسلمين والمنظمات الدولية البيان العدد (٨٦) شوال ١٤١٥هـ صـ ١٠٣ وما بعدها.

(٢) (هود: ١١٣).

(٣) (المائدة: ٥١).

(٤) (الرعد: آية ١٤).

(٥) (محمد: آية ٧).

ولقد أظهر المجلس سوء نواياه من قضايا المسلمين في الكيل بمكيالين وما المواقف المتشابهة والمتتابعة طوال الخمسين سنة الماضية عنا ببعيد فمواقفه واضحة إن قرارات مجلس الأمن في الأخير لا تعولم ولا تسري على مستوى العالم إلا إذا صبت في مصلحة الدول الدائمة العضوية وبالذات أمريكا التي تهيمن في النهاية على كل القرارات.

* * * * *

المطلب الثالث:
الحقوق والحريات الديمقراطية

تظل الحرية أسمى مطالب الشعوب، وأغلى أهدافها، ولذلك ترفع قوى العولمة هذا الشعار ضمن شعارات أخرى تلوح بها بين الفينة والأخرى لتجذب إليها الشعوب فتأتي منقادة مستسلمةً.

فهل وجدت هذه الشعوب مطلبها لدى هذه القوى؟! ومن أهم هذه الشعارات التي رفعتها قوى العولمة، شعار الديمقراطية الذي يبدو لأول وهلة أمراً إيجابياً وشعاراً نبيلاً يقدم كحل لنيل الحرية الفردية والحرية الجماعية، تأكيداً لقيم الإنسان وإعلاءً لحقه في التعبير الحر عن رأيه والانفتاح على الغير والحركة المطلقة في الأفق الواسع.

وبحسب بحثٍ صادرٍ عن الأمم المتحدة [١]، فإن الناس لا ينشدون الحرية والتعبير عن آرائهم السياسية فقط، بل إنهم ينشدون الحرية الاقتصادية والثقافة والدينية والعدالة الاجتماعية. ويرى الباحث أن هذا الشعار سيبقى شعاراً خاوياً ما دام الناس مبتعدون عن شرع الله تعالى، حيث قال سبحانه وتعالى:**{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً}** [٢].

وتعمل أمريكا ضمن الإطار السياسي للفكر الرأسمالي العولمة على تعميم هذا الشعار شعار(الديمقراطية) وتسويقه للدول التي تسير على شاكلتها، وفي نفس الوقت تدعو جميع دول العالم إلى تطبيق الديمقراطية تأسيساً للشرعية التي تروج لها قوى العولمة تعني اتفاق قيمة

---

(١) انظر: معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية UNRISD حالات فوضى - الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران أبو حجة مراجعة هشام عبد الله، دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١/ ١٩٩٧م، ص ٤٠.

(٢) (طه: ٢٤).

ومعايير السلطة وممارستها مع قيم ومعايير المجتمعات التي تخضع لها [١] باعتبارها حق من حقوق الإنسان ونهج حضاري متطور تحت شعار الحرية والمساواة والتمثيل النيابي لجميع طبقات المجتمع وإفرازاته ولكن لما كان معنى الديمقراطية هو حكم الشعب نفسه بنفسه، فإن كثيراً من المجتمعات الإسلامية ترفض قبول هذا المفهوم المخالف لروح الدين وجوهره، حيث إن الحاكمية في المجتمعات الإسلامية تخضع لله.

وعليه فإن حكومات هذه الدول قد لا تقبل هذا المفهوم، بيسر وسهولة.

انتهاج الديمقراطية أسلوب ضغط تمارسه قوى العولمة:

ومن هنا تلجأ أمريكا لأسلوب الضغط على هذه الدول بشتى الأساليب وبما تملك من سيطرة سياسية وتحكم قاهر لوسائل الإعلام العالمية بفضل الثورة التكنولوجية المعلوماتية الهائلة، التي خطتها في العقود الأخيرة من القرن المنصرم فتلوح لتلك الدول متهمة إياها تارة بمساندة (الإرهاب الدولي)، وتارة أخرى بالدكتاتورية، أو عدم احترام حقوق الإنسان، أو عدم احترام الأقليات، وتحرص أمريكا بجد أن تصل لتجعل من الديمقراطية مجموعة مفاهيم عن الحياة كمقاييس وقناعات أمم العالم وخاصة الأمة الإسلامية، ومن أجل ذلك تدعم الاتجاهات العلمانية في البلاد الإسلامية سواء من خلال الأنظمة أو ممن يقدمون للناس على أنهم إصلاحيون، ولكنهم في الحقيقة علمانيون يعملون لإخراج الإسلام من المجتمع، ويعملون على تعميق مفاهيم الرأسمالية والحضارة الغربية في المجتمع [٢].

إن إصرار الغرب تعميم وإرساء معالم المنهج الغربي في إدارة الحكم في العالم كله، ومن ضمنه الدول الإسلامية، على أن تكون الديمقراطية أول هذه المعالم، وفرضها كمسلمة لا خلاف عليها، كأن العالم الإسلامي لا يدري كيف يحكم نفسه، أو أنه مفتقر إلى ما يملكه الغرب، من مفاهيم ونظريات، في الوقت الذي لا يمكن أن يقبل بمفهوم الديمقراطية، لأنه في الحقيقة مفهوم غربي خالص، ويتخذ طريقاً في الحكم - إما مباشرة وهي أن يحكم الشعب نفسه وأخرى عن طريق ممثلين له وتسمى ديمقراطية غير مباشرة - مخالفة لمنهجه، وإن كان ربما يلتقي هذا المفهوم مع مفهوم الشورى في الإسلام، من حيث مبدأ الحرية، وحق الأفراد

---

(١) انظر برهان غليون الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، عن كتاب حقوق الإنسان العربي لمركز= =دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (٧)، ط١، ١٩٩٩م.

(٢) انظر أحمد عبدالدايم: عولمة الرأسمالية ورأسمالية العولمة، عن البيان العدد (١٥٩)، ص ١٢٥.

في انتخاب من يمثلهم ليحكمهم بمحض إرادتهم، وهو طريق شرعي يعرف في الفكر السياسي الإسلامي بالبيعة أو عن طريق أهل الحل والعقد (الممثلين بالأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند)، ولكن هناك خلاف جوهري بين الشورى والديمقراطية من حيث تصور السلطة ففي الديمقراطية، مصدر السلطة هو الشعب، في حين أنه في الشورى المصدر السلطوي هو الوحي الإلهي (الكتاب والسنة) [١]. إن هذا الإصرار مشوب بالحذر والحيطة في البلاد الإسلامية من قبل مجتمعاتها.

وتتعمد الدوائر الغربية أن تضفي الساحة العالمية بمصطلحات غير منضبطة تصدرها إلى العالم الإسلامي، تخدم الأصالة الغربية والمنظومة الحضارية الرأسمالية، ولا يمكن أن تقبلها المجتمعات العربية الإسلامية، حيث أن لها فكراً خاصاً وثقافة مغايرة تماماً للثقافة الغربية [٢].

فمصطلح الديمقراطية وغيرها من المصطلحات كالمجتمع المدني، والتعددية السياسية، وحقوق الإنسان، والمواطنة، كلها مصطلحات وافدة غازية تأسر كثيراً من أهل الأهواء المعجبين بالحضارة الغربية المعاصرة، خاصة وأنها الأقوى الآن على العالم من كل النواحي، والآخذة بزمام العلم والثورة المعلوماتية الجديدة، وعامل آخر يجعل الكثير يتشبث بأي وافد غربي، وهو الوضع الاستبدادي والتخلف السياسي العام الذي تعيشه مناطق العالم الإسلامي والعربي.

تتغنى الولايات المتحدة الأمريكية بنغم الديمقراطية وتعزف على وتره صباح مساء باعتباره نهجاً متميزاً وتدعو شعوب العالم إلى المسارعة في تطبيقه أو عدم التواني في ذلك وتجعل من أولويات أجندتها تطبيق ذلك النهج الديمقراطي في العالم وتنادى بالتداول السلمي للسلطة، وبإرساء دعائم التعددية السياسية غير مراعية ظروف الدول التي تطلب منها توظيف ذلك النهج، وغير آبهة لمعتقدات تلك الدول مع أن كثيراً ما يخالف عقائد وأفكار وتقاليد وسلوكيات وأنماط حياة الشعوب المطلوب من حكومتها تطبيق ذلك النهج، كالنظام الإسلامي، الذي له من الثوابت والقيم والعقائد والسلوكيات، ما يستحيل على

---

(١) انظر المهندس ناصر عبده وحان: أساليب السياسة الأمريكية لتغيير الأنظمة، مجلة المنتدى اليمنية، العدد (٧١) / ٢٠٠٢م.

(٢) انظر أحمد عبدالدائم: عولمة الرأسمالية، عن البيان (١٥٩)، ص ١٢٥، وانظر أ. د. جعفر شيخ إدريس: ودوا لو تكفرون كما كفروا، عن البيان، العدد (١٧١)، ص ٦٦.

أحد بعدها إخضاعه المخالفة تلك الثوابت والقيم النابعة من الشريعة الإسلامية أو الخروج عليها فلا يمكن لأي حكم آخر غير حكم الشريعة أن يسود على النظم الإسلامية.

مقارنة بين الديمقراطية والنظام الإسلامي:

ذلك أن الديمقراطية نتاج بشري محض قابل للتغيير وللتبديل، وخاضع لتأثيرات ومؤثرات شتى لها دورها في انفعالاتها وترك بصماتها وخيالاتها وتوصيفاتها(١).

أما النظام الإسلامي فإنه يختلف تماماً عن الديمقراطية من وجوه عدة منها:

أنه يجعل للأمة الحق في اختيار حاكمها والحق في عزله أو محاسبته إذا أخطأ ولها حرية الرأي وحق الاختلاف اختلاف التنوع لا التصادم وتحفظ للإنسان كرامته وآدميته، ولها الحق في تداول السلطة، ويحترم حقوق الأقليات، ونحو ذلك من الحقوق والواجبات وهي أركان تقوم على أسس تصورية وعقيديّة، تحكمها ضوابط وأطر منهجية تختلف تماماً عن الأسس والضوابط التي تمثلها الديمقراطية كمنهجية لسياسة المجتمع البشري.

إشكاليات مكونات الديمقراطية:

وتطفو الديمقراطية على أرض الواقع بأربعة عناصر رئيسية لا تدخل الدين في حسابها أبداً حيث أنها خاضعة لاجتهادات البشر وهي (٢):

- الحرية (المطلقة) - المساواة (المطلقة) - التمثيل النيابي (غير النوعي) - الواقع الدستوري (وما يكتنفه من ملابسات وتنجم عنه إفرازات...).

الحرية المطلقة المبتوتة عن دين يقيدها ويمسك بزمامها هي حرية في الاقتصاد وحرية في السياسة، وحرية في الثقافة، وحرية اجتماعية وحرية فكرية وعقدية وحرية جنسية، جميع هذه الحريات مطلقة للشعب أن يعبر عن حريته بالطريقة التي تريحه، وتكفل له مصلحته، ويختلف مفهوم الحرية من نظام إلى آخر، وتتفق في النهاية أنها لا تتقيد بدين تخضع له، وإنما تخضع لأهواء البشر وقوانينهم وعند تطبيق هذه الحرية فإنها تختلف في تطبيقها من نظام إلى آخر، كأن يكون النظام ليبرالي أو اشتراكي أو ديكتاتوري أو نفعي (مصلحي)، وكذا تختلف

---

(١) انظر جمال سلطان: حوار في الديمقراطية، عن مجلة السنة الصادرة عن مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا، العدد (١٠٣) ذو الحجة ١٤٢١هـ، ص ٩٣.

(٢) انظر سامي محمد صالح الدلال: إشكاليات مفهوم الديمقراطية، عن البيان، العدد (٩٠)، ص ٣٤ وما بعدها.

في مفهومها، من فئة إلى فئة، ومن فكر إلى فكر، ومن نظام إلى نظام، وكل فئة وفكر ونظام يتبنى المفهوم الذي يخدم مصالحه، وينزع إلى توسيع دائرته في هذه الحرية، حتى لربما تجاوزت دائرته لتدخل دائرة أخرى فيقع الصدام ويقع الشقاق والافتراق ويصيب الأمة الشتات وتذهب ريحها[(١)].

وعن المساواة المطلقة فالإشكالية فيها هي مساواة العلماء بالجهلاء والمتخصصين بالعامة والدهماء وأصحاب النهى والأحلام بهيشات الأسواق.

وقد تنحى صفوة الأمة ونخبتها وعلماؤها ويتقدم حُثالتها وعامتها.

ومن هنا فيقدم العامي الجاهل الرويبضة وينطبق باسم القوم أو الأمة، ويؤخر الشيخ والعالم والدكتور والمتخصص حتى كأن ليس له وجود وتستخدم شتى الطرق والوسائل لإصعاد هذا وإنزال هذا، وغالباً ما يُلبس على العامي والجاهل، ويغرر به وعليه، فلا يدري من يرشح ولا من المرشح، وقد تشتري ذمته وخاصة في بلدان العالم الثالث أو بالأصح بلدان الأطراف عن التمثيل ففيه من إشكاليات عدة منها: -

- إن ممارسة الممثلين لأعمالهم في المجالس النيابية، إنما هو في الحقيقة ممارسة حق إلهي حين يدخل فيه التشريع والتقنين. فإن لم يكونوا هؤلاء على مستوى من العلم والتدين والتخصص، فلربما حرّموا حلالاً، وأحلوا حراماً، باسم التصويت للقاعة والأغلبية.

وهم في الغالب يخضعون لإرادة المصدر الأول لهذا النهج فلا يمكن أن يرقى هذا المكان أغلبية صالحة إلا نادراً جداً ! وهذا فى حد ذاته مستبعد جداً.

ومن الإشكاليات أن كثيراً من مجالس النواب التي تواجدت باسم الديمقراطية في بلاد المسلمين وفي العالم الثالث بشكل عام لا تخلو من أغلبية يعينها زعيم ذلك البلد ومن هنا فإن مصلحة الزعيم كثيراً ما تقدم على بقية المصالح.

ومن الإشكاليات أيضاً أن الانتخابات والترشيح لهذا المجلس يتم غالباً في إطار النفوذ الأجنبي رغم الاستقلال المزعوم ورغم أن علم هذا البلد أو ذاك يرفرف على أرضها ولا يقتصر النفوذ على جانب معين، بل يتعدى إلى السياسي، والاقتصادي والثقافي والاجتماعي

---

(١) سامي محمد صالح الدلال: إشكالية مفهوم الديمقراطية من خلال مدارسها، عن البيان (١٠٤)، ص ٤٢ وما بعدها.

وحتى إلى التشريعي في كثير من البلدان إلى غير ذلك من الإشكاليات الكثيرة والمتنوعة.

والخلاصة أن هذه العناصر الأربعة يصعب نقلها إلى بلاد المسلمين بحذافيرها، لأنها تصطدم بجملة من المعتقدات الفكرية والسياسية، والقيم والأعراف المناهضة لكثير من متضمنات تلك العناصر.

وكذا الأحزاب لكل حزب وجهة نظره الخاصة به، والكل يتصارع على أكبر عدد من المقاعد وليحصل عليها بأي طريق (فالغاية هنا تبرر الوسيلة)، وكل حزب يتربص بالآخر باسم الديمقراطية والتعددية الحزبية، وما كان أغنانا نحن المسلمين عن مثل هذا التصور الغربي للحكم.

فما هذا إلا تعميقاً للمنهج الغربي في سياسات بلداننا واتباعهم حذو القذة بالقذة [(١)].

وهناك منظور قياسي وعامي للديمقراطية، فالقبائل وجدت ضالتها في الديمقراطية وبروزها إن شاءت باسم التصويت والتكاتف مع مرشحيها بكل الوسائل المادية والمعنوية المتاحة ليمثلها هذا المرشح حتى يحقق لها مطالبها ومشاريعها، ولا يهمها أن يمثل الإسلام أولاً المهم مطالبها.

وكذلك تتنافس القبائل وتتصارع من أجل الوصول إلى الأحزاب التي تمثل أغلبية البرلمان لتوفر لها أكبر الفرص الاقتصادية وتوسع وترفع مكانتها الاجتماعية، فتفترق الكلمة وتنتشر العداوة وتنمو روح الفرقة والبغضاء وتتوسع دائرة التنابذ بالألقاب وفي هذا أكبر مفسدة عظيمة على الأمة وتوهين لقدرتها وقوتها وعصمتها وهذا هو داء الأمم السابقة كما قال ﷺ: **«دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر...»** إلى آخر الحديث [(٢)].

وقال تعالى:**{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [(١)].

---

(١) البيان العدد (٩٧) ص ٨٦ وما بعدها.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب البيوع رقم (٢١٣٤) وانظر صحيح الجامع، الجزء الأول، ص ٦٣٤، رقم (٢٣٦١).

(١) (الأنفال: ٤٦).

وهكذا هي الديمقراطية عند العامة، حيث يخدعون بها عندما ترفع شعار القضاء على الفقر والبطالة، والاهتمام بالطبقة المسحوقة، ومحاولة إعادة الحقوق للمظلومين والمنكوبين، وأنها ستعيد لهم كرامتهم وتدفع عنهم أسباب الفاقة والعوز فهم ينظرون إليها على أنها الحل الوحيد لأزماتهم وفقرهم وعوزهم، خاصة في ظل غياب الشريعة الإسلامية وظلالها الوارفة.

وإن من أهم المؤثرات التي تدفع بهم نحو الديمقراطية، ما يرونه من محاربة أهل الإسلام وتلفيق التهم عليهم، وإبعادهم أو إقصائهم عن سدة الحكم أو حتى عن منبر الدعوة، ومن هنا يتعلق العامة بالديمقراطية عندما يقدمها لهم الإعلام، على أنها المنقذ لهم من مهاوي الجهل والفقر والمرض والبطالة، بل وحين يسمح لهم بالمشاركة العملية فيها - فيستوي فيها الجاهل والعالم فكلهم في الحقوق السياسية سواء[1] وعلى هذا يلتبس الأمر على العامة، وإذا ما هيئت الفرصة للإسلاميين، فإنه سرعان ما ينقلب السحر على الساحر، فيضيق عليهم الخناق بشتى أنواع الحيل الماكرة والخداع المضلل، ولو اقتضى الأمر أن تفتح لهم السجون، لما قصروا كما حدث في الجزائر في انتخابات ٩٢م، والعالم كله يشهد؛ لأن هذا لا يخدم رعاة الديمقراطية أو رعاة البقر!.

إن السياسة في الوطن العربي هي الدولة ولا شيء غيرها، فمن يقف خارجها يضع نفسه في موضع الاستبعاد بل قد ينتقل إلى موضع الخيانة ولا قيمة في الوطن العربي والإسلامي للخلاف المشروع.

وأما الفضاء السياسي فهو أصلاً فراغ سياسي إذ المجالس التمثيلية تابعة، والنقابات خاضعة، والجمعيات راكعة، وفي فلك الدولة سابحة، والمجتمع عاجز عن التعبير ورقابة خانعة، ووسائل الإعلام للدول ليل نهار وباسمها مخادعة.

فلا مكان للديمقراطية الحقة في الوطن العربي البتة [2].

---

(١) انظر بشير زين العابدين: نقد الديمقراطية المعاصرة في الفكر العربي، مجلة السنة، العدد (١٠٦) ص٤٩.

(٢) انظر ثناء فؤاد عبد الله ضمن حلقة نقاش حول مستقبل الديمقراطية في الوطن العربي، عن المستقبل العربي، السنة ٢٤ العدد (٢٧٦) ٢/ ٢٠٠٢م، ص ١١١، وانظر عبد الغفار شكر: العولمة والديمقراطية في الوطن العربي، عن مجلة الشاهد العدد (١٨٢) تشرين الأول تموز، ص ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، وانظر فتحي يكن ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص ٨٦، وما بعدها.

نظرة قوى العولمة إلى الديمقراطية في ظل المصالح:

تطرح قوى العولمة الديمقراطية في منظور المصالح المتحققة لها، ولا تكون إلا شكلية في العموم الغالب وثمة نقاط تشير إلى ذلك منها: –

١- تجعل قوى العولمة من الديمقراطية وسيلة لإقامة دولة شرعية لتمرير سياسات معينة دون إجراءات تعسفية أو قمعية ولاحتواء أزمة ما، وآثار اجتماعية ناتجة عن التكييف الهيكلي والإصلاحات الاقتصادية الناجمة عما يفرضه صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي حين يتم التعامل معهما [(١)].

٢- إن ازدواجية المعايير في التعامل مع الدول لهو أكبر دليل على أن قوى العولمة لا يهمها أن تطبق الديمقراطية وحقوق الإنسان أولاً، فهي تعتبر الصين الدولة الأولى المستحقة للرعاية وتوسيع التجارة معها على الرغم من انتقادها لموقفها من حقوق الإنسان وتوسع علاقاتها مع السعودية في حين أن الأخيرة ترفض التعامل بالديمقراطية رفضاً قاطعاً.

وتفرض الحصار على ليبيا والسودان والعراق بل تشن حرباً عسكرية على الأخيرة لأنها لا تتعامل مع شعبها بالديمقراطية الأمريكية وغير ذلك من الأمثلة[(٢)].

٣ – الانتقائية الواضحة في التركيز على جوانب معينة من الديمقراطية وإهمال جوانب أخرى لا تقل عنها أهمية إلا من خلال النظر إلى مصالح قوى العولمة.

فمثلاً تركز قوى العولمة على: حرمة تدفق السلع ورؤوس الأموال والأفكار والقيم وفي نفس الوقت التي تضع فيه قيوداً شديدة على حرمة انتقال الأفراد من الجنوب إلى الشمال وكذا يتم التركيز على حقوق الأفراد السياسية والمدنية في حين تهمل حقوق الجماعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية إلى درجة لا تهتم قوى العولمة بالمجتمع المدني من حيث أن الوسيط عن الدولة والفرد وبواسطته يتم إيجاد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر لمزيد من المعلومات، فواز جرجس: أمريكا والإسلام السياسي صدام الحضارات أم صراع المصالح، عن العربي (٥١٤) ١٢/ ٢٠٠١م، ص ١٩٠، ١٩٣، وانظر السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث، ص ٦٥، وما بعدها، مرجع سابق.

التوازن بينه وبين الدولة ولكن من حيث يكون بديلاً للدولة عندما تتخلى أو تنسحب من أدوارها التقليدية ومسئوليتها في دعم الفئات الفقيرة وإعادة توزيع الدخل القومي لصالح الفئات العاملة والفئات الضعيفة ما يحقق للمجتمع الاستقرار ويجنبه الهزات.

آثار الديمقراطية على الوطن الإسلامي والعربي:

وعلى الرغم من أن الدولة الإسلامية والعربية قد اتخذت من الديمقراطية منهجاً لها واستغنت عن الشورى كنهج سماوي رباني إرضاءً للغرب وإمعاناً في النفعية، إلا أن الآثار السلبية تسللت إلى هذا النظام ونخرت فيه ولم تمهلهم حتى يقوموا على أرجلهم ومن خلال التتبع والاستقراء نجد أن أهم الآثار تبدو في:

١ - فقدت الدول الإسلامية والعربية ضمن العالم الثالث مناوراتها السياسية لخضوعها للمؤثرات الخارجية واختراقها بواسطة المؤسسات الرأسمالية الدولية (كالصندوق الدولي) والشركات المتعددة الجنسية. وكذلك لم يعد للدولة دوراً اقتصادياً واجتماعياً ملموساً على شعوبها بل تفاقمت الأزمات وتدهورت الأوضاع وتفشت البطالة والفقر نتيجة برامج الإصلاح الاقتصادي والتكييف الهيكلي [١].

٢ - انتشرت مؤسسات المجتمع المدني وتنوعت أنشطتها متأثرة بقوى العولمة وهي لهذا تتعامل معها بوضوح سافر وتتلقى منها دعماً سخياً فتمضي في سياسات موجهة تحت غطاء خدمة قضايا معينة مثل حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفولة والأقليات والبيئة وغيرها من القضايا التي هي في الحقيقة معبراً لنظام العولمة إلى أرض المسلمين [٢].

ولقد بات واضحاً في علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بغيرها من دول العالم وخاصة دول العالم الإسلامي ذلك أنها علاقة الهيمنة والاستعلاء والسيطرة بمختلف أصولها وأشكالها.

وإن النموذج الديمقراطي الذي تريد الولايات المتحدة الأمريكية فرضه في دول العالم ومنه العالم الإسلامي بصفتها - فائدة العولمة - وهو وفق الصيغة التي تريها بحيث تضمن الهيمنة الكاملة على هذه الدول. وهذا يندرج تحت إطار الخروج بالقيمة السياسية إلى خارج

---

(١) عبدالغفار، المرجع، ص ٥٨.
(٢) المرجع نفسه، ص ٥٩.

حدودها الوطنية ونشرها في العالم إلى جانب قيمها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والإعلام فيه كما هو مذكور في ثنايا هذا البحث.

وتستخدم رائدة قوى العولمة للدعوة للنموذج الديمقراطي، طرقاً شتى ووسائل متعددة كالدعوة إلى مبدأ الحرية، وتقرير المصير، والوقف ضد الديكتاتوريات التي لا تسايرها ولا تخضع لها، وباسم التعددية والتداول السلمي للسلطة وحقوق الأقليات، وحقوق المرأة وحقوق الإنسان. كل ذلك يتم عبر سياستها الخارجية متخذة بذلك طريقة دغدغة عواطف الشعوب المغلوبة على أمرها متجنبة في نفس الوقت أسلوب الصدام والاحتكاك.

إعلان الحكومة الأمريكية لسياستها:

ولقد أعلنت الحكومة الأمريكية سياساتها منذ ١٩٦٠م وكان من ضمن النقاط التي ذكرتها أنها ستعمل على مساعدة شعوب أقطار الشرق الأوسط على تشكيل نظم ديمقراطية تميل إلى الغرب وتتعاطف معه.

ثم ما لبثت وتعرضت العلاقات الأمريكية العربية لعدة منعطفات خلال العقود الأربعة الماضية بسبب ميول بعض البلدان العربية إلى النظام الاشتراكي الشمولي أو إلى القومية العربية بعد أن رأت الدولة العربية أنه لا بد من أن تنال استقلالها كاملاً سياسياً واقتصادياً وبعد الحظر النفطي الذي شهدته المنطقة منذ الحرب مع اليهود وتحت راية الإسلام، والثورة الإيرانية الإسلامية، واستخدام معمر القذافي رموزاً إسلامية إبان تلك الفترة حتى أعلن أن الإسلام دين الرجل الأسود في أفريقيا - واغتيال السادات في بداية الثمانينات والاعتداءات الدامية على المنشآت الأمريكية في لبنان والكويت وغيرهما من دول المنطقة.

فلجأت مرة أخرى إلى تطبيق ما كانت قد شجعته من نظم ديمقراطية لتسعى هذه الشعوب من خلاله إلى مقاومة الاستعمار بكافة أشكاله [1].

---

(١) انظر فواز جرجس: أمريكا والإسلام السياسي، عن العربي، (٥١٤)، ص ١٨٨.

ويؤكد صحة ما يذهب إليه الباحث أقوال الأمريكيين أنفسهم فهذا مايكل هدسون يعبر عن ذلك بقوله: «ولأن الجماعات المناهضة للولايات المتحدة كانت ستحظى من خلال البرلمان بقدر كبير من النفوذ والوضوح مما كان يستدعي في نظر الولايات المتحدة تصفية الديمقراطية في الوطن العربي الإسلامي» (١).

وهذا (نعوم تشومسكي) كتب قائلاً: «لقد عارضنا بثبات الديمقراطية حيث لم يكن بالإمكان السيطرة على نتائجها» (٢).

الديمقراطية ومصالح الدول الرأسمالية:

ومن أجل الحفاظ على مصالح الرأسمالية ومصالح المستثمرين كاستراتيجية لا يمكن أن تتخلى عنها أمريكا، فإنه يمكن إزالة الديمقراطية وبسهولة تحت حجج واهية وأوهام ساذجة وكثيرة منها: أن الديمقراطية لا تصلح في الدولة النامية. وكذلك لم تجد التعددية السياسية شروط توفرها كاملة في هذه البلاد وخاصة في ظل التخلف الاقتصادي ففى دراسة للمعهد الملكي للشؤون العالمية في لندن عن النظام الأمريكي الداخلي لنعوم تشومسكي الأمريكي جاء فيها «في الوقت الذي تدفع فيه الولايات المتحدة خدمة شفوية فقط للديمقراطية، فإن التزامها الحقيقي هو للرأسمالية الخاصة، وحين تتعرض حقوق المستثمرين للتهديد أو الإزالة يجب أن تزول الديمقراطية» (٣).

وفيما يقوله أحد الباحثين العرب تأكيد فيه الكفاية وغني عن التعليق حيث يقول: «ومن أجل تصفية وزوال الديمقراطية في الوطن العربي تم الترويج الأمريكي طالما تكررت على ألسنة كثير من الكتاب الغربيين والعرب على حد سواء وهي المقولة الآتية: «أن الدول النامية بما فيها العربية غير مؤهلة للديمقراطية وذلك بسبب تخلفها الاقتصادي أو عدم توفر الشروط التي تسمح بقيام التعددية السياسية بسبب سيطرة قوى راديكالية» (٤)، ولذا تسعى الولايات المتحدة لتغيير الأنظمة في العالم الثالث، وتدعم أي انقلاب يكون في صالحها

---

(١) انظر مايكل هدسون: الديمقراطية في الوطنى العربي، المجلة العربية للدراسات الدولية السنة (٤) العدد (١ - ٢) ١٩٩٣م، ص ١٢.

(٢) عامر حسن فياض: الديمقراطية في مركبات وتوجيهات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء الوطنى العربي،= =عن المستقبل العربي السنة ٢٣ العدد (٢٦١) ١١/ ٢٠٠٠م، ص ١٥١.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه الصفحة نفسها، وانظر جرش: أمريكا والإسلام السياسي، العربي (٤١٥) ص ١٩١.

ولو كان الحكم ديمقراطياً ما دام ذلك الحكم وطنياً، ويسعى إلى الحرية المطلقة سياسياً واقتصادياً ويحاول تحقيق تنمية حقيقية مستقلة بعيداً عن أي ضغوط أو إملاءات خارجية، ومن هنا نلاحظ وقوف أمريكا وراء سياسية دعم الحركة المسلحة وحركات المعارضة المناوئة لحكومته الوطنية التي تحاول الانفلات من رقبة الاستعمار لمساعدتها على الإطاحة بهذه الحكومات التي لا تروق للولايات المتحدة.

والأمثلة على ذلك كثيرة، كما في السودان والصومال والعراق وغيرها من الدول الكثيرة في العالم الثالث بمنأى عن مثل هذه السياسة والكيل بمكيالين والنظر بنظارة سوداء كما يقولون.

وإذا فشلت حركات المعارضة بالإطاحة بالنظام، وأبدت وتبدي عجزها تدخلت الولايات المتحدة بثقلها وسطوتها وقضها وقضيضها للإحاطة بهذا النظام المناوئ لها كما حدث في العراق مؤخراً.

والملاحظ من نهاية الثمانينات وبالتحديد بعد انهيار الكتلة الاشتراكية التي كانت تستند إلى الاتحاد السوفيتي أن الولايات المتحدة، بدأت تروج لنظام عالمي جديد يقوم على تمجيد اقتصاد السوق والحرية السياسية، والمجتمع المدني، وغيرها من القيم التي تريد العولمة أن تسود العالم وتعمل على مساندة الدول في العالم لتبني هذه القيم، وعلى رأسها الديمقراطية كنهج يعمل على استتباب الأمن والسلام الدوليين [١]، وكمنهج للتداول السلمي للسلطة، ولكن بحيث يتم من خلال هذا المنهج الغربي المحافظة على خيوط العنكبوت التي نسجت بين هذه الدول والولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية وضمان بقاء تدفقات النفط [٢] وبأسعار معقولة، والسماح للشركات العابرة للقارات والمتعددة الجنسية بالاستثمار في هذه البلدان واستلام مشاريع التنمية، وإلا فإن الحل الحاسم هو التدخل باسم حماية الديمقراطية وحماية المصالح.

---

(١) انظر عامر فياض: الديمقراطية الليبرالية، عن المستقبل العربي، ٢٦١/ ٢٠٠٠، ص ١٥٥، وانظر وليد عبدالحي: علاقة السياسة الخارجية بالتحولات الديمقراطية في الوطن العربي، عن المستقبل العربي ٦٧/ ٥/ ٢٠٠٠م، ص ٦٢، ٦٣، ٦٥.

(٢) انظر: عبد الحسين شعبان، في تعقيبه على حلقة نقاش مستقبل الديمقراطية في الوطن العربي، عن المستقبل العربي، السنة (٢٤) العدد (٢٧٦) ٢/ ٢٠٠٢م، ص١٢٦.

الرؤساء الأمريكان والحديث عن الديمقراطية:

وفي هذا المعنى يصرح كليتون في خطاب لـه قائلاً: «إن انتهاج العملية الديمقراطيـة أو الظاهرة الديمقراطية ستسهم كقوة فاعلة وحيوية في استتباب الاستقرار والأمن الدولي، نظراً لأن الانفتاح والتعددية السياسية سيوفران طرقاً بعيـدة عـن العنـف في تسـوية المنازعـات»، ويضيف كلينتون «وتقوم الديمقراطية بحماية الأقليات العرقية والدينية وغيرها، وإن التعـاون بين الأنظمة المماثلة في القيم الإنسانية سيمكن من تطـوير ظـاهرة الشـراكة بـين الـذين لهـم مصالح مشتركة في حماية البيئة الدولية والالتزام بالقانون الدولي».

ويتكرر مثل هذا الخطاب على لسـان وزيـر الخارجيـة الأمريكيـة وارن كريسـتوفر بعـد حرب الخليج الثانية مباشرة حينما حث بلاده على أن تلعـب دوراً فعـالاً لنشـر الديمقراطيـة واقتصاد السوق الحرة [(١)].

وتطرح الولايات المتحدة الأمريكية من أولويات بنودها في أجندتها المرسـومة للسياسـية الخارجية، نشر ودعم التوجه الـديمقراطي في العـالم كلـه، ويتضـح ذلـك مـن خطـاب وزيـر الخارجية الأمريكية أمام لجنة العلاقات الخارجيـة بمجلـس الشـيوخ الأمريكـي حيمنـا حـدد ركائز السياسة الخارجية في ثلاث نقاط رئيسية: -

١- دفع مقام الأمن الاقتصادي الأمريكي ليكون هدفاً أولياً في السياسة الخارجية.

٢- الحفاظ على القوة العسكرية الأمريكية وتكليف القوات لتصبح ملائمة للتعامل مـع التحديات الأمنية الجديدة.

٣- تنظيم السياسـة الخارجيـة حـول محـور دعـم انتشـار الديمقراطيـة واحـترام حقـوق الإنسان[(٢)].

ومن خلال نظرية فوكومايا التي تعتبر بمثابة الإطار النظري لتوجيهات السياسة الخارجية الأمريكية في العالم الثالث ومنه الإسلامي خاصة بعد أن تم لها الهيمنة الاقتصـادية إثـر انهيـار الاتحاد السوفيتي في نهاية الثمانينات.

---

(١) انظر عامر فياض: الديمقراطية الليبرالية، عن المستقبل العربي، ٢٦١/ ٢٠٠٠، ص ١٥٥.

(٢) المرجع المسابق ص١٥٥. وانظر وليد عبد الحي: علاقة السياسة الخارجية بالتحولات الديمقراطيـة في الـوطن العربي، عن المستقبل العربي ١٦٧/ ٥/ ٢٠٠٠م، ص ٦٢.

إلا أن هـذا الخيـار (التوجـه الـديمقراطي) يبـدو بعيـداً مـداه في دول الشـرق الأوسـط لاعتبارات عدة منها: -

- النفط.

- العلاقات مع دولـة يهود المحتلة لفلسطين.

- الخوف من وجود حكومـة إسـلامية أصـولية لا تسـتطيع أن تتعامـل معهـا الولايـات المتحدة بحسب مصالحها الاستراتيجية في المنطقة.

ذلك أن الأنظمة الحالية في المنطقة تضمن لها الاستقرار الأمني وتكفيها همه فلا ضير أن تغيب الديمقراطية في هذه البلدان لما يترتب عليه من مصلحة تخدم الولايات المتحدة.

وعليه فإن تعامل الولايات المتحدة مع الديمقراطية إنما يخضع لاعتبـارات المصـالح الـتي تتجاوب معها وفي نفس الوقت بحسب النموذج الخارجي الذي يتناغم بـدوره مـع متطلبـات السوق الحرة والاقتصاد الرأسمالي.

ومن هنـا يتضـح ذلـك التنـاقض الـذي ذكرتـه آنفـاً مـع مختلـف البلـدان وإن لم تلتـزم الديمقراطية كمنهاج، ففي النهاية المصلحة العليا والاستراتيجية للولايـات المتحـدة هـي الـتي تحدد التعامل مع الدول بشكل عام.

وهناك مثالان يوضحان تناقض الولايات المتحدة الأمريكية في مواقفها تجاه الديمقراطية.

الأول في تشيلي وإيران في عهد سلفادور الليندي ومصدق ودعمها للدكتاتورية هناك.

الثاني في الجزائر وتقويضها للديمقراطية ودعـم الدولـة في إقصـاء الإسـلاميين وانتهـاك حقوق الإنسان في شخوصهم وإعلان الحرب عليهم.

إذا المصلحة التي ستحقق في أي منطقة في العالم هي الأصل وما عداها شعارات جوفـاء وزخرف من القول وغرور[1].

---

(١) انظر عامر فياض: الإطار النظري الديمقراطيـة الليبراليـة، ثـم السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة، عـن المسـتقبل العربي، ٢٦١/ ٢٠٠٠، ص١٥٩.

حقوق الأقليات:

لم تكن الغاية الحقيقية وراء رفع هذا الشعار غاية إنسانية أو أخلاقية، عندما ظهر في منتصف القرن التاسع عشر وإنما كان وراءه هدف سياسي واضح، وهو إيجاد المبرر الشرعي للتدخل السافر في شؤون الدول المستضعفة وقد كانت الخلافة العثمانية مسرحا لمثل هذه التدخلات.

كما كانت أمريكا الوسطى والبحر الكاريبى مسرحاً آخر لها [١].

واعتبر حق تقرير المصير ركيزة هامة من ركائز المجتمع الدولي، وكانت مدخلاً خطيراً لتمزيق الخلافة العثمانية، والإمبراطورية النمساوية، وغيرها من الدول التي كانت تتمتع بسيادة ورقعة جغرافية واسعة، وتضم جنسيات وأعراق مختلفة، كانت تعيش بوئام وسلام.

فمزقت هذا التكتلات الواسعة، تحت دعوى حق تقرير المصير للأقليات القومية والدينية واللغوية.

ولم تكن مواثيق عصبة الأمم تتضمن بنودها مثل هذا الحق عند نشأتها[٢] ولكن أدخل فيما بعد بأيدي ماكرة، تهدف من ورائه إلى تمزيق الشعوب وانتهاك سيادة الدول.

ثم أقرت هذه الحقوق في ميثاق منظمة الأمم المتحدة كحق شرعي لجميع الأمم والشعوب صغيرها وكبيرها ورجالها ونسائها فقد جاء في ديباجة الإعلان لحقوق الإنسان بالنص الصريح «ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح» [٣].

وفي الحقيقة أوجد هذا الأمر مداخل فضفاضة، وأبواباً واسعة للغرب وقادة العولمة للتدخل في شؤون الدول الإسلامية خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد القطب الواحد في الميدان العالمي سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وعسكرياً من باب الاستجابة

---

(١) انظر محمد السماك / موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد دار النفائس ط١ ١٩٩٥م صـ٢٠٣.

(٢) المرجع نفسه، صـ٢٠٤.

(٣) انظر الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان الصادرة عن الأمم المتحدة، نيويورك صـ٧ ١٩٩٥م.

لطلب ما من إحدى الأقليات في هذه الدول، أو من باب فرض الوصاية عليها، أو استغلالها لمهام اقتصادية وسياسية، يمكن أن تقوم بها، أو من باب تحرير الأقليات من ربقة الحكم الدكتاتوري، وإنصافها في استخراج حقها المغتصب، وإرساء نظام العدالة وترسيخ مبدأ الديمقراطية وحق المواطنة.

الأمر الذى جعل الوطن الإسلامي - يحكم شرعته المتسامحة مع الأقليات - وعدم التمييز بينها وبين المسلمين في كثير من الأمور مسرحاً تغدو وتروح فيه هذه الدعوات وتعلو أصواتها، فوجدت قوى العولمة الفرصة السانحة للانقضاض على هذه الشعوب واستعمارها من جديد بحجة الاندماج، والسوق الحرة، وحرية اندماج الأسواق وترسيخ مبدأ الديمقراطية وغيرها من الدعوات.

فانفجر بركان من الصراعات الأثنية وانبعثت مناطق الصراع، وأثيرت مفاصل التفكك من جديد مع أنها كانت نائمة هادئة مستقرة حيناً من الدهر.

ولكن تأبى القيادة الخبيثة والمتسترة للعولمة إلا أن تحيي هذه الصراعات وتقلق الشعوب في مضاجعها نشراً للفساد في الأرض، وإشعالاً لنارِ الفتن والحروب.

وصدق الله العظيم حيث وصفهم في القرآن العظيم بذلك.

{كلما أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّــهُ لاَ يُحِــبُّ الْمُفْسِدِينَ} [١].

كانت النتيجة كوارث إنسانية وحمامات من الدماء لا تنقطع، وبحسب محمد السماك - لا ندري كيف يمكن أن نتصور الأمم المتحدة عندما تضم إليها عشرات من هذه الدول المشحونة بالعداء العنصري والمتفجرة بالحقد الإثني [٢].

تحاول قوى العولمة أن تتدخل وتفرض وصايتها على الدول الإسلامية في كل أمرٍ من أمورها ففي الجانب الإداري مثلاً تترنم وتتشدق هذه القوى برفع شعاراتٍ عدة منها حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، والديمقراطية، والمواطنة، وحرية المرأة، وحقوقها، وغيرها من الشعارات التي أصبحت تتردد إلى المسامع صباح مساء، كأنها (أذكار العولمة)وغدت معياراً

---

(١) (المائدة: ٦٤)

(٢) انظر محمد السماك، المرجع السابق، صـ٢٤٤.

لمعرفة مدى التزام دولة ما بهذه المبادئ، لرفع شعار العدل والإنصاف وحماية حقوق الإنسان وحقوق المواطنين وحقوق الأقليات، بل وإشراكهم في سياسة الدولة واقتصادها وفي إدارة شؤونها للأخذ معاً بدفة المجتمع.

وفي هذا دلالة واضحة من وجهة نظر قادة العولمة على وعي هذه الدولة حكومة وشعباً.

ومن أكثر الشعارات التي تُلوح بها قوى العولمة باعتبارها راعية النظام العالمي الجديد، نظام الديمقراطية، والتعددية السياسية، والتداول السلمي للسلطة، كحقوق مُسلّمة ينبغي أن تسير عليها حكومات الدول في العالم كله، ودينٍ جديد يدعو إليه النظام العالمي الجديد.

الحقوق شماعة يعلق عليها الغرب سياسته:

والحقيقة التي لم تعد تخفى على أحد، أن هذه الشماعة شماعة (الحقوق بشكل عام)، إنما هي مدخل خسيس للأمم المستكبرة، وعلى رأسها قائدة العولمة (الولايات المتحدة الأمريكية)، للتدخل في شؤون الدول الأخرى.

ولقد انبثقت المؤتمرات الدولية التي عُقدت تحت مظلة الأمم المتحدة عن توصيات ثم قرارات، فمواثيق واتفاقيات، تم إلزام كل دولة عضوٍ في الأمم المتحدة تطبيق هذه المواثيق والاتفاقيات، والعمل بموجبها لمعالجة مسألة الحقوق والديمقراطية وغيرها من المسائل التي تطرحها الأمم المتحدة في مؤتمراتها، خاصة بعد الظروف التي مر بها العالم أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ولم تكن بعض المجتمعات الإسلامية بمنأى عن هذه القوانين والمواثيق، حيث إن حكوماتها في الأصل موقعة على مواثيق الأمم المتحدة باعتبارها من أعضائها.

وهذا في الحقيقة اعتداءٌ على خصوصيات وثقافات هذه المجتمعات، وإقصاءٌ لدينها مع أنه أعز وأمنع من أن يستمد قوانين وقرارات من أممٍ كافرة لا تعترف بها كتشريعٍ سماوي ونظام يستمدُ سلطانه من الله، وهو الذي حفظ للناس كل الناس حقوقهم وحرياتهم في شتى ضروب الحياة، من غير نقصٍ أو ثلمٍ، ومن غير استعلاء أو تكبر.

قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١).

ويأتي هذا التشريع في الذروة من حيث الرونق والبهاء والشفافية والوضوح، ولا أصدق من التاريخ فهو خير دليل على تلك المسيرة الناصعة والصفحة البيضاء في جبين الزمن. ولم يحفظ أحد للناس حقوقهم مثلما حفظها الإسلام، وهو الدين الوحيد الذي يحترم الحقوق كاملة، غير منقوصة، وإن من أبرز سمات هذه الحقوق في الإسلام أنها مبنية أولاً على أن السيادة والحاكمية لله عز وجل(٢) قال تعالى:**{إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِين}** (٣).

إن كثيراً من قوانين حقوق الإنسان التي تنادي بها قوى العولمة تتنافى مع ديننا الحنيف، وتتعارض مع شرعنا الرباني المطهر.. لأن معظم مواده تستند إلى المنظور الغربي العلماني، ذلك أن صياغة هذه المواد كانت نتيجة تواجد أكبر وأعظم للجهات الغربية والعلمانية، بل لم تحظ الجهات الإسلامية بأي حضور، ومن هنا فإن هذه المواد لم تعر للدين اهتماماً، ولم تلتفت للأخلاق والأعراف والعادات، والتقاليد في المجتمعات الإسلامية، بل كانت سماتها الواضحة المنظور العلماني الغالب.

والجدير بالذكر معرفة أن صياغة هذه المواد جاء متزامنا مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٩٤٨م حيث كانت معظم بلدان العالم الإسلامي ترزح تحت الاستعمار الغاشم الذي لم يرع حقوق الإنسان في هذه الدول.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وموقفه من الأديان:

ومما نادت به هذه المواد، احترام حقوق الأقليات، وأجازت احترام تغيير الأديان والمعتقدات، وأجازت أيضاً حرية إظهار هذه المعتقدات مهما كانت، وحرية إظهار هذه الأفكار مهما وصلت إليه من انحراف وشذوذ، وفي هذا مخالفة صريحة للدين الإسلامي الحنيف.

ولم تكتفِ قوى العولمة بذلك، بل هددت بأن من يعترض عليها فهو مخالف لتلك

---

(١) (الأنبياء: ١٠٧)

(٢) انظر محمود بن محمد المختار الشنقيطي، حقوق الشريعة بين الإنسان والقانون، عن البيان، العدد (١٦٥) ص٤٥، وانظر أ. د محمد يحيى: حقوق الإنسان والخدعة الجديدة، عن البيان، العدد (١٦٥)، ص٦٢، ٦٣.

(٣) (الأنعام: ٥٧)

الاتفاقيات والقرارات التي صدرت بهذا الشأن وهو بهذا يكون انتهاكاً لحقوق الإنسان، وبالتالي يمكن أن يخضع للعقوبات السياسية والاقتصادية والحضارية.. فهي في الحقيقة سلب لإرادة الشعوب، بل اغتصاب لمطلق الحاكمية لله، وإيذاناً بأن المرجعية الوحيدة والهيمنة ينبغي أن تكون للأمم المتحدة ومنظماتها، وإن الدين بدل أن يكون لله يجب أن يكون للأمم المتحدة أو القوى العولمية [١]!!!.

حقوق المرأة:

وفي هذا الشأن تتخذ المنظمات النسائية الغربية ذات التوجه العلماني من الأمم المتحدة غطاءً لها في سعيها لفرض منظومتها الإباحية على العالم.

وتتخذ قوى العولمة أيضاً من شعار الحقوق كما أسلفت سابقاً غطاءً لها كذريعة للتدخل في شؤون الدول الإسلامية والعربية على وجه الخصوص، ودول العالم الثالث بوجه عام، ولقد شكلت الأمم المتحدة لجنة لهذا الغرض، مثل لجنة(السيداو) [٢]، حيث إن أغلب أعضائها من ممثلي الدول الغربية، مهمتها الرئيسة الوحيدة مراجعة ما تم إنجازه من خلال المؤتمرات الدولية، التي تعقد كما سلف تحت رعاية مظلة الأمم المتحدة [٣].

ومن خلال هذه اللجان تفرض المفاهيم الغربية الخاصة بحقوق المرأة على بقية دول العالم، كما ينظر إليها الغرب، وكما يطرحها مهندسو النظام العالمي الجديد قادة العولمة.

ومن المفاهيم التي ينظر إليها على أنها حق من حقوق المرأة، حق المساواة بينها وبين الرجل، وضرورة تغيير دساتير الدول الوطنية وتشريعاتها لتتلاءم مع هذا الحق واتخاذ التدابير المناسبة، حتى وإن كان ذلك يؤدي إلى تعديل، أو إلغاء القوانين والأنظمة، والأعراف، والقيم، والمبادئ الثابتة النابعة من الدين، في تلك الدول حتى تقضي كما يقولون على أي تمييز ضد المرأة، بما في ذلك كافة الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والعلاقات الأسرية.

---

(١) انظر علاء الدين صبحي حقوق الإنسان في المنظور الغربي البيان ١٦٥ صـ٥٧ وما بعدها.
(٢) ومن أبرز مهام هذه اللجنة القضاء على جميع أشكال العنف والتمييز ضد المرأة.
(٣) علي عليوة: حقوق المرأة والطفل الحقيقة والأوعاد، البيان (١٦٥)، ص ٥٢ وما بعدها

ويعد هذا الأمر تدخلاً سافراً في سيادة الدولة، المنوط بها هذا التغيير على قوانينها ودساتيرها، وإن كان هذا الأمر سيمرر عبر الجهات الرسمية الحكومية، فإنه مرفوض شرعاً وعقلاً من قبل المجتمعات الإسلامية شعوباً وقبائل، لمخالفته للدين والقيم والعادات وحريات الشعوب المختلفة.

أمريكا ومحاربة الأسرة المسلمة:

ومن أجل النفوذ إلى المجتمعات الإسلامية حتى يسهل ضربها من الداخل بأيدي أبنائها، وفي صميم ثقافتها ومبادئها وعقائدها، بل لمحاربتها في دينها وتكريس المفاهيم الغربية الأمريكية (مفاهيم العولمة) حول الدين والأخلاق والقيم رصدت الإدارة الأمريكية لحملتها الثقافية التي تطمح إليها في الوطن الإسلامي (١٩٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) $ دولار من خلال مؤسسات المجتمع المدني [١] التي تروج له باعتبارها راعية الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات وحقوق المرأة، هي صورة من الصورة المتقدمة في العمل الاستخباراتي المباشر في صورة دراسات اجتماعية، وتقارير مدنية لدعم هيمنتها السياسية والاقتصادية، وترويج مفاهيم العولمة وترسيخها.

والجدير بالذكر أن هذه المؤسسات قد انتشرت في المجتمعات الإسلامية من منتصف الثمانينات، وتعالت صيحاتها أكثر في منتصف التسعينات، واتسعت رقعتها بعد ذلك خاصة في البلاد المتخلفة التي تعيش في مستوى متدني من الفقر كاليمن، على سبيل المثال، إن قوى العولمة تنفق بسخاء لمحاربة القيم الدينية والأخلاق الفاضلة، وطرح مفاهيمها المغلفة، بالطرح الإنساني، ولكنها في الحقيقة تحاول أن تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتروج من خلال هذه الجمعيات لمفاهيم الديمقراطية التي يفهمونها هم وحسب تصوراتهم، ولكن!**{فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ}** [٢].

تتسابق المؤسسات التي تهتم بموضوع المرأة والديمقراطية لتنفق الأموال بسخاء منقطع النظير، أليس هذا يدعو إلى التساؤل؟ وإلى طرح العديد من الأسئلة؟

---

(١) مجموعة من المشاركين والمشاركات بعنوان: التمويل الأجنبي لمؤسسات المرأة والطفولة، عن مجلة الشقائق الإماراتية، مجلة شهرية جامعة، العدد (٦٧) محرم ١٤٢٤هـ، ص ١٢، ١٣.

(٢) (الأنفال: ٣٦).

لماذا كل هذه النفقات؟ لماذا تزامن ظهور اللجان النسوية، والمراكز النسائية، مع ظهور مفهوم مؤسسات المجتمع المدني؟

ولماذا تصاعد النشاط الدولي في مجالات المرأة والأسرة؟ ولماذا ارتبط ذلك النشاط بالمؤتمرات الدولية التي تسعى جاهدة لتنميط العالم، وخاصة العالم الإسلامي؟ وتغيير منظومته الثقافية والاجتماعية المستمدة مفاهيمها من الدين الإسلامي الحنيف.

لقد تضمنت المؤتمرات الدولية المنعقدة تحت رعاية الأمم المتحدة وكنفها تحولات كبيرة في الأبعاد والقيم والمفاهيم الثقافية والاجتماعية للمرأة، وإخراجها من نمطها القديم، وركزت هذه المؤتمرات على مسألة مساواة المرأة بالرجل والقضاء على جميع أشكال التمييز والعنف، وإشراكها في التنمية الاقتصادية الاجتماعية والسياسية، والدفع بها إلى أماكن القرار ومفاصل الدولة.

ولتحقيق هذا الغرض بدأت بمرحلة أولى، وهي إيجاد منظمات ومؤسسات مدنية تختص بقضايا المرأة، وتشجيعها على العمل، وإخراجها من بيتها، لتعمل جنباً إلى جنب مع الرجل. والإيعاز لها بأن لها حقوقاً مدنية واقتصادية وسياسية واجتماعية و... وينبغي لها أن تخرج لتأخذها وتسعى لتحقيقها. فأنشئت هذه اللجان بقرارات وزارية، وقوانين دستورية، سمحت لها بأن ترتبط بالأجنبي، وتأخذ تمويلاً أجنبياً، على شكل مساعدات سخية، وعلى أن تكتب التقارير الشهرية والسنوية عن سير العمل، وعن مدى إشراك المرأة في الجانب الحكومي (الحق السياسي للمرأة). وعليها تستمر التحويلات ما استمرت التقارير!!

أليس هذا يدعو إلى التساؤل؟! أليس هذا يجري بمباركة الأنظمة الحاكمة، باسم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة وغيرها من الحقوق؟!

والحقيقة أن هذا كله امتداد للاستعمار الفكري القديم الذي يتستر بستار الجمعيات الخيرية الخدمية، والطبية، ومؤسسات التبشير [(١)]، بعد هزيمة الصليب، وطرد الاستعمار من بلاد المسلمين.

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٤.

حقوق الإنسان وذريعة التدخل الأمريكي

يستحسن تصدير هذا المطلب بمادة من مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بمادة من مواد الدستور الأمريكي ضمن وثيقته التأريخية لمدى ارتباطها بمسألة حقوق الإنسان.

فقد جاء إعلان الدستور الأمريكي ضمن وثيقة (فرجينيا) وإعلان الحقوق الإنسانية الذي أعلنته الثورة الفرنسية بمثابة الأساس للإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أعلنته الأمم المتحدة، حيث يقول في مادته الأولى: «يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء [١]».

وجاء في وثيقة الدستور الأمريكي: " إن جميع البشر خلقوا متساوين، وأن خالقهم حباهم بحقوق معينة غير قابلة للإسقاط أو التنازل عنها من بينها: حق الحياة، والحرية، وطلب السعادة "[٢].

فهل لا يزال هذا الكلام بمصداقيته من أن البشر خلقوا متساوين في حق الحياة والحرية... أم أن هذا الكلام حبر على ورق وذر رماد للعيون ولا ينطبق إلا على شعوب بعينها دون الأخرى، وعلى البشرة البيضاء دون بقية الألوان.

هل هناك شعب اصطفاه الخالق سبحانه ليعتلي البشر ويستعبدهم ويسترقهم ويستذلهم؟ هل هناك أمة لها ميزة خاصة بين الأمم، ويجب أن تبعد من دون الله من بين سائر الأمم؟.

إنّ هذا ما يبدو من واقع تطبيق الغرب أو الشرق لمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ونتيجة للتطور المذهل في العلم ومن خلال ثورة الاتصالات واختصار مسافة الزمن وتملك الإنسان لمقدرات مجاله الحيوي، فقد أصبحت العولمة تخطو خطوات متسارعة ونحو تخطي الحدود ونحو التعامل مع الآخرين دون اعتداد بهذه الحدود، ودون اعتبار للسياسة، أو الانتماء إلى وطن، ودون الحاجة إلى تعامل مع الحكومات ومن هنا فقد أصبحت كثير من القضايا معدودة ضمن القانون الدولي، ولم تعد الانتهاكات الجسيمة التي تحدث لحقوق الإنسان في أي مكان من العالم شأناً داخلياً، بل أصبحت تدخل ضمن

---

(١) انظر الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان التي فيها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٥م، ص ٧.

(٢) انظر حسن قطامش، عولمة أم أمركة، ص١٤، (مرجع سابق).

اهتمامات المجتمع الدولي وتتطلب حلولاً دولية وإن كانت معايير هذا التدخل ما زالت تثير الكثير من الجدل [١].

لقد تم تفسير وتمثيل وتبرير وتمرير الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في أروقة الأمم المتحدة (القوية) على ما يوافق النظام الرأسمالي المهيمن، وبما يخدم النظام العالمي الجديد والذي عمل بكل ما أتيح له، ليكون قائداً لهذا النظام، فاستطاع أن يبلور هذا الإعلان لصالحه، ولما يخدم مكانته السلطوية العلوية المهيمنة، فاعتبرت الملكية الحد الأدنى للنزعة الإنسانية البرجوازية، حيث تعني تأكيد حق الإنسان في الملكية ضد عبودية الإقطاع، باسم الفردية، واعتبرت حرية التفكير بمثابة إعلان التمرد الواضح والحرب العلنية على الكنيسة، واعتبرت إرادة الإنسان الحرة بمثابة إعلان السيادة التامة على قوى الطبيعة [٢].

ولأن هذا الإعلان تم في بيئة غير بيئة الإسلام وغير بيئة العرب، فقد جاء لإنقاذ الغربيين مما غرقوا فيه من ظلامية وجهل واستبداد واستعباد وفي الحقيقة، لم يكن للمسلمين أو العرب أي ارتباط بهذا الإعلان.

وعلى الرغم من هذا كله، وتأثره بالفلسفات القديمة والتي ظهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر حول الفرد المستقل وعن حقوقه الطبيعية.

وعلى الرغم من تأثره عامة بالمفاهيم الغربية، إلا أنه حد من نزعة الغلو للنظرة الفردية، بمحاولة إيجاد توازن بإدخال بعض الحقوق الجماعية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية،

والتي ظهرت فيما بعد من خلال المواثيق والعهود التي صيغت على أساس هذا الإعلان، لكن الذي يحق العجب منه هو أنه بعد صدور هذا الإعلان، استمرت النظرة

---

(١) انظر أ. محمد فالق، حقوق الإنسان في عصر العولمة، رؤية عربية، برلين، ٢٤ مارس ٢٠٠٠م، ود. جميل قاسم: حق التدخل الباطل، عن مجلة الشاهد، العدد (١٨٤)، ص ٥٦، ويلخص الدكتور جميل قاسم: ذرائع التدخل الباطل بالنقاط التالية:
- معاقبة المعتدي - إغاثة المعتدى عليه - المساعدات الإنسانية، أو الديتموافية - تحرير الشعوب من ربقة الحكم الديكتاتوري - وغيرها من الأوهام الكاذبة، والخطابات المنسوجة من وحي الخيال أو من وحي الغطرسة والهيمنة والاستكبار - انظر المرجع نفسه، ص ٥٥، ٥٦.

(٢) انظر نفس هذا المعنى عند محمد فائق، حقوق الإنسان بين الخصوصية والعالمية، عن المستقبل العربي (٢٤٥) ١٩٩٧م، ص ٦، ٧.

الغربية متجسدة في تضخيم الحقوق الفردية وتقديمها على الحقوق الجماعية سواءً ما يتعلق منها بحق المجتمع أو بحقوق الشعوب، كما قدمت الحقوق السياسية والمدنية على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية وكلا العهدين ينصان بصراحة على أحقية الشعوب في تقرير مصيرها.

حقوق الإنسان وازدواجية الغير:

ومع أن هذين العهدين يقفان ضد مصالح الدول الاستعمارية إلاّ أنهما صدرا، ولم يطبقا بحذافيرهما بل استخدمت النظارة السوداء في حق بعض الشعوب وخاصة الإسلامية منها والعربية. ومن ثم فقد اتضحت ازدواجية المعايير في حالات تصدي الولايات المتحدة الأمريكية لمخالفة الحكومات، والاعتبارات الديمقراطية، أو قواعد حقوق الإنسان حيث تتغاضى عن مخالفات الدول التي تربطها مصالح استراتيجية وأبرزها إسرائيل والشعب الفلسطيني الذي لم ينل حقه إلى اليوم في تقرير المصير [1]. والموقف نفسه في الجنوب الأفريقي، ولا تزال شعوب ودول ترزح تحت الاحتلال وجمهوريات بكاملها ترزح إلى اليوم تحت الاحتلال الروسي (الاتحاد السوفيتي سابقاً)!!.

ومع كل هذا الاحتفاء والافتخار بهذه المواثيق والعهود التي ظاهرها الرحمة من حيث حقوق الإنسان أياً كان هذا الإنسان: ولكن باطنها العذاب عندما يكون المنتهك لحقوق الإنسان في نظرهم، ونظارتهم السوداء وتصورهم الأعوج من يمثل دولة ضعيفة خاصة إسلامية أو عربية.

إلا أن ارتباط الأمم المتحدة بالسياسة الأمريكية والمصالح العليا لها وللدول المهيمنة والقوية وجعل من حق هذه الدول التدخل في شؤون غيرها رعاية لمصالحها القومية وحفاظاً عليها، ولأن مبادئ العولمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأمركة فإن للعولمة رسالة خاصة، يراد لها أن تعممه في شتى بقاع الأرض، ولا يمكن ذلك إلا من خلال فرض أمور عدة على شعوب العالم منها حقوق المواطنة العالمية ومسألة الديمقراطية والتعددية الحزبية، ومسألة الاضطهاد الديني!! الذي تتعمد راعية العولمة أن ذكره بين الحين والآخر!!.

---

(١) د. جميل القاسم: حق الدخل الباطل، المرجع السابق، وانظر السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث، ص ٦٧، مرجع سابق.

ولأن الولايات المتحدة تعتبر نفسها أقوى قوة في العالم ولها الحق في نظرها بأن تقوم بالدور الريادي الأخلاقي الكوني، فهي حاضنة الديمقراطية والمدافعة عن حقوق الإنسان وهي المدافعة عن حقوق الأقليات والتي تعيش في جميع بقاع العالم [١].

أمريكا تنصب نفسها مراقباً عالمياً:

من هنا فقد نصبت نفسها مراقباً عاماً لكل هذه الأمور في العالم أجمع، ولم يفتها أن تهيمن بفعل قوتها وقدرتها العسكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية على مجلس الأمن، كذلك، ليتسنى لها إصدار القوانين باسم الشرعية الدولية، التي تسمح لها بالتدخل في شؤون أية دولة، بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان المتمثلة كما سلف - بالديمقراطية والحرية والاضطهاد الديني وحقوق الأقليات في العيش الكريم وطلب السعادة وغيرها مما تتشرف به من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام [٢].

ومن بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى اليوم تعتبر الولايات المتحدة نفسها أنها صاحبة الصدارة في كل شيء، ولها الحق الكامل في الوصاية على العالم لأنها منفردة من حيث التفوق العسكري، وهي زعيمة الاقتصاد العالمي، وهي التي تمسك بزمام السياسة العالمية، وهي التي فجرت الثورة التكنولوجية(ثورة المعلومات والاتصالات)، وهي التي تقود الثورة الصناعية في كل مجال، لهذا كله فهي ترى أن لها الحق في التدخل في شؤون أية دولة في العالم، بما يحقق لها مصالحها القوية ويحفظ لها أمنها، وترى أيضاً أنه ليس لأحد، ولا لجهة، ولا لدولة، ولا لثقافة، ولا لحضارة أخرى، أن تنافسها في الزعامة أبداً لأنها بلغت الذروة العليا في كل أمر من الأمور الحياتية وينبغي للعالم أجمع أن يأخذ بقيمها وثقافتها وحضارتها، وعلى العالم أن يتقبل ذلك بالرغبة أو يستقبل ذلك بالقوة الباطشة والذراع الطويل الذي لا يخطئه أحد أينما كان وفي أي بقعة من بقاع الأرض، ومصداقاً لذلك: -

---

(١) انظر السيد ياسين، العولمة والطريق الثالث، ص ٦٥، ٦٦، ٦٧، مرجع سابق.
(٢) السيد ياسين، العولمة والطريق الثالث، ص ٦٦.

فهذا جورج بوش الأب يؤكد على بدء مرحلة جديدة تعقب الحرب الباردة فيما يتعلق بالسلام والأمن والتجارة والتنمية وحقوق الإنسان والأقليات حيث يصرح بالحرف الواضح: ليس للولايات المتحدة النية أن تفرض حلفاً أمريكانياً ولن سنظل ملتزمين، ولن ننسحب ونتقوقع في الانعزالية، نحن نقترح الصداقة والقيادة (١).

ولا يكتفي بهذا بل يلوح باستخدام القوة والعصا الغليظة من أجل قيادة العالم فيقول: لكي تمارس الولايات المتحدة دوراً قيادياً عليها أن تكون قوية، فقيادتنا الدولية وقوتنا الوطنية متكافلتان (٢).

وهذا (ألبرت بيفريدج) ممثل ولاية أنديانا في مجلس الشيوخ الأمريكي يلقي خطاباً في مجلس ولايته متحدثاً بكل صلف وكبر وغرور قائلاً: «إن الله لم يهيئ الشعوب الناطقة بالإنجليزية لكي تتأمل نفسها بكسل ودون طائل، لقد جعل الله منا أساتذة العالم!! كي نتمكن من نشر النظام حيث تكون الفوضى، وجعلنا جديرين بالحكم لكي نتمكن من إدارة الشعوب البربرية الهرمة، وبدون هذه القوة سيحكم العالم مرة أخرى البربرية والظلام، وقد اختار الله الشعب الأمريكي دون سائر الأجناس كشعب مختار!! يقود العالم أخيراً إلى تجديد ذاته (٣).

وأما الرئيس الأسبق (دراميت إيزنهاور) فقد خاطب أمته عام ١٩٥٣م، قائلاً: «لمواجهة تحديات عصرنا حمل القدر بلدنا مسؤولية قيادة العالم الحر» (٤).

وهذا (وارن كريستوفر) يقول بكل غرور في نهاية ١٩٩٥: «الحقيقة بسيطة: هي أن أحداً لن يقود إذا لم نقم نحن بتولي مسؤولية القيادة، تصور شكل العالم خلال العامين الأخيرين فقط لو كانت القيادة الأمريكية غائبة» (٥)!!.

ويضيف قائلاً: «إنه ومنذ ثورة أمريكا يتطلع الناس في كل مكان نحو الولايات المتحدة التماساً للإسهام في نضالهم من أجل الحرية وحياة أفضل، وثمة أمم أخرى طالما قبلت بقيادة

(١، ٢) عن باتريك هرمان، العالم حسب بوش ميلاد النظام العالمي الجديد في القانون الدولي وسياسة المكيالين، تعريب د. أنور مغيث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص ٣٣، د. بركات محمد مراد ظاهرة العولمة، ص١٣١، ١٣٢ مرجع سابق.

(٣) انظر حسن تطامش: عولمة أم معركة، ص ٦، وانظر روجيه جارودي: أمريكا طليقة الانحطاط، ص ٢٤١، ٢٤٣.

(٤، ٢، ٣، ٤) المرجع نفسه، ص٧، ٨.

أمريكا لا لشيء إلا لأن أمتنا تمتلك إرادة مجربة، واستعداداً سبق اختياره عن شيء ما أكبر منها»[(١)].

وهذا (روزفلت) يتبجح فيقول: «إن قدرنا هو أمركة العالم تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة... وعندئذ يمكن أن تتوغلوا بعيداً»[(٢)].

وهناك أغنية أمريكية يرددها الأمريكان تعبيراً عن بلوغ الذروة في العنجهية: «والقمر أصبح أرضاً أمريكية، بلاد السوفيت أصبحت أرضاً أمريكية، والمريخ أصبح أرضاً أمريكية وعلى الأرض السلام والخراب»[(٣)].

وقد أقرت لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس النواب الأمريكي إنشاء مكتب في البيت الأبيض لمراقبة الاضطهاد الديني ومراقبة معاملة الأقليات الدينية في بلدان إسلامية وأخرى غير إسلامية، ولم يطبق القرار بحذافيره إلا في الدول الإسلامية، وتبقى المناورة بهذا القرار في غير البلاد الإسلامية بما يخدم المصالح الأمريكية.

ولقد نفذ هذا القرار في السودان ومصر وغيرهما من الدول الإسلامية، ولوح به من باب الضغط فقط على الصين، خاصة، وأنها في حلة الانطلاق الكبرى في مجال التصدير واستيراد التكنولوجيا.

إن الثورة الاتصالية الكبرى التي يشهدها العالم بقيادة أمريكا جعلت من الأحداث صغيرها وكبيرها، جليلها وعظيمها، تظهر على شاشات الفضائيات فيراها العالم كله في التو واللحظة، بما في ذلك مخالفات حقوق الإنسان، سياسية كانت أو دينية[(٤)].

ولذلك فقد أصبح الوعي الكوني بالغ الحساسية لحقوق الأقليات وأوضاع حقوق الإنسان مما أعطى الولايات المتحد كونها الأقوى في العالم أن تتدخل بين الحين والآخر في شؤون هذه الأقليات حتى ولو كان الأمر لا يعنيها إنما تحشر أنفها رغم أنوف الجميع.

وللمزيد انظر، حسن قطامش: نهاية الجغرافية، عن مجلة البيان، (١٤٩)، ص ٩٥، ٩٦.

(٣) انظر السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث ص ١٧.

(٤) انظر السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث، ص ٧١..

وأوضح مثال على ذلك تعاملها مع ثورة الطلاب المنادي بالديمقراطية في بكين وقمعهم من قبل السلطات فلم تسكت الولايات المتحدة الأمريكية بل أقامت الدنيا ولم تقعدها حتى جعلت هذه القضية ورفعتها ورقة ضغط على الصين خلال المباحثات الاستراتيجية التي جرت بينهما.

وكذلك جعلت من الأقباط في مصر ورقة ضغط على مصر ترفعها حين جعلت مصر من الدول التي تمارس الاضطهاد الديني بالرغم من أنها لم تجد أية نقطة ضعف في معاملتهم كأقلية بين الشعب المصري [(١)].

وهذه فقط أمثلة، وإلا فإن الولايات المتحدة قد نصبت نفسها بهذه الذريعة القائد الأعلى للعالم، والوصي الأول وجعلت من حقها التدخل في شؤون أي دولة لا تهتم بحقوق الإنسان بغض النظر عن الدين الذي تدين به الدولة والثقافة والحضارة والقيم والسلوك فالمهم حقوق المواطنة، وتحاول أن تجد الثغرات والنعرات حتى ولو لم تكن موجودة ولا من يفكر بها، وهذه أعجوبة وأضحوكة وألعوبة من ألاعيب العولمة الأمريكية الجديدة (القديمة) باسم التشدق بصيانة ورعاية والدفاع عن حقوق الإنسان، فسياسة أمريكا واضحة جداً في الكيل بمكيالين.

فهي تتصدى لمخالفات الدول التي لا تربطها بها مصالح اقتصادية أو سياسية أو تجارية خاصة الدول الإسلامية أو العربية الضعيفة، ولكنها تغض الطرف عن مخالفات الحكومات والدول التي تربطها بها مصالح استراتيجية... [(٢)].

وهكذا يمكن أن يسير هذا المنهج ضد أي دولة لا تحقق مصالحهم، فتتهم بانتهاك حقوق الإنسان سواء عندما لا تستجيب الدولة المتهمة في تطبيق الديمقراطية أو حقوق الأقلية أو حقوق المرأة مثلما برزت هذه الدعوة ضد أفغانستان وارتفعت أوراق الضغط ضدها مرة باسم المرأة، ومرة باسم انتهاك حقوق الحضارات السابقة والاعتداء عليها... وهلم جرا، من هذه الادعاءات الباطلة [(٣)]. والنظام الدولي القائم حالياً ليس نظاماً

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٢.

(٢) انظر المهندس ناصر عبده دحان، أساليب السياسة الأمريكية لتغيير الأنظمة، عن مجلة المنتدى اليمنية، العدد (٧١)، ص٢٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٢.

ديمقراطياً، ذلك أنه لا توجد إلا فيه دولة واحدة وهي الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تفرض قوانينها وثقافتها على العالم أجمع، ومن هنا ظهرت معايير الازدواجية والانتقائية في مواجهة قضايا حقوق الإنسان، أو القضايا البيئية، والإنسانية الشاملة، ويظهر ذلك بوضوح في سياسة الولايات المتحدة ضد العراق والشعب العراقي المحاصر والذي يهدد كل يوم ويقمع كل يوم بل هو يعرض للإبادة بحجة واهية وهي أنه يملك أسلحة الدمار الشامل وهو اتهام باطل ثبت بطلانه من خلال مفتشي الأمم المتحدة وتقريراتهم، إنما بيت القصيد هو (النفط والمخزون الوافي) والاستيلاء على نفط الخليج بشكل سافر بحجة حماية الكويت أو غيرها والواقع خير دليل على ذلك [(١)] ومن هنا فقد كان استخدام الولايات المتحدة لسياسة التدخل بحجة حماية حقوق الإنسان بشكل يسيء للإنسانية لما في سياستها من تعسف وتعنت واستهانة واستكبار وعلو وفساد في مسلكها كدولة عظمى فهي تخرج على القانون الدولي والمواثيق الدولية متى شاءت في سبيل صيانة حقوقها ومصالحها القومية [(٢)].

تعميق المنهج الغربي في إدارة الحكم:

إن من أخطر الأضرار على الدول هو أن تنتهك سيادتها، تنتقص استقلاليتها، وتجرد من مقومات تمتعها بالاستقلال التي نالتها أثناء حروب الاستقلال، ويبدو الأمر جلياً حين تفقد الدولة سيطرتها على مواردها وتتخلى نسبياً عن أدوارها الاقتصادية والاجتماعية بل وحتى السياسية تاركة القيام بهذه المهمة على أكمل وجه للشركات متعددة الجنسيات [(٣)].
فلم تعد الدولة ذات سيادة وشرعية تامة إلا على نطاق مواطنيها من حيث حصرهم وتعدادهم وعدم السماح لهم بالهجرة إلا عن طريق جوازات السفر، وتأشيرات الدخول والخروج، والإقامة والبطاقات الشخصية فهي على هذا شرعية محددة ومحدودة[(٤)].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢
(٢) انظر أ. محمد فائق، حقوق الإنسان في عصر العولمة..
(٣) انظر عادل عبد الحميد العولمة وآثارها على دول العالم الثالث عن مجلة الثوابت العدد ١٩ مارس ١ - ٣/ ٢٠٠٠م، ص٩٢.
(٤) انظر بول هرست جراهام طومبسون، ترجمة د. فالح عبد الجبار، ما العولمة العدد (٢٧٣) سلسلة عالم المعرفة، ص٣٨٠.

الدول القومية في العالم الثالث والنظام العولمي:

فقد تحولت الدول القومية إلى سلطات محلية للنظام الكوني، ولم يعد بمقدورها أن تؤثر بصورة مستقلة على النشاط الاقتصادي أو العمالة داخل حدود أراضيها، فذلك يتحدد بما تمليه خيارات رأس المال العالمي طليق الحركة، وأن وظيفة الدولة القومية باتت شبيهة بوظيفة البلديات داخل الدول قبلئذ، فعليها أن تقوم الهياكل الارتكازية والسلع العامة التي تحتاجها الشركات بأدنى تكلفة ممكنة حيث تقوم هذه الشركات بتوزيع عوامل الإنتاج بحيث يحقق لها أعظم منفعة عبر نظام التجارة الحرة العالمي خاصة في بلدان العالم الثالث، وأصبح العمل السياسي لدى الدول مجرد تقديم خدمات عادية، وبدأ يتخلى عن العمل على المستوى القومي المتعلق بالحرب والدفاع والإدارة الاقتصادية والإصلاح الاجتماعي، وتعمل قوى العولمة الآن على تنشيط الإدارة الاقتصادية والاجتماعية عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات لتخلى الدولة شيئاً فشيئاً عن مهامها في هذين الجانبين ولتفسح المجال للقوى الخارجية لتوجيه إدارة الدولة في الاقتصاد والسماح للاستثمار الأجنبي التمتع بكامل الصلاحيات في البلد لضمان نجاح مشروعاته الاستثمارية وبالطبع يكون التركيز على المواد التي تدر الربح الكثير خاصة في الجانب الاستهلاكي [١]..

ونتيجة لهذا الخلل فإن الأقليات في الدولة القومية بدأت بالنشاط والسعي بجدية لتجد لنفسها مكاناً وهكذا المناطقية والتعددية الحزبية والدينية كلها تريد أن تجد لنفسها مكانة وتؤكد استقلاليتها الذاتية وكل يريد تأكيد استقلاله الذاتي دون كبير خشية من سطوة وسلطة الدولة القومية [٢].

السلاح النووى وسيلة ضغط على الدول النامية:

ومما زاد الطين بلة أن الدول الكبرى سعت من بعد الحرب العالمية الثانية وإلقاء القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناجزاكي اليابانيتين بالضغط بهذا السلاح الفتاك إلى الحد من سيادة الدول والتدخل في شؤونها بكيفية قهرية استعمارية، ونجد تأكيد هذا عند هيرست جراهام حيث يقول: [لقد انتبذت الدول النووية الكبرى " السيادة " وخلقت معاهداتها نظاماً مدنياً عالمياً لا يقتصر على الحد من الحروب، بل تعداه إلى منح الدول الكبرى

(١، ٣) انظر بول هرست، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

صلاحيات التفتيش والإشراف وإبلاغ الدول الأخرى بمواعيد المناورات العسكرية وما إلى ذلك، وهي صلاحيات تجعل من التعبئة الفعالة للحرب أمراً مستبعداً تماماً، وما على الدول الصغيرة إلا أن تقبل بحد أدنى من التدخل في شؤونها الداخلية كي تتجنب الحرب وتضمن السلام وهو تدخل ما كان يطاق قبل هذا الأوان] [(١)].

وهكذا تقوم قوى العولمة بعمل دعاية لنفسها على أنها الأقوى والأعظم والأكبر وتستخدم لذلك الإعلام المسيطر، ولم تعد تجدي القوات المسلحة في الدول القومية الصغيرة شيئاً في وجه الترسانة العظمى التي تملكها الدول النووية وهي بالتالي تشعر بأنها مهددة ولا جدوى في المقاومة، ومع ذلك فإن (الخنوع والخضوع لا يجلب السلم أبداً، ويهرف المتنبئون بأن السلم لا يمكن أن يخيم أبداً، ذلك أن الدول الصغيرة ستتحارب فيما بينها، والدول المتقدمة ستواجه خطر الإرهاب، والحركات الثورية ستواصل الصعود في الأطراف المفقرة بهيئة " جيوش شحاذين " جديدة ولكن محلية، ولسوف تعبر الحركات الثورية عن تناحرات محلية خاصة وإلى غير ذلك من التنبؤات التي تضعف الدول القومية وتسهل تعميق جذور إدارة الدول المتقدمة المتحكمة فيها [(٢)].

ولكن الباحث يرى أن هذا نوعٌ من الحرب الإعلامية، يصب في مصالح الدول الكبرى المهيمنة، ولا يعلم الغيب إلا الله ومدبر الكون ومصرفه هو الله وحده.

وهناك مسألة ينبغي التطرق إليها وهي مسألة الخصوصية وإضعاف قدرة الدول في توفير متطلبات شعوبها وتلبية حاجياتهم بسبب دخول الشركات العملاقة والمنافسة الحرة – على حد زعمهم – الأمر الذي يؤدي إلى إيجاد فجوة بين الشعوب والنظم الحاكمة وخلق أزمات حادة وقلاقل واضطرابات [(٣)].

وفي الناحية السياسية أضحت مسألة الإشراف الغربي على الديمقراطية وسيرها أثناء الانتخابات، وبذل الجهد لتمرير هذه الانتخابات ليفوز الحزب الذي سيسمح للغرب بالنفوذ المباشر في مفاصل الدول والكلام على صناديق الاقتراع والجانب الإداري مسألة مسلمة[(٤)].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٩٠.
(٢) المرجع السابق، ص٣٩١.
(٣) انظر فتحي يكن، ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص ٤١، ٤٢.
(٤) المرجع نفسه، ص ٤٢.

الأمر الذي يكرس التبعية للغرب ويعمل على تعميق النهج الغربي في الدول الضعيفة وهو ما تبتغيه رائدة العولمة التي تخفيه تحت ستار الشعارات المضللة، وبشماعات القيم الإنسانية والأخلاقية وتسخيرها لصالح المؤسسات الدولية والمنظمات العالمية لخدمة مآربها وتكريس هيمنتها.

قوى العولمة تسخر القانون الدولى لصالحها:

وكذا تعمل العولمة من أجل تسخير القانون الدولي ومؤسساته مثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن [(١)] حتى يتسنى لها التدخل السافر عن طريق هذا القانون في شؤون الدول باسم الديمقراطية وحقوق الأفراد والأقليات ومسائل البيئة، فهي تسعى لفرض هذه المفاهيم في جميع الدول وترى أن من حقها أن تعممها وأن علاقة تحضر وتطور الدول هو اهتمامها بما يدعو إليه النظام العالمي الجديد ويفرضه، فإن وجدت دول تستنكف تطبيق هذه المفاهيم في دولها فهي محل نظرة السخط والغضب من قبل النظام العالمي الجديد، ويحق له التدخل في شؤون هذه الدول وفرض ما يلزم من عقوبات ضدها إما اقتصادية أو إن استلزم الأمر فعسكرية.

فهناك حلف الشمال الأطلسي(العصا الغليظة) التي يستخدمها النظام العالمي الجديد في جاهزية تامة تنتظر فقط الأوامر وصدور القرارات من مجلس الأمن الذي يدبره مدراء النظام العالمي الجديد.

قوة العولمة وتسخير المؤسسات المالية:

ولا تقتصر قوى العولمة في تدخلها في شؤون الدول على هذا الحد بل تلجأ إلى استعمال سلاح المال والمؤسسات المالية الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) وفروعهما للتدخل في شؤون الدول الداخلية باسم الإصلاحات الهيكلية والاهتمام بالبنية التحتية والتنمية الاقتصادية والتنمية البشرية [(٢)].

---

(١) انظر د. بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، سلسلة كتاب الأمة) ٨٦) ١٤٢٢هـ، ص١٣٤.

(٢)المرجع نفسه، ص ١٣٤، ١٣٥.

فتسن القوانين المجحفة لتعميم أنماط اقتصادية محددة تخدم في النهاية شركاتها العابرة للقارات على حساب الاقتصاديات المحلية وباسم الخصخصة وتقدم هذه الشركات بنقل ملكية القطاع العام وشركاته إلى القطاع الخاص في إطار من الفلسفة الرامية إلى التقليص من إشراف الدولة القومية وهيمنتها (١).

وجاء في كتاب أمريكا طليعة الانحطاط لروجيه غارودي ما نصه: «يقول دودر ويلسن الرئيس الأمريكي السابق في مذكراته السرية وهي مذكرات يتأثر ويثير بها غيرهم من هو على شاكلتهم: (إن التجارة لا تعرف حدوداً قومية، وبما أن المنتج يحتاج إلى العالم ليصبح بأجمعه سوقه التجاري، فلا بد إذن من أن يسبقه عَلَمُ بلاده حتى يوفر له فرصة اختراق كل الأبواب المغلقة، ولا بد أن يحمي رجال الدولة الامتيازات التي يحصل عليها رجال المال حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير سيادة الأمم التي تحاول التصدي لذلك، يجب إقامة المستعمرات أو ضمها حتى لا تترك أي ركن في العالم (٢).

هذا هو دور الرأسمالية خارج حدودها، وهذا هو دور أمريكا في النظام العالمي الجديد (القديم).

* * * * *

---

(١) انظر د. القرضاوي، المسلمون والعولمة، ص ٢٦، عثمان الحيالي: العولمة والهيمنة، مجلة دراسات البيئة، العدد (٤) ١١/ ١٩٩٩م، ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) انظر د. القرضاوي، المسلمون والعولمة، ص ٥٣.

المبحث الرابع:
الأدوات الاجتماعيـــة
المطلب الأول:
المؤثرات العالمية (الإسكان والتنمية)

توطئـــة:

إن المتأمل في الساحة الدولية وفي محافلها، تتملكه الدهشة ويأخذه العجب من عقد مؤتمرات مكثفة تحت شعارات مزخرفة وبراقة باسم السلم والتنمية والمساواة وباسم القضـاء علـى العنـف ضد المرأة وباسم السكان والحد من التزايد المخيف وباسم تنظيم الأسرة وغيرها مـن الشـعارات، إنه لأمر يدعو إلى التساؤل خاصة حين نجد أن هذا الأمر لا يقتصر على الشعارات المرفوعـة، بـل تتداخل الأطروحات والمسائل حتى إنه تحشر المرأة حشراً في هذه المؤتمرات.

إنها سموم تنفث في جسد الأمة الإسلامية بصفه خاصة وفي العالم بصفة عامة كقطـرات متقطعة بسيطة في البداية، وبخطوات هادئة مقتفين بذلك سبيل الشيطان ومنهجـه في الإغـواء والخديعة وإخراج المرء عن دينه وجادته وصوابه حتى أثمر هذا المنهج ثماره الخبيثة فلم يعـد مجرد أفكار فردية وقضايا مطروحة للنقاش، ليت الأمر وقف عند هذا الحد! وانتهى لا!

إنها معركة أخذت تنحو منحى خطيراً فلم تعد محلية أو إقليمية، بل أصبحت عالميـة مـؤطرة بإطار دولي، وتحت مظلات المؤسسات التابعة لها، وخاصة الأمـم المتحـدة وأقحمـت فيهـا كافـة الدول بما فيها الدول الإسلامية وكانت بالطبع فرصة للعلمانيين الذين سرعان ما لبوا الـدعوة إلى هذه المؤتمرات أو بالأصح المؤامرات التي انعقدت في إطار قانوني دولي كمؤتمرات عالمية.

إن النظام العالمي الجديد (الرأسمالية العالمية) وهو يشـعر بـالفخر والكبريـاء والاعتـزاز حينما حقق الانتصار على المنظومة الاشتراكية اتبع منهجية فجة، وفجر قنبلته الاجتماعيـة في كل مكان بالدعوة إلى عقد المؤتمرات المجهزة بخطط ومشاريع استراتيجية تؤمن وتحقق بزعمهم – للمرأة مستقبلاً أفضل وأرقى، واستخدمت في ذلك الشعارات المظللة والمزخرفـة، ودعـت إليها الأمم ممثلة في الحكومات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية، وقد تطرق الباحـث إليهـا في مبحث البعد الاجتماعي، والمقصود هنا الكشـف عـن التـأثير السياسـي والتطبيقـي علـى المجتمعات في العالم الثالث ومنه العالم الإسلامي.

أمريكا تفرض العولمة على العالم (كدين جديد):

لقد سعت الأمم المتحدة بقيادة الغرب وعلى رأسه أمريكا إلى فرض أيدلوجية يعتنقها العالم كله كدين [١]جديد يبشر به النظام العالمي الجديد، ويفرضه بالقوة على العالم دون تروّ أو نظر إلى العوائق أو العواقب التي قد يصطدم بها في المجتمعات الأخرى من دين أو لغة أو لون أو جنس أو فكر... أو....

وتسعى الولايات المتحدة إلى أن تكون لها قوة عالمية واحدة ومرجعية كونية واحدة، وإنسان مصبوغ صبغة غربية واحدة حتى لا يكون معنى لأي حق بعد ذلك من حقوق الإنسان في التنوع والاختلاف الذي صبغ عليه وخلق معه وهو سنة كونية تسعى أمريكا إلى تغييره تحت مظلة الأمم المتحدة باستصدار التوصيات التي تؤول إلى قرارات دون التفات إلى الدين أو الثقافة أو التقاليد أو الأعراف التي هي خصيصة في كل أمة، وإذا بهذه التوصيات التي أصبحت قرارات تفاجئنا بأن الفوارق البيولوجية بين الرجل والمرأة ليست إلا نتاج تنشئة اجتماعية وأسرية وبيئية [٢].

وعلى هذا الأساس يمكن للرجل أن يقوم بدور المرأة وللمرأة أن تقوم بدور الرجل وما هما إلا نوع واحد (Gander) وليس جنس (sex) ومن ثم يمكن أن تغير شكل الأسرة، فبدلا من أن تكون رجلا وامرأة بزواج شرعى يمكن أن يمارس كل منهما حاجته بين اثنين إما ذكر وذكر أو أنثى وأنثى، وأي ذكر وأي أنثى المهم ممارسة وإشباع تلك الغريزة بأي طريق وبأسهلها ولا داعي للتعقيد فأي فكرة شيطانية اتبعتها الأمم المتحدة [٣].

إن إثارة قضايا المرأة في الدولة الإسلامية تتم بوتيرة واحدة توحي بأن محرك خيوط اللعبة واحد فدائماً ما يبدأ الحديث عن النهوض بالمرأة والرقي بمستواها التعليمي والفكري والاجتماعي وهي أول خطوة ثم تتلوها خطوات تدعوها إلى الانحلال والاختلاط والخنا والفجور ومسخ المرأة وابتذالها في السينما والمسرح والباليه والسباحة والكراتيه وصدق الله

---

(١) حسن قطامش: سيادة الدولة أم سيادة العولمة، البيان (١٤٩)، ص ٩٨.

(٢) انظر كمال حبيب عولمة المرأة قراءة في الأيدلوجية السوية الجديدة، البيان (١٥٠) صـ٣٦ وما بعدها.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٧.

العظيم القائل{**وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**}[(١) (٢)].

إنهم يريدون فرض هذا الفكر بالقوة والإلزام عبر هذه المؤتمرات، وخاصة مـؤتمر بكـين الأخير الذي عقد في ١٩٩٥م تحت عنوان المساواة والتنمية والسلم، وختمت هـذه المـؤتمرات بمؤتمر ٢٠٠٠م في أمريكا تحت نفس الشعار.

والغرض من هذه المؤتمرات فيما يظهر ضرب آخر موطن من مواطن القـوة[(٣)] في الأمـة المسلمة وعولمة المرأة المسلمة وتغيير شكل الأسرة وتفكيكها والدعوة إلى الحرية المطلقة والزج بالمرأة في أتون معركة الحياة السياسية والاجتماعية بممارسة الجديدة والبديلة التى يراد فرضها على العالم وتهدف إلى عولمة المرأة.

وتطرح هذه القضايا باعتبارها جزءاً من أجنـدة دوليـة يتسـنى بهـا الـدخول فـى طاعـة النظام العالمى الجديد. والإقرار بالالتزام بالدين السوى البديل والالتزام بالأيدلوجية الجديدة بلا خجل ولا حياء.

إنها في الحقيقة تمثل غاية الخضوع دعوة إلى تدمير الحضارة البشـرية والإنسـانية، ودعـوة إلى تقليد الأمم الغربية وقد أشرفت على الهلاك خاصة في الجانب الأخلاقى والاجتماعى.

وهذا في الحقيقة يمثل غاية الخضوع والرضوخ للقوى الدوليـة الخارجيـة، كمـا يمعـن في تدمير الأسرة وتفكيكها.

ولا تكتفى الأمم المتحدة بالمؤتمرات الرسمية بل إنها تقوم بعقد مؤتمرات فرعية مع منظمات غير رسمية تمثل المجتمع المدنى لتجعل منها قوة ضغط على حكوماتها حتى تراقـب حكوماتهـا في التزامها فيها فتمارس أساليب شيطانية مخالفة للأديان والأعراف والتقاليد مثل[(٤)] :

١ - الدعوة إلى الشـذوذ الجنسـي والحريـة الجنسـية المطلقـة بـين المـراهقين والمراهقـات والإجهاض باسم الحرية الشخصية.

---

(١) انظر ندى الصالح عن مجلة الأسرة الصادرة من مؤسسة الوقف الإسلامي هولنـدا العـدد (٧٣) صـ٩، آل مناصرة الشواذ الصليبتون والعكس، المرجع صحيفة - ١٩٩٤/ ٤/ ٢٧.U.S.A Today.

(٢) (البقرة: آية ١٦٨).

(٣) العولمة، انظر خالد أبو الفتوح.

(٤) انظر ندى الصالح: المرجع السابق، ص ٩، ١٠، وانظر كمال حبيب: المرجع السابق، ص ٤٠.

٢ – الدعوة إلى خروج المرأة من مملكتها البيتية إلى مزاحمة الناس في الطرقات والأشغال تحت شعار القضاء على الفقر والتنمية ومساواتها بالرجل والقضاء على ولايته عليها فأب أو زوج أو غيره.

٣ – الدعوة إلى تغيير قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات المتعلقة بأفراد الأسرة.

٤ – الدعوة إلى الخروج عن قوامة الزوج أو الأب أو قل الخروج عن الدين تحت شعار القضاء على العنف ضد المرأة.

٥ – الدعوة إلى حق المرأة في الفسخ وحقها في السفر وغير ذلك من دعوات شيطانية باطلة.

لماذا كل هذه الدعوات؟ وكل هذه القضايا والتي هى مطروحة باعتبارها جزءاً من أجندة دولة ليتسلم بالدخول في طاعة النظام العالمي الجديد والإقرار بالالتزام بالدين النسوي البديل والالتزام بالأيدلوجية الجديدة بلا خجل ولا حياء.

إنها في الحقيقة دعوة إلى تدمير الحضارة البشرية والإنسانية، ودعوة إلى تقليد الأمم الغربية وقد أشرفت على الهلاك خاصة في الجانب الأخلاقي والاجتماعي إنها خضوع ورضوخ للقوى الدولية الخارجية إمعاناً في تدمير الأسرة وتقليلها.

وثمة دعاوى لهذه المؤتمرات يتضح فيها مدى الخبث والكيد بالمسلمين والتآمر على الأسرة الإسلامية نجملها في النقاط التالية:

١ – فرض فكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، ومن ثم الاعتراف بالشواذ والمخنثين المطالبين بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان كحقهم في تكوين أسر، وحقهم في الحصول على أولاد بالتبني أو بتأجير البطون.

٢ – تطالب المؤتمرات بحق المرأة والفتاة بالتمتع الجنسي الآمن مع من تشاء وفي أي سن تشاء وليس في إطار الزواج الشرعي مع أنها تعتبر الزواج الشرعي في سن مبكرة مخالف لقوانين الشرعية الدولية ومجحف في حق المرأة، حتى انتشرت فيهم الأوبئة التي لم تكن في أسلافهم وصدق رسول الله ﷺ : **«وما فشت الفاحشة في قوم إلا أصابهم الله بالأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم»** [1].

---

(١) الحديث حسن في سنن ابن ماجه، ج٣، رقم الحديث (٤٠١٩).

إن المقصود من هذا الهجوم العالمي الشرس هو الإنسان كرجل وامرأة وطفل وأسرة.

وفي نفس الوقت هم يحاولون العودة إلى الأسرة ويعتبرونها الركيزة الأساسية والمهمة في حياة المجتمع وأنها اللبنة الأصلية التي فقدت، فانهار المجتمع بضياعها، وقد أجريت دراسات حول أهمية الأسرة [(١)].

٣ – تطالب المؤتمرات بحق المرأة والرجل على السواء في الحكم والحمل والإجهاض ولو مجرد أن لا توجد رغبة في الأولاد.

٤ – تطالب المؤتمرات بتلبية حاجات المراهقين والمراهقات في التثقيف الجنسي وتأمين الطرق لهم وخدمتهم ونشر العوازل اللازمة (كالواقي الذكري، وحبوب منع الحمل) والحيلولة ضد سلطة الوالدين أو العائل مهما كان وإطلاق العنان للمراهقين والمراهقات وتشجيعهم على ذلك.

وليس هذا من قبيل التوصيات، بل هي قراراتٍ ملزمة ولا بد من تنفيذها حتى لو أدى ذلك إلى إعلان الحرب على الدين والأعراف والتقاليد.

والهدف البارز والواضح للجميع هو ضرب مواطن القوة في الحضارات المختلفة والتركيز في ذلك على الحضارة الإسلامية.

بهذه المؤتمرات تتضح الغاية الخبيثة الماكرة، ولأجل إتمام المهمة فإنهم يولون المرأة اهتماماً بالغاً، ومبالغاً لرسم أدوار حديثة للمرأة وإقحامها في كل مجالات الحياة وإخراجها من مملكتها ومكان صونها وحيائها وعفتها.. البيت (القصر الملكي) بالنسبة لها، ودعوتها لمشاركة الرجل ومزاحمته في كل مجالات العمل، فتقود الشاحنة، وتنخرط في صفوف الجيش، وتقف أمام أفران المصانع، بدعوى مساواتها بالرجل والقضاء على الفقر ومشاركتها في تنمية المجتمع.

* * * * *

(١) كمال حبيب عولمة المرأة قراءة في الأيدلوجية النسوية الجديدة البيان العدد (١٥٠) صـ٣٦وما بعدها.

المطلب الثاني:
رسم أدوار حديثة للمرأة

توطئة:

بات من الواضح أن مؤتمرات الأمم المتحدة والتي كانت تعقد بين الفترة والأخرى والتي كان آخرها مؤتمر ٢٠٠٠ للسكان، قد رسمت نصبت لها أهدافاً خطرة، وكان من أبرز بنود أجندتها، كما أسلفت تفكيك الأسرة المسلمة باسم تحرير المرأة، ومساواتها بالرجل، وإخراجها من دائرة الفقر، والتسلط والقهر - بزعمهم - وضرورة مشاركتها في التنمية الاجتماعية الشاملة.

ولقد كرست قوى الغرب أو قوى العولمة جهودها باسم الشرعية الدولية، وتحت غطاء الأمم المتحدة، لتفرض قوانينها وقيمها وثقافتها الهابطة على الأمة الإسلامية، وترسم أدواراً جديدة لها.

ونتج عن هذه المؤتمرات توصيات ثم ما لبثت أن أصبحت قرارات ملزمة توصي جميع المشاركين على المستوى الرسمي والشعبي بإيجاد حلول ومخارج للمرأة خاصة في الدول الإسلامية التي لا زالت تحكمها عادات وتقاليد وأعراف نابعة من الدين الإسلامي الحنيف، وإلزام الدول بتنفيذ هذه القرارات حتى ولو أدى ذلك إلى مخالفة القيم والدين والأعراف والتقاليد والسلوكيات، والتي هي في نظرهم عوائق وقيود تمنع المرأة من المشاركة في التنمية، والنهوض بالمجتمع، وحتى ولو أدى ذلك إلى تغيير الأحوال الشخصية، بحجة أن المرأة تتعرض في هذه المجتمعات إلى أنواع من الظلم والقهر وتحجيم دورها، مع أنها يمكن أن يكون لها مشاركة فاعلة وإيجابية في التنمية البشرية، والنهوض بالمجتمع إلى مستوى أرفع مما هو عليه فيما لو شاركت في مجالات العمل مساواة بالرجل (كما يروجون له).

ومن هنا جاء تشكيل اللجان الوطنية والجمعيات النسوية لتقوم بالدور المنوط بها في تغيير حياة المرأة ورسم أدوار جديدة لها، ولتشارك في الدوائر الرسمية والشعبية ولتنخرط في مؤسسات المجتمع المدني، ومؤسسات الدولة، وتشجيعها على ذلك حتى تصل إلى مشاركة الرجل في صنع القرار، وكان لهذه اللجان دورٌ بارز في تشجيعها على الخروج من بيتها ومملكتها ومكان عزها وصون عفتها وكرامتها وإشراكها مع الرجل مساواة وندية في كل أمر

صغير وكبير وإقحامها في شتى مجالات العمل بدون أية ضوابط شرعية.

إنهم يريدون منها أن تخرج لتعمل في الحقل والنقل والمطار والمنجم والمطعم وحتى في الجيش والرياضة وغيرها من المجالات، المهم عندهم إخراجها وتشجيعها على ذلك إمعاناً في تفكيك الأسرة المسلمة المترابطة التي لا زالت تقوم بدورها في المجتمعات الإسلامية.

وتحاول قوى العولمة تغيير نمط الأسرة التي تعرفها المجتمعات الإسلامية لتطرح بدلاً منها مفاهيم جديدة للأسرة على شاكلة الأسرة الغربية.

وتأتي هذه الدعوات مغلفةً بشعارات براقة ومزخرفة تنطوي على كثير من الناس وما يستجيب لهم أهل الأهواء والمنحرفين وأبواق دعاة التحرر في البلاد الإسلامية والعربية، فتنطوي عليهم هذه الدعوات باسم حقوق الإنسان وحقوق المرأة كحقها في العمل [(١)] وحقها في المشاركة في العمل السياسي وحقها في الحرية الشخصية إلى غيرها من الدعوات المخالفة للقيم الإسلامية الثابتة والأعراف والعادات الحميدة والأخلاق الفاضلة.

ولكي تأتي خطط الغرب وقوى العولمة مُحَكَمة، فإنهم يسيرون بخطى مدروسة وهادئة ومتدرجة لتمرير ما يطمحون إليه متخذين شعارات لا تثير الانتباه ولا تحرك مشاعر المسلمين، فتحت عنوان الفن والأدب الخارج عن حدود الدين والخارج عن القواعد الموضوعية للأدب في حد ذاته كأسلوب لمعالجة قضايا أحوال المجتمع، حتى وصلوا بدعواتهم الماكرة إلى المحظور من خلال الكتابة للقصة والمسرحية والرواية والشعر الخارجة كما أسلفت عن نطاق القواعد الدينية والقواعد الأخلاقية.

وما هو إلا جيلان أو ثلاثة أجيال حتى وصلوا إلى المراد، من غير ردة فعل أو انتقاد، حيث كان يطرح المحظور في القصة أو الرواية بأسلوب الإعداد النفسي للمجتمع [(٢)]، أي بالتحايل المخادع للوصول إلى صاحب القيم الملتزم بها عن طريق الإدانة الظاهرية للموبقات من جهة والتعويد على الحديث عنها بدعوى انتشارها من جهة أخرى،

---

(١) انظر: نبيل شبيب، المرأة التي يريدون، مجلة الشقائق الصادرة عن المركز العربي للكتاب والنشر، العدد (٤٨) جمادي الآخرة ١٤٢٢هـ، ص ٣٠، وخيري عمر: إبداع أم خروج عن الدين، عن مجلة الأسرة التي تصدر عن مؤسسة الوقف الإسلامي، هولندا، العدد (٨٥) ١٤٢١هـ، ص ٢٣.
(٢) خيري عمر إبداع أم خروج عن الدين المرجع السابق صـ٢٣..

ثم تمرير تلك (التبريرات) لمرتكبي تلك الموبقات من جهة ثالثة وإظهارها في موقع «الضحية»[(١)].

وهاهي المجتمعات الإسلامية قد وصلت إلى ما لم يكن بالحسبان من طرح تلك الموبقات على أنها علامة للرقي والتقدم وتصوير ضوابط القيم بالأغلال والقيود التي لا ينتهجها إلا متخلف عن الركب (أي ركب العولمة) كما يدّعون.

وبدعوى مسايرة قطار العولمة، كما يعبر مروجوها لا بد للمرأة المسلمة والعربية أن تحاكي المرأة الغربية، فتخرج لتعمل كسكرتيرة، وموظفة ومديرة تدير المؤسسة، وتتسلم المناصب المرموقة في الوزارة، وتدعو غيرها من منبر المؤسسة المدنية، كاللجان النسوية المنتشرة في البلاد الإسلامية والعربية.

كل ذلك لتتحرر المرأة ولتخرج من النمط القديم كأم أو زوجة أو بنت أو أخت، ولتخرج لتتساوى مع الرجل في كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتتشبه بالرجل في كل الأحوال وهذا ما حذرنا منه ديننا الحنيف وأمر بمخالفته، بل ورتب على ذلك أشد المقت وجعل ذلك جريمة تستحق اللعن والطرد من رحمة الله، فقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "**لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء** "[(٢)].

وفي رواية: "**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء الرجال**"[(٣)].

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن هذا الحدث سيكون علامة من علامات الساعة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة**» فذكر الخصال ومنها: «**وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال**»[(٤)].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٢) انظر البخاري مع الفتح كتاب المغازى باب، إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت.

(٣) انظر البخاري مع الفتح باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية وهو عند أبي الشيخ في الفتن والديلمي انظر في ذلك حمود بن عبد الله التويجري في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ج٢/ دار الصميعي للنشر والتوزيع ط٢ ١٤١٤هـ ج٢/ صـ١٣٥.

وهاهو الأمر يتضح جلياً ومشاهداً في عولمة المرأة، وتشجيعها على الاستخفاف بالدين والأعراف والقيم، من خلال تلك المؤتمرات التي سعت قوى الهيمنة إلى توظيفها كإحدى وسائل الدعاية والتأثير في تدويل نموذجها الحضاري، وإلى صياغة عقد اجتماعي جديد من خلال خلق وتشكيل أنماط اجتماعية تحاكي النمط الغربي بقيمه وسلوكياته ونظرته للإنسان والكون والحياة، بل تهدف إلى أبعد من ذلك إلى إعادة تشكيل مجتمعات العالم الإسلامي والعربي اجتماعياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً بما يتفق ومقتضيات النموذج الغربي [١].

صياغة المرأة من خلال السينما والمسرح:

لم تكتف قوى العولمة بإخراج المرأة من بيتها إلى العمل الشريف فحسب، بل حاولت أن تعيد صياغة المرأة من خلال السينما والمسرح والقصة والرواية والشعر والدعاية والإعلان والموضة وصناعة مستحضرات التجميل لتسلخها من إنسانيتها وكرامتها وعزها وشرفها، ولتجعلها هدفاً للربح، وغرضاً للأهواء وقضاء الشهوات، حتى تصبح إنساناً بلا تاريخ، وبلا ذاكرة، وبلا هوية وبلا وعي، وفي النهاية تأتي هذه المؤتمرات التي تسمى دولية تتحدث باسم المرأة وتدافع عن حقوق المرأة لتبيح ما لا تبيحه الأخلاق ولا العادات فضلاً عن الدين لتبيح المعاشرات الجنسية للأفراد خارجاً عن نطاق العشرة الزوجية، وتعتبر هذا حقاً للجميع حتى المراهقين والمراهقات، وتسمى الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، فأسمت الجنس (الصحة الجنسية، والصحة التناسلية) أي أن التمتع حق من حقوق الجسد ينبغي توفيره بأي شكل من الأشكال ولو كان خارج نطاق الزوجية.

وبعد هذا اجتهدت قوى العولمة من خلال الإعلام على إخراج المرأة المسلمة من ثوبها وعفافها وإلباسها ثوباً غريباً وغربياً لا يليق بها، ولا يتمشى مع عاداتها وتقاليدها، وحاولت هذه القوى جاهدة مسخها أو مسخ هويتها، والعمل على فقدانها لذاكرتها التاريخية وثقافتها وحضارتها.

ولكي يصل الغرب إلى ما يريد تم تحويل المرأة إلى وسيلة للربح كما أسلفت فأصبحت عنصراً أساسياً في الإعلانات، فلا يخلو إعلان من وجود امرأة باعت جسدها بثمن بخس [٢].

---

(١) عمر عبد الكريم عن المجتمع الكونية العدد (١٣١٧).
(٢) انظر هنا مجلة أنسام دورية تصدرها عن الاتحاد النسائي العالمي ٢٠٠٠/ ٢٠٠١ صـ١٩.

كما استخدمت المرأة أيضاً وسيلة للربح في دور الأزياء والموضة، وهكذا أصبحت المرأة المسلمة هدفاً من أهداف الغرب لتغيير النموذج الذي كانت عليه، ولترسم لها أدواراً أخرى ويخرجها عن طور ما خلقت لـه، وأنى لـه ذلك.

* * * * *

المطلب الثالث:
إعادة تشكيل أدوار البنية الاجتماعية

لما كان للثقافة دورٌ مهم وخطير في تمييز المجتمعات والأمم والشعوب، جعلت قوى العولمة من الثقافة هدفاً ملحاً لها في تغيير بنى المجتمعات وأدوارها، وجعلت من أهم خطاباتها الدولية ومن أبرز سياساتها الإعلامية الطرق على هذا الوتر الحساس والعرق النابض في الأمم والذي به تحيا هذه الأمم وتتميز عن غيرها.

لقد أدركت السياسة الأمريكية رائدة قوى العولمة أن للتغيير الثقافي شرطين أساسين فعملت على تهيئة الأجواء المناسبة لهذين الشرطين [(١)] ومهدت السبل لانطلاقهما:

وينطلق الشرط الأول من مقولة: " إن كل ثقافة إنسانية هي كلٌ متكامل " فإذا كان لابد من التغيير فيجب العمل على تحويل أي مجتمع لـه ثقافة، من نمطه الكلي المتكامل، إلى نمط جديد كلي ومتكامل أيضاً.

وإذا فلا بد من السعي لهدم قيمه ومبادئه حتى لا تبقى ملامح، لما كان يعتز به من ثقافة، فيسهل على الغازي وضع أسس جديدة لثقافة جديدة، وتصميم شكل جديد تكون عليه تضاريس وطقوس وأدوات فتك بالثقافة الماضية لمن تحدثه نفسه لينبري لشنها وإحباطها من جديد.

الشرط الثاني: يرى الساسة الغزاة أنه لا بد من تداخل هذه المجتمعات بالوافد الغازي طوعاً أو كرهاً ولا بد من تشابك العلاقات الاقتصادية والسياسية حتى يصبح الهدف في إطار الجذب المغناطيسي كي يكتسب شحنات الغازي وموجاته ويسير وفق الخطوط المرسومة والعوامل المؤثرة[(٢)].

---

(١) انظر د. مقدادي، العولمة – رقاب كثيرة وسيف واحد، ص ١٣٧، مرجع سابق.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٨.

وتسعى قوى العولمة لتفريغ المجتمعات من محتواها وجوهرها ثم تفكك لحمة تلك المجتمعات بإدخال عناصر تفكيك خاصة مما لا يتوفر لتلك المجتمعات أصلاً وليس لها وجود في ثقافتها كالديمقراطية وحقوق الإنسان كما يريدها الغرب والنداء بالحريات الشخصية، والتدخل في شؤون الأسرة، والولادات وتنظيمها بما يسمى الصحة الإنجابية، وحمى حماية البيئة بالتصور الذي يسير عليه الغرب متجاهلاً خصوصية الشعوب وثقافاتها وعقائدها وعاداتها.

المركبات الفضائية تنفث سمومها:

وتستخدم لتعزيز وجود هذه العناصر أساطيل وجيوش المركبات الفضائية المحملة بالأقمار الصناعية بعضها لبث سموم وأفكار الغازي وبعضها للتجسس والتصنت وكشف البؤر التي لها إحساس وطني رافض لأي هيمنة [١].

فينبهر السذج والجهلاء تباعاً للنخب الفكرية العملاء الذين تشبعوا بثقافة الغازي في بلاده حين هيأ لهم الجو فاستقدمهم كبعثات تعليمية ودراسات عليا.

ويلتقط عددا لا يستهان به ما يرسل إليه عبر أطباق الأقمار الصناعية، ووسائل الاتصالات الحديثة، والتقنيات المتقدمة، ليسهل بعد ذلك غزو هذا المجتمع واستعماره باسم التجديد وباسم اللحاق بقطار العولمة.

ويدرك مروجو العولمة أن السيطرة على المجتمعات تتطلب استخداماً فنياً مكثفاً وموجهاً لأدبيات الثقافة الموجهة [٢]، ويحاولون ابتداءً تجنب التشنجات واستخدام العنف مستفيدين من تجاربهم السابقة حيث لم يعد للحملات العسكرية جدوى.

لذلك يلجأون إلى نسف المعتقدات، وغسيل الأدمغة، بالتركيز على الإعلام بشقيه السمعي والبصري وتقويض الفكر بإدخال الشكوك إلى ثوابته، كي يتسنى للغازي الدخول بسهولة، وللمجتمع القبول بكل ما هو قادم إليه ليملأ فراغه [٣]. ثم استخدمت قوى العولمة كافة وسائل التضليل الجماهيري بحنكة وذكاء ومكرٍ ودهاء لترويج ثقافتها فروجت لمسميات ومصطلحات مصدرة كثيرة منها ما يسمى بالمواطنة العالمية وجعلت ذلك من صميم العولمة والانضمام إلى قطارها السريع، وأشاعت في وسائلها الإعلامية مسألة الانتماء العالمي وأن

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٨.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٩.
(٣) المرجع نفسه، ص١٣٩

الوطن لم يعد في نظرها هو الوطن المحلي (القبلي)، أو المجتمعي أو القومي، بل أصبح الارتباط بالوطن لا يشكل أهمية بالغة في ارتباط بماض لم يعد يجلب نفعاً لا يدفع ضرراً وأنه ينبغي عدم الارتباط به، والانتقال منه والانطلاق إلى حيث الحياة المترفة والعيش الرغيد، والحياة الآمنة المطمئنة خارج الوطن وخارج الحدود وأصبح الانتماء إلى القبيلة عائق في طريق العولمة والانطلاقة الكبرى نحو السعادة والرخاء (١).

يمثل هذا الخطاب المدغدغ للعواطف روجت العولمة وتروج لمسخ القبيلة وتفكيكها وإذابتها، في ارتباط بالماضي والتأريخ البائد العتيق الذي قد انتهى ووصل إلى نهايته عندما انتصرت نظرية الرأسمالية على النظرية الاشتراكية بحسب فوكوياما الذي أصدر بذلك مقالاً أذاعته ونشرته قوى العولمة معتبرة إياه بمثابة المبرر النظري لتقديم نظام الرأسمالية والليبرالية الجديدة، وعلى أنه المخلص الأخير للإنسانية بعد سقوط النظام الشيوعي.

العولمة تُحيي النعرات وتغذيها:

وبغير إدراك عملت ثقافة العولمة على إحياء النعرات وتغذيتها وأججت الانتماءات القبلية والطائفية والجماعية أو زادت في تأججها، واختراق هذه الحصون سيفضي إلى عدم الاستقرار وإلى الاحتكاك، والصدام بين الجماعات الإثنية والعرقية، وبين كافة الانتماءات بجميع أُطرها، وهذا بالطبع لا يخدم قوى العولمة البتة، لأنها تنشد الاستقرار حتى يتاح للسلع والخدمات أن تصل إلى أكبر عدد من المشترين بيسر وسهولة (٢).

لهذا تعتبر قوى العولمة الإطار القبلي عائقاً كبيراً وسداً منيعاً أمامها كما هو الشأن في الأطر الأخرى كالطائفية والعرقية والجماعية وغيرها من الأطر، حيث إنها كلها مشدودة بقوة إلى الماضي ومنتمية إليه الأمر الذي يقودها إلى عدم الرضا عن أي تاريخ جديد!! لذا تسعى قوى العولمة إلى تحطيم خنادق وإطارات القبلية والطائفية والجماعية والعرقية والإثنية في سبيل تحقيق مصالحها وضمان حرية السوق فيها.. ومن ثم فإن ضرب مصالح النخبة التي تغذي وتحفظ إطار القبيلة والطائفية... إلخ مسألة مشروعة لدى قوى العولمة وكذلك فإن ضرب مصالح الدول التي تصدر هذه الثقافات المضادة لثقافة العولمة يكون أمراً مشروعاً(٣)،

---

(١) انظر د. مهدي امبيرش سقوط أطروحة نهاية التاريخ (لفكوياما) عن مجلة الشاهد (١٨٢) السنة الخامسة عشرة، تموز تشرين الأول، ٢٠٠٠م، ص ٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(٣) انظر د. مهدي امبيرش سقوط أطروحة نهاية التاريخ (لفكوياما) عن مجلة الشاهد (١٨٢) السنة الخامسة عشرة، تموز تشرين الأول، ٢٠٠٠م، ص ٧٠.

وهذا هو قانون الغاب سواءٌ بسواء فالبقاء للأصلح وللأقوى وللأسرع ولمن يمتلك الأكثر.

ولأن ثقافة العولمة تظل في كل المجتمعات محتكرة لدى فئة قليلة، وهم النخب والمترفون، والقادرون على شراء منتجاتها، من هنا تظل القاعدة العريضة من المجتمعات المتحصنة بحصن القُبُل والطوائف والعرقيات والإثنيات، غير قادرة على التكيف أو التعامل مع قوى العولمة وثقافتها وبالتالي ستصطدم معها ومع من يتعامل معها.

وإذاً فلا تجني الدول منها إلا الفرقة والشتات والحروب الطاحنة التي تأكل الأخضر واليابس، وما مقولة (صدام الحضارات) في نهاية القرن العشرين إلا تعبير عن حتمية هذا الصدام وأن الغلبة محسومة مسبقاً لصالح الأقوى وهو الغرب [١].

ومن هنا فإن ثقافة العولمة تروج للتطبيع العالمي فلا انتماء للوطن أو القوم أو الدولة مستخدمة أحدث وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة للتغيير، واضعة أمامها خطة لغزو العقول، وتمييع السلوك، واستبدال القيم، بإبعاد المجتمعات خاصة الإسلامية عن واقعهم الاجتماعي، وسلخهم من ماضيهم المجيد، واختراق هواياتهم الثقافية، وتعميم ثقافة لا تنتمي إليهم بأي حال، ثقافة القيم الاستهلاكية الترفيهية التافهة [٢]، وإذا انسلخت أمة من ماضيها التليد، ولم تجعل منه منطلقاً لها في الحياة، واعتبرت الحاضر قوة فعالة يضمن لها وجودها وحضورها، فقد اختارت الزوال.

وهذه الأمة (الإسلامية) لا يمكن أن يكون لها ذكر بين الأمم إلا بما اختاره الله لها كنظام وسفينة نجاة تقود الحياة برمتها إلى بر الأمان، ففيه ذكرها وعزها وشأنها وسؤددها مصداقاً لقوله تعالى:**{لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}** [٣] وقوله تعالى:**{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}** [٤].

ومن هنا فقد حرصت قوى العولمة في خطابها الصادر عن المؤسسات المالية والاقتصادية العملاقة أن تثبت قناعة لدى العامة في مجتمعات البلدان النامية، أن أقصر طريق

(١) انظر أسامة عبد الرحمن، النفط والقبيلة والعولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٥٣ وما بعدها.

(٢) انظر د. ماجد شدود، العولمة مفهومها وأهدافها، ص ١٣٠، مرجع سابق / وانظر العرب والعولمة لمجموعة من الباحثين، مرجع سابق

(٣) الأنبياء آية ١٠.

(٤) الزخرف آية ٤٤.

للوصول إلى أقصى درجات النجاح في الأداء الاقتصادي والمؤدي إلى التقدم والرقي يمر عبر الفراغ الذي ينجم عن تهميش ثقافتها البائدة [١]، خاصة الثقافة الإسلامية التي من صميم تعاليمها أن الغاية لا تبرر الوسيلة مهما كانت هذه الوسيلة، ولا بد أن تكون شرعية خالصة وأن الحرية تقف عند عتبة العبودية لله سبحانه وتعالى إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة والسلوكيات النبيلة السامية.

قوى العولمة ترفض الماضي:

فإذا أرادت هذه المجتمعات النجاح والرقي بحسب دعوى ثقافة العولمة، فلا بد من الانسلاخ التام من الماضي المنصرم الميت، والارتباط بالحاضر الفعال حاضر العولمة المشرق الوضاء - بزعمهم - الحاضر الذي (انتهى) إليه التاريخ بحسب نظرياتهم! وهل للتأريخ نهاية غير النفخ في الصور عند قيام الساعة؟! والحقيقة أن هذا الخطاب الموجه إلى الأمم بشكل عام وإلى الأمة الإسلامية بشكل خاص ليس الهدف منه إلا سلخ هذه الأمة عن ماضيها وتفكيكها وتقطيعها وإغراءها بالشهوات والملذات ليسهل على قوى الاستعمار المتمثلة بقوى العولمة ابتزازها واستعمارها ونهب خيراتها كما هو حاصل الآن وإلا فما الثقافة التي تدعو إليها قوى العولمة؟!

إنها ثقافة الاستهلاك وإشباع الغرائز والشهوات، ثقافة ذات طبيعة حسية دنيوية وتجريبية، مثيرة للغرائز والشهوات، ثقافة الصوت والصورة والمتعة والحياة الزائفة، ثقافة تدعو إلى حياة هي أقرب إلى حياة الحيوان منها إلى حياة الإنسان المكرم بالعقل والعبودية لله، ثقافة تدعو إلى الحياة الدنيئة الرخيصة كحياة تمتع واقتناص قبل فوات الأوان، فلا تفكير في الآخرة، ولا حساب للعواقب سواء الدنيوية أو الأخروية إنها حياة البهائم والأنعام وصدق الله حيث يقول:**{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}**[٢].

---

(١) انظر د. محمود مقدادي، العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص١٢٧

(٢) محمد آية ١٢.

إنها دعوة إلى اتخاذ الهوى إلهاً والشهوة معبودة والحياة متعة وفرصة، وقد حذرنا ديننا الحنيف من هذه الحياة فقال تعالى:{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً}[1].

إذاً فماذا تريد قوى العولمة من إعادة تشكيل المجتمعات:

الحقيقة واضحة للعيان إنها تريد من المجتمعات أن تعيش نمط الحياة الغربية، فلا مكان بعد للدين، ولا مكان للعلماء الناصحين، ولا مكان للقبيلة المتمسكة بثقافتها، بل الحياة في نظر العولميين الخاصة بالعالم الثالث بعد أن أفسدت عقولهم، هي حياة الاستهلاك وإشباع الغرائز البهيمية، وثقافة الصوت والصورة، ومتابعة الموضة أولاً بأول، وثقافة الأفلام الداعرة والداعية إلى الانحطاط والانغماس في حمأة الرذيلة، ثقافة التربية والبرامج المسلية والقصص الملهية، ثقافة المنفعة والمصلحة والركض بقوة وبأقصى سرعة وراء كل رخيص تافه وحقير.

إنها ثقافة تدعو إلى الانسلاخ من الدين والقيمة والأخلاق الفاضلة وتدعو إلى نبذ الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع، وتشجع على الانطلاق إلى الحرية الفردية، وتكوين الشخصية المستقلة بذاتها، لا بمجتمعها، ولا بدينها، وإلى الارتباط بالانتماء الخارجي والاستنارة بهدى العولمة! وبدين العولمة الجديد، دين الحرية المطلقة من كل قيد وعناية، دين الرفاهية والمتعة والشهوات....

وهكذا تعمل قوى العولمة على تفكيك الروابط الاجتماعية بين القمة والقاعدة بين القمة المثلة بالعلماء المستنيرين بنور الشرع، والقاعدة المثلة بالمجتمعات على مختلف طبقاتها ومستوياتها.

وتعمل قوى العولمة على أن تجعل من الحكام خدماً لها وشُرَطاً يحرسون مصالحها باسم العولمة والاندماج والانفتاح الاقتصادي والأسواق الحرة إلى غير ذلك من دعاويها اللامنتهية، وتصور العلماء رموزاً للتخلف والانحطاط والدروشة والتبرك، إن لم تشوه سمعتهم وتلصق بهم سائر التهم وتضعهم في الريب والشك، وتعمل جاهدة على تنحيتهم عن قيادة دفة المجتمعات وإبعادهم عن مجال السياسة والحكم، وتروج على أن أحسن مكان

---

(١) الفرقان، آية ٤٣، ٤٤.

لهم محاريب الصلاة ودور العبادة، فهم ليسوا من ذوي الحنكة والخبرة في قيادة المجتمعات، وليس هذا من قبيل الادعاء والاتهام للعولمة، فالواقع خير شاهد على ذلك، فأين علماء المسلمين في طول البلاد وعرضها؟ أين موقعهم؟ وأين مكانتهم؟!

* * * * *

المبحث الخامس:
الأدوات الإعلامية

توطئـــة:

يعتبر الجهاز الإعلامي أخطر أدوات السيطرة في يد النظام العالمي اليوم، وأصبح الصراع الحضاري بارزاً وظاهراً في مجال الإعلام، وأصبح التمكن من امتلاك الشوكة الإعلامية بكل لوازمها يضمن الغلبة الثقافية التي تعتبر ركيزة التفوق الحضاري، ذلك أن الإعلام بقدرته على الامتداد والاختراق ألغى الحدود الجغرافية والسياسية للدول وتجاوز كل المعوقات، وأخذ بحواس الإنسان حتى أصبح يرى ويسمع العالم من مكانه [(١)].

إنها معركة محتدمة تتمركز في الوسائل الإعلامية من ناحية والمضامين والبرامج من ناحية أخرى إنها حرب الهواء أو حرب المحطات الهوائية [(٢)].

قوى العولمة والسيطرة على جهاز الإعلام:

ولهذا فقد أدرك قادة هذا النظام ومروجو العولمة مقدار هذا الخطر، فسيطروا على كافة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، فهي تعرف لذلك أهم أدوات العولمة التى تستخدم للاتصال المباشر بالمجتمعات والشعوب، وهي بمثابة المصانع أو المكنات التي تنتج عملية التغريب.

فالفيض الإعلامي الواسع والمتدفق بشكل مكثف ومتواصل، حيث لا يتوقف ساعة من ليل أو نهار، إنما هو بمثابة المؤسسة التعليمية التي يتلقى العالم كله تعليمه فيها، وهي لا تحتاج

---

(١) عمر عبيد حسنه مقدمة كتاب في الغزو الفكري للدكتور أحمد السايح سلسلة كتاب الأمة (٣٨) الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية قطر ط١ ١٤١٤هـ صـ١٩، وانظر د. مالك بن إبراهيم الأحمد العولمة في الإعلام من البيان (١٤٨) صـ٤١.

(٢) انظر إياد شاكر البكري عام ٢٠٠٠م حرب المحطات الفضائية دار الشئون ١٩٩٩م صـ٢٢٤.

كبير عناء، فهي ميسرة لجميع قطاعات الشعوب وشرائحها فالكل يقف أمامها موقف المتعلم المستسلم المتلقي من غير ما جهد ولا تعب، فهي مشرعة أبوابها في كل وقت وحين وفي كل مكان، بل إن المرء ليتلقى هذا التعليم وهو في غرفة نومه مستلق على ظهره، فهي لذلك مؤسسة تشكيل ثقافي مستمر، بما يمتلك هذا الإعلام من إمكانيات فنية متطورة مستخدمة الصورة والصوت والضوء واللون واللباس والزخرفة والبريق واللمعان للتسلية والترفيه إلى جانب التنوع والتفنن بالمواد الإعلامية [١] المقدمة للجمهور المستسلم المنقاد، وهي مزدحمة بالفقرات الإعلامية المتنوعة والتي باتت تغطي كل المساحات وتملأ كل الأوقات ومن هنا أصبح الإعلام من أهم وأخطر وسائل العولمة لغزو العالم فكرياً وتشكيلهم ثقافياً، وبات الإنسان بشكل عام مرتهن اليوم لوسائل الإعلام وواقعاً تحت رحمتها في تكوين آرائه وبناء ثقافته وتشكيل نظرته إلى العالم [٢].

* * * * *

المطلب الأول:
الفضاء الإعلامي المفتوح

إنه يمثل ذلك السيل الجارف من الإعلام المنقول عبر الفضائيات المرتبطة بالأقمار الصناعية المنتشرة في الفضاء وهي تحت السيطرة واستحواذ الدول الغربية وفي مقدمتها أمريكا، وبهذا يكون الإعلام قد دخل طوراً جديداً ولم يعد محصوراً كما كان في السابق بل تخطى الحدود وتجاوز كل وسائل الرقابة [٣].

ولما كانت العولمة ترتبط ارتباطا وثيقاً بالتطور الإعلامي والتقدم الاقتصادي وعملية الرقمية (Digitapl) في نقل الصوت والصورة والكلمة حسمت الأمر في تسهيل وصول هذه المواد للمستهدف، كما أنها خفضت التكلفة مما ساعد على توسيع دائرة الانتشار عالمياً، كذلك ساعدت شبكات الاتصال الفائقة (Fibers) في تسهيل نقل كميات كبيرة من المعلومات، وبدرجة نقاء عالية، وبوقت قصير حول العالم،

---

(١) نفس المقدمة صـ١٩.

(٢) أحمد عبد الرحيم السايح - في الغزو الفكري - كتاب الأمة رجب ١٤١٤هـ صـ١٩.

(٣) د. مالك إبراهيم الأحمد العولمة في الإعلام عن البيان (١٤٨) صـ١١٩.

وأصبح هناك تحالف ظاهر بين شبكات الاتصال وشركات التقنية والبرامج مع المؤسسات الإعلامية نظراً للمصالح المشتركة بين هذه الأطراف [١].

ويتعرض العالمان العربي والإسلامي من خلال هذه الفضائيات إلى حملات إعلامية ثقافية تتصف بدرجات عالية من التنظيم والشمولية، في عملية غزو شامل على فضاءات مفتوحة دونما سيطرة أو ترشيد، بإدخال البشرية بمعزل عن الأيدلوجيات التي تحكمها، إلى عصر حضارة الصورة والتلاعب بالزمان والمكان وأصبح الإعلام - خاصة المرئي منه - هذه الأيام ليس رافدا من روافد الوعي البشري العام، وحسب، بل أداة حادة تستخدمها القوى العظمى من أجل حشد الرأي العام الدولي بغية شرعنة سلوكها، بصرف النظر عن هذا السلوك وأهدافه ومراميه وخلفياته [٢].

وبحسب رأي هربرت شلر إذ يعتبره سلاح هام يتقدم السيطرة على الشعوب ويمهد لإخضاعها فيقول: «إن السيطرة على البشر وعلى المجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر وقبل أي شيء الاستخدام الموجه للإعلام، فمهما كان جبروت القوة التي يمكن استخدامها ضد شعب ما، فإنها لا تفيد على المدى البعيد إلا إذا تمكن المجتمع من جعل أهدافه تبدو مقبولة على الأقل إن لم تكن جذابة بالنسبة لهؤلاء الذين يسعى لإخضاعهم، فالحالة الشعورية لسكان بلد ما لها دورها الملموس في تحديد سلوكهم الاجتماعي ونهجهم الثقافي».

حرب المحطات الفضائية:

وعلى هذا فهي حرب فعلاً وتسمى حرب الهواء أو حرب المحطات الفضائية بحسب إياد شاكر، ولمعرفة أبعاد هذه الحرب التي هي اقتصادية بالضرورة لا بد من معرفة أن (٦٥٪) من الاتصالات في العالم تصدر من الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الأقمار الصناعية، وأن (٧٥٪) من السوق الحالي للاتصالات تحكمه بـ (٨٠) شركة متعددة الجنسيات، ومع العلم خمس شركات متعولمة كبرى تمسك بزمام (٤٠٪) من مجموع المبيعات في مجال الصناعة

---

(١) د. مالك إبراهيم الأحمد العولمة في الإعلام، المرجع السابق، ص١١٩، وانظر إياد شاكر حرب المحطات= =الفضائية، ص٢٢٣ وما بعدها.

(٢) بحث غير منشور ولا زال أوراق.

وتمسك بزمام (٤٠٪) من مجموع المبيعات في مجال الصناعة الإعلامية [١]، ولا عجب أيضا إذا علمنا أن هناك حوالي (١٢٠) وكالة إعلامية دولية منها (٣٠) وكالة أمريكية لها قرابة (٢٠٠) فرع توكيلا في العالم العربي وحده، وميزانية هذه الوكالات وحدها تعادل الميزانية المخصصة للتعليم في البلاد العربية والإعلام الغربي مما قد يمثل أكثر من (٩٠٪) من الإعلام العالمي [٢].

ومن هنا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستولي على الاتصالات العالمية فضلاً عن سيطرتها على إنتاج مراكز العقول الإلكترونية قي أوروبا بأسرها حيث أن ثلاثة أرباع المعدات المستخدمة حاليا هي أمريكية وتأتي أوروبا في المرتبة الثانية في هذا المجال.

لذلك فإن ميدان البث التلفزيوني الفضائي تهيمن عليه الدول الصناعية الكبرى وفي مقدمتها أمريكا، ولهذا فقد تعززت قبضتها على آلة الإعلام العالمية بشكل عام والعالم الإلكتروني بشكل خاص، رافضة توحيد الجهود العالمية في هذا المجال وموسعة نطاق البث الخارجي عبر المحطات التلفزيونية الفضائية، فالغرب وأمريكا يتصارعان لربط الدول النامية بأنظمتهم التلفزيونية والدولية، ولا شك فإن النجاح إلى الآن هو حليف الولايات المتحدة الأمريكية وتأتي بعدها المملكة المتحدة، ثم فرنسا ثم ألمانيا وقد أولت أوروبا الصراع الإعلامي بينها وبين الولايات المتحدة أهمية كبيرة، حتى لقد أشرف الرئيس الفرنسي السابق (فرانسو متران) على اجتماع لقادة دول السوق الأوروبية لدراسة مشروع خطة إعلامية موحدة لمواجهة الإعلام الأمريكي [٣].

ولم يقتصر الصراع على أوروبا وحدها لكن امتد إلى الوطن العربي وبشكل سافر، ولعل أبسط الأمثلة على هذا الصراع بحسب إياد شاكر في حرب الفضاء: هو ذلك الصراع الدائر بين المحطات الفضائية حول الوطن العربي الذي حدث بين اثنتين من كبريات محطات التلفزيون في العالم حيث ادعت كل من محطة (السي بي سي)، ومحطة (كوردبورويشن)

---

(١) إياد شاكر البكري: حرب المحطات الفضائية، دار الشروق، ط١٩٩٩م، ص ٢٤٤، عبد الحي زلوم نذر العولمة صـ٣٣٧.

(٢) علي محمود العائدي الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سلسلة دراسات استراتيجيه (٣٥) أبو ظبي ط١ / ١٩٩٩م صـ١٠٣وأنظر د. ماهر عباس جلال الاستعمار النفسي في ثوبه الجديد عن البيان (١٦٣) ربيع أول ١٤٢٢هـ يونيو ٢٠٠١م صـ١٢٠.

(٣) انظر إياد شاكر حرب المحطات الفضائية صـ٢٢٦ مرجع سابق.

البريطانيتين أحقيتهما في احتكار البرامج والإعلانات الموجهة للوطن العربي وشاركت بريطانيا عندما عبر وزير خارجيتها السابق (دوغلاس هيرد) عن أهمية الغزو الفضائي بقوله: (إن المعركة الفكرية هي التي ينبغي خوضها وتحقيق النصر فيها)[(١)].

ولا بد من مواجهة هذه المعركة، ومحاربة القنوات الفضائية فنحن أحق من غيرنا في هذه المواجهة؛ لأنها حرب على ديننا وفكرنا وثقافتنا؛ ولأنها تريد التهام خيرات أمتنا ومواردها بعد زعزعة عقولنا، بفكرها، ويؤكد أحد المتخصصين العرب هذه الفكرة فيقول: (لابد أن تحارب القنوات الفضائية الوافدة حيث أنها أصبحت أمراً واقعاً لا مفر منه) [(٢)].

* * * * *

المطلب الثاني:
الإذاعة

تعتبر الإذاعة من أهم وسائل الاتصال الدولي المعاصر، وهي في الأهمية تتلازم مع غيرها من وسائل الاتصال الأخرى، ومن حيث الترتيب الزمني فهي وسيلة اتصالية إلكترونية ظهرت في العالم في العشرينات من القرن الـ ٢٠، ومع أن التلفزيون قد أبدى تفوقاً ملموساً عليها في أواخر القرن العشرين لكنها لا زالت تمارس سلطتها ونفوذها وقدرتها على تخطي الحواجز الجغرافية الطبيعية والسياسية وتصل إلى كافة فئات المجتمع بمختلف شرائحه ومستوياته الثقافية والعلمية حيث يمكن للجميع حيازتها واقتناؤها لرخصتها وخفة حملها، ومن ميزاتها أنها تصل عبر الأثير إلى أقصى بقعة في الأرض وأغورها فلا يحجزها حاجز ولا يردها مانع تنقل الأخبار والأحداث فور وقوعها؛ لذلك نجد الكثير والكثير من فئات المجتمعات يتابعها ويحاول التقاط موجاتها العاملة بمختلف موجاتها للحصول على أحدث الأخبار وأكبر كمية من المعلومات، وللاستمتاع بحلو صوتها وما تبثه من مختلف البرامج حتى أضحت مرتبطة بالأقمار الصناعية في إرسالها مستخدمة أحدث وسائل الاتصال ميكروويفية أو سنتميترية، وأصبحت تغطي كل بقاع الأرض من غير أي تشويش. [(٣)]

---

(١) انظر إياد شاكر حرب المحطات الفضائية صـ٢٢٨ مرجع سابق.

(٢) انظر إياد شاكر حرب المحطات الفضائية صـ٢٢٨ مرجع سابق.

(٣) انظر: مجد الهاشمي: الإعلام الدولي والصحافة عبر الأقمار الصناعية، دار المناهج للنشر والتوزيع

ولما كان للإذاعة هذه الأهمية البالغة حرصت كثير من الدول الكبرى ذات التأثير الخطير في السياسة الدولية أن توجد لها إذاعات دولية تنقل من خلالها لغتها وثقافتها وقيمها وسلوكها وسياستها إلى خارج حدودها الوطنية لتصل إلى أكبر عدد من المستمعين داخل البلاد وخارجها ترويجاً لأفكارها وعرضاً لقضاياها من وجهة نظرها، ومن خلال هذه الإذاعات تنقل القضايا العالمية وتوجهها كل دولة التوجيه الملائم لها.. وتقدم الأخبار العالمية تقديماً يناسب مصالحها، ومن خلالها كذلك تساهم في إيجاد الروابط بينها وبين الدول التي تبث إليها.

وقد لعبت كثير من الإذاعات الدولية دوراً بارزاً في هذا المجال منها على سبيل المثال إذاعة أوروبا الحرة التي كانت تبث برامجها إلى أوروبا الشرقية حتى سقط حائط برلين [١].

ولا يخفى وزن وشهرة إذاعة (بي بي سي) في العالم فهناك إجماع على دور هذه الإذاعة في نشر الرؤية الإنكليزية، وأخطر وأبعد من ذلك الرؤية الغربية للعالم.

ثالثاً إذاعة فرنسا (آر آ في) فهي تمثل صوت فرنسا في الخارج وتمتع هذه الإذاعة بميزانية خاصة يتم التصويت عليها من البرلمان وتوظف ٢٧٠ صحفياً وهي بحسب عدة وحدات عمل تسهر على تحضير الأخبار والبرامج التي تبث بثماني عشرة لغة حسب الرؤية الفرنسية للأخبار [٢].

ولم يقتصر استخدامها في نقل ذلك كله على موجات الميكرويف أو السنتيمتر بل تخطت إلى استخدام الرقمي " Digetal ".

ومن هنا فقد أحدثت هذه النقلة التقدمية تطوراً لم تشهده وسائل الإعلام من قبل، وأصبحت الإذاعة جاهزة للتعامل مع القرن الجديد، قرن ثورة المعلومات أو قرن العولمة القرن الـ ٢١.

ومن المتوقع أن تقوم إحدى الشركات البريطانية (B. T) بالاشتراك مع شركة (BANASONIC) اليابانية في إنتاج أجهزة متطورة تتوافق مع الهواتف المحمولة، وتحمل

ط١/ ٢٠٠١م، عمان، ص ٥١، ٥٢.

(١) المستقبل العربي، ٢٤٣، ص ٢٨.

(٢) انظر: المستقبل العربي ٢٤٣، ص٢٨.

هذه الأجهزة أنواعاً من الموسيقى والأغنيات الماجنة بالصوت والصورة أو تسجيلها من الإنترنت في مسجل استريو مباشرة، ويحل بذلك الجوال محل الراديو والتلفاز فيما يشغل أوقات الشباب والفتيات ويضيع ويهدر جزءاً كبيراً من أعمارهم.

* * * * *

المطلب الثالث:

التلفزيـون

أصبحت المعلومة في هذا العصر المسمى بعصر انتصار المعلومات من أهم عناصر إنتاج السلع والخدمات [(١)].

ولما كان جهاز التلفزيون من ألصق الأشياء بحياة الناس فهو يحل في البيت كأحد أفراد الأسرة، بل هو جليسها ونديمها، ويتحلق الجميع حوله الصغار والكبار والنساء والرجال ويمضون معه الساعات الطوال آناء الليل وأطراف النهار [(٢)].

فهو لهذا أقدر شيء على التأثير التوجيه والتغيير في الناس أفراداً وجماعات، فهو ينحت ليل نهار في عقول وأفهام وآراء الناس لتشكيلها، ولإرساء قيم ومفاهيم مخالفة لما عليه مجتمعاتهم من قيم ومفاهيم أصيلة، ويعمل خلال هذه الساعات والأوقات أيضاً بنشاط غير منقطع، لتغيير أنماط حياة الناس وانحراف سلوكياتهم وزعزعة أفكارهم ومعتقداتهم وعاداتهم، بل وإحلال محلها أفكار وعادات وتقاليد وسلوكيات أخرى تخدم في النهاية الشركات المسيطرة على وسائل الإعلام العالمي، التي ليس لها هم إلا الربح والربح فقط، ومن هنا فقط خضع البث التلفزيوني بوصفه وسيلة من وسائل الإعلام لقواعد السوق والاقتصاد مما أدى إلى عولمته، فدأبت الشركات العملاقة العابرة للقارات تبحث عن أسواق لتسويق السلعة الإعلامية.

فهي أخطر وسيلة تروج لها العولمة بل هي الأداة الرئيسية لها، حيث أنها ترتبط بالأنساق الثقافية والحضارية وتسعى لتغيير أنساق وحضارات الأمم الأخرى لصالح أرباب هذه

---

(١) علي الدين محمد - الإعلام الدولي والقضايا الإسلامية، السنة، العدد (٨٣) سنة ١٤١٩هـ صـ٣٩

(٢) تقريظ على بحث المقدم، لمجلة المنتدى محمد يوسف النهاري: التلفزيون وتدمير الاحتراق، العدد (٢٩)، ص ٦١.

الشركات ومواطنها الأصلية.. أي لصالح الحضارة الغربية[١] أو بالتحديد لصالح أكبر منتج للسلعة الإعلامية وهي بالطبع أمريكا.

التلفزيون وإشاعة الأخلاق الأمريكية:

ومما يجدر ذكره أن الإعلان في الوسائل الإعلامية عموماً بشكل الوسيلة الأساسية لتغيير أنماط الاستهلاك بين الناس ويتخذ كذريعة لإشاعة الأخلاق الأمريكية والغربية بين شباب المجتمعات الإسلامية، وتعتبر هذه الدول هدفاً رئيسياً للإعلام الغربي فهو حين يصدر السلعة الإعلامية إلى العالم كله، بما فيه العالم الإسلامي، فإن الإعلان والأفلام – المتنوعة كوسيلة من وسائل الترفيه – التي تنطوي عليه هذه السلعة هما من أهم صادرات الدول الغربية حيث تجني من ورائهما الأرباح الطائلة خاصة في بلادهم وفي أسواقهم. ولكن تسهيلاً للدول العربية والإسلامية فإنه لا يؤخذ منهما إلا سعر التكلفة ويكتفون بإشاعة الأخلاق الغربية بين المسلمين وأما الأرباح التي تجنيها هذه الشركات فإنها تأتي من الأسواق الداخلية للبلاد الغربية ككل[٢].

التلفزيون والإعلانات:

إن الإعلانات التي تبثها وسائل الإعلام الغربي في ظل التقدم الهائل والتطور التكنولوجي والاتصالاتي المذهل، وانتشار الأقمار الفضائية الكثيرة في الفضاء ودخول هذه البرامج (الإعلانية) إلى كل بيت، بل إلى كل غرفة نوم من غير كبير عناء ولا خسارة مادية تذكر باتت تشكل سوقاً واحدة في العالم كله، وتنشئ إنساناً واحداً كونيا لا وطن له ولا إنتماء، إنه إنسان السوق أو الإنسان الاقتصادي [٣] حيث لا همة له إلا في الحصول على النفعية (البرجماتية) وإشباع الغرائز وترفيه الجسد.

إن المتأمل إلى ما يجري عولمته بحق خلال العشر سنوات من القرن المنصرم في هذه الشاشات، لا يستطيع أن يرى أكثر من إعلان ترفيهي تافه لا يهتم إلا بسفاسف الأمور، ولا يخص إلا شرائح النساء والشباب وهذا يسهم في تحطيم قيم الشباب المسلم وإبعاده عن دينه ومبادئه أولا يمكن أن يرى غير دعوة إلى النمط الحياتي الغربي، أو أغنية ماجنة أو قصة

---

(١) علي الدين محمد – الإعلام الدولي والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص ١٣٩.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠.
(٣) المرجع نفسه، ص ٤٠.

مسلية أو! أما الإعلانات فإنها لا تعدو أن تكون حول مستحضرات التجميل، والمنظفات الصناعية، والمشروبات الغازية، والأطعمة ذات الوجبات السريعة، وآلات الموسيقى، والرياضية، الأمر الذي يجعل من الشباب المسلمين وشاباته قوماً مترفين ينفخ في روعهم الولوع بالرقص والطرب والمجون والاستهتار بالقيم ويزين لهم الفنانة العاهرة، وتجعلهم صرعى الغواني والغانيات، ويولد منهم مرض تحطيم القيود والأخلاق الإسلامية[١].

وما أبلغ حديث الأرقام حيث لاحظ باحث أمريكي هذا الهراء وهذه المهزلة واستخلص في بحثه أن قنوات الإعلان التلفازي عبارة عن منتجات اقتصاد الأشياء التافهة Pepsi quick economy كمستحضرات التجميل والمنظفات الصناعية والمشروبات الغازية وغيرها مما ذكرت آنفاً [٢].

ويؤكد الباحثون أن مبيعات التسجيلات الموسيقية في العالم بلغت ٣٥.٤ مليار دولار عام ١٩٩٥م منها ١١مليار في أمريكا، وبلغ الإنفاق العالمي في المجال الرياضي ٩مليارات دولار[٣].

وما أشد مكر الإعلام وتمييعه للحقائق وقلبها إلى أوهام وخاصة الإعلام الغربي الذي يطرح من ضمن أطروحاته مستخدماً جميع وسائله على أن الإسلام الخطر الأعظم الذي لا يمكن أن يلتقي مع الحضارة الغربية على أمر سواء فهو لذلك يتعمد الخلط بين الإسلام كدين وبين واقع الأمة الإسلامية المتردي، ويصور المسلمين المتمسكين بإسلامهم وخاصة شريحة الشباب منهم بأنهم جامدون تقليديون ومتعصبون متهورون أو إرهابيون إلى غيرها من الأوصاف والألقاب التي تنفر بقية شباب الأمة عنهم..، وفي نفس الوقت يعمل على تضخيم الفرق الضالة كالبهائية والقاديانية ويصورها بصورة مستنيرة ومتحررة والمواكبة لما عليه الحضارة الغربية وهي التي ينبغي التعامل معها [٤].

---

(١) المنتدى العدد ٦٢ صـ٦٢. الأستاذ. محمد يوسف النهاري التلفزيون وتدبير الأخلاق عن المنتدى= =اليمنية - تعز - العدد (٦٢) ص٦٢.
(٢) انظر علي الدين محمد الإعلام الدولي مرجع سابق صـ٤٠.
(٣) المرجع نفسه صـ٤١.
(٤) المرجع نفسه صـ٤١..

٢ – يعمل جهاز التلفزيون بدأب وجهد متواصل في تشويه حقائق الإسلام الناصعة حتى يحول بين مواطنيه وبين حقيقة الإسلام فلا يدخلوا فيه، فهو يتبنى الرؤى الاستشراقية في هذا الجانب من أن الإسلام دين دموي مصادم، وأهله قتلة شاربين للدماء... إلى غير ذلك.

٣ – ولأن الإعلام يمثل أهم مصادر استسقاء المعلومات وتلقينها فإنه يستخدم أسلوب الإلحاح والتكرار في تكوين الصورة، ويستخدم هذا الأسلوب في تشويه صورة الإسلام فيصورونه ديناً دموياً إرهابياً عنيفاً – ويمثل كتاب (صموئيل هيتغون) صدام الحضارات نموذجاً لهذه الصورة وهو وثيق الصلة بالاستخبارات الأمريكية وهو يهودي الأصل.

ويركز الإعلام الغربي من خلال التلفاز وغيره على المرأة ويصور العالم الإسلامي بأنه لا يحترم حقوق المرأة ولا يقدرها ويعاملها بقسوة ووحشية واستخفاف واستهتار فهو يحرمها من التعليم والعمل ولا يساويها بالرجل كإنسان تختلف عنه من حيث النوع (الجندر)، إلى غيرها من الاتهامات التي تكال ليل نهار على الإسلام مع أنه لم تكرم المرأة ولم تستوف حقها إلا في ظل الإسلام والتاريخ خير شاهد.

وتمثل صكوك المصطلحات أحد مهام الإعلام الغربي حيث يوصف المسلمون بأنهم أصوليون وإرهابيون ومتوحشون وقذرون غير أكفاء ومسرفون إلى غيرها من الأوصاف التي تبثها وسائل الإعلام بطريقة قذرة ويتلقاها العالم كله على أنها مسلمة من المسلمات.

ولأن وسائل الإعلام الغربية هي مشروعات تجارية تابعة للشركات العملاقة ولا يهمها إلا الربح فإنها تجري وراء الأخبار السيئة ووراء الفضائح والمآسي والقصص الرخيصة وغير الأخلاقية.

وسائل الإعلام معاول هدم للأخلاق:

وعلى هذا فإن وسائل الإعلام كالتلفاز والفيديو والإذاعة والبث المباشر إنما هي في الحقيقة معاول هدم للأخلاق والقيم الإسلامية، تدك حصون التدين والالتزام، وتهتك العفة وتعمق التغريب لدى شباب الأمة الإسلامية.

وليس معنى هذا الكلام أن أنفي عنها ما فيها من إيجابيات إلا أن إثمها أكبر من نفعها كما قال تعالى عن الخمر والميسر: **{قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}**(١).

إنما ينشر في هذا الجهاز من أغاني وتمثيليات وأطروحات ومسابقات ثقافية وما هي بثقافية، بل مسابقات نحو الغناء والخنا والرقص والرسم واللهو واللعب.... إلخ كما يراه الكبير منا والصغير.

إن هذا الذي ينشر في بلاد العالم الثالث المختلف أو في الأطراف كما يسمونها اليوم من أعظم أسباب الانحراف والانجراف وراء الشهوات والملذات والمتع الرخيصة، في حين أن أرباب العولمة ومروجوها، يتسابقون في علوم الفضاء، والتكنولوجيا، والاتصالات، والاستحواذ على المعلومات، وبناء أوطانهم اقتصاديا وسياسياً وفكرياً، والمسلمون في شهواتهم وملذاتهم يتقلبون وفي سباتهم يغطون، وتيار العولمة لا يرحم أحداً بل هو سيل عرمرم جارف لا يعترف بالضعفاء ولا بالمهزولين ولا بالكسالى ولا بالشهوانيين!!

إن المشاهد واللقطات في هذا الجهاز وغيره من وسائل الإعلام مكتظة بما يثير السُّعَار الجنسي، ويلهب كوامن الشهوات في النفس البشرية، ويعمل على تعطيش الغرائز وإيقاظ مكامن الشر فيها، ويلعب بالأهواء، ويوجه الشباب للانحراف والإغواء بأشكال متعددة وأساليب متنوعة وبعوامل جذابة صارخة، ممزوجة بالصورة واللون والصوت والأضواء مع التفنن والتنوع في الإغراء والإغواء، ولا يكاد هذا الجهاز وغيره يخلو يوماً من صورة امرأة كاسية عارية، أو قصة ملهبة للغرائز الجنسية ومثيرة للعاطفة، أو أغنية غرامية خاصة (فيديو كليب)، وأخبار تافهة أو مثيرة للشباب(٢).

لقد دخل الإعلام التلفزيوني منعطفاً خطيراً له أبعاده وأخطاره المستقبلية على حضارة الإنسان وتوجهاته، خاصة في ظل تطور طريقة البث المباشر بواسطة الأقمار الصناعية، وأضحى الأمر منفلتاً وخارجاً عن دائرة المراقبة والتوجيه من قبل حكومات البلدان المستقبلة، وكما أسلفت فإن الهدف الأساسي والرئيسي للتلفزيون هو تغيير اتجاهات الناس

---

(١) البقرة: ٢٩١.

(٢) الأستاذ. محمد يوسف النهاري التلفزيون وتدمير الأخلاق الحلقة (٣) عن المنتدى العدد (٦٢) ص٦٣ مرجع سابق.

وقيمهم وعقائدهم وآراءهم وسلوكهم من خلال برامجه المتناقضة كأن يأتي برنامج ديني مثلاً يدعو إلى مكارم الأخلاق ثم يتبعه في الحال برنامج ترفيهي مسلي يدعو إلى الغناء والخنا والرقص وتعليم الموسيقى، وهو يعمل عملية غسيل المخ أي تنظيف العقل وإعادة تعليم الأفراد أو الإصلاح الفكري أو التربية العقائدية بأساليب ماكرة كقلب الحقائق والإلحاح عليها وتكرارها والتماس من يشهد زوراً وبهتاناً على صدقها أو تزييف سند التاريخ باستنطاقه ما لم يقل أو يحدث به[1].

التلفزيون وخدمة قوى العولمة:

وفي ظل هذه التطورات يعمل التلفزيون على خدمة أهداف العولمة وذلك بتزيين وسائلها وأهدافها ومستقبلها ومستقبل من يسير في فلكها وضياع أو بوار وهلاك من يعارضها ولا يسير في فلكها كما يزعمون.

ففي الجانب الاقتصادي يروج التلفزيون لما يسمى بالسوق الحرة والانفتاح الاقتصادي للأسواق، واندماج الاقتصاديات والشركات باسم العولمة وإزالة أو تخفيف الحواجز الجمركية.

وفي الجانب السياسي تستخدم قوى العولمة التلفاز للترويج للديمقراطية والتعددية، وحقوق السياسة ينادي بالتعددية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات والمرأة، وحقوق الطفل وغيرها من الحقوق التي لم تنته بعد ولا تطبق إلا على الإنسان العربى نزراً يسيراً مما نراه ويراه غيرنا.

وفي الجانب الثقافي تعمل وسائل الإعلام من خلال الشاشات الصغيرة وغيرها للترويج للثقافة الغربية على أنها الثقافة الحضارية التي ينبغي أن تسود فتروج لقيمها ومفاهيمها وسلوكياتها وأنماط الحياة التي تحيها هذه الثقافة، ولأن التلفاز أكثر احتكاكاً والتصاقاً بالمجتمعات فإن تأثيره لا يستهان به على العقول والأفهام وتغيير الأفكار..

وهذا الذى تروج له الشركات الكبرى مدعماً بالصوت والصورة على شكل أغانى فيديو كليب وصور خليعة وتمثيليات ورقصات وترويج للفنانين والفنانات والمواهب

---

(١) انظر مروان كجك - آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع مكتبة الكوثر الرياض ط١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م صـ٢٤.

الصاعدة من يساهم أيضاً في نسخ هويات المجتمعات خاصة الإسلامية وانحراف شباب الأمة هو الذى أصبح يعرف بالنموذج الأمثل والظاهرة الحديثة التى تسمى العولمة وما هى إلا صورة من صور الاستعمار غير أنها ركزت بشكل أقوى في تزوير العقول ومسح للقلوب وتنكبت عن المواجهة العسكرية التى أظهرت فشل ذلك الاستعمار مع نهاية الحروب الصليبية وما هذا إلا امتداد لحقبة الاستعمار القديم.

* * * * *

المطلب الرابع:
الأفـلام السينمائيـة

توطئــــة:

المتتبع لسير السياسة الأمريكية من الخمسينيات والستينيات يجد أن المصلحة والمصلحة فقط هي التي توجهها، فأينما لاحت لها المصلحة تركت سفينة سياستها تمخر عباب البحر حتى إذا اصطدمت بمصالحها أوقفتها، لتغير اتجاهها ولتشق طريقاً آخر وتغيره بهدوء ففي الخمسينيات والستينيات كان هناك تخوف من القومية العربية، فصدتها بالإسلام (بالإسلاميين) وعاشت المنطقة العربية والإسلامية برمتها قلاقل واضطرابات مع أبناء قومها من الإسلاميين [1].

أما أثناء الحرب الباردة فقد كانت التحالف مع الإسلاميين لا يخفى وذلك لمنع المد الشيوعى وضربه، ثم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي قلبت ظهر المجن فانقلبت على الإسلاميين وأصبح ربان السفينة في أمريكا هم اليهود الذين بدأوا يحذرون الأمريكان من خطر الإسلام وخطر المندفعين إلى الجنة بقتال اليهود والكفار، فأخرجت لهذه الحرب مخرجات متنوعة ما بين نظريات ومقالات وتحليلات وأفلام سينمائية وتلفازية لتحكم خطتها وتقدم على هدفها بعد وضوح الطريق وجلاء المقصد.

الولايات المتحدة قميمن على الأفلام السينمائية والتلفازية:

ولم تتماسك الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر سبتمر ٢٠٠١م حتى أعلنتها حرباً صليبية ضد الإسلام والمسلمين.

ولقد بذلت الولايات المتحدة الأمريكية جهداً مكثفاً وعملاً مضنياً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتأمين هيمنة أفلامها السينمائية والتلفازية على الأسواق الخارجية، وقد أخذ هذا الإنجاز طابعاً سياسياً داخل الولايات المتحدة، حتى لقد بات أحد البنود التي جرى إدراجها ضمن المعاهدات وبرامج المساعدات الغذائية. من أجل هذا دخلت أوروبا حرباً باردة في هذا الشأن مع الولايات المتحدة، حيناً بدأت تأخذ موقفاً دفاعياً بعد الحرب بسبب

---

(١) فواز جرجس أمريكا والإسلام السياسي.. عرض وتقديم خالد الفيشاوي عن مجلة العربي الكويتية العدد (٥١٤) سبتمبر ٢٠٠١م ص١٨٨ وما بعدها.

الاتفاقيات الملزمة، وتميزت فرنسا بموقف صارم تجاه السياسة الأمريكية في هذا المجال بحجة التمسك بالخصوصية الثقافية لدى الفرنسيين، مما دفع بأمريكا للدخول في مسألة أخرى حيث أدخلت الحماية الثقافية ضمن البنود المسلمة لمنظمة التجارة العالمية[١].

من هنا تداخلت الثقافة مع الاقتصاد وأصبحت الثقافة متمثلة في الأفلام أو حقوق الملكية الفكرية أو براءات الاختراع أو التقويض المتعمد للاكتفاء الذاتي القومي في الغذاء اقتصاداً.

الأفلام السينمائية والرسالة الشيطانية:

وأضحت الأفلام أداة إعلامية قوية تؤدي رسالتها الشيطانية بحنكة واقتدار والمتأمل في سير هذه الأفلام وتاريخها منذ نشأتها، سيجد أنها تعمل في ثلاثة مسارات رئيسة وخطوط متوازية تسير جنباً إلى جنب في العمل المخطط لها [٢].

المسار الأول: يتجه نحو إظهار شهامة وكرامة وصدق وأمانة وإخلاص الرجل الأبيض خاصة الأمريكي في عمله وإتقانه له.

المسار الثاني: نحو عولمة الفحش والخنا والرذيلة والسقوط في مستنقع الشهوات والجنس.

المسار الثالث: فيتجه نحو عولمة العنف وإثارة الأحقاد والضغائن والتحريض على الصراع العالمي خاصة ضد الإسلام جاعلاً من (العرب والمسلمين) غرضاً وهدفاً مرسوماً له.

وقبل الولوج إلى الحديث عن هذه المسارات يستحسن الباحث أن ينوه إلى أن مصدر هذه الأفلام هو الغرب وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الأخص هو مدينة هوليود [٣].

---

(١) انظر فريد ريك جميسون، ترجمة شوقي جلال، العولمة الاستراتيجية السياسية، عن مجلة الثقافة العالمية العدد(١٠٤) ١/ ٢٠٠١م، ص٣٤.
(٢) المرجع نفسه، الصفة نفسها.
(٣) انظر مروان كجك آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع، مكتبة الكوثر - الرياض ١٩٩٧م ص٣٦.

والملاحظ على المسار الأول أن الأفلام التي تصنعها السينما العالمية قد أحدثت شرخاً واسعاً وتركت أثراً سيئاً في عقول الشباب والناشئة من الأجيال المسلمة وعوامهم لضعف الحصانة الفكرية لديهم، ذلك أنهم أكثر الشرائح في المجتمعات قابلية لهذا الاستهواء.

ويكمن هذا الشرخ في تجسيد القيم الغربية الهشة والثقافة الضحلة التي تنقلها هذه الأفلام عبر شاشات السينما والفيديو، والمسارح.

ويتضح الأمر أكثر عندما تظهر هذه الثقافة مدعمة بالصوت المميز بالمؤثرات الصوتية، والموسيقى الصاخبة، والصورة المزخرفة، والمغريات الكثيرة، وتصدر إلى العالم الإسلامي ليتلقاها ويستقبلها شرائح من الشباب المراهق والعوام والأطفال، ولا تعرض تلك القيم بشكل مكثف ومفاجئ، ولكنها تعرض بهدوء وعلى جرعات منتظمة مما يترتب عليها تشكيل العقلية الباطنة للمشاهدين وبشكل لا شعوري من جراء التركيز المستمر والدوري أحياناً على مدار الأسبوع وأحياناً يومياً وربما تتكرر المشاهد والعروض على مدار الساعات.

الأفلام السينمائية وتجسيد القيم الغربية:

إن تلك المشاهد والعروض التي تعرض من خلال الأفلام، تتعمد إظهار المجتمع الغربي على أنه مجتمع مثالي تتمثل فيه الصفات السامية والأخلاق النبيلة كالصدق والأمانة والترتيب والنظام والتقدم والقيام بواجباته على أحسن وجه وأكمله، فهو يلاحق الجريمة ويتتبعها، ولا بد من أن يكشفها، وتظهر هذه الأفلام بطولة ذلك الرجل الغربي وبالخصوص الأمريكي ويطلق عليه بطل القصة أو بطل الفيلم، وهو لا يشق له غبار ولا يمكن أن يقهر وهو أسرع وأقوى وأكثر حنكة من عدوه وربما أتى بالخوارق والمعجزات.

وتتعمد هذه الأفلام إظهار هذا الأمر بشكل مستمر كما أسلفت على أن ذلك هو النموذج المعهود للرجل الأوروبي أو الأمريكي النمط الذي يراد عولمته في عالم اليوم.

ولا شك ولا ريب أن مثل هذه الصفات تنعكس على المجتمع المشاهد حيث تظهر الصور المثلى والنموذج الأعلى للرجل الأبيض خاصة الأمريكي الأمر الذي يؤدي إلى إلصاق الشعور بالدونية والعجز والشعور بالنقص عند هذه الشعوب مما يجعلها تتطلع بلهف ورغبة إلى اللحاق بهم في مضمار الحضارة والتقدم آخذين منه كل ما يمت إلى تلك الحضارة

بغض النظر عن صلاحه أو فساده المهم تقليدهم ومحاكاتهم حتى " لو دخلوا جحر ضب " لفعلت هذه المجتمعات مثلهم " حذو القذة بالقذة ".

هوليود والحرب الإ علامية:

وتستخدم هذه الأفلام أقصد التي يتم إنتاجها في هوليود حرباً إعلامية مشوهة ضد العرب والمسلمين فتصورهم على أنهم عشاق دعارة وجنس، يتعشقون الغواني والعاهرات بل والبيضاوات من الغربيات وتصورهم على أنهم فجرة قتلة إرهابيون، ومفجرو قنابل وبشكل عام أصحاب عنف وجنس.

لمحة تاريخية عن أفلام هوليود وأثرها:

وفي هذا المضمار نجد كثيراً من الأفلام واتجهت بقوة وكثافة لصياغة وإخراج وإلصاق هذه الصفات بالعرب والمسلمين من نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين، وها هى مضامينها تصب في هذا المستنقع الآسن ومنها على سبيل المثال لا الحصر [١]:

لتعرف ما هي المضامين التي غدت تنشرها من فترة العشرينات فقط حتى الآن على النحو التالي:

١- كانت الأفلام المنتجة في العشرينات عام (١٩٢١)، (١٩٢٤)، (١٩٢٨)، على التوالي هي فيلم(الشيخ)، وفيلم (مقهى في القاهرة)، وفيلم (عروس الصحراء) كانت مضامين هذه الأفلام تدور حول مغامرات في الصحراء ترتبط بالجنس والدعارة والعنف وتظهر العرب والمسلمين في أطر من الهمجية والغوغاء والوحشية وتصورهم على أنهم يختطفون نساء غربيات بيضاوات عفيفات!! ولا يكتفي مخرجو هذه الأفلام بهذا بل يصورونهم أيضاً وهم يشنون الغارات على معسكرات الفرنسيين والإنكليز المحتلين طبعاً، ليأخذوا منها ما لذ وطاب من المآكل والمشارب وربما النساء.

ولك أن تتصور النتيجة التي تلتصق في عقول مشاهدي هذه الأفلام وأفكارهم وعن الصور التي ترسم في عقولهم عن العرب الهمجيين والبرابرة والوحوش الكاسرة، الباحثين

---

(١) انظر عطية فتحي الويشي، هوليود وعولمة الإسلام وفوبيا، مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد (٤٢٦) السنة ٣٨، صفر ١٤٢٢هـ ص٥٢، وانظر مثلاً لهذه المعلومات، ومزيداً عليها - كتاب أحمد رأفت بهجت - الشخصية العربية في السينما العالمية - ط١٩٧٨م عن مجلة المثقف العربي، المقر الرئيسي لندن - الوكالة العربية للإعلام (عرب - بري) العدد ٢١ - ٢٢ - السنة / ٢، ١٠، ١١ / ٢٠٠٢م ص٢٠، ص٥١..

عن الخنا والنساء الداعرات، ولك أن تتصور اللعنات التي تلاحقهم بعد ذلك من جراء مشاهدة هذه الأفلام والصور الكاذبة والتهم الملفقة بالقوم وهم منها براء.

وإذا خطونا قدماً تقدمنا إلى مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات فستجد أن الأفلام التي أنتجت خلالها كانت تصور العرب والمسلمين على أنهم متخلفون ومتوحشون وهمج ولا يعرفون من الحضارة شيئاً ولا حتى اسمها فيأتي الفرنسيون والإنكليز ليزيلوا عنهم آثار الجهل وران الظلم وغبار الوحشية ومن هذه الأفلام فيلم (كازابلانكا).

وأما خلال فترة الخمسينيات والستينيات فقد أضيفت موضوعات الجاسوسية والصراع العربي الإسرائيلي إلى الأفلام الأمريكية تظهر العرب على أنهم عاجزون حتى بعد الانتصار في إدارة شؤونهم فينسحبون ثم ليأتي البريطانيون كي يديروا شؤون البلاد فيفسح لهم العرب عن رضا وقناعة، ومن هذه الأفلام فيلم (لورنس العرب) ١٩٦٢م والجدير بالذكر أن هذا الفيلم قد حصل على سبع جوائز من جوائز الأوسكار، وحاز على لقب أحسن فيلم في ذلك العام [١].

وفيلم (العنقاء) الذي يصور العربي المسلم منعدم الضمير، ضعيف الشخصية عندما يتعمد قتل الغربي بلا أدنى سبب إلا أنه طلب منه المساعدة وغيرها من الأفلام التي تصور العرب كوحوش ضارية متعطشة للدماء مثل فيلم (الخروج) [٢].

وفي السبعينيات تغير مجرى الأفلام قليلاً ودخل منعطفاً آخر خاصة بعد حرب ١٩٧٣م واستخدام سلاح البترول. حيث صُورّ العرب فيها على أنهم إرهابيون ومعادون للغرب استغلاليون بما لديهم من ثروات مستبدون، يؤمنون بالترجمة الحرفية للقرآن يمارسون العنف والقهر ضد المرأة والصحافة الحرة ولقد مات الاعتماد عليهم يثير الرعب وعدم الاطمئنان والخوف منهم كما صورت ذلك (جين فورد) في فلم (رول أوقر) فعلينا إعلان الحرب عليهم [٣].

وكانت هذه الأفلام بمثابة إعلان الحرب على العرب والمسلمين، ففي فيلم (الريح والأسد) عام ١٩٧٥م يصور العرب على أنهم مختطفون، حينما احتجزوا امرأة

---

(١) عطية فتحي الويشي المرجع السابق ص٥٤.
(٢) المرجع نفسه ص٥٤.
(٣) المرجع نفسه ص٥٥.

(كاندز بيرجن) في المغرب ويطالبون الرئيس روزفلت بفدية هائلة لتحريرها وفي فيلم (نتورك) عام ١٩٧٧م يصور العرب على أنهم قد استولوا على أمريكا ووصفهم بأنهم متعصبون منذ القرون الوسطى.

وفيلم (الأحد الأسود) عام ١٩٧٧م أيضاً صور العرب على أنهم مجموعة إرهابية تتربص بمتفرجي الكرة والمباراة للفتك بهم حيث يوجد بينهم الرئيس الأمريكي، ولكن يأتي ضابط في المخابرات الإسرائيلية ليحبط المؤامرة ويلقي القبض على هذه الزمرة على أنها زمرة ومنظمة (أيلول الأسود).

إلى غير ذلك من الأفلام التي تخدم السياسة الأمريكية أما في الثمانينيات فتأتي هوليود لتجعل من نفسها سيدة الموقف، ولتبرز العرب والمسلمين على أنهم العدو الجديد المرتقب (العدو الأخضر) بدلاً من العدو الأحمر الذي بات يحتضر ولتقدم للشعوب الغربية الأفلام الجديدة التي تبرز الإسلام كعدو جديد، وبديل للنظام الاشتراكي، ومن هذه الأفلام فيلم (ذا دلتا فورس) و(المنتقم) عام١٩٨٦م، والـ (الموت قبل العار) وكلها تظهر المسلمين على أنهم يمتلكون أسلحة دمار شامل أسلحة نووية ذات خواص تدمير شاملة تمهيداً لضرب المسلمين كما حصل للعراق وهم يمهدون الآن لإيران.

وتصويرهم على أنهم يحوزون على صواريخ عابرة للقارات يهددون بها الأبرياء، ويأتي الغرب لإنقاذهم واستئصال شافة الإرهاب!!

ثم تردف هوليود لتعمق ذلك التصور المشين لدى الغرب نحو المسلمين بفيلم آخر أسموه فيلم (أكاذيب حقيقية) ١٩٩٣م ليصور العرب كمجموعة من الأشرار المتطرفين وليقوموا بتنفيذ مؤامرة كبرى لتفجير مفاعل نووي في تلورين بنفث سموم الحقد والكراهية والبغضاء ضد الغرب وما هي إلا سنتين حتى أتبعوه بفيلم آخر فيه الكثير من اللمز والغمز والتعريض بالقيم الإسلامية الفاضلة، التي تصل إلى الدرك الأسفل من قبلة الأدب وأسموا هذا الفيلم فيلم (دون جوات) في عام ١٩٩٥م يقوم بطل هذا الفيلم باختراق الحجاب ليدخل إلى النساء في البيوت ليمارس الغرائز الجنسية مع (١٥٠) امرأة عربية مسلمة إمعاناً من هوليود في التعريض بأخلاقيات المسلمين وقيمهم ونفث السموم الثقافية الغربية لتصل

من خلال الشاشة السينمائية والشاشة التلفازية بعد هذا الإنتاج العولمي إلى أكبر شريحة في المجتمع الإسلامي ككل [(١)].

وفي السياق نفسه أعلنت شبكة (H. B. O) أوسع شبكات الأفلام التلفازية انتشاراً في أمريكا أنها سوف تبث فيلماً في شهر يونيو ٢٠٠١م والمفترض أنها قد بثته، بعنوان " الطريق إلى الجنة " يحكي قصة تفجير المركز التجاري الأمريكي عام ١٩٩٦م [(٢)].

يعرض خلال أحداثه مجريات التفجير وكيف أن شيخاً عربياً مسلحاً ظهر مرتلاً لآيات القرآن الكريم ثم ما يلبث أن يقول بعد انتهائه من التلاوة"انتظر الانفجارات القادمة.

ويظهر خلال الفيلم ضابط أمريكي يسب العرب والمسلمين ويقذفهم بأقذع السباب والشتائم الجنسية وحدث بعدها عن أثر هذا الفيلم بالإضافة إلى الكتابات الصحفية التي تروج للكذب في حرق ٨ مساجد وارتكاب ٣٠٠ حادث عنف ضد المسلمين.

إلى غيرها من الأفلام التي أنتجت خلال التسعينيات كفيلم (الجهاد في أمريكا) و(الحصار) حيث تعرض في بلد يجمع أكبر نسبة من المهاجرين العرب والمسلمين الذين يتنعمون بخيرات الغرب والأمريكان ثم لنتخيل بعد ذلك وقع هذه الأفلام وآثارها على نفوس الغربيين حينما تغرس في صدورهم الحقد الدفين على المسلمين، وتغذي أفكارهم ببهتان الأقاويل وأباطيل الأحاديث والأكاذيب المتتابعة التي تتحول يوماً ما إلى حقائق**!!**

وتعكس هذه الأفلام شجاعة الأمريكيين حينما يدحضون مؤامرة تحاك ضدهم سواء من أبناء بلدهم أو من الوافدين المجرمين خاصة من العرب والمسلمين.

الأفلام السينمائية وسائل تحريض على الصراع:

وبحسب عطية فتحي الويشى [(٣)] فإن هذه الأفلام تعد من أهم مؤشرات التحريض على الصراع والمواجهة الشاملة الحازمة والصارمة ضد ما يسمى بالتطرف والإرهاب والأصولية من خلال تأصيل مبدأ التحدي والاستجابة..،

(١) المرجع نفسه ص٥٥، ٥٦.
(٢) المرجع نفسه ص٥٧.
(٣) نفس المصدر السابق.

ومن ثم تبرير تلك المواجهات التي قد تأخذ طابعاً جغرافياً أوسع داخل الدوائر الحضارية الأخرى لتعقب العرب المجرمين منهم وقطع دابر شرهم.

فتظهر ملامح هذه الاستجابة لقطع ما أسموه محور الشر والتطرف والإرهاب والأصولية كما حدث الآن في هذه السنوات والشهور ضد أفغانستان المسلمة، والعراق العربية المسلمة والسيناريو المرسوم لا زال لم ينته بعد حيث يتم التلويح الآن لإيران!

وهكذا تعمل الأفلام الفرشة والتمهيد لاستتباب جذور العولمة باسم تحرير الشعوب وتنوير المتخلفين وإدارة شؤون العاجزين واستئصال دابر الفساد في عرض الأرض وطولها لتسلم قوى العولمة زمام الأمور في كل مكان في هذه المعمورة..

وكل هذا يدور فى غياب الخلافة الإسلامية الراشدة وسيتحمل المسلمون جزءاً من المسؤولية التي أضاعوها وأفسحوا المجال لغيرهم يتربع ويبيض ويفرخ ولسان حال المسلمين يقول: خلا لك الجو فبيضي واصفري، ونقري ما شئت أن تنقري، لا بد من صيدك يوماً فاصبري.

* * * * *

المطلب الخامس:
الإنترنت

ترتبط العولمة ارتباطاً وثيقاً بشبكة المعلومات (الإنترنت) فقد أحدثت هذه الشبكة تغيرات جذرية في مجمل المعطيات المتعلقة بمسألة بنك المعلومات [١] وقد سلف في ثنايا هذه الرسالة التطرق إلى أن هذه الشبكة ليست حديثة من حيث الظهور ولكن الحديث عن اتساعها الفظيع وحجمها الكبير ونموها المتسارع العظيم[٢]، فقد كانت عبارة عن مشروع خاص بالولايات المتحدة الأمريكية حينما أقامت وكالة المشاريع المتقدمة (ARPA) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية شبكة (أربانيت) (ARPANET) للربط بين الجامعات ومراكز البحوث الجامعية الأمريكية،

---

(١) (انظر الصادق رابح / وسائل الإعلام والعولمة عن المستقبل العربي العدد (٢٤٣) ٥/ ٩٩م صـ٣٣ مرجع سابق).
(٢) (انظر المصدر نفسه ص ٣٣ وانظر العرب، نيل علي: الجوانب الثقافية، ورقة بحث قدمت، لندوة العرب والعولمة ص١١٦).

ضماناً لاستمرار التواصل بين العلماء ومتخذي القرار العسكري والسياسي في حالة حدوث ضربة سوفيتية نووية متوقعة ومفاجئة(١).

كانت البداية النواة الأولى لهذه الشبكة في عام ١٩٦٩م تربط بين المركز الدولي للبحوث التابع لجامعة ستانفورد، وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس، وجامعة كاليفورنيا في مدينة سانت باربارا وجامعة ولاية يوتا ثم نمت هذه الشبكة حتى أصبحت (شبكة الشبكات) حالياً، ومن المتوقع أن يصل حجمها في العام ٢٠٠٠م إلى مليار مشترك. انظر نبيل علي الجوانب الثقافية (التكنولوجية) (٢).

وأصبحت شبكة الإنترنت تمثل فعلاً ما يسمى بالقرية الكونية على مستوى الاتصال وجمع المعلومات، فهي أنجح وسيلة سريعة لاستلهام المعلومات وسرعة انتشارها ونشرها وتوظيفها وهي أهم وسيلة لتحقيق النزعات الحالية نحو العولمة، لكن الأمر يحتاج كما يبدو إلى مهارة عالية في استخراج أية معلومة ما ويتطلب التحكم في آليات البحث الإلكتروني ومزيداً من الصبر نظراً للكم الهائل من المعلومات التي تتوفر في الإنترنت (٣).

ويرى الباحث أنه بقدر ما فيها من الإيجابيات نحو تحقيق مزيد من المعلومات وتسهل على الناس مسألة هامة في البيع والشراء والدعاية والإعلان في أي وقت وفي أي مكان ولأي شخص من غير تمييز إلا أن سلبياتها تغلب إيجابياتها التي يمكن الإشارة إلى بعض منها كأمثلة فقط.

سلبيات الإنترنت:

ففيها كثير من مواقع الشر والفساد مواقع لترويج الرذيلة والفحشاء والمنكرات والمحرمات وفيها يتم الترويج لنشر القيم الغربية غير الأخلاقية، والأفكار المنحطة، والسلوكيات الشاذة التي تتسرب إلى عقول وقلوب وأفكار المسلمين، وخاصة من شريحة الشباب والشابات المراهقين والمراهقات وفيها يتم الترويج للقيم الاستهلاكية الغربية من غير تقيد بأخلاق أو أعراف أو آداب، ومن المدلهمات أن من لم يستطع أن يتحدث أو يكتب أو يعرف شيئاً من اللغة الإنجليزية، فإنه لا يستطيع الدخول إلى الإنترنت بسهولة، فهي ترويج

---

(١) الصادق رابح ص٢٣٤.
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٣ - ١١٨.
(٣) الصادق رابح، ص ٢٣٤.

للغة المسيطرة وتقضي بإقصاء غيها من مئات اللغات المنتشرة ففيها جانب الدمار يغلب جانب الإعمار.

وتستحوذ رائدة قوى العولمة على هذه الشبكة ولا تسمح لغيرها بأخذ الزمام فيها حتى أضحت أهم مورد لها في خدمة المعلومات فأحالتها إلى أكبر معقل اقتصادي حصين(١).

ولقد استغلت هذه الثورة التي تسمى ثورة المعلومات في هتك حرمات الآخرين والتسلط عليهم معرفياً وثقافياً، والتنصت على الأفراد والدول، فها هو (إريه بن منشه) ضابط الاستخبارات اليهودي يعترف بأن (إسرائيل) تمكنت من اختراق الشيفرة الإيرانية أيام الشاه، وكشفت تحريات صحفية عن وجود شبكة ضخمة للتجسس الإلكتروني شمال إنجلترا صممتها وتشرف عليها وكالة الأمن القومي الأمريكي (NSA)، ويطلق على هذه الشبكة اسم(Echelon)، وما صممت إلا للتجسس على الحكومات والشركات والأفراد دون مراعاة لحرمة آخر(٢) فأي ديمقراطية تزعم راعية الديمقراطية وحقوق الإنسان والسلام!!

وعلى الرغم من أن البعض ينظر إلى عصر المعلومات بأنه عصر ازدهار اللغات إلا أن الفريق الآخر متشائم جداً.

بسبب طغيان اللغة الإنجليزية في الإنترنت على غيرها من اللغات من حيث إنتاج الوثائق الألكترونية وحجم تبادلها أو اللغة التي تتعامل فيها البرمجيات وآليات البحث عبر الإنترنت إلى جانب المطبوعات المتعلقة بالجوانب المختلفة لتكنولوجيا المعلومات، ذلك أن شركات أمريكية هي التي تقوم بتطويرها وربطها بالأسواق العالمية لصالحها.

وتشير إحصائيات اليونسكو إلى حقائق مفزعة عن الوضع العالمي للغات البشرية فهناك (٦٠٠٠) لغة وهي تقريباً نصف لغات العالم حسب اليونسكو مهددة بالانقراض كما أن الإنترنت تعكس صورة قاتمة عن التنوع اللغوي فمن ضمن الستة آلاف لغة هناك خمسمائة (٥٠٠) لغة فقط على الشبكة (٣).

إذن ومن سلبيات الإنترنت أنها تعمل ضد التنوع الثقافي حيث تنحاز إلى التوحيد

---

(١) انظر المصدر نفسه صـ١١٧.

(٢) انظر جريدة الخليج الإمارات العدد (٧٦٢٨) ٧/ ٤/ ٢٠٠٠م صـ٤.

(٣) انظر د. نبيل علي الإنترنت مفكرة اللغات أم بستانها مجلة العربي الكويتية العدد (٥١٣) صـ٢٣ - ٢٤ - ٢٥.

القياسي اللغوي وبالطبع لصالح قوى العولمة.

وذلك بتوسيع نطاق تسويق المنتج المعلوماتي: طباعياً كان أم ألكترونياً إعلامياً كان أم تعليمياً وثائقياً كان أم برمجياً[١].

كذلك يعمل سلاح التوحيد القياسي عادة ضد مصلحة الصغار، حيث تسيطر على منظمات التوحيد القياسي كبرى الشركات القادرة على فرض مواصفات منتجاتها كقياسات الأمر الواقع. وما على الدول الصغيرة إلا الرضوخ والاستسلام حيث لا تتوافر لديها صناعات قومية تساند موقعها في مساحة التنافس القياسي علاوة على عدم خبرتها النظرية والعملية في هذا المضمار[٢].

* * * * *

المطلب السادس:
وكالات الأنباء العالمية

لم يعد يخفى أن وسائل الإعلام هي أقوى أدوات السيطرة ولها أهمية عظيمة وخطيرة، فمن يمتلكها يمتلك العالم، وقد أدركت قوى العولمة هذه الأهمية فسيطرت على معظم وسائل الإعلام، ولذا لا عجب أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تمتلك في هذا المجال أقصد (مجال الوكالات) ثلاثين وكالة من وكالات الأنباء من أصل مائة وعشرين وكالة عالمية[٣] لها قرابة مائتين (٢٠٠) فرع في العالم العربي وحده وميزانياتها بحسب الدكتورة عواطف عبد الرحمن[٤] تعادل الميزانية المخصصة للتعليم في البلاد العربية مجتمعة. ويشكل الإعلام الغربي أكثر من ٩٠٪ من الإعلام العربي الأمر الذي جعل الدول الصغرى غائبة بل تابعة تبعية كلية للإعلام الغربي فما من خبر أو حدث إلا وتستقيه من وكالات الأنباء العالية الأجنبية خاصة الوكالات الخمس الكبرى التي تحتكر الأخبار والمعلومات بنسبة ٨٠٪

---

(١) المرجع نفسه ص٢٥.

(٢) المرجع نفسه ص٢٥.

(٣) انظر علي محمد العائدي الإعلام العربي أمام التحديدات المعاصرة دراسات استراتيجية العدد ٣٥ الصادر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث ط١ (١٩٩٩م) صـ١٧

(٤) د. عواطف عبد الرحمن في محاضرتها (الإعلام والعولمة في القرن ٢١) التي القتها بجامعة عجمان فرع العين عن جريدة الاتحاد الإمارات العدد (٩٠٠٣) ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٠م صـ٧.

وهي (رويتر) و(أسوشيتد برس) و(يونايتد برس إنترناشيونال) و(وكالة الأنباء الفرنسية) و(وكالة تاس الروسية)[(١)] والتي تحولت إلى (إيتارس تاس) بالإضافة إلى وكالات الأنباء المصورة التي تمد أجهزة التلفزيون في العالم بالأخبار والمعلومات الفيلمية المصورة معتمدة على أحدث أجهزة التقنية والاتصال إلكترونية الحديثة مستخدمة الأقمار الصناعية لتحقيق أغراضها وإيصال أهدافها وهذه الوكالات هي:

١ - وكالة (النبز نيوز) البريطانية.

٢ - وكالة (أبتين) وهي تعمل برأس مال أمريكي بريطاني.

٣ - وكالة الخدمات التلفزيونية الأوروبية (إيتيس).

٤ - وكالة (CBS NEWS FILD)[(٢)].

ومن هنا يتبين أن أخبار العالم، ومنه العالم الثالث تستمد من هذه الوكالات العالمية الرئيسة، التي تسيطر على المعلومات، وتصوغها، وتخرجها، وتشكلها كما يروق لها، ويحقق أهدافها، ويخدم ثقافتها، وتبقى دول العالم الثالث مستوردة لكل خبر، كما تستورد الثقافة العالمية في ظل هذا الاحتكار[(٣)]، فعند نقل أي خبر، لا يتم نقله من قبل وكالات أنباء دول العالم الثالث بصفة مستقلة، ولكنه لا ينقل إلينا إلا بعد أن تلوكه وكالات الأنباء العالمية قاطبة، ومن هنا فإن الخبر ينتشر ويظهر حسب صياغة الوكالات المهيمنة، حتى ولو كان ضد شعوب دول العالم الثالث، ومنه العالم الإسلامي، مما يعكس وبصورة فاضحة التبعية الواضحة من جانب هذه الدول لتلك الوكالات، والتي قد تتسبب في زعزعة أمن واستقرار

---

(١) علي محمود العائدي / الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة صـ١٧ (مرجع سابق)وانظر الصادق رابح وسائل الإعلام والعولمة من المستقبل العربي العدد (٢٤٣) - ـ٥/ ١٩٩٩م صـ٢٤، وانظر: شفيق محمود عبد اللطيف، وكالات الأنباء، رؤية جديدة، دار المعرفة، سلسلة (كتابك)، (١٠١)، ص١ - ٢٧، وانظر: د. عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (٧٨) يونيو ١٩٨٤م، ص ٤٣، كما= =يمكن الرجوع إلى د. فاروق أبو زيد انهيار النظام الإعلامي الدولي، ط بدون ذكر دار النشر، ص٥٥.

(٢) د فهد بن عبد الرحمن المليكي: هيمنة وكالات الأنباء الدولية على الخبر الدولي في العالم الثالث انظر المجلة المصرية لبحوث الإعلام الصادرة عن كلية الإعلام جامعة القاهرة العدد الخامس يناير / إبريل ١٩٩٩م ص ٢٣٧.

(٣) د عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم سلسلة عالم المعرفة الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد (٧٨) يونيو ١٩٨٤م ص٤٣، ٧٢.

هذه الدول الأمر الذي يؤدي إلى الإضرار بمصالحها الحيوية[١].

ولسنا في هذا المبحث بصدد دراسة تفصيلية لوكالات الأنباء العالمية بقدر ما يهدف البحث إلى توضيح مدى سيطرة هذه الوكالات على الأنباء العالمية والمختلفة (ما بين خبر وحدث وحديث).

والمتتبع لما يجري على المستوى العالمي يجد أن وكالات أنباء العالم الإسلامي والعالم الثالث معتمدة كل الاعتماد على ما يبث جملة وتفصيلاً، عن وكالات الأنباء العالمية المذكورة آنفاً[٢].

إن ضخامة حجم هذه الوكالات وقوة وسائل التقنية الحديثة التي تستخدمها وتستعين بها في جميع الأنباء وتوزيعها بلغات عديدة في أنحاء العالم يعكس مدى سيطرتها وهيمنتها على هذه الأنباء، خاصة وهي تعمل على مدى أربع وعشرين ساعة، إلى جانب فروعها الموزعة في شتى نواحي العالم[٣].

وعلى سبيل المثال، فإن وكالة الـ «اسوشتيدبرس» لها أكثر من (١٥ ألف) مشترك في (١١٥) دولة ويعمل بها نحو خمسة آلاف مشترك في (١١٠) مكتب في الولايات المتحدة وثمانين مكتباً في الخارج[٤].

---

(١) فهد المليكي هيمنة وكالات الأنباء ص ٢٣٩ مرجع سابق.

(٢) ومن الأمثلة اتي تثبت ذلك:

١ - ما تناقلته وكالات الأنباء نقلاً عن وكالة (أسو شيتد يرس) حول حدوث توتر بين حدود السعودية واليمن، وعن توغل قوات سعودية في الأراضي اليمنية حتى كذبته بعد ذلك وزارة الخارجية في ١٢/١٢ ١٩٩٥م عن المليكي هيمنة وكالات الأنباء ص ٢٣٩، وانظر جريدة الشرق الأوسط العدد(٦٢٢٤) ١٩٩٥م ص.١

٢ - حادث الانفجار الذي وقع في مدينة أوكلاهوما في الولايات المتحدة الأمريكية نسبت وكالات الأنباء الغربية هذا الحدث إلى العرب والمسلمين، حتى ظهر بُعد التحقيق أن المدبرين للحادث من الأمريكيين أنفسهم، حتى نفت هذا الاتهام جانيت رينور وزيرة العدل الأمريكية، فقالت: " إنه ليس لأية جهة شرق أوسطية علاقة بحادث أوكلاهوما " المرجع السابق ص ٢٤١، وجريدة الشرق الأوسط العدد (٦١٠٧)١٩٩٥م ص١ - ٤. وهذان فقط مثالان يوضحان مدى تبعية وكالات العالم النامي، ومنه العالم الإسلامي للوكالات العالمية، وعدم التثبت مما تسمع، وتنقله بعلاته مهما كانت النتيجة.

٣- د عواطف عبد الرحمن قضايا التبعية الإعلامية ص ٨١ مرجع سابق، ود. فاروق أبو زيد النظام العالمي ص٥٢ مرجع سابق.

٤ - وهكذا بقية الوكالات في ضخامة حجمها وتوسعها في نقل الأخبار على مستوى العالم، انظر في ذلك: د. فاروق أبو زيد: انهيار النظام العالمي الدولي، ص ٥٦، ٥٧، المرجع السابق.

أما وكالة (اليونتيد برس) فلها أكثر من عشرة آلاف مشترك في (١١٢) دولة ولها تسعون مكتباً في الولايات المتحدة وسبعون مكتباً في الخارج ويعمل بها نحو أربعة آلاف موظف(١).

ويضيف الدكتور فاروق: ومن هنا فإن التطور الهائل والمستمر لتقنية الاتصالات، يسهم بفعالية واقتدار في تدعيم السيطرة الدولية لوكالات الأنباء إذ شهدت السنوات الأخيرة تطورات فنية مذهلة، في أساليب جمع وتحرير وإرسال الأنباء بكم كبير يتزايد بسرعة فائقة بالاستعانة بأشعة (الكاشود) للكتابة والتصحيح والتحرير والإرسال الآلي، وكذلك استخدام أجهزة الكمبيوتر لتخزين الأنباء والبيانات الاقتصادية والمالية وغيرها (٢).

لقد أدت سيطرة أو هيمنة وكالات الأنباء الدولية الخمس الكبرى إلى الاختلال وعدم التوازن في تداول الأخبار العالمية كما تسببت في إمعان الاستمراء في التبعية، كما أدى ذلك إلى تحريف الأنباء بما يتلاءم مع مصالحها وتحوير الأكاذيب والأوهام إلى حقائق ثابتة(٣).

وإنه من المؤسف الإشارة إلى تبعية وكالات الأنباء المحلية لهذه الوكالات، فيما تغطيه من أحداث وأخبار، حتى تكون نسخاً مكررة للوكالات العالمية، ولو كان ذلك اضطرارياً، نظراً لعدم توافر شبكة مراسلين خاصة بها، أو ندرة الإمكانيات، إلا أن ذلك يعكس وصمة التلهف للغير والاستتباع الحضاري.

* * * * *

---

١ – وهكذا بقية الوكالات في ضخامة حجمها وتوسعها في نقل الأخبار على مستوى العالم، انظر في ذلك: د. فاروق أبو زيد: انهيار النظام العالمي الدولي، ص ٥٦ المرجع السابق.

(٢) وهكذا بقية الوكالات في ضخامة حجمها وتوسعها في نقل الأخبار على مستوى العالم، انظر في ذلك: د. فاروق أبو زيد: انهيار النظام العالمي الدولي، ص ٥٧، المرجع السابق.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث:

أخطــار العولمــة

توطئـــة:

بات من الواضح أن القوة المسيطرة على العولمة هي قوة القطب الواحد التي تعمل تحت ستار النظام العالمي الجديد، خاصة بعـد انهـزام القطـب الأكـبر الآخـر (المعسـكر الشـرقي) وتفكك المنظومـة الاشـتراكية وأصبحت هـذه القـوة هـى الـتي تصـدر القـرارات والوثـائق والمعاهدات والتوصيات المنبثقة عن المؤتمرات الدوليـة سـواء تحـت مظلـة الأمـم المتحـدة أو مجلس الأمن أو حتى مـن غـير هـذا الغطـاء فقـرارات مـؤتمرات الأمـم المتحـدة، وقـرارات المنظمات الدولية وقرارات مجلس الأمن، لا يمكن أن تخرج أو تحيد عن هـذه القـوة الوحيـدة والمسيطرة في ظل هذا النظام العالمي الجديد.

سواء أكانت هذه القرارات في المجال الاقتصـادي أو المجـال السياسـي أو الاجتمـاعي أو الثقافي أو غيرها من المجالات فجميعها تصدر عن هذه القوة التي لها اليـد الطـولى والمسـيطرة على كافة المنظمات والمؤسسات النقدية العالميـة، فـلا مجـال فيهـا للضـعفاء ولا للفقـراء ولا للمرضى والعجزة المهازيل، فقطار العولمة يبدو أنه يسـابق الصـوت، ويجـرف مـا يجـد أمامـه دونما رحمة أو التفاتة ولا يمكن أن يتوقـف برهـة أو ينتظـر أي متعثـر، فالسـيادة فيـه للأغنـى وللأقوى وللأسرع، وهو صنيع قطيع من السماسـرة يـدعون بـالقطيع الإلكترونـي يمتلكـون المال الكثير والشركات العملاقـة والنفـوذ الاقتصـادي والسياسـي باسـتطاعته أن يزلـزل أي حكومة سياسية في لحظات مسـتخدمين لتحقيـق أغراضـهم الدنيئـة تقنيـات مذهلـة في إدارة الإعلام والمعلومات يمتلكون السلطة والمال والإعلام [١].

وبحسب خطة هذا البحث فيسكون طرح مخاطر العولمة مرتباً كذلك حسب الخطة نفسها وسأعرج باختصار على الأخطار الاقتصادية ومـن ثـم السياسـية والثقافيـة والاجتماعيـة في النقاط التالية:

* * * * *

(١) انظر، مرتضى معـاش: العولمـة رؤى ومخـاطر، عـن مجلـة النبـأ، العـدد (٣٥)، السـنة الخامسـة ربيـع الثـاني ١٤١٠هـ، عن الإنترنت org - Marat@Annabaa

المبحث الأول:
أخطار العولمة الاقتصادية
المطلب الأول:
أخطار العولمة الاقتصادية

خطورة منظمة التجارة العالمية:

إن من أبرز الملامح والنتائج الاقتصادية التي تدعو إلى رفض العولمة هي ما تفرزه قوانين منظمة التجارة العالمية التي تعني في نظر الباحث دكتاتورية السوق العالمية ومنها: -

١ - رفع الحواجز الجمركية لإتاحة الحرية الكاملة لحركة رؤوس الأموال لتتركز في أيدي من يملكون التكنولوجيا المتقدمة والقوة المسيطرة وقد بدأت ملامح ذلك التحول في: -

وجود (٣٥٨) ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه (٢. ٥) مليار من سكان الأرض أي أن هذه المجموعة الصغيرة أصبحت تمتلك ما يملكه نصف سكان العالم تقريباً [١].

٢ - استحواذ (٢٠٪) من دول العالم المتقدمة على نحو (٨٥٪) من الناتج العالمي الإجمالي، وعلى (٨٤٪) من التجارة العالمية، ويمتلك سكان هذه الدول (٨٥) من مجموع المدخرات العالمية [٢].

وتشير الإحصائيات أن الخمس الأكثر فقراً من البشرية كان يملك ٣.٢ ٪ من الموارد المالية في عام ١٩٦٩م ١.٥ ٪ في عام ١٩٩٤م وفي التواريخ نفسها فإن الخمس الأكثر ثراء كان يملك ٦٩٪ من الموارد المالية العالمية في عام ١٩٦٩م و٨٢٪ في عام ١٩٨٩م، ٨٦٪ في عام ١٩٩٤م، وهذا يعبر عن عمق التناقض الذي أفرزته العولمة حيث التحول الديمقراطي آخذ في الاتجاه نحو رفاهية الإقطاع وعبودية أكثر سكان الأرض [٣].

---

(١) انظر روبني برود، وجون كاراناخ - لا تتجاهلوا الجنوب المسلوب - ترجمة تراجي فتحي، مجلة الثقافة العالمية عدد ٨٣ - ١٩٩٧م، وانظر ماجد شدود، العولمة مظاهر، ص ١٨٥، مرجع سابق، وانظر أضرار العولمة ومخاطرها إعداد لجنة البحوث والدراسات الإسلامية، ص ٦٠، وانظر هانس مته مارتين، هار الدشومان، فخ العولمة، ص ٦٠، مرجع سابق

(٢) انظر د. برهان غليون، الوطن العربي أمام تحديات القرن الـ ٢١ - تحديات كبيرة وهمم صغيرة، مجلة المستقبل العربي، العدد(٢٣٢) ٦/ ١٩٩٨م، ص ١٤، وانظر ماجد شدود، العولمة مظاهرها، ص ١٨٥.

(٣) مرتضى معياش: العولمة رؤى ومخاطر، عن مجلة البيان، العدد (٣٥)، ص ٢.

٣ - وفي مقابل ذلك شحت الدول الصناعية بدرجة انحدار متزايدة في معوناتها إلى الدولة النامية التي هي بحاجة ماسة إلى مد يد العون إلى الفقراء والمحتاجين والرعاية الصحية والاجتماعية حتى كادت أن تختفي من الواقع الملموس تماماً إن لم تكن قد اختفت في ظل الجشع المتزايد والشراهة الفظة للدول الصناعية الكبرى المالكة للشركات العابرة للقارات.

٤- ارتفاع النسبة في مشكلة البطالة وتزايدها عاماً بعد عام نتيجة لفتح الأسواق والمنافسة الشرسة التي تستبعد الدول النامية من طريقها أيضاً نتيجة لدخول الكمبيوترات لتحل محل العقول البشرية وإحلال الإنسان الآلي محل القوى العاملة وهذه مشكلة خطيرة باتت تهدد الأفراد العاملين وأسرهم حتى تصل هذه النسبة إلى (٨٠٪) من مجموع سكان العالم بحسب هانس بيتر مارتين وآخرين [١].

وكذلك يبدو أن الاهتمام برعاية الفقراء والمساكين ومد يد العون إلى المحتاجين لن تلقى أي اهتمام بل ستختفي تماماً في بحر العولمة ومهارات العولمة.

٥- تتصدر مشكلة البيئة قائمة مشكلات العولمة فى الاستهلاك العالمي للطاقة الذى سيبلغ عام ٢٠٢٠ ضعف الاستهلاك الحالي، وبالتالي سترتفع كمية الغاز الملوثة للبيئة بمقدار كبير جداً يتضاعف عما هو عليه القرن إلى من ٤٥ - ٩٠ وهذا سيؤثر على ارتفاع درجة الحرارة وزيادة الفيضانات والعواصف.

٦- بل إن العولمة تشكل حالة انتحار صار يعيشها العالم بحسب تعبير(جون زيجلر) الذي كان يتصدر مظاهرة جنيف ضد العولمة بعد عودته من قمة (إفريقيا الغربية المعروفة بالقمة المناهضة للتجارة العالمية [٢].

٧- تعميق التخلف الاقتصادي في أقطار العالم الثالث ومنه العالم الإسلامي.

٨- تصدير الصناعات الأكثر تلويثاً للبيئة من المركز إلى العالم الثالث الذي يمثل حالياً

---

(١) انظر فخ العولمة ص ٢٨، مرجع، وانظر مهارات الفهم العالمي - العولمة - مجموعة من الباحثين أضرار العولمة ومخاطرها، ص ٦٥، مرجع سابق، وانظر شائف علي الحسيني حديث العولمة، (١٠٧)، (١١٠)، وانظر جون جيرس الفجر القادم، وانظر: أ. د. مصطفى رجب: مخاطر العولمة على المجتمعات العربية، بحث الإنترنت.

(٢) انظر د. محمد علي حوات العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقل، مكتبة مدبولي، ط ١ / ٢٠٠٢م، ص٨٨.

الأطراف بما فيها الأقطار الإسلامية، وتصدير الصناعات التي تتطلب كثافة عالية من الأيدي العاملة بدلاً من كثافة رأس المال [(١)].

٩- بسبب تحرير التجارة في المواد الغذائية وإلغاء سياسة الدعم للصادرات في دول المركز فإن فاتورة الغذاء المستورد للأقطار الإسلامية سترتفع نتيجة حتمية لذلك.

١٠- والذي يجدر ذكره أن زعماء الدول الصناعية الكبرى باتوا يروجون المبيعات وسلع مصانع بلدانهم في ظل هذا التنافس المحتدم على خلفية أرباح العولمة التي تهب إلى العالم أجمع.

فهذا الرئيس كلينتون عند زيارته اصطحب ما لا يقل عن ثمانمائة رجل أعمال وهذا الزعيم الصيني عند زيارته للولايات المتحدة الأمريكية حضر عدة لقاءات مع الشركات الكبرى، وكذلك اصطحب الرئيس الفرنسي شيراك معه رجال الأعمال الفرنسيين عندما زار روسيا وإفريقيا والصين [(٢)].

- ستتراجع الصناعات التحويلية في الأقطار الإسلامية بسبب عدم قدرتها على المنافسة، وسبب اعتمادها على السياسات الحمائية لفترة طويلة من الزمن [(٣)].

- ومن المتوقع أن تتراجع أهمية النفط الإسلامي وذلك لمدى أهميته المرتبطة بدول المركز وربما قيمة اكتشاف بدائل للنفط بسبب التقدم الهائل[(٤)].

* * * * *

(١) د. يوسف القرضاوي المسلمون والعولمة، ص ٢٨، مرجع سابق.

(٢) د. غسان العزي: محركات العولمة واسيا والعالم الجديد، عن الشاهد (١٧٩ - ٠١٨٠) تموز آب، ٢٠٠٠م، ص٧٢.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) مهارات العولمة، المرجع السابق، ص ٦٨.

المطلب الثاني:
خطورة الشركات العالمية

١- لما كانت الشركات تلعب دور الشرطي في البلدان المضيفة، فإن على هذه الدول أن تلتزم بما تمليه عليها هذه الشركات في سياستها الاقتصادية وإلاّ فإنها ستسحب استثماراتها فوراً بنقل فرعها إلى دولة أخرى، وفي هذا زعزعة لاقتصاديات الدول المضيفة وانهيار لعملتها وانخفاض لسنداتها وأسهمها وهذا عين ما حدث في دول النمور الآسيوية الأمر الذي، يجعلها تخضع خضوعاً يؤثر على سيادتها، وتحل هذه الشركات تدريجياً محل الدول القومية وبالأسلوب نفسه الذي حلت فيه الدول القومية محل الدول الإقطاعية.

٢- تسعى هذه الشركات (المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات) إلى تحطيم الولاءات القديمة في الدول الفقيرة وتستبدل الولاء الوطني والولاء للأمة بولاءات جديدة مثل الشرق أوسطية، أو الأفرو أسيوية، أو البحر المتوسط وغيرها من المسميات التي تبعد هذه الدول وبالأخص العربية والإسلامية عن الولاء لبعضها، ويتم ذلك بمساعدة المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل البنك وصندوق النقد الدوليين، وأجهزة الاستخبارات المختلفة في الدول الكبرى والهيئات المانحة للجوائز الدولية[١].

٣- إن الاستثمارات التي تقوم بها هذه الشركات في دول العالم الثالث ليست استثمارات حقيقية بالمعنى الصحيح للكلمة، وإنما هي من قبيل اللعب بالأموال وتداولها بين الأغنياء، والأغنياء فقط من خلال المضاربات في سوق العملات والأسهم، والحصول على الأرباح الطائلة من جراء التغيرات التي تحصل في أسعار الأسهم والعملات فتجني هذه الشركات أرباحاً طائلة في فترة زمنية قياسية قد تقاس بالدقائق، ويقدر الخبراء أنه مقابل كل دولار يستثمر في مجالات الإنتاج الحقيقية هناك (٢٠) دولاراً يتم تداولها في عالم الأسهم [٢].

---

(١) رعد الحيالى المرجع : المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) رعد كمال الحيالي، المرجع السابق، النور (١٠١) ص ٣٩، ٤٠، وانظر هانس مارتين، هارالد الدشومان: فخ العولمة، ص ٣٢٤، ٣٢٦، وانظر نفس المعنى د. غسان الغزي، تكنولوجيا الاتصال والإعلام= =والاقتصاد،

٤- تتعاون هذه الشركات مع سلطات الحكم على الوجهة التي تخدم برامجها المعلنة والخفية ومن هنا فإن مبادئ ومزاعم الديمقراطية المعاصرة تبدو سراباً أمام مصالح هذه الشركات التي وجدت لتربح، وليس لتخدم طموحات المجتمعات، وإن فتح المجال أمام هذه الشركات يعطيهم فرصة للاستيلاء على المؤسسات الديمقراطية من خلال دفع المعونات للمرشحين بقيادة هذه المؤسسات، وشراء ذمم المواطنين وأصواتهم [(١)].

٥- ومن واقع المفاهيم المطروحة إن العولمة ستؤدي إلى إفراغ الأنظمة الديمقراطية من مفاهيمها وقيمها الإنسانية إلى قيم جديدة مبنية على الربح والخسارة، وعلى تولي الشركات متعددة الجنسيات زمام الأمر الاقتصادي بل والسياسي، دون الاكتراث لما تسببه من إفقار للمجتمع وإلى سيطرة طبقة واحدة هي طبقة (الخمس) على الثروة والسلطة وتعريض المجتمعات لمخاطر حقيقية تتمثل في البطالة والفقر والأمراض [(٢)].

٦- ستؤدي أيضاً إلى إلغاء أنظمة التأمينات الاجتماعية والضمان الصحي وإلغاء دورها الاجتماعي[(٣)].

٧- إن سياسة الخصخصة ضاعت من نفوذ الرأسمالية المتوحشة فأدت إلى تعرض الصناعات الوطنية ذات الحجم المتوسط والصغير والحرف والمصنوعات الشعبية للخسارة ومن ثم إلى الإغلاق، وتعريض شريحة كبيرة من العمال للبطالة أو النزول بشريحة واسعة من أصحاب هذه الحرف إلى المستويات الدنيا، ويتعاظم الخطر عندما تتعرض قطاعات من المؤسسات التي كان لها دور في الضمان الاجتماعي والقطاعات الصحية لخصخصتها (بحجة أنها تحول المجتمعات إلى مجموعات من

محركات العولمة وأسياد العالم الجديد في ملف العولمة عن مجلة الشاهد الشهرية (١٧٩ - ١٨٠) تموز آب ٢٠٠٠م ص ٧٢، وانظر د. بول برخ، ترجمة حسن بيومي، المبادئ الاقتصادية المؤسسة للعولمة من منظور تاريخي، عن مجلة الثقافة العالمية الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السنة (٢٠) العدد (١٠٤) (٢٠٠١/ ٢٠٠٢م، ص٥٤، وانظر بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة رؤية نقدية، ص ١٠٦، مرجع سابق

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شائف على الحسيني : حديث العولمة، ص ١٠٦.

الكسالى الذين لا يرغبون في البحث عن عمل) مما يزيد في نسبة العاطلين وزيادة الفقر وانخفاض نسبة الصحة عن شريحة كبيرة من الناس [(١)].

٨- إذا كان هذا الخطر يبدو واقعاً في المجتمعات الأوروبية مصدري العولمة فكيف المجتمعات في العالم الإسلامي ومنه العربي في ظل هذه المفاهيم؟

لا شك أنها ستتعرض لعاصفة هوجاء ورياح عاتية، تهلك الحرث والنسل وتقضي على من فيه ذرة ضمير، ولن تبقى إلا عملاءها وزبائنها ممن يفتحون لها ويفسحون لها الطريق، وهم أيضاً القلة القليلة في هذه المجتمعات الإسلامية ممن لا خلاق لهم ولا دين، لأن العولمة هي شعار اللاعبين بعقول الناس والمسخرين كل الطاقات لخدمتهم ولكسبهم ولربحهم مهما أصاب الآخرين من فاقة وعوز وهلاك فلا يلوون على شيء، فالمهم في الأول والأخير الربح والربح فقط، كل ذلك بحجة تقارب الأسواق واندماجها والسوق الحرة، والخصخصة التي يراد منها تسيير عجلة الاقتصاد والعولمة بحرية تامة دون أي عوائق.

٩- تسعى الشركات بفعل السياسات الاقتصادية الجديدة إلى تقليل تكلفة الإنتاج بالاستغناء عن آلاف العاملين تحت ذريعة المنافسة والتي في ظلها تضطر المؤسسات الصناعية لإدخال وسائل تكنولوجية جديدة لتحل محل العامل العادي البشري [(٢)].

١٠- تتهرب الشركات وأصحاب رؤوس الأموال في ظل التسهيلات الضريبية الجديدة وسياسة خفض الضرائب على الإنتاج ورؤوس الأموال من واقع الضرائب مستترة بألاعيب مختلفة منها تغيير التشريعات الوطنية أو إقامة شركات إنتاجية خارج الحدود[(٣)].

١١- إن اندماج الشركات الوطنية مع شركات في دول أخرى لتكون بذلك شركات كبرى عابرة للحدود تقوم بالإنتاج في مجالات استثمارية عديدة مستفيدة من العمالة الرخيصة، ومن الضرائب الميسرة خارج حدود الدولة، فيتحول الإنتاج من النطاق الوطني إلى النطاق العالمي، ينتج عنه حتماً زيادة الأعباء على المجتمعات في ارتفاع نسبة البطالة من جراء تعطيل العاملين في الشركات الوطنية، وإن قلة دخل الدولة

---

(١) انظر شائف الحسيني: حديث العولمة، ص١٠٨، مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب شائف علي الحسيني: حديث العولمة،، ص ١٠٧، ١٠٩، وانظر جون جيري: الفجر الكاذب، ص ٤٦.

(٣) انظر: فخ العولمة، ص ٣٥٠، ٣٥٦، وما بعدها.

من الضرائب التي كانت توظفها لخدمة الجوانب الاجتماعية [(١)]ترفع هذه المشاكل التي باتت تهدد المجتمعات واستقرارها وأمنها.

إن من أبرز نتائج العولمة اختفاء الطبقة الوسطى التي كان لها دور كبير في حماية المجتمعات من الانهيار وابتداء تشكل طبقتين لا ثالث لهما، طبقة الـ (٨٠٪) الذين يعيشون تحت خط الفقر وهم المعدودون الذين سيعيشون على مد الأيدي والإحسان إليهم والصدقات، والطبقة الأخرى طبقة الـ(٢٠٪) وهم أصحاب الثروة والسلطة وهم الطبقة الأولى، مما يغرس في قلوب الأكثرية الحقد والبغض والكراهية لهذه الطبقة الـ (٢٠٪) فتندلع الثورات في كل مكان ويزداد العنف وينتشر الفساد وتطفو الجريمة على السطح وتنتشر الرذيلة ويتجه العوام لعبادة المال ورب المال [(٢)].

فشو التجارة علامة من علامات الساعة :

وهذه السلبيات بشكل عام (الناتجة عن العولمة الاقتصادية) تصب في مصب فتنة المال الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في أحاديثه التي هي من أعلام نبوته ﷺ، ضمن فتن أعلام الساعة وأشراطها، التي قد تحقق أكثرها إن لم تصل كلها، لفشو التجارة والمال وظهور القلم، ومن هذه الأحاديث ما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: **«بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة»** [(٣)].

وعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن من أشراط الساعة، أن يكثر التجار ويظهر القلم»** [(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق، ويتقارب الزمان، ويكثر الهرج»**،

---

(١) شائف الحسيني: حديث العولمة، ص ١١٠

(٢) هانس بيز مارتن، هارالد شومان: فخ العولمة، ٢٨، د. شائف الحسيني: حديث العولمة، ص ١١٠.

(٣) رواه الإمام أحمد.كتاب مسند المكثرين من الصحابة، عبد الله بن مسعود رقم (٣٧٨٥) وانظر الكنز ج ١٤. ص ٢٣٠ رقم ٣٨٥١٥ عن ابن مسعود.

(٤) رواه أبو داود الطيالسي ج ١ ص١٦١ رقم (١١٧١)، ورواه النسائي بلفظ: إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر وتفشو التجارة)، كتاب البيوع باب التجارة رقم (٦٠٤٨) ج ٤ / ص ٥ تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

قيل: وما الهرج، قال: **«القتل»** [(١)].

ويظهر لي والعلم عند الله – أن هذه الأحاديث أصبحت مشاهدة اليوم، وأصبحت واقعاً ملموساً وأحداثاً جارية، فهاهي الفتن ترى، والزلازل والحروب والصواعق والفيضانات، وهاهو الكذب المغلف ينشر عن طريق وكالات الأنباء والصحف السياسية باسم الدبلوماسية، وتنتحل له شتى الوسائل والطرق، وهاهي الأسواق تتقارب ولا أوضح من مناداة قوى العولمة بالانفتاح الاقتصادي واندماج الأسواق والتكتلات الاقتصادية، وإقامة الأسواق الحرة، بل أصبح التعامل في الشراء عن طريق الإنترنت، والكمبيوتر، وأصبحت الأسواق منتشرة في كل مكان تحت مسمى الأسواق الحرة، وفيها من أصناف وملذات ومطالب الحياة ما لا يخطر على البال من الأشياء الاستهلاكية التافهة والمغرية، والغريبة وهي سهلة التناول، بل من كثرتها ورواجها كادت أن تكسد.

وأما تقارب الزمان، فها هو مصطلح القرية الكونية لا يزال بين أسماعنا يتردد صباح مساء، ولا أدل من الواقع، فإن ما يحدث في الشرق يسمعه من في الغرب، بل يراه والعكس تماماً، ففي ظل ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا الحديثة، أو ما يسمى بالموجة الثالثة، صار الزمان متقارباً، والأحداث البعيدة أصبحت تُسْمع في الحال، وليس بعد ساعات! فقد قرّب العلم الحديث كل بعيد، وأصبح العالم متشابكاً، فالذي يعيش في أمريكا أصبح يشاهد أحداث موسكو، أو أحداث الشرق الأوسط، أو أحداث جنوب أفريقيا والعكس تماماً، أليس هذا من تقارب الزمان، وإذا أراد أحدهم مخاطبة أحد في أي مكان في العالم، فليس عليه إلا يضغط زر الجوال، بل أصبح الآن يشاهده مع تطور العلم لما نسمع من أن بعض الجوالات أصبحت لا تكتفي بالتقاط الصوت بل تظهر معها صورة المرء المخاطب، والمتكلم على الهواء مباشرة، ولو كان أحدهم في أقصى الأرض، بل حتى في الفضاء الخارجي!!.

وقد حذرنا ديننا الحنيف من فتنة المال وجمعه بلا مبالاة وسماه فتنة، قال تعالى:**{أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ}** [(٢)]،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«ليأتين على الناس زمان لا**

(١) رواه الإمام أحمد ورواته ثقات، وابن حبان في صحيحه.
(٢) الأنفال آية: (٢٩).

يبالي المرء بما أخذ من المال أمن حلال أم من حرام» [(١)].

وهذا كله ما نعايشه اليوم على مستوى الأفراد وعلى مستوى الدول، وأصبح عامة الناس بما فيهم المسلمون يحاولون الوصول إلى أقصى الغايات بمنأى عن القيم الثابتة والمبادئ الراسخة، والوصول إلى الثروة بأقصر الطرق ولو لم تكن مقبولة تحت ستار الحرية المطلقة، التي عظمت الفرد لدرجة أنه يمكنه القيام بعمل ما يشاء ما دام بعيداً عن طائلة القانون، وأصبح الجميع يلهثون وراء المال، فانتشرت التجارة بشكل عظيم وخطير، وحتى النساء شاركن في التجارة، كما جاء في الحديث المذكور أعلاه، وهذا من أعلام نبوته ﷺ.

* * * * *

المطلب الثالث:
خطورة صندوق النقد والبنك الدوليين

ولقد دأبت الرأسمالية العالمية تعد نفسها منذ مطلع القرن العشرين لإحكام السيطرة والهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية على العالم وتحويل الشعوب إلى مسخرين لخدمة ساداتها عن طريق تشكيل جملة من الأذرع الأخطبوطية التي استخدمت بفعالية عالية ودبلوماسية ماهرة وطرق ذكية ماكرة، وقد سبق معرفة هذه الأذرع والأدوات الأخطبوطية عند الحديث عن الأدوات الاقتصادية للعولمة (الشركات عابرة القارات، البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، منظمة التجارة العالمية) وسيتركز الحديث هنا عن خطر وآثار صندوق النقد والبنك الدوليين من خلال سياستهما مع الدول النامية.

كما سبق فإن صندوق النقد الدولي أنشئ ليكون وعاءً يختزن أموال الممولين الإمبرياليين حيث يقوم الصندوق بإعادة إقراضها للدول المتخلفة التي تلتزم بتسديده وما يترتب عليها من فوائد تتراكم بطول المدة بغض النظر عن جدوى المشاريع التي يقوم بتمويلها [(٢)]. وكذلك يفعل البنك الدولي حيث يقوم بإنشاء اتصالات مع الدول لطلب أموال يتم توظيفها في مشاريع من شأنها أن تخدم التوسع الرأسمالي، فيتفق البنك والصندوق على إحكام السيطرة على المؤسسات المتعثرة في البلدان النامية المتخلفة، ومنها طبعاً الإسلامية والعربية، لتقوم هذه الدول ببيعها جهاراً نهاراً

(١) صحيح البخاري كتاب البيوع باب قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا} رقم (١٩٤١).
(٢) د. مقدادي: العولمة رقاب كثيرة، ص ٨٧، مرجع سابق.

للشركات الاستراتيجية باسم الخصخصة وهذه المؤسسات هي نفسها التي قامت بالاقتراض لتمويل مشاريع ظهر فشلها أو تم إفشالها بفعل فاعل!.

ومن هنا فإن كلا المؤسستين الدولتين الصندوق والبنك تعملان وبالتنسيق فيما بينهما لإحكام حلقات التآمر على الدول الفقيرة بالمشاركة مع بعض ساساتها في إغراقها بالقروض تمهيداً للمشاركة بالسطو على مكاسب شعوبها [1].

والخطة بوضوح تتم كالتالي[2]:

١- تقوم سياسته على آليات تبدأ بالديون كتمويل لمشاريع معينة في ظل اللا تكافؤ الاقتصادي.

٢- ثم تتم إعادة جدولة هذه الديون.

٣- طرح ما يسمى بمشروع الخصخصة.

٤- وتدريجياً يتم التدخل المباشر في القرار السياسي.

٥- ومن هنا تصبح هذه الدول رهينة سياسيات البنك وصندوق النقد الدوليين والقوى الداعمة لهما أي للمؤسسات الاقتصادية التابعة لقوى العولمة.

وهذه السياسة أدت إلى التدخل في شؤون الدول النامية تحت ستار برامج التصحيح أو الهيكلة التصحيحية التي يتشرط فيها الصندوق شروطاً تغيب في دياجيرها الإدارة الوطنية وتحول دون اتخاذ القرارات السديدة وأفقدت الكفاءات الوطنية السير نحو التقدم والارتقاء وأفقدت الأمة سيادتها باتت رهينة لسياسية الصندوق والبنك الدوليين.

وأصبح الأمر والنهي قيد الأغنى والأقوى وهو الشرعية الخارجية.

ونظراً لاستمرار الاقتراض فإن الشرخ يتعاظم بين المؤسسات الحكومية وشعوبها مما يؤدي إلى مضاعفة البطالة وزيادة المجاعات وانتشار الجريمة وفشو الانحراف[3].

وبعد أن تعجز الحكومات عن تسديد مديونيتها تبدأ وفود صندوق النقد الدولي الذين

---

(١) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) انظر د. جميل قاسم / حق التدخل الباطل عن مجلة الشاهد العدد (١٨٤) / ٢٠٠٠ صـ٥٥ـ.

(٣) المرجع نفسه الصفحة نفسها.

يفدون باسم خبراء لجمع البيانات الإحصائية وتحليلها!!! ومن ثم تقديم الوصفات السحرية الواحدة تلوا الأخرى وكلها تصب في صالح ممولي الصندوق وقادة قوى العولمة مستخدمة السلاح البتار الذي يهيئ الأجواء ويمهد السبل لاستجابة الشعوب بعد الحكومات لهذه الوصفات وهي[1]: -

١- تخفيض القيم الفعلية لأجور العاملين وهذا يؤدي إلى وجود فئة جديدة تنظم إلى فئات الفقراء مما يزيد في تفشي الجهل والأوبئة والعلل النفسية، وحتى يتقبل المجتمع ذلك تستخدم وسائل الإعلام لتهيئة النفوس والدق على وتر التثقف وأن على الشعب أن يتحمل وأن هي الأيام حتى تتجلى الغمة وهيهات هيهات.

٢ - تخفيض قيمة العملة الوطنية - الأمر الذي يرفع من كلفة خدمة الدين العام ويضاعف من عدد وحدات العمل لإنجاز الفوائد والأقساط المستحقة عليه حتى تصل إلى مستنقع الإغراق الذي يوصل إلى طريق الاستعمار القهري للشعوب.

٣ - تقليص الاستثمار العام - وإحلال الاستثمارات الخاصة الداخلية والخارجية، وقد تتجه الاستثمارات الخاصة نحو الاستثمار في القطاعات الطفيلية ومنها (الخدمات التي لا يستطيع المواطن الاستغناء عنها).

٤ - خصصة مؤسسات القطاع العام، مما يؤدي إلى رفع أسعار خدمات ما خصص منها وقد تستغني عن خدمات العمالة الوطنية، مما يؤدي إلى تفاقم البطالة.

٥ - تحرر نسب الفائدة على رؤوس الأموال، وهو ما يقود إلى أموال مضارة قابلة للتنقل من مكان إلى آخر، مما يزيد من احتمال حدوث انهيارات اقتصادية شاملة، كما حدث في المكسيك عام ٩٤م.

٦ - تقليص إنفاق الحكومة على مختلف الأنشطة وأهمها: الأنشطة الدفاعية، الأنشطة الاجتماعية، الأنشطة الاقتصادية.

٧ - انتهاج سياسة الانفتاح الاقتصادي عادة من جانب واحد وهو الطرف الأقوى مما قد يؤدي بل يؤدي إلى تبعية البلدان الفقيرة.

---

(١) د. المقدادي العولمة رقاب كثيرة المرجع السابق ص (٨٨ - ٩٠ - ٩١).

حيث تشترط الدول المتقدمة :

أ - تصدر المواد الأولية من الدول النامية بأسعار العملة الوطنية التي قد تم الموافقة على تخفيضها.

ب - الاعتماد على الاستثمارات الخاصة كمصدر للعملات الصعبة مع تخفيض الضرائب الجمركية وإلغاء بعض الضرائب على السلع غير الأساسية.

الأمر الذي يؤدي إلى تقليص العجز في ميزانية الدول النامية.

٨ - رفع الدعم الحكومي عن السلع الغذائية الأساسية بدون أي مبرر سوى الاستجابة لسياسة الصندوق والبنك الدولي، في إطار ما يسمى بالإصلاحات الهيكلية.

بهذه السياسة سادت فى المجتمعات المتخلفة (مجتمعات العالم الثالث) سلبيات شتى منها:

١ - انخفاض المستوى المعيشى.

٢ - تدنى القدرات الشرائية للفرد وارتفاع قيمة الإلتزامات المالية والضريبية على المواطن.

٣ - كادت الطبقة الوسطى أن تختفى من المجتمع إن لم تكن اختفت.

٤ - أصبحت شريحة كبرى من المجتمع تعيش تحت خط الفقر.

٥- بات المجتمع مهددا بالخراب، ومنذرا بالحروب والويل والدمار.

* * * * *

المبحث الثاني:
أخطار العولمة السياسية

في ظل انفراد الولايات المتحدة الأمريكية المصدرة الأولى للعولمة بالإرادة، وبقيادة العالم فإن أول المخاطر وأهمها وأبرزها في هذا البعد، هو بروز ما يسمى بحق التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للدول تحت أي ذريعة من الذرائع الواهية التي قد تكون على هيئة عقوبات اقتصادية وسياسية، أو قد تكون تدخلاً عسكرياً سافراً مستندة في هذا الاتجاه إما:

١- لاعتبارات إنسانية كما حدث في الصومال.

٢- أو لاعتبارات سياسية كما حدث في العراق مرتين ويوغسلافيا وأفغانستان.

٣- أو لاعتبارات تتعلق بمكافحة الإرهاب كما حدث في السودان وأفغانستان وليبيا.

٤- أو لاعتبارات تتعلق بحقوق الإنسان كما حدث في الصين وأندنوسيا.

٥- أو لاعتبارات تتعلق باضطهاد الأقليات الدينية (المسيحية) كما حدث لمصر.

وقد تعرضت كثير من الدول العربية والإسلامية لأنواع من هذه العقوبات الاقتصادية تارة، والحصار الدولي كما حدث للسودان والعراق ويوغسلافيا أو التهديد بفرض عقوبات اقتصادية (كما حدث للصين عقب أحداث الميدان السماوي في بكين عام ١٩٨٩م) [١]. أو حتى لعقوبات عسكرية لضربات متقطعة أو حملات عسكرية مكثفة وحرب شاملة كل هذا يجري بقرار انفرادي تتخذه الولايات المتحدة الأمريكية متى شاءت ومتى غضبت على قوم لأنها نصبت نفسها شرطيا عالمياً فرضخ العالم كله لها وطبل وزمر القريب والبعيد على أنها الأقوى اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

الخطر الثاني: يتمثل في إعادة ترتيب الأوضاع الإقليمية في بعض مناطق العالم الحساسة مثل منطقة الشرق الأوسط باسم (المشروع الشرق أوسطي)، و(المشروع المتوسطي)، وكلاهما يعني في النهاية تحويل نطاق التفاعلات في المنطقة من النطاق العربي إلى نطاق جديد يشتمل أطرافاً أخرى غير عربية، وبالطبع فإن الدول العربية هي الأضعف في هذه الفترة طبقاً لمؤشرات القوة القائمة الآن [٢].

أما الخطر الثالث: فيتمثل في التسوية السلمية للصراعات كالصراع العربي الإسرائيلي اليهودي وتكون النتيجة في النهاية لصالح القوة الكبرى، وهي بالطبع في منطقة الشرق الأوسط النتيجة واضحة حتماً لصالح (اليهود) خاصة في ظل الطرف الآخر وهو هنا ضعف العرب منفردين أو مجتمعين.

---

(١) انظر د. محمد مسعد أبو عامود العمل العربي المشترك في ظل العولمة المخاطر والفرص، عن قضايا استراتيجية، العدد(٣)سبتمبر ٢٠٠٠ (١٥٨)

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٩.

الخطر الرابع: يظهر من خلال سعي الولايات المتحدة للاحتفاظ بموقع القوة العظمى لأطول فترة ممكنة مما يجعلها تتبع بعض السياسات التي لا تتلاقى مصالحها مع الدول الأخرى وقد تبلورت هذه السياسة بوضوح في منطقة الخليج، فتحولت هذه المنطقة في خلال عقد ونيف من الزمن إلى منطقة نفوذ أمريكية ومنطقة مصالح تابعة لها، الأمر الذي خول ويخول لها التدخل باستخدام القوة العسكرية في أي وقت إذا لاح في الأفق الخطر!! وليست حرب العراق الثالثة عنا ببعيد، ولم ينته أوارها بعد حتى اللحظة.

وتبرز ضمن مخاطر العولمة السياسية مسألة الدولة هل انتهت أم لا زال لها وجود، وهل لها دور حيوي تؤديه، أم أنها غدت كحارس أو كشرطي للنظام العالمي الجديد؟!

من خلال واقع هيمنة الشركات العملاقة، أضحت الدولة بمثابة الحارس الأمين لمصالح هذه الشركات بحجة الاقتصاد المتبادل المزعوم، والاندماج اللامتوازن، وإن لم تفعل فالويل لها من العقوبات المتنوعة ما بين حصار اقتصادي إلى عقوبات سياسية وقد تمتد إلى اجتياح عسكري بحسب درجة رفض هذه الدول لما تملي عليها الشركات ذات الأصل الأمريكي بالدرجة الأولى والأوروبي والياباني في الدرجة الثانية.

ملخص لسياسية الولايات المتحدة قائدة العولمة :

وتتبنى الولايات المتحدة الأمريكية سياسة استراتيجية[1] ذات ثلاث شعب بحسب صمويل هنتنغتون، وانظر التعبير – ذات ثلاث شعب – وما كأنها إلا جهنم حسب التعبير القرآني، تتلخص هذه السياسة في:

١- عدم جواز حيازة الأسلحة النووية إلا للولايات المتحدة الأمريكية وحدها، ولا يجوز لغيرها من كان حيازتها!!

٢- تكييف مسألة حقوق الإنسان بحسب الكيفية التي تتمشى مع سياسات الولايات المتحدة الأمريكية وبالأسلوب الأمريكي الصنع.

٣- ثم أضيفت إليها سياسات إضافية منها:

---

(١) انظر فريدريك همسون ترجمة شوقي جلال العولمة والاستراتيجية عن الثقافة العالمية العدد (١٠٤) ١/ ٢٠٠١ص٢٩.

أ- فرض قيود على الهجرة العالمية.

ب- الترويج للسوق الحرة في شتى أنحاء العالم.

ولضمان هذه السياسة عمدت الولايات المتحدة تنصب نفسها كشرطي عالمي لتفرض سياستها قسراً، ولتنفذ سلطانها جبراً ولو بالتدخل العسكري كما أسلفت.

ومن البنود التي يذكرها معارضو العولمة وفي معرض الحديث عن المخاطر والتهديدات السياسية، مسألة ظهور الدولة الرخوة بمعنى أن قوى العولمة تعمل على شل حركة ووظائف الدولة الأم، وتكفيك نظمها الإنتاجية ومؤسساتها، ولم يعد للحدود السياسية وجود في ظل العولمة، بل أصبحت مخترقة بسبب تكثيف العلاقات التجارية بين هذه الدول وقوى العولمة التي تبحث عن أسواق حرة وخصخصة مشاريع الدولة النامية بحجة تأهيلها والدخول في حلبة التنافس مع الضعفاء خاصة في ظل الأوضاع المهلهلة للدول العربية والإسلامية(١).

كيف لا يكون ظهور الدولة الرخوة أحد سلبيات العولمة السياسية حينما يلاحظ حسب جلال أمين (٢) أن الدولة ترخي قبضتها شيئاً فشيئاً في المجال الاقتصادي والاجتماعي تحقيقاً لمصالح الشركات المتعددة الجنسيات، وحينما تبدأ بتفكيك نفسها ويقنع المجتمع بتفاهتها وقلة حاجتها إليهم كعمال، وتسلم زمام مهامها ووظائفها القديمة الواحدة بعد الأخرى باسم الخصخصة والانفتاح والاندماج، لتتولاها الشركات الاستعمارية الكبرى، أو لمؤسسات دولية تحاور باسم هذه الشركات وتعمل لحسابها (٣).

فتفتح الباب على مصراعيها أمام السلع المستوردة لتحل محل المنتجات الوطنية، وتسمي ذلك تكيفاً هيكلياً وتخفض العملة وتحسب الدعم المقدم للفقراء وتسميه إصلاحاً اقتصادياً... إلخ (٤).

---

(١) انظر مها دياب: تهديدات العولمة للوطن العربي، عن مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٧٦) ٢/ ٢٠٠٢م، ص ١٥٨.

(٢) انظر الدكتور أمين: العولمة والدولة، في الأصل ورقة قدمت لندوة العرب والعولمة، ضمن بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، عن العرب والعولمة، ص ١٦٢، مرجع سابق.

(٣) انظر فريدريك جمسون، ترجمة شوقي جلال: العولمة والاستراتيجية السياسية، عن مجلة الثقافة العالمية، العدد (١٠٤) ١/ ٢٠٠١م، ص ٢٩

(٤) انظر مجموعة من الباحثين: العولمة تعريفها ومخاطرها على العالم الإسلامي، إعداد لجنة البحوث والدراسات الإسلامية، عن طريق الإنترنت، ص ٧٠، وهو بحث لم يطبع وإنما هو أوراق مبعثرة.

وباسم التعامل مع العالم القوي والمتحضر، وباسم الركوب في قطار العولمة تسلم زمام أمرها ومجتمعها للأجنبي، فعلاً إنها الدولة الرخوة المفككة المترهلة [(١)].

وقد أكدت د. هدى نتكيس تراجع الدولة ومعها دور الحكومات الوطنية مقابل زيادة الدور الخارجي في معالجة الأزمات ومكافحة الظواهر السلبية مشيرة إلى دول الخليج وضعف سلطة وفاعلية الأسر الحاكمة بالمنطقة [(٢)].

ولهذا فقد غدت الشركات العملاقة هي الحاكمة بأمر أمريكا، وما الدولة إلا حارساً أميناً يتحرك بقيود وضوابط لا تتعدى مصالح هذه الشركات التي إنما جاءت لتحرير الاقتصاد ولإنعاشه باسم الانفتاح والاندماج والترويج للسوق الحرة. ولا بد للدولة أن تخضع لسياسة قوى المعارضة راضية أو مكرهة.

ومن سلبيات العولمة السياسية: أن أمريكا ترفض أن تحكم الديمقراطية الحضارية العالم، وفي نفس الوقت تنادي بفرض الديمقراطية السياسية على المستضعفين (أي أحادية الأنموذج الأمريكي). بمعنى أنها تسوق لأفكار سابقة، عرفت في الماضي بالثقافة الواحدة والوحيدة[(٣)] وتحاول فرضها اليوم كفلسفة جديدة، يراد تبرير فرضها تحت مسمى "العولمة". ولكن الحقيقة واضحة وهي فرض النموذج الأمريكي للديمقراطية وحقوق الإنسان بمفهومهم في الأوساط العربية والإسلامية.

ومن هنا فإن قوى العولمة الماكرة تحاول اليوم إرغام الدول حكومات وشعوباً دخول هذا الصف (الأنموذج الوحيد) طوعاً أو كرهاً.

* * * * *

---

(١) انظر مها ذياب: تهديدات العولمة للوطن العربي، عن مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٧٦) ٢/ ٢٠٠٢م، ص ١٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٠.

٣ - أنظر أ. د. عمار جيدل العولمة الجبرية الجديدة عن مجلة بيت الحكمة عن طريق الإنترنت www. hikma/ net .uruklnk.

المبحث الثالث:
أخطار العولمة الثقافية

بما أننا نعتبر الأسرة المؤسسة التربوية الأولى وتعتبر المدرسة المؤسسة التربويه الثانية ثم يليها فى المرتبة الثالثة المجتمع حيث يتلقى الإنسان فيهما - البيت والمدرسة - ثقافته الأساسية التي لا غنى عنها هي مجموع مركب من اللغة والعقيدة والأخلاق والسلوكيات بالإضافة إلى مبادئ راسخة، وثوابت لا يمكن أن تخضع لأي مؤثر خارجي أبداً، إذاً لا بد من المحافظة عليها والتمسك بها والعض عليها بالنواجذ، وعدم السماح لأي مؤثر داخلي أو خارجي يكون سبباً في تفريغها من محتواها أو إخراجها من لبوسها ورونقها المشرق الوضّاء، أو يكون سبباً في تكدير صفوها المتلألئ أو تعكير معينها العذب الرقراق.

أهمية المدرسة التربوية الأولى وأهميتها:

ويأتي أول الأخطار وأهمها من قبل الإعلام في غياب المصنع الاجتماعي الأول، والمحضن التربوي الدافئ، والمؤسسة التربوية الأولى، التي يلقن فيها الإنسان كطفل، لغته ومبادئ عقيدته وقوالب أخلاقياته العامة وسلوكياته السامية إلى جانب المبادئ المنمية للشعور الجماعي كانتمائه للأسرة والقبيلة والوطن المحلي ثم الإقليمي، ففي هذه الأسرة تنمو كثير من القيم النبيلة والأخلاق الإنسانية الفاضلة، لينتج هذا المصنع جيلاً متيناً مترابطاً محافظاً على هويته متمسكاً بعقيدته منافحاً عن وطنه وعن مجتمعه [(١)].

ولكن في غياب هذا المصنع تكون النتيجة عكسية تماماً جيل من الشباب الضائع الحائر التائه الذي يفقد أدنى معاني الخلق والحُب والحنان والرحمة. فلا يقيم وزناً للفضيلة ولا يعير المعاني الإنسانية اهتمامه، بل هو كتل من العقول الفارغة، وعصابات منتشرة في الشوارع والأزقة، ليس لها هم غير إشباع الغرائز والجري وراء الهوى فيستفحل الشر وتفشو الجريمة ويستشري الفساد.

وتعمل ثقافة العولمة عن طريق إعلامها العالمي المسيطر من صحف ومجلات وأفلام فيديو وسينما وإنترنت ودجيتال (رقمي) على محو الخصوصية الثقافية في المجتمعات وخاصة

---

(١) انظر سمير مالك أبو شقراء تحطيم العقل أم اغتياله العولمة الثقافية ومأزق الهوية عن كلية مجلة الشاهد العدد (١٨٦) النواد - شباط / ٢٠٠١م، ص ٦٤.

الإسلامية وتسطيح الوعي لتنشئ جيلاً ضائعاً همه الاستهلاك الترفيهي التافه، وهمه المأكل والمشرب والمسكن والمنكح، متجافياً عن معاني السمو معالي الأخلاق غارقاً في سفاسف الأمور، وحمأة الطين والشهوة، يعيش حالة الاضطراب والقلق والحيرة والفوضى فوضى أخلاقية وفوضى ثقافية وفوضى اجتماعية وفوضى سياسية، وفوضى في شتى مجالات الحياة.

ومن هنا نجد أن ثقافة العولمة في إرجاع الأمم إلى بداية التاريخ حيث لا سلطة ولا تشريع ولا قانون إلا قانون الغاب حيث تباح جميع المحرمات من سفك للدماء واستغلال الأقوياء الأغنياء الأكثر جمعاً للضعفاء الفقراء المرضى العجزة.

دور المؤسسة التربوية الثانية وأهميتها:

وفي غياب دور المؤسسة التربوية الثانية (المدرسة) والتي تؤدي وظيفة أوسع من المؤسسة التربوية الأولى (الأسرة) غاب تعميق الوعي الاجتماعي والوعي الوطني والوعي الإسلامي، ولعب الإعلام العولمي الغربي الأمريكي دوراً فعالاً في تكريس الثقافة الأمريكية والإشادة الغربية المتمثلة بالمعلم الأمريكي، وانعكس هذا الدور على إعلام المجتمعات الإسلامية وغيرها حيث تبث على الهواء صورة الأمريكي من خلال الأفلام السينمائية التي اقتحمت تقريباً جل بيوت المسلمين بل وغرف النوم لتصور الأمريكي من خلال علمها وخريطتها، وتكبرها، وإشاراتها الفظة التي تعكس شبق الأمريكان وعزمهم السيطرة على العالم بثقافتهم الضحلة المقطوعة من أي صلة بالدين أو الأخلاق أو لتعميمها على العالم أجمع وأنى لهم ذلك ؟

ولما وجدت الولايات المتحدة خلو الساحة الدولية من قوة ردع تجابهها خاصة بعد انهيار المنظومة الاشتراكية، زادت من نسبة البطش والدمار وتحطيم القيم وعملت على إلغاء الذاكرة البشرية تماماً [1].

كي لا يتذكر من في الأرض مفاهيمهم وتأريخهم القديم أمام انبهارهم وإعجابهم اللامحدود بالثقافة الأمريكية المتمثلة بـ الهامبرجر - والكاوبوي - والطريقة الجديدة للحياة الأمريكية الفذة، وأي حياة هذه سوى حياة الأنعام والبهائم أكل وشرب وبعال وانعدام

(١) انظر سمير مالك أبو شقراء، المرجع السابق، ص ٦٥.

أخلاق وفساد الأمـم ديناً وضـميراً والـركض وراء المنفعـة والمصـلحة أي أنهـم{يَتَمَتَّعُـونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ}(١).

ثقافة العولمة الاستهلاكية الترفيهية :

ومن هنا أنشأت ثقافة العولمة في المجتمعات المتأثرة بها أخطر سلبية منظـورة للعيـان هـي الاستهلاك الترفيهي والاستهلاك التافه، بقصد مواكبة العصرنة أو العولمة وضـرورة الظهـور بمظهر الرقي والتقدم والتطور والإنسان العصري (٢).

فقد تكون سلعة ما تفي بالغرض إلا أن حـب التجديـد والتغـيير بفعـل التـأثر المـذكور يجعل المرء يشتري نفس السلعة بثمن أعلى ربما أضعاف ثمنها الأصـلي غـير أنهـا أُخرجـت بمخرج جميل مزخرف لكنها تؤدي نفس المهمة، مع الملاحظة بأن المصانع الغربيـة متخصصـة ومتفننة في هذا المضمار الحائز على السبق فقط في الدول الإسلامية والعربية وهـذا نـوع مـن الإسراف قد نهينا عنه في محكم كتاب الله تعالى حيث قال:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٣).

كما يأخذ هذا النوع من الاستهلاك منحنى آخر يتمثل في تكديس السلع، بحيث يحتـوي منزل أحدهم على عدد غير قليل من نفس السـلعة ويلاحـظ هـذا خاصـة بالنسـبة للسـيارة والأثاث والمقتنيات الإلكترونية (٤).

وقد نهينا أيضاً عن هذا النوع من الإسراف بـل التبـذير الـذي يعـرف صـاحبه بالسـفه والحمق في التصرف بالأموال وإن كانت ملكه..

قال تعالى:{وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّـهِ كَفُوراً} (٥)

---

(١) سورة محمد آية: ١٢.

(٢) د. مصطفى عمر النير: آراء حول المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة، عن مجلة شـؤون عـربية، العـدد (١٠٥)، ص ٧٨.

(٣) الأعراف آية ٣١.

(٤) انظر د. مصطفى عمر النير / آراء حول المحافظة على الهوية الثقافة العربية في ظل العولمة، شؤون عربية العدد (١٠٥)، ص ٧٨.

(٥) الإسراء، آية ٢٦، ٢٧.

أما الاستهلاك التافه فالمقصود به شراء وتكديس مقتنيات أدخلت عليها إضافات لا تزيد من جودتها، ولكنها ترفع ثمنها، علماً بأن بعض هذه المقتنيات لا تصلح إلا لتضييع الوقت واللعب بالمال، ومن تفاهة المشتري وبساطة عقله أنه قد يتأثر بالإعلانات الصاخبة والساذجة التي تلعبها أو تخرجها الأجهزة المرئية بعد إعدادها إعداداً جيداً ينبهر بما في شاشات التلفاز والإنترنت فيتم الشراء في أقصر مدة بالطلب للسلعة وربما عن بعد في وجود تسهيلات الدفع ترويجاً لبيع هذه السلع.

ولقد ساهم هذان النوعان من الاستهلاك في هدر جزء كبير من الدخل بحجة تطوير عادات وتغيير أنماط معينة من الاستهلاك.

ولو كانت هذه السلع تصنع محلياً مع التشجيع، وتحمل الدولة جزءاً كبيراً من التكلفة لساهمت في تنشيط الدورة الاقتصادية وعملت على توفير عدد من موانع العمل [١].

ثقافة العولمة الوهمية والإغرائية :

وتتولى العولمة عملية تسطيح الوعي، واختراق الهوية الثقافية للأفراد والأقوام والأمم، وتستخدم لهذا الغرض الإعلام المسمى البصري الذي تصنع فيه - كما مر - ثقافة الذوق الاستهلاكي (الإشهار التجاري)، والرأي السياسي (الدعاية الانتخابية) وإيجاد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتأريخ وبحسب د. محمد الجابري: إنها ثقافة الاختراق التي تقوم على جملة أوهام [٢]الغرض منها إيجاد إنسان منعزل عن نفسه ناءٍ عن أمته وهموم مجتمعه لا يهمه إلا نفسه وتنحصر هذه الأوهام في التالي: -

١ - وهم الفردية أي حب الأنا، وأن يعيش المرء لنفسه فلا يعنيه الآخرون، ولا ينظر إلى غيره ولا إلى من حوله من أهل أو مجتمع أو قوم وهذا الوهم يؤدي إلى إلغاء رابطة الشعور الجماعي والوطني فضلاً عن الإسلامي،

---

(١) انظر النير المرجع نفسه، ص ٧٩.

(٢) د. محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات عن المستقبل العربي، العدد (٢٣٨) ٢/ ١٩٩٨م، ص ١٨.

وهي دعوة إلى التدابر والتقاطع والفرقة والشتات، بل هي قمة الأنانية ومخالفة للشرع كتاباً وسنة، قال تعالى:{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**} [(١)] وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» [(٢)] ومخالفة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يخذله**»[(٣)].

وهي دعوة إلى ولاء غير المسلمين، ولاء المصلحة، ولاء الدنيا والمنفعة، فأين المسلم من قوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ**} [(٤)].

٢- وهم الخيار الشخصي باسم الدعوة إلى الحرية الشخصية والنزعة الأنانية وطمس روح الجماعة وهذا بدوره يرقى إلى تأكيد الغرض من الوهم الأول والسير بإيغال فيه.

٣- وهم الحياد وهذا الوهم يسير في نفس المسار أيضاً إلا أنه أوضح من ناحية أنه دعوة إلى التحلل من كل التزام أو ارتباط بالجماعة فلسان حاله يقول قائلاً نفسي نفسي، فهو يجمع ويمنع ويأتي ما حل وحرم، ويجري وراء الدنيا جرى الوحوش المسعورة، وهذا هو رجل العولمة الذي يريدونه وتأطر له ثقافة وأيدلوجية العولمة اليوم.

٤- والوهم الرابع هو الاعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير ولا تتبدل وهو يرمي إلى صرف النظر عن رؤية الفوارق بين الأغنياء والفقراء، بين البيض والسود بين المستغلين وبين الضحايا لهذا الاستغلال وقبولها على أنها فوارق طبيعية كالفوارق بين الليل والنهار والصيف والشتاء وبالتالي شل روح السعي نحو الأفضل وشل روح المقاومة الفردية والجماعية.

٥- والوهم الخامس والأخير وهو بمنزلة التاج للأوهام الأربعة الأولى ومنطوقه صريح في الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي ويهدف إلى الاستسلام للجهات المستغلة من شركات ووكالات وغيرها من أدوات العولمة.

أي بعبارة أخرى التطبيع مع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري الذي يشكل الهدف الأول والأخير للعولمة.

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

(٢) الحديث فى صحيح البخارى، كتاب المظالم، باب نصر المظلوك ط ٣دار ابن كثير، تحقيق د: مصطفى ديب اليغا.

(٣) الحديث في صحيح مسلم بلفظ لا يظلمه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، دار إحياء التراث العربى، بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى وهو عند الإمام أحمد فى مسند الإمام أبى هريرة بلفظ المتن.

(٤) سورة المائدة: آية ٥١.

والحقيقة أن مجموع هذه الأوهام تدعو إلى الفرقة والشتات والأنانية وإلى مخالفة تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الأخوة والتكافل والتآلف والترابط والتراحم، وهي مبادئ أساسية يقوم عليها المجتمع الإسلامي.

استجابة لقوله تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا}** (١) وقوله تعالى: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى}** (٢).

وقوله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** (٣) إلى غيرها من الأحاديث التي تدعو إلى رحمة الخلق فضلاً عن رحمة المسلمين بعضهم لبعض.

بل تتعدى إلى رحمة الحيوانات فيشيد الرسول ﷺ: في رجل دخل الجنة سقيه كلباً بلغ من العطش مبلغه، وينفر من حال امرأة دخلت النار في قطة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

* * * * *

المبحث الرابع:
أخطار العولمة الاجتماعية

تواجه دول الجنوب ومنها الدول الإسلامية والعربية مخاطر عدة في هذا الجانب منها:

١- اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء في الدول العربية باستحواذ فئة محدودة على مقومات الأمة ومواردها نتيجة قبولها بالعولمة وفتح أسواقها لقوى العولمة الأمر الذي يهدد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في هذه البلدان فضلاً عن تركيز الثروة في أيدي زمرة من البشر يصل عددهم (٣٥٨) مليارديرًا في العالم يمثلون ثروة تماثل ٢.٥ مليار في البشر (٤).

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

(٢) سورة المائدة: آية ٢.

(٣) الحديث في صحيح مسلم كتاب لبر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم رقم (٤٦٨٥).

(٤) وفي نفس المعنى انظر أحمد الشهاب، نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، عن مجلة العلم، العدد (٢٥) ص(٥٨، ٥٩) مرجع سابق.

٢- باسم حقوق الإنسان أحيت العولمة نعرات القومية والإثنية والطائفية في معظم دول العالم، وبات هذا الأمر يهدد الدول التي تقبل بهذا النظام، كنظام عالمي جديد. وجعل من دول الجنوب كافة مناطق صراع حادة ومتفجرة بالحروب الأهلية والاضطرابات ومهددة بعدم الاستقرار وخلخلة الأمن مما زاد في بؤس الفقراء في البلدان الفقيرة وتدهور حالاتهم الصحية والتعليمية والاجتماعية.. وهذا أيضاً يهدد قوى العولمة وأدواتها خاصة الاقتصادية بما فيها الشركات العابرة للقارات المتعدية الجنسية[1].

٣- ازدياد كثافة العمالة الوافدة ومكوثهم في أوطان المسلمين واستحقاقهم ما يسمى بالمواطنة ومطالبتهم بحقوقهم الشخصية والثقافية والدينية وغيرها من الحقوق بات يهدد هذه الدول. الأمر الذي جعل كثيراً من الدول الإسلامية تتقبل هذه الحقوق كمسلمات إلزامية لابد من تنفيذها وإلا تعرضت للعقوبات الصارمة الجاهزة[2].

٤- المخاطر الاجتماعية الناجمة عن الجريمة الدولية كتجارة المخدرات وغسيل الأموال القذرة وانتشار المخدرات نتيجة اتساع نطاق الحرية الدولية في ظل نظام العولمة[3].

٦- وستؤدي العولمة إلى انصهار مختلف الاقتصادات الوطنية والإقليمية والدولية في اقتصاد عالمي موحد بل إن الجزء الأعظم من العالم إلى جزر منفصلة، وإلى عالم يسوده الفقر والبؤس ويكتظ بالمدن القذرة والفقيرة وستمتنع الدول المتقدمة عن تقديم مساعدات التنمية للدول النامية وسيتحول العالم إلى مجتمع مقسم إلى خمس يعيش حياة الرفاهية والعيش برغد وسلام، وأربعة أخماس لا يمتلكون إلا البؤس والفاقة يعيشون على الإحسان والتبرعات وأعمال الخير والصدقات، وسيصبح مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء عبئاً لا يطاق [4].

وسيرتفع معدل البطالة في العالم كله، وهاهي المظاهرات تشهدها أكثر بلاد أوروبا بسبب جنون العولمة نتيجة التقدم التكنولوجي واستغناء الشركات عن الأيدي العاملة واستبدالها

---

(١) انظر د. محمد سعيد أبو عامود، العمل العربي المشترك في ظل العولمة - المخاطر والفرص - عن مجلة قضايا استراتيجية، العدد (٣) جمادي الثاني ١٤٢١هـ سبتمبر ٢٠٠٠م، ص١٦٣، وانظر شبير عبد الله الحرازي، العولمة مضمونها وآثارها وآليات تلافيها، عن مجلة الباحث الجامعي، العدد الرابع، السنة الرابعة، ٢٠٠٢م، ص ٢٧٠.

(٢) د. محمد سعيد أبو عامود: العمل العربي المشترك في ظل العولمة - المرجع السابق الصفحة ص (١٦٣ - ١٦٤).

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) انظر شبير الحرازي، الرجع السابق، ص ٢٧٢.

بالآلات خاصة أجهزة الكمبيوتر التي نافست الأيدي العاملة وطردتها من أعمالها وبروز التناقضات العميقة في المجتمعات من الشمال والجنوب وبين المجتمعات نفسها [1] في كل منهما:

١- وبالرغم من الترويج في وسائل العولمة الإعلامية لمسألة الاندماج ووحدة المصير تجد الفارق الكبير يتسع يوماً بعد يوم في ظل هذه العولمة الجشعة، ففي الوقت الذي تزداد فئة الشمال تقدماً وتحديثاً ورفاهية وغنى مفرط وأرباحاً تنهال عليه من شركاته العابرة للقارات والمتعددة الجنسيات نجد الجنوب يزداد تصدعاً وانفراطاً وتفككاً من أي وقت مضى.

٢- وبالرغم من دغدغة عواطف البلاد النامية في الجنوب في التنمية الشاملة نجد آمال هذه البلدان وخاصة الإسلامية منها تنهار كلياً، ولا تكاد تخرج من أزماتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبالتالي يبدو العجز أكثر وضوحاً من الماضي في مسايرة التقدم العلمي والتقني والاقتصادي والاجتماعي لدول الشمال.

٣- وفي الوقت الذي تنادي فيه قوى العولمة إلى الأمن والسلام العالميين نجد أن الحروب لا تكاد تتوقف في بلاد الجنوب والصراعات العرقية الإثنية والعنصرية تشتعل جذورها إلى الماضي السحيق، إلى ما قبل الإسلام.

وإن لم توجد هذه الحروب أوقدتها نار العولمة باسم غياب حقوق الإنسان وغياب حقوق الأقليات وغياب حقوق المرأة وغيرها من النداءات والشعارات الجوفاء التي لا تثمر إلا الصراعات والحروب وسفك الدماء وإراقتها في طول البلاد وعرضها.

٤- وبالرغم من أن وسائل وأجهزة الإعلام النشطة والعالمية للعولمة لا تكف عن النداءات والتذكير بضرورة تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية لتلويث السوق العالمية الجبارة وتحويل العالم إلى قرية واحدة يتعاون فيها الجميع ويعيشون وئاماً وسلاماً وآمنين إلا أن الدول الكبرى المتقدمة صناعياً وتقنياً تغلق حدودها وتحصن مجتمعاتها من أسباب هجرة مواطني الدول النامية إليها، لا تكاد تسمح لأحد بالهجرة إليها خاصة إذا كانوا من ذوي الدخول الدنيا، والكفاءات المتواضعة بحجة أن الحاجة إنما هي في الاستثمار والعقول مما يزيد الهوة والتباين في مستويات المعيشة بين فقراء الجنوب وأغنياء الشمال،

---

(١) عن برهان غليون، العولمة والمجتمع المعلوماتي، عن مجلة شؤون الأوسط العدد (٧٧)، ١٩٩٨م، ص٤٥ وما بعدها.

ويصبح السفر على بلاد الشمال حلماً وخيالاً لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع فأين إذاً ما نسمعه في وسائل الإعلام عن القرية الكونية التي ينبغي أن يعيش أبناؤها في تكاتف وتراحم وتآلف وتعاطف وتواد ومحبة ووئام؟!.

٥- وعلى الرغم من أن وسائل الإعلام قد أتاحت الفرصة لشعوب العالم التعرف على عادات ووسائل عمل وحياة الآخرين، إلا أن التواصل الأخلاقي النبيل والتواصل الإنساني والروحي يكاد أن ينعدم، مخلفاً أشكال التعالي والانطواء.

وهذا في حد ذاته أحيا وأذكي نار العنصرية وحركات العداء للأجانب والاعتداء عليهم أكثر من أي فترة مضت. ومن هنا ازدادت شعوب البلاد النامية حنيناً وتوقاً إلى الماضي، وإلى التمرد على الحاضر والتمسك بالتقاليد والعادات والتقوقع الإثنى والطائفي والجهوي والقبلي الذي كان سبباً في تصفيات جماعية وتطهير عرقي في كثير من البلاد (النامية – خاصة التي يوجد فيها مسلمون).

٦ – اتسعت رقعة المناطق المحتاجة التي يسكنها الفقر وتهددها المجاعة وتعمق فيها التفاوت الطبقي، وأصبح الآن لا يخفى على أحد أن (٢٠٪) من سكان العالم يحصلون على (٨٥٪) من الدخل العالمي[(١)].

بينما أكثر من (٤٥٪) من سكان العالم يعيشون تحت خط الفقر يرتفع منحنى البطالة يوماً بعد يوم حتى يصل في كثير البلاد والنامية إلى أكثر من (٢٠٪) في القوى العاملة.

يمكن تلخيص ما فات من سلبيات العولمة الاجتماعية بالنقاط التالية:

١- التخلف الذي سيطال مناطق واسعة من الكرة الأرضية والجهل وانعدام التربية والتأهيل والتكوين المهني والأخلاقي.

٢- انتشار الفقر والاستغلال والبطالة.

---

(١) هذه النقاط السابقة مأخوذة بتصرف عن برهان غلبون المرجع السابق من ص(٤٨ – ٥٢) وانظر: عبد الغفار شكر: = =العولمة والديمقراطية فى الوطن العربى عن مجلة الشاهد العدد (١٨٢) تشرين الأول ٢٠٠٠ م ص ٥٢، ٥٦ وانظر : أ. د. مصطفى رجب خاطه العولمة على المجتمعات العربية. عن مجلة البيان الإماراتية ١٣- ١٠ – ٢٠٠٠ م عن الإنترنت وانظر : عمر عبد الكريم العولمة : مظاهرها ومخاطرها عن مجلة المجتمع العدد (١٣١٩١) ٢٩ / ٩ / ١٩٩٨ م ص٤٦، ٤٧.

٣- انعدام الأمن والاستقرار وانتشار الفوضى والحروب الدائمة - ونمو حركات الإرهاب والتخريب والفوضى العالمية.

٤- عدم ضمان فعالية السلطة العمومية واستغلالها ونزاهتها وعدم ضمان دولة قانونية ومشكلة فرص تحقيق المواطنة والحفاظ على الديمقراطية (الحقيقية).

٥- مشاكل البيئة وتلوث المصادر الطبيعية ونفادها (وفي مقدمتها المياه والهواء والتربية) وانتشار الأوبئة والأمراض المعدية.

٦- إفضاء الفائدة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لصالح الفئة التي تملك وسائل السيطرة عليها.

٧- إن تعزيز السيطرة قوى العولمة (الدول الكبرى وبالذات أمريكا) على ثورة المعلومات والثورة المعرفية والخبرة التقنية وعلى الرأسمالية المتراكمة الكبرى والأسواق الواسعة والموارد البشرية والطبيعية سوف يقود إلى فرض سيطرتها على سياساتها ومصالحها على جميع من هو أضعف منها.

* * * * *

الفصل الرابع:

العولمة وأثرها على المجتمعـــات الإسلاميـــة

المجتمع اليمني نموذجاً

توطئــــة:

من المعلوم بعد هذه الإطلالة على العولمة، أن أية دولة تريد أن تكسر حاجز العولمة بينها وبين النظام العالمي الجديد (العولمة) وتدخل فيه بلا تردد، عليها أن تتقمص ذلك القميص المسمى (قميص النجاة الذهبي) [(١)] المفصل من قبل قادة الليبرالية الجديدة الذي يمثل شروط (البنك الدولي وصندوق النقد الدوليين) وقد استعرضناها في الفصل الثاني.

ومن ضمن تلك الشروط: التراجع عن كثير من سيادة الدولة - خصخصة القطاع العام، وتعويم سعر العملة الوطنية إلى غيرها من الشروط القاصمة والقاسية والتي لا يمكن أن تقوم بها ومعها قائمة للدولة النامية، المراد إدخالها في سلك العولمة [(٢)].

حيث نجد أن الفوائد (تمثل أضعاف رأس المال المستلم (المقترض) مرات كثيرة، والعوائد المدفوعة تمثل في كثير من الأحيان جملة الصادرات من القروض [(٣)]، وهي محل استهجان عامة الناس فضلاً عن عقلائهم، وربما تلحق هذه الديون ولد الولد على أقل تقدير.

هذا في الجانب الاقتصادي. وللأسف قد دخلت اليمن مع جملة أخرى من الدول في ركب العولمة اضطراراً وخوفاً على عدم اللحاق (بالقطار السريع للعولمة).

وأما في الجانب السياسي فقد خصصت له مطلباً في هذا الفصل الأخير، كما خصصت مطلبين آخرين للجانب الثقافي والاجتماعي بما يناسب المقام.

* * * * *

---

(١) انظر توماس. فريد مان، السيارة ليكساس وشجرة الزيتون، محاولة لفهم العولمة، ترجمة ليلي زيدان، مكتبة العبيكان، ط٢، ٢٠٠١م، ص ١٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٣) العولمة المزعومة روحه نما دري، ص ٢١.

المبحث الأول:
الآثار السياسية

لقد أضحت التحولات السياسية في الساحة اليمنية مثار اهتمام السياسيين وغيرهم، سواء داخل المجتمع اليمني أو خارجه، ففي الفترة التي برزت فيها ملامح النظام العالمي الجديد، الذي كان من أبرز مطالبه تعميم الديمقراطية والتعددية السياسية كنموذج ينبغي اقتفاء أثره الذي هو في نظر قوى العولمة الخلاص والنجاة، صادف هذا الوقت أن تم توحيد شطري اليمن. الأمر الذي رافقه كثير من التغيرات الجذرية خاصة في المحور السياسي، إذ تم اعتماد الديمقراطية التي هي أحد المعايير السياسية الخارجية للدول الغربية والمنظمات الدولية خاصة المانحة، نهجاً سياسياً للبلاد، ومن خلالها أقرت التعددية السياسية الحزبية وجعل التداول السلمي للسلطة منهجاً وهدفاً واضحاً للعملية الديمقراطية، إلا أن ظاهرة القصور شابت هذه التغيرات أثناء الثلاث عشرة سنة الماضية نتيجة للمصاعب والمعوقات التي وقفت ولا زالت تقف حجر عثرة أمام المسيرة الديمقراطية السليمة التي تنوع ما بين سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية.

* * * * *

المطلب الأول:
عوائق التغييرات الجذرية في المحور السياسي

العوائق السياسية: تفتقر السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية للتوازن بينها إذ لا زالت المعادلة السياسية مختلة لصالح السلطة التنفيذية التي تهيمن على مقومات المجتمع اليمني في شتى المجالات، ولا زالت أجهزة الدولة ومؤسساتها العامة غير مكترثة وغير ملتزمة بتطبيق الدستور والقوانين المنظمة للحريات العامة.

ومن جانبها تقف مؤسسات المجتمع المدني التي أوجدتها قوى العولمة عاجزة عن القيام بأي دور تغييري إيجابي، نتيجة لما نعانيه من مظاهر ضعف في الجوانب الهيكلية وعلى مستوى وجودها الشعبي بين الجماهير وحركتها في المجتمع، ونتيجة لظهور أحزاب سياسية أخرى إبان الفترة الإنتقالية للحكومة اليمنية من (٩٠ – ١٩٩٣)[(١)].

---

(١) التقرير الاستراتيجي اليمني الصادر عن المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية ٢٠٠٢م، ص٥٤، ٥٥.

العوائق الثقافية: لا زالت الغالبية العظمى من الشعب لا تعرف شيئاً عن معنى العمل السياسي الحزبي وغائبة عنه لعدة أسباب منها [١]:

١ - الخوف والتوجس من المواطنين نتيجة الموروث السيئ لعهود التشطير، حيث كان العمل الحزبي محرماً ويعد خيانة وطنية عظمى.

٢ - انتشار الأمية الأبجدية والثقافية بين المواطنين وعدم معرفتهم بحقوقهم السياسية وواجباتهم..

٣ - التعامل من جانب المواطنين مع الدولة (الحكومة) بمنطق الأب والابن، وعلى أنها ولية الأمر، أو صاحبة الشرعية التاريخية أو الثورية. ومع أن هذه النظرة فيها نوع من الإيجابية إلا أن المنهج الديمقراطي يعتبر ذلك أمية وعدم وعي.

وأما من الناحية الاجتماعية:

فنتيجة للروابط القبلية والعشائرية والمنطقية بين الناس في المجتمع اليمني، التي تؤثر سلبياً على طبيعة العمل السياسي والحزبي والروح الديمقراطية لهذه الروابط، من سلب لشخصيات الناس، وحرياتهم في تحديد اتجاهاتهم الحزبية واختيار انتماءاتهم السياسية، ولا سيما في الأرياف والمناطق القبلية، ذات الوضع المميز للشخصيات الاجتماعية، التي غالباً ما تتواجد في هذه المناطق، فيكون لها تأثيرٌ كبيرٌ على قرارات المواطنين، بسبب ارتباطهم بالدولة، وقدرتهم على جلب منافع وخدمات وامتيازات مقابل الولاء السياسي. بالإضافة إلى أن هذه العلاقة تجعل القوانين والأنظمة فيما بعد عرضة للاختراق والتجاوزات والتداعي والانهيار تحت هذه الظروف الغير طبيعية[٢].

وأخيراً الناحية الاقتصادية:

يرجع عزوف كثير من المواطنين اليمنيين عن مسألة المشاركة والخوض في العمق السياسي إلى قلة ذات اليد وانشغالهم بتأمين متطلباتهم في الحياة اليومية، كما أن العوز والحاجة المادية لدى الشريحة الكبيرة، منهم، تجعل الأمر سهلاً في شراء ضمائرهم وبيع

(١) المرجع نفسه، ص ٥٥، وانظر أ. عثمان ناصر علي: الوحدة والسياسة الخارجية للجمهورية اليمنية، سلسلة أوراق يمانية صادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، العدد (١٤) مايو ٢٠٠١ م، ص ٧١، ٩٨.

(٢) انظر التقرير الإستراتيجي اليمني ص ٥٥، ٥٦.

أصواتهم بأبخس الأثمان كوسيلة للبحث عن منفعة مادية بسيطة، أو كسب وظيفة، مما يؤدي إلى تزييف الحياة السياسية، وتشويه الوعي الفردي والجمعي لدى المواطنين وصبغ العملية السياسية بالانتهازية والمصلحية(١).

المطلب الثاني:

المؤسسات السياسية البارزة في الجمهورية اليمنية

مجلس النواب – مجلس الشورى – اللقاء المشترك.

أولاً مجلس النواب:

– بالرغم من اضطلاع مجلس النواب بالدور الرقابي والتشريعي إلا أن هناك شبه إجماع لدى الأوساط السياسية والشعبية، أن امتلاك حزب المؤتمر (الحكومة) لأغلبية مريحة داخل المجلس يضر كثيراً بالدور الرقابي والتشريعي، ويعمل على تمرير قرارات غير شعبية، وكبح المعارضة عن تفعيل دورها في بيان الأخطاء والقصور والوصول بمواقفها إلى درجة التأثير الفعلي على مواقف الحكومة التي تحظى بمساندة هذه الأغلبية.

لكن المعارضة حققت نوعاً من النجاح بمساندة القوى الشعبية الواعية، في تعديل بعض القوانين أو مشاريع، ومع ذلك فهناك مظاهر سلبية ومعوقات ظهرت بوضوح على دور المجلس تمثل في النقاط التالية (٢): –

١ – لقد ساهمت الأغلبية المريحة لحزب واحد في ضعف مجلس النواب وعدم قدرته على أداء دوره بالشكل المطلوب مما أدى إلى تمرير قوانين وإقرار سياسات تواجه بكثير من الانتقادات بسبب آثارها السلبية مثل: –

أ– موافقة أغلبية المجلس على كل الموازنات العامة للدولة رغم اشتمالها على سياسات بمستوى معيشة المواطنين.

ب– الموافقة على الاعتمادات الإضافية للموازنة العامة للدولة أكثر من مرة والتي تصل مبالغها إلى قرابة ثلث الموازنة العامة نفسها.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٥٦.

(٢) التقرير الاستراتيجي اليمني، ص ٥٧، وما بعدها.

ج- الموافقة على بعض التعديلات الدستورية التي سمحت لمجلس الشورى المعين والغير منتخب أن تشارك مجلس النواب - المنتخب - في بعض صلاحياته.

د- تمرير قوانين لم تلق رضاً من المعارضة ولا من الشعب، كقانون المظاهرات والمسيرات والتجمهر.

٢ - يعتري القصور كثيراً من اللجان التي تشكل لتقصي الحقائق، وعدم مقدرتها على مواجهة الاختلالات المالية والإدارية في مؤسسات الدولة، بسبب رجحان الكفة لصالح الجانب الحكومي.

٣ - إن العلاقة غير المتوازنة، بين المجلس والجانب الحكومي التي يبدو فيها رجحان الكفة لصالح الطرف الأخير حتى يظهر عجز المجلس في بعض الحالات في إلزام الحكومة بالعمل بالتوصيات مثل سياسة القروض الخارجية، بل لم يستطع حتى فرض قبول الجانب الحكومي للمساءلة والتحقيق في الجلسات العامة، وفي جلسات اللجان الدائمة بصورة متكررة، واعتماد معايير غير سليمة في ترشيح الأعضاء تحت مبررات قبلية وعشائرية، ترتكز على (القوة، والمال، والنفوذ، والجاه، والقدرة على الحشد) وهذا يشكل ظاهرة غير صحية في المجلس، إلا إنها عادة ما تكون شخصيات غير قادرة على أداء دورها النيابي المفترض، وتعاني من ضعف الإمكانيات الفنية والقانونية والخبرات، وفي حالة تقييم النشاطات التشريعية والرقابية لمجلس النواب، نلاحظ أن (الحكومة) ممثلة بحزب المؤتمر تهيمن على المجلس في تقديم القوانين، وتعديل المشاريع، معتمدة على الأغلبية الموالية للحكومة، وعليه يغيب الدور التشريعي للمجلس النيابي الذي هو في الأصل تجسيد للديمقراطية التي تدعو إليها (العولمة) وإعمالاً لأهم أهداف الثورة اليمنية في إقامة نظام حكم يقوم على الشورى والديمقراطية، والذي يمثل وجود مجلس تشريعي منتخب بالإدارة الشعبية، وعلى ذلك لا يقوم مجلس النواب بدوره الحقيقي في كثير من المسائل كمسألة وقف القروض المضرة بالبلد وبالأجيال القادمة وغيرها من القوانين، كما اقتصر الجانب الرقابي على تشكيل لجان لم تؤد مهمتها على أكمل وجه واقتصرت على الجانب الإعلامي والثقافي والصحي والتعليمي ونزر يسير من الجانب الخدمي، وأهملت حقوق الإنسان الذي تنادي به قوى العولمة ليل نهار وتتخذ منه شعاراً مرفوعاً في كل حفل.

ثانياً: مجلس الشورى:

وأما مجلس الشورى فهو الذي يجمع ألوان الطيف السياسي بالتعيين، وفي كل دورة انتخابية لمجلس النواب يضاف إلى مجلس الشورى عدداً آخر ولم تحدد بعد مهام خاصة له غير المشورة وإبداء الرأي أو رعاية أو استعراض أو تقديم الدراسات والمقترحات، بالإضافة إلى المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات المتعلقة بالدفاع والتحالف والصلح والسلم والحدود وهي أصلاً من اختصاصات مجلس النواب [(١)]!!.

ثالثاً اللقاء المشترك:

وأما أهم ظاهرة سياسية في الجمهورية اليمنية منذ قيام الوحدة هي رفع شعار التعددية السياسية والحزبية والتداول السلمى للسلطة. وتمثل ذلك واقعاً في اللقاء المشترك الذي يجمع التجمع اليمني للإصلاح وأحزاب مجلس التنسيق الأعلى للمعارضة ولكنها لم تحقق نجاحاً باهراً في تشكيل معارضة موحدة ومستمرة في أعمال التنسيق والتعاون.

وقد سبق هذا التشكيل تشكيلات أخرى وتكتلات سياسية [(٢)] معارضة، كلها لم تستطع تحقيق شيء يذكر نتيجة للظروف والتغيرات التي مرت بها اليمن وتمثلت بحرب الانفصال. وغيره من الأسباب كالموروثات التاريخية لدى الشعب اليمني وتركيبته القبلية. مثل:

١- (التكتل الوطني للمعارضة)، وضم عدداً من الأحزاب المتعاطفة مع الحزب الاشتراكي اليمني ١٩/ ٨/ ١٩٩٤م.

٢- (الائتلاف الديمقراطي للمعارضة) (أو المجلس الوطني للمعارضة ٢/ ٢/ ١٩٩٥م) فيما بعد.

٣- (مجلس التنسيق الأعلى لأحزاب المعارضة) في ٤/ ٨/ ١٩٩٥م. بعد ظهور

---

(١) التقرير الاستراتيجي، ص ٦٦.

(٢) التقرير ص، ٧١..

خلاف بين شريكي الحكم في ١٩٩٦م بشأن مسألة الانتخابات وسجلات القيد والتسجيل، أدى هذا الأمر إلى أن يقوم التجمع اليمني للإصلاح بلقاءات بينه وبين أحزاب المعارضة انتهت إلى ما يسمى (باللقاء المشترك، رسمياً في ٢٧/٨/١٩٩٦م.

وفي انتخابات المجالس المحلية تم التنسيق بين الأحزاب في إطار اللقاء المشترك، من جديد ليظهر بصورة أكثر انتظاماً وأفضل تأثيراً – أدت في النهاية إلى اقتناع الحزب الحاكم بضرورة إجراء تغييرات مهمة في تشكيل اللجنة العليا للانتخابات، لكنها لم تنجح نجاحاً ملموساً بسبب عدم اتفاق المعارضة مجتمعة على قائمة موحدة كما كان متوقعاً، وفي الجملة والتعديلات المطروحة جعلت اللجنة العليا للانتخابات أكثر رسمية وخضوعاً لهيمنة السلطة التنفيذية، وهكذا خاض (اللقاء المشترك) عدة مواجهات حقق فيها نجاحاً في الحصول على نسبة مهمة في عضوية اللجان ساعدها على التخفيف من نسبة الخروقات والانتهاكات، وتم التوقيع على اتفاق للتنسيق المشترك في الانتخابات النيابية يشكل تكتلاً سياسياً يكون قادراً على تشكيل معارضة قوية تضع شيئاً من التوازن السياسي لا سيما إذا حالفها النجاح في الفوز بنسبة من مقاعد مجلس النواب، ولكنه لم يحقق نجاحاً ملفتاً ولذا فإن دوره وتوثيق أواصر الثقة والتفاهم قد لا تستمر[1].

رابعاً الانتخابات واللجنة العليا:

على الرغم من مرور فترة زمنية ليست بالقصيرة على الإعداد لمرحلة الانتخابات والتعديلات الدستورية التي تم إقرارها مبكراً، إلا أن الانتخابات المحلية تمت ولكن بصورة شابها نوع من الصدام السياسي الناتج عن توتر العلاقة بين الأحزاب السياسية ودرجة التزامها بالدستور والقانون حتى حدث ما حدث أثناء فترة القيد والتسجيل من أعمال عنف متكررة تبادل من الاتهامات، وانحيازات وتكتلات، تتعارض مع الروح الديمقراطية، ظهر هذا القصور وهذا التوتر والاحتكاك في أثناء العمل الانتخابي لسنة ٢٠٠٣م كما يشير التقرير الاستراتيجي [2].

أولاً: في مسألة تشكيل أعضاء اللجنة العليا.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٣، ٧٤.

(٢) المرجع نفس، ص ٧٦.

تم تعيين عضو واحد ممثل للتجمع اليمني للإصلاح في حين يرى الإصلاح أن العضو لا يمثل حجمه ولا دوره السياسي، كما تم تعيين أمين عام للجنة العليا للانتخابات كمنصب محدث، بالإضافة إلى استحداث قطاعات جديدة مع فروع لها، وتوزيع اختصاصاتها ومهامها.

ثانياً: وفي مسألة التقسيم الانتخابي، فقد أثار ضجة وجدلاً سياسياً تبادلتهما اللجنة العليا وأحزاب المعارضة، حيث نصف هذا التقسيم بأنه مخالف للمعايير التي حددها القانون، وكما أحيط الأمر بسرية تامة ولم يكشف عنها الستار إلا بعد الانتهاء رغم مطالبة أحزاب المعارضة للجنة العليا بحقها في الاطلاع على إجراءات التقسيم.

ثالثاً: وفي مسألة تشكيل لجان القيد والتسجيل وتوزيع نسبة مشاركة كل الأحزاب المتمثلة في مجلس النواب نشب خلاف حاد بين الأحزاب حول هذه النقطة أدت إلى تقديم مبادرات قامت بها الهيئات والمنظمات الدولية وأطراف أخرى، وحتى تم أخيراً إصدار قرارات اعتمدت نسب المشاركة في الانتخابات المحلية كنسب تمثيل الأحزاب في القيد والتسجيل بحيث تشكل ضغطاً على أحزاب المعارضة وتدفعها إلى الاقتراب من الحل، ولكن أحزاب المعارضة قابلت هذه القرارات بالرفض حتى بادر الشيخ / عبد الله بن حسين الأحمر بحل وسط كان محل قبول الجميع، يقضي باعتماد نسبة الأصوات التي حصل عليها كل حزب في مجلس النواب كمعيار لتحديد نسبة مشاركته في لجان القيد والتسجيل، وبهذا رأت المعارضة مع الحزب الحكومي أنهم نجحوا في تثبيت معايير تستخدم أساساً لتحديد نسب المشاركة في أية انتخابات قادمة. ومع هذا فقد اشتكت أحزاب المعارضة من اللجنة العليا، بأنها لم تلتزم بنسب تمثيلها عندما نشرت أسماء أعضاء اللجان الإشرافية واستبدلت عدداً من ممثلي الأحزاب في اللجان بآخرين دون الرجوع إلى الأحزاب، ومن هنا تقدمت أحزاب المعارضة بملف وثائقي يتضمن نماذج من المخالفات والخروقات التي رافقت عملية القيد والتسجيل والحملات التي تم السطو فيها على الأحزاب في لجان القيد والتسجيل، بما يخالف روح الديمقراطية والمشاركة السلمية [1].

رابعاً: وكذلك في عملية القيد والتسجيل اشتكت أحزاب المعارضة من الخروقات

(١) المرجع نفسه، ص ٧٩، ٨٠.

والتجاوزات التي قامت بها اللجنة العليا للانتخابات بمشاركة حزب المؤتمر الشعبي العام، بما يشير حسب رؤية المعارضة إلى مصادرة العملية الانتخابية وحسم نتائجها منذ وقت مبكر. حيث سيطرت الارتجالية على أدائها في أكثر من قرار، بل وجعلت من نفسها خصماً للقانون، وحقوق المواطن، وطرفاً منحازاً في العملية الانتخابية، حتى عملت لصالح السلطة التنفيذية، في حين وصفت اللجنة العليا كل هذا التصريحات من قبل أحزاب المعارضة بأنها حملات تشكيكية ودعائية لا تستند إلى دليل، وهكذا استمرت الأحزاب تعرض ما يضعفها بأنها خروقات ومخالفات تقوم بها الأطراف الأخرى الأمر الذي أدى إلى نوع من الحرج والإزعاج للمراسلين والصحفيين [١].

خامساً: وأما في مسألة تسجيل أفراد القوات المسلحة فقد برزت إشكالية تحديد الموطن الانتخابي لمنتسبي قوات الجيش هل يتم تسجيلهم في الدوائر المحلية أم يوزعون في عموم مراكز الدائرة الانتخابية (النيابية) [٢].

سادساً: وفي مسألة تسجيل النساء: على الرغم من تميز سجلات الناخبين الجديدة بارتفاع نسبة عدد النساء المسجلات، بخلاف ما كان عليه الوضع في السجلات القديمة إلا أنه طرأ على المسألة تأخر بعض المراكز الانتخابية في عملية القيد والتسجيل إما لأسباب اجتماعية أو اعتراض على التقسيم الانتخابي الجديد، لكن مع ذلك تميزت في هذه المرة عن سابقتيها نتيجة للوعي الانتخابي الجيد، وقد يعود ذلك إلى التنافس القبلي[٣] وهذا أوجه الأسباب في نظري حيث أنه حسم المسألة في كثير من الدوائر الانتخابية لصالح الطرف الأكثر جمعاً..

سابعاً: أعمال العنف، لم تخل عملية القيد والتسجيل من أعمال العنف، بل على العكس من ذلك فقد سجلت اللجنة العليا للانتخابات حوادث عنف بلغت (٤٠٧) حوادث مختلفة أسفرت عن سقوط (٧) قتلى و(٤٢) جريحاً بينهم عدد من رجال الأمن.

وترجع هذه الحوادث بالطبع إلى:

---

(١) المرجع نفسه، ص٨١ وما بعدها.
(٢) المرجع نفسه، ص ٨٢.
(٣) المرجع نفسه، ص ٨١، وما بعدها.

١- تركيبة المجتمع اليمني القبائلي العشائري.

٢- عدم التزام اللجان الانتخابية والأمنية بالقانون، وانحيازها الواضح إلى طرف سياسي معين غالباً ما يكون المؤتمر الشعبي العام.

٣- اتساع نطاق التنافس بين الأحزاب السياسية، وتجاوز حدودها المعروفة وبشكل خاص بين حزبي المؤتمر الشعبي العام، والتجمع اليمني للإصلاح، وارتفاع مستوى الاحتقان والتوتر السياسي على إثر الأحداث الأخرى، واستغلالها لشن حملات تشهير وتشويه صورة الآخر داخلياً وخارجياً، ومحاولة إلصاق تهمة الإرهاب بالتجمع اليمني للإصلاح تنفيذاً لمخطط استراتيجي يستهدف الإصلاح وجوداً ومستقبلاً.

ومع هذا فقد حاول الحزب المعارض تجنب الانزلاق في مستنقع العنف ونفى عن نفسه كل تهمة ألصقت به، وأن ما يقوم به أفراد من المواطنين لا ينتسبون إليه أبداً بل هو متهم عندهم حسب تصوراتهم.

ويرى الباحث أن مثل هذه الأعمال أو استغلالها يرجع إلى تشويه الصورة لدى العام والخاص، وعدم الوعي الصحيح للعملية الانتخابية برمتها واتخاذ المسألة سباقاً محموماً ولو أدى ذلك إلى العنف وإقصاء الآخر.

وبعد هذا كله فإن المتابع لأحداث الانتخابات والناظر إليها بعين التحليل يجد أنها قد بدأت إرهاصاتها منذ الاستعدادات المبكرة لإجراءاتها بمسائل خلافية حول طريقة تشكيل اللجنة العليا واستبعاد التمثيل الحزبي وعضويتها كما سلف، الأمر الذي سبب تنافساً حاداً وصراعاً مريراً حتى آخر لحظة في الانتخابات، بل ولم تنته حتى الآن وهذا في حد ذاته يدل على قصور الوعي الديمقراطي لدى النخبة فضلاً عن غيرها، وتأثرها بالتركيبة القبلية للمجتمع اليمني وكثيراً ما يتم تقديم المصالح الشخصية على مصلحة الوطن والمواطن!.

* * * * *

المطلب الثالث:

الحقوق والحريات

مما تنادي به قوى العولمة وترفعه ضمن شعاراتها السياسية أيضاً مسألة الحقوق والحريات بمضمونها ودلالتها السياسية والاجتماعية اللتان تجعلان من الشعب المصدر الوحيد للسلطة، وما الدولة إلا متعاقدة مع الشعب الذي يمنحها المشروعية أو لا يمنحها، وما السلطة إلا سلطة القانون التي تنفصل عن شخص الحاكم، ويكون الحاكم أجيراً كما هو واضح لدى المسلمين، ومعلوم من الدين بالضرورة، فالقانون يعبر عن إرادة المجتمع حيث المصلحة المشتركة والخير العام.

وتحقيق التضامن الاجتماعي وتعميق الوحدة الوطنية ويجب الوعي به كوعي جمعي مشترك بين كل أفراد المجتمع الذين يمثلون مصدره.

ويقصد بالحقوق التي ينبغي أن تطال المجتمعات: الحقوق المدنية والحقوق الاجتماعية الاقتصادية، والثقافية، والقانونية والشخصية، وحقوق البقاء، وترتبط هذه الحقوق ببعضها فهي وحدة واحدة لا تقبل التجزؤ ولا التقسيم.

ويقصد بالحرية: حرية العقيدة، وحرية العمل، وحرية الثقافة والتعبير العلني والممارسة السياسية والملكية والتنقل والحق في الحياة.

والكلام حول هذه الحقوق وتفصيلاتها قد يخرجنا من مضمون البحث، والذي يهمنا منه واقع هذه الحقوق في اليمن. ولما كانت هذه الحقوق هي حقوق عالمية وفقاً لوحدة النوع الإنساني، ووفقاً لحقه في تملك هذه الحقوق، فإن هذه الحقوق تنتظم من خلال البنى والممارسات الأساسية للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

تحديث التشريعات الدستورية في ظل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

ولعل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حدثت في اليمن والوطن العربي، خلال السنوات الماضية - ضمن العالم الثالث - قد أفرزت قابلية التطبيق العالمي لحقوق الإنسان. وكذلك مع التحول السياسي نحو دولة الوحدة والذي أعلن في ٢٢/ ٥/ ١٩٩٠م، ثم تجديد التشريعات والقوانين المحلية بما في ذلك الدستور، بما عبرَّ عن التحول الديمقراطي والإقرار الرسمي بالتعددية الحزبية، وحق أفراد المجتمع في التنظيم المؤسسي لنشاطاتهم وعلاقاتهم، وأكدت قوانين الصحافة والأحزاب والانتخابات والجمعيات الأهلية، على الحريات العامة وضمان ممارستها لكل أفراد المجتمع، فظهرت

عشرات الأحزاب والنقابات والجمعيات واتسع حجم المشاركة السياسية، وظهرت المرأة تمارس حقوقها السياسية والمدنية، وكل ذلك عبر عن الخطة الليبرالية التى شهدتها اليمن[١].

حيث تفاعلت مع الإطار الدولي في مختلف المجالات ومنها التزامها بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما ورد في الهدف السادس من أهداف الثورة السبتمبرية والمادة (٦) من دستور الجمهورية، وقد تضمنت القوانين والتشريعات المحلية عدداً من المعاهدات خاصة التي يتضمنها مفهوم الشرعية الدولية كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والمعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى مصادقتها على عدد من الاتفاقات والمعاهدات الدولية.

ومن هنا فقد أصبحت اليمن طرفاً في معظم المعاهدات الرئيسية لحقوق الإنسان، وأدرجت في تشريعاتها الوطنية عدداً من المعايير الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، وقد يدفع اندماجها في السياق الحضاري العالمي لمزيد من التطور الديمقراطي واتساع الحريات العامة، واحترام حقوق الإنسان ذلك أنه في ظل نظام العولمة لم يعد بمقدور أي دولة أن تعزل ذاتها عن العالم ومجريات ما تفرزه العولمة من تغيرات متنوعة سواء كانت سلبية هذه التغيرات أو إيجابية.

وقد نظم الدستور اليمني والقانون كافة المجالات التي تنظم فيها جميع الحقوق والحريات بما يتمشى مع حقوق الإنسان العالمي، كما يتضمن برامج الحكومة وخططها التنموية المتعددة على العمل على ترسيخ الممارسة الديمقراطية وضمان لكافة الحريات والحقوق، كالحقوق السياسية، والمدنية حيث ضمنت الدولة هذا الحق مفصلاً مع اتخاذ كافة التدابير والوسائل الضرورية التي تمكن المواطنين من ممارسته، وتضمن لهم كافة الحريات للمؤسسات والمنظمات السياسية والنقابية والثقافية والعلمية والاجتماعية.

كما يكفل القانون وتتضمن برامج الحكومة الحقوق الاقتصادية، وذلك بتشجيع حرية النشاط الاقتصادي بما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع، وتشجيع التعاون والادخار والعمل الشريف بما يحقق للمواطن ممارسته بحرية في حدود القانون.

وفي الجانب الاجتماعي يعتبر القانون الأسرة والحفاظ على كيانها أساس المجتمع

---

(١) انظر التقرير، ص ١٠٦.

وقوامها الدين والأخلاق وحب الوطن – كما تحمي الأمومة والطفولة وترعى النشء والشباب – وتعتبر النساء شقائق الرجال لهن مثل الذي عليهن بالمعروف.

– ويعتبر القانون التعليم والرعاية الصحية والخدمات حقاً لجميع المواطنين والوقوف بجانبه في المحن والكوارث وعليها واجب حماية الآثار وصيانتها وحماية البيئة.

– ومع هذا كله فهناك من يشكك في نزاهة النظام القضائي مما يؤدي إلى التمييز في الحقوق وعدم ضمان وصولها لكافة المواطنين [1].

وفي هذا السياق شاركت اليمن في عدد من المؤتمرات الدولية، ووقعت على مقرراته مثل:

– مؤتمر القاهرة العالمي للسكان ١٩٩٤م.

– مؤتمر كوبنهاجن العالمي لتنمية الاجتماعية ١٩٩٥م.

– مؤتمر فيينا الدولي لحقوق الإنسان ١٩٩٣م.

– مؤتمر بكين للمرأة ١٩٩٥م.

– وغيرها من المؤتمرات الدولية والإقليمية.

وخلال العقد الأخير من القرن العشرين لوحظ التطور الإيجابي الملموس في مجالات حقوق الإنسان الرسمي والشعبي واتسع الهامش الديمقراطي أكثر ومارس عامة أفراد المجتمع صوراً شتى من الحقوق والحريات العامة مثل:

– حق التنظيم المؤسسي المستقل للأحزاب السياسية والمنظمات والجمعيات الأهلية وإنشاء الصحف وممارسة الترشيح والتصويت في العمليات الانتخابية.

– حق المرأة السياسي العام حيث تزايد ظهورها في هذا المجال وتسلمت مناصب قيادية حساسة.

لكن وبحسب التقرير الاستراتيجي لا يزال الواقع المعاش يومياً يتسم بممارسات متعددة تنتهك ذلك المجال إما بمعوقات قانونية أو إدارية تحد أو تعقد أو تعوق ممارسات الأفراد لحرياتهم المنصوص عليها في الدستور.

أو معوقات ترجع إلى المجتمع ذاته بكافة مؤسساته العصبوية، أو المدنية الحديثة غير

---

(١) انظر التقرير الاستراتيجي اليمني ٢٠٠٢م، ص ٩٦، ٩٧، ٩٨.

المكترثة بحقوق أفرادها وحرياتهم.

كما لم تُغفل اليمن البناء المؤسسي الرسمي في مجال حقوق الإنسان وأكدته باستحداث اللجنة الوطنية العليا لحقوق الإنسان برئاسة وزير الخارجية التي تطورت فيما بعد إلى منصب وزير الدولة لشؤون حقوق الإنسان. ولإبراز هذا الاهتمام للرأي العالمي، أسندته الدولة إلى امرأة لتكون أول امرأة تشغل منصب وزير [1].

وأصبحت اليمن طرفاً في معظم المعاهدات الرئيسية لحقوق الإنسان وأدرجت في تشريعاتها الوطنية عدداً من المعايير الدولية الخاصة بالحقوق والحريات.

ومع إقرار اليمن واستجابتها رسمياً للمتغيرات المحلية والدولية التي ارتبطت بالموجة الثالثة من التحول الديمقراطي في العالم، إلا أنها لم تتبعه تحولات وتغيرات إجرائية وتنفيذية لإعمال تلك الحقوق وتوسيع فرص ممارستها في الواقع المعاش لوجود عوامل تعمل على تعثر التحول الديمقراطي وكبح مساره وبالتالي كبح مسار التحديث الاقتصادي والاجتماعي (التنمية) ورغم التأكيد على الحريات العامة والمصادقة على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية.

ومن المؤسف أن اليمن إلى اليوم وفق مؤشرات التنمية الدولية لا يزال يندرج في إطار الدول الأقل نمواً، ويصنف بمستوى تنموي بشري منخفض، أي أنه لا يزال مجتمعاً تقليدياً تنخفض فيه مستويات التحديث والتنمية التي تتمثل في تهيئة بيئة تمكينية، تعمل على تعزيز قدرات الناس وتوسيع نطاق الخيارات المتاحة لهم في مستويات المعيشة اللائق (التغذية الكافية، والرعاية الصحية والتعليم، والعمل والحماية).

الأمر الذي يعكس نفسه في ضعف التطور في مجالات حقوق الإنسان (ضعف الوعي – ضعف البناء المؤسسي – ضعف التشريعات وتنفيذها – ضعف تقبل المجتمع للثقافة السياسية الحديثة).

---

(١) انظر: التقرير، ص ١٠٣، وانظر التقرير السنوي للصحوة حصاد عام اليمن (٢٠٠٢) /، ص ٩ – ٢٤، ملف كامل حول الحقوق والحريات، وانظر تقرير عن وضع حقوق الإنسان في اليمن، لعام ٢٠٠١م الصادر عن مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل، ٤ مارس ٢٠٠٢م، عن وزارة الخارجية الأمريكية من ص ٤، وما بعدها

أي أنه لا يمكن تطوير المجال الاقتصادي والاجتماعي بمعزل عن التحديث والتنمية. وإن التقصير في توفير الحاجات الأساسية للسكان تعتبر للوهلة الأولى انتهاكاً للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، وإن كان التقصير راجعاً إلى شحة الموارد أو نقصها فعلى الدولة أن توفر السبل الكفيلة بتوفير هذه الحقوق وتبذل غاية جهدها في ذلك.

وبحسب إحصائيات التقرير الاستراتيجي اليمني لعام ٢٠٠٢م [1]، فهذه بعض ملامح الحرمان في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية:

- (٦٤٪) من السكان لا يحصلون على مياه مأمونة.
- (٥٠٪) منهم لا يحصلون على خدمات صحية.
- ونسبة (٤١٪) من الأطفال لا يلتحقون بالمدارس.
- حجم فقراء الغذاء: (٢٤.٧٪).
- معدل البطالة بين الذكور (١٣.١٪) وبين الإناث (٨.٣٪).

السكان الذين يحصلون على خدمات صحية إجمالي(٥٠٪)حضر(٨٠٪) ريف (٢٥٪).

- معدل معرفة القراءة والكتابة (١٥+ ٤٧.٣٪).

السكان الذين يحصلون على مياه مأمونة إجمالي (٣٦٪) حضر (٨١٪) ريف (٢١.٥).

ومجملاً فإن اليمن من جملة الدول المتخلفة التي تعاني من ضعف الفرص الاقتصادية وتزايد معدلات الفقر والبطالة واتساع الفجوات بين الأغنياء والفقراء، وبين الريف والحضر وهي في مجملها تشكل عوامل ضغط قوية على الديمقراطية وحقوق الإنسان في اليمن وتخلق حالة من عدم الاستقرار.

---

(١) انظر التقرير، ص ١٠٦.

وعليه فإن المجتمع اليمني لا يزال بحاجة إلى مواكبة التطور السياسي على الصعيد العالمي في القرن الـ ٢١ تأسيس وبناء الديمقراطية وترسيخ مقوماتها ووعي المجتمع والدولة معاً، بضرورتها ومن ثم تأسيس منظومة ثقافية سائدة وأساليب وطرق تنشئة اجتماعية ومؤسسات تعليمية وإعلامية تحوط جميع فئات الشعب ومؤسساته الهيمنة، الشعبية الحزبية حتى يتجاوز الوطن ومسألة العنف وعدم الاستقرار، وتعميق عمليات الاندماج الوطني وحشد الجهود والطاقات لتحقيق التنمية الشاملة.

* * * * *

المبحث الثاني:
الآثار الاجتماعية

إن وقفة تأمل في حال المرأة اليمنية في المجتمع اليمني باعتبارها ركيزة اهتمام قوى العولمة من الناحية الاجتماعية من ضمن استهدافاتها في الدول النامية أو دول الأطراف كما تعبر هذه القوى.

فإننا نجد أنه قد حدثت تحولات هامة وكبيرة في سياق عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية في اليمن، كنتاج مباشر لما أسفرت عنه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الدولية التي يشهدها العالم.

الحقوق السياسية للمرأة اليمنية:

ومنذ ما يقرب من أربعة عقود أصبحت المرأة اليمنية محل نظر واهتمام الجهات الرسمية وغير الرسمية، كما هو واضح من خلال الدعم النسوي للانتخابات في مجلس النواب والمجالس المحلية، وغيرها من مراكز الدولة التي شاركت فيها المرأة اليمنية، تطبيقاً لمواد الدستور اليمني الذي سار معها ولصالحها، وتحقيقاً لحقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية خاصة بعد تحقيق الوحدة اليمنية، كما أننا نلاحظ انضمام المرأة اليمنية إلى جملة من الاتفاقات والمقررات والإعلانات الدولية والإقليمية التي تهتم بخصوصيات المرأة والنهوض بها وبأوضاعها في شتى نواحي الحياة، وتتعامل الجهات الرسمية وغير الرسمية على العموم مع هذه الاتفاقات والمقررات بما يتناسب والمرجعية الدينية والثوابت الوطنية، ونشطت الجهات الرسمية وغير الرسمية في اللقاءات والمؤتمرات والندوات المحلية والخارجية للعناية بالمرأة حتى أنشئت اللجنة الوطنية بقرار من رئاسة الوزراء تعنى برسم السياسات

والاستراتيجيات المتعلقة بالمرأة، وبقضاياها التنموية الاجتماعية، وتربط علاقات جيدة مع مختلف المنظمات الشعبية والنسائية على مستوى الداخل والخارج.

ولا يفوتنا ذكر مؤسسات المجتمع المدني من منظمات جماهيرية، وأحزاب سياسة ونقابات وجمعيات نسائية تعكس في الوقت الراهن اهتماماً جيداً بالمرأة، وقضاياها المتصلة بالتعليم والصحة الإنجابية والتدريب المهني والفني والتأهيل.

هذه كلها علامات ونقاط بارزة تدل على أن المجتمع اليمني بشقيه الرسمي والشعبي، قد سلك مسلكاً يتماشى والنظام العالمي الجديد في التعامل مع المرأة، فلم يعد هناك مجال لتهميشها أو إقصائها عن حركة المجتمع وتطوره، وربما تلعب العادات والتقاليد والموروثات الثقافية دوراً كبيراً في عرقلة المسيرة التنموية للمرأة – ولكن الباحث يرى أن هذا الدور قد يكون في كثير من الأحيان علامة صحية للمجتمع المحافظ.

ومن ضمن الاتفاقيات التي اجتهدت بلادنا في التوقيع عليها والالتزام بمقرراتها اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو Cedaw).

وعلى الرغم من أن هذه الاتفاقية (سيداو CEDAW)، اعتبرت الإسلام أحد مصادر التمييز، بقصد أو بغير قصد!! إلا أننا نجد اليمن، من ضمن الدول الموقعة على هذه الاتفاقية، لم تأل جهداً – خاصة بعد تحقيق الوحدة اليمنية في عام ١٩٩٠م، في اتخاذ جميع التدابير المناسبة مع ما لا يتنافى مع ديننا الحنيف ودستورنا الحصين، بحصن الشرع، ودون أي إبطاء للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة في جميع ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإدارية وغيرها من الميادين. حيث مكنتها من ممارسة كافة حقوقها بما فيها التمكين من واقع صنع القرار السياسي، وكفلت لها هذا الحق ضمن بنود الدستور والقانون: حيث شاركت المرأة في الحكومة كوزيرة – وفي مجلس الشورى، وشاركت في مكتبي رئاسة الجمهورية، ورئاسة الحكومة، وانخرطت في سلك الأحزاب السياسية، وفي السلك الدبلوماسي، وفي المجالس المحلية، وفي السلطة القضائية، والمحاماة، كما شاركت في القطاع الخاص وإن بنسبة ضئيلة، كما أن لها وجوداً وحضوراً فاعلاً في مؤسسات المجتمع المدني، واتخذت الحكومة بهذا الصدد إجراءات كفلت من خلالها إدماج النساء في الحياة العامة من بينها [1]:

---

(١) انظر د. علي محمد النصيري: ورقة مقدمة إلى المؤتمر اليمني الثاني لمناهضة العنف ضد المرأة، عن مركز

١- إقرار الاستراتيجية الوطنية للمرأة عام ١٩٩٧م.

٢- إقرار الاستراتيجية العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار لسنة ١٩٩٨م.

٣- إقرار الاستراتيجية الوطنية لتعليم الفتاة لسنة ١٩٩٨م - ٢٠١٠م.

٤- إقرار الاستراتيجية الوطنية المحدثة للأمومة والطفولة.

٥- إقرار الاستراتيجية الوطنية والاهتمام بصحة الأم والطفل.

تنفيذاً لتوصيات بيجن ١٩٩٥م [١].

كما كفل الدستور حق المساواة بالرجل في الحقوق والواجبات بما لا يتعارض والشريعة الإسلامية، وكفل لها الإسهام في الحياة بجميع مجالاتها.

فقد نصت المادة (٣١) على أن: (النساء شقائق ولهن من الحقوق وعليهن من الواجبات ما تكفله الشريعة وينص عليه القانون وجاء في المادة (٤٠) من الدستور ما نصه «المواطنون جميعهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة».

كما جاء في المادة (٢٤) ما نصه: «تكفل الدولة الفرص لجميع المواطنين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتصيغ القوانين لتحقيق ذلك» [٢].

وكفل الدستور كذلك كما جاء في المواد (٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧) أن المرأة متساوية مع الرجل في كافة الحقوق التي نظمتها القوانين في شتى جوانب الحياة السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، والانتخاب والترشيح، وإبداء الرأي في الاستفتاء، كما كفلت الدولة الحالات التي تقيد حرية المواطن، وأنه لا يجوز تقييد حرية أحد إلا بحكم من المحكمة المختصة، إلى غير ذلك مما يفيد الرجل والمرأة على السواء [٣].

مساندة قضايا المرأة، ٤، ٥/ ١١/ ١٩٩٩م، ص ٤، ٥، وانظر: تقرير وضع المرأة اليمنية بعد مؤتمر بيجن (المحدث) سبتمبر ٢٠٠١م، ص ٢٠، ٢١، عن المجلس الأعلى لشؤون المرأة، اللجنة الوطنية لشؤون للمرأة، وانظر: الاستراتيجية السكانية، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م، وانظر البرنامج العام للحقوق اليمنية المقر من مجلس النواب ٧/ ٦ / ٩٨م.

(١) انظر: تقرير وضع المرأة اليمنية بعد مؤتمر بيجن (المحدث) المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢.

(٢) انظر: المؤتمر اليمني النسائي لمناهضة العنف ضد المرأة صنعاء - مركز مساندة قضايا المرأة ٣ - ٥ ديسمبر ١٩٩٩م، ص ١٨.

(٣) انظر: د علي محمد النصيري: ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر اليمني الثاني لمناهضة العنف ضد المرأة، عن مركز

وأما فيما يتعلق بالخدمة المدنية، وقانون العمل فقد: صدر بشأنهما القانون رقم (١٩) لسنة ١٩٩١م والقانون رقم (٥) لسنة ١٩٩٥م، وتميزاً بمساواتهما بين الرجل والمرأة والتعيين والترقية، كما أدعما بميزات إضافية بشأن المرأة ووضعها خاصة في الحالات التالية[١]:

- وضع خاص للحامل، وضع خاص للمرضع، ووضع خاص لحالة الوضع.

نظرة المجتمع اليمني للمرأة

ومع ذلك تشير التقارير إلى أنه لا يزال هناك نوع من التمييز الواضح بين الرجل والمرأة من قبل القائمين على رسم السياسات والخطط في مرافق الدولة خاصة في القطاع الخاص[٢].

كما تشير التقارير إلى أن النظرة إلى المرأة لا تزال دونية [*] فتحدد لها أعمالاً خاصة بها، ولا تتجاوزها إلا في حالات نادرة جداً.

ويرى الباحث أن التقارير وإن كان فيها شيء من الحق إلا أن الإثارة والهالة التي وضعت حولها قد زادت عن حدها وخرجت عن طورها، ولا أدري لماذا كل هذا الضجيج!! مع أننا نشاهد المرأة في اليمن وفي غير اليمن، وإن كانت اليمن أقلها بحكم أنه لا يزال تحكمه بعض العادات والتقاليد النابعة من الدين الحنيف، تشاهد بعض النساء يتمتعن بما يزيد عن حقوقهن، فقد خرجن سافرات، واختلطن بالرجال في مجالات العمل وفي شتى ضروب الحياة، ولعلها خطوة تتبعها خطوات في ظل نظام العولمة، الذي يعقد المؤتمرات تلو المؤتمرات، لإخراج نساء المسلمين وإلحاقهن بالغربيات، شكلاً ومضموناً، وتفكيك الأسرة بحجة المشاركة في التنمية، والقضاء على الفقر، والمساواة المطلقة، تحت عناوين منكرة من

مساندة قضايا المرأة ٤، ٥/ ١١/ ١٩٩٩م، ص ٤، ٥، وللمزيد انظر: قوانين الإجراءات الجزائية وقوانين الجرائم والعقوبات.

(١) المرجع السابق، ص ٧.

(٢) وانظر لذلك ملخصاً عن دراسة مساهمة المرأة في الوزارات (صندوق الأمم المتحدة للسكان) عن مجلة حقوقنا اليمنية الصادرة عن مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان العدد (١٥) ٤ إبريل سنة ٢٠٠٣م، ص ٣٨، وما بعدها، وللمزيد انظر د. سعاد عثمان عبدالرحيم الخصخصة والمرأة العامة سلسلة أوراق يمنية العدد (١١) صادر عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، ص ٢١، وما بعدها.

(*) والباحث لا يقر هذه النظرة. على إطلاقها حيث أن المرأة مكرمة بتكريم الله لها في الشريعة الإسلامية بما يصبون كافة حقوقها وحرياتها - وينظر إليها نظرة تقدير وإجلال واحترام حتى جعل الإسلام المرأة كما قرر في الحديث شقيقة الرجل لا فرق بينهما إلا في التكوين الفيريولوجي.

الحقوق الصحية والجنسية والتناسلية، وغيرها مما تمجها الأسماع وتعي من ذكرها الألسن، مع أن الإسلام قد كفل للمرأة الحق في النفقة من يوم ولادتها إلى يوم وفاتها فعلى الأب ثم الأقرب فالأقرب ثم الزوج...

فإن طلقت فعلى عائلها الأول، فإن لم يكن لها أب فالأقرب من عصبتها وأرحامها فإن لم يكن لها أحد فمن بيت مال المسلمين.

والمسألة لا تستلزم كل هذه الضجة والهراء والضجيج الذي أصم الآذان وأخرس ألسنة أهل الحق، وترك كثيراً منهم حيارى حيال هذه المسألة (العويصة)، وعند النظر إلى وثائق المؤتمرات التي تعقد تحت مظلة الأمم المتحدة ورعايتها يتضح لنا أن أكثرها مخلة بالآداب وترفضها الأعراف والتقاليد، فضلاً عن الأديان والفطر والأخلاق، كمسألة المساواة التي أرقت الغرب وأهلكتهم وشتت أسرهم وجعلتهم شذر مذر، ومزقت مجتمعاتهم كل ممزق، ومن أجل هذا يريدون دك حصن المسلمين الأخير (الأسرة) باسم الحقوق والحريات.

وعوداً على بدء، بين يدي تقارير كثيرة [(١)] تتكلم عن وضع المرأة اليمنية تعج أكثرها بما ليس من ورائه إلا الكيد للمرأة والإصرار على إخراجها من مملكتها وعزها ومكان صونها (البيت) تحت تلك الحجج الواهية التي تكررها مؤتمرات الأمم المتحدة، لتقررها وتلزم من يوقع عليها. وعلى نفس الوتيرة اتفاقية (سيداو) للقضاء على جميع أشكال العنف من وجهة نظرهم – ضد المرأة – وفيما يتعلق بمؤشر الفقر البشري، تعتبر هذه التقارير أن أحد أسبابه

---

(١) من هذه التقارير على سبيل المثال:
المرأة والتنمية والتصور الإسلامي لدور ومكانة المرأة، إعداد. أ. د. نورية علي حمد، أستاذ علم الاجتماع بجامعة صنعاء، صادر عن المجلس الوطني للسكان، الأمانة العامة (صنعاء) الإدارة العامة للتخطيط وتنمية الموارد، إدارة المرأة والنوع الاجتماعي.
أحمد على الأحصب رؤية مستقبلية للنشاط المدني في مجال حقوق الإنسان، – المدير التنفيذي للمنظمة اليمنية لحقوق الإنسان، أستاذ بقسم العلوم السياسية، جامعة صنعاء.
العنف وثقافة المجتمع اليمني: ورقة عمل قدمت للندوة حول العنف ضد النساء وخصوصيته في الثقافة اليمنية صنعاء ٢٢ – ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١م، إعداد د. عادل الشرجبي.
المرأة والصحة الإنجابية ورقة عمل قدمت لندوة مكان المرأة في السياسة السكانية، ١٥ – ١٧أكتوبر ٢٠٠١م، د. أحمد عبد الله عبد القاهر الصلاحي. =
=دور العدالة والإنصاف وتمكين المرأة أ. د. محمد عبد الجبار سلام، صادر عن المجلس الوطني للسكان الأمانة العامة للتخطيط وتنمية الموارد إدارة المرأة والنوع الاجتماعي، إلى غير ذلك من الأوراق التي تكرر نفس الفكرة لتقررها في العقول وتجعلها من المسلمات لدى المجتمع اليمني بشقيه الذكور والإناث.

غير المباشرة هي الزيادة في النمو السكاني ومن الأسباب المباشرة انخفاض مستوى مشاركة المرأة في القوة العاملة، وتصنيف اليمن ضمن الدول التي تحتل المرتبة الـ ٧٦ من بين ٨٥ بلداً في مؤشر الفقر البشري.

ومن أجل هذا اتخذت الدولة جملة من التدابير المالية والمؤسسية للإصلاح المالي والاقتصادي والإداري، وبرنامجاً لمكافحة الفقر وإيجاد فرص عمل [١].

تهدف هذه الإجراءات إلى تحقيق الاستقرار والتوازن الاقتصادي والمالي النقدي، والنهوض بالتنمية في كافة المستويات على المدى المتوسط والبعيد[٢].

ومن أجل مكافحة الفقر فقد أصدر مجلس الوزراء وثيقة في ١٩٩٨م ركزت على عنصر التنمية وتخفيف عبء الفقر، وشملت القطاعات ذات الصلة بالرعاية الاجتماعية والتربية والتعليم والصحة والتنمية الريفية والتدريب المهني والتشغيل والأسر المنتجة ودعمها، وتشغيل برنامج الإقراض الصغير، وإيجاد شبكة أمان اجتماعي لمواجهة الآثار السلبية الناجمة عن تطبيق برنامج مكافحة الفقر[٣].

كما أنشئ[٤] صندوق للرعاية الاجتماعية بقصد تقديم المساعدات المالية النقدية المباشرة لعدد من الأسر الفقيرة، وأنشئ الصندوق الاجتماعي للتنمية والذي يهدف إلى تحسين الأحوال المعيشية للفقراء، من خلال تمويل مشروعات في مجالات الصحة الأولية والتعليم الأساسي والمياه والأنشطة البيئية في المناطق الريفية، إلى غيرها من المشروعات التي تهدف مساعدة المرأة ومساندتها والوقوف معها للتغلب على مشكلة الفقر.

وفي الناحية التعليمية[٥] حظيت الأنثى بنصيب وافر وحضور لا بأس به ووجود في كل مراحل التعليم ومحو الأمية والتدريب المهني والتقني والتدريب غير النظامي (الأسر المنتجة).

وإن كانت النسبة ضيئلة بالنسبة للذكور إلا أن الأمر في مجمله يحظى باهتمام من قبل الحكومة والمجتمع في الجانب التعليمي.

---

(١) عن تقرير وضع المرأة اليمنية بعد مؤتمر بيجن (المحدث) سبتمبر ٢٠٠١م، ص١، ٢، ٣.
(٢) المرجع نفسه، ص ٣.
(٣) المرجع نفسه، ص ٤.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٠ - ١٧.
(٥) المرجع السابق نفسه.

وفيما يتعلق بالجانب الصحي والإنجابي لم تحظ المرأة برعاية صحية كاملة في الجانب الصحي والإنجاب على الرغم مما تتناقله وسائل الإعلام ليل نهار وصباح مساء إلا أن التقارير أشارت إلى أن الإنفاق على الصحة لا يتعدى (٤٪ أو ٤.٢٪)[١] من إجمالي إنفاق الموازنة العامة للدولة، ولا زالت معدلات الخصوبة مرتفعة جداً بين نساء اليمن. وهذا وإن كان لا يرضي قادة العولمة إلا أن الباحث لا يرى في ذلك بأساً، بل هو الأمر الطبيعي، ولا بأس من تنظيم الخصوبة والمباعدة بين الولادة أو على الأقل تأخذ الفترة القرآنية والرضاعة الطبيعية، ولا بأس كذلك في نظري بتأخير الإنجاب إلى ما بعد العشرين، وذلك بتأخير سن الزواج، لكن لا يكون ذلك بشكل مقنن، بل بتوفير سبل أخرى، وكدمج المرأة في التعليم وتحريضها وحثها على مواصلة الدراسة وتعليمها العالي مع الأخذ في الاعتبار الضوابط الشرعية لذلك [٢].

وحظيت المرأة بجهود حثيثة في إنشاء بعض الآليات والبرامج الحكومية وغير الحكومية التي من شأنها تعزيز دور المرأة، ولكنها لا زالت غير تامة ويعتريها النقص كما أشار هذا التقرير [٣].

مثـــل:

١- الإدارة العامة للتنمية المرأة الريفية تابعة لوكيل الوزارة لشؤون الزراعة.

٢- الإدارة العامة لشؤون المرأة والطفل تابعة لقطاع التنمية الاجتماعية وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.

٣- الإدارة العامة للأسر المنتجة تابعة لقطاع التنمية الاجتماعية وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.

٤- الإدارة العامة للمرأة تابعة لوزارة الإعلام.

٥- الإدارة العامة للمرأة تابعة للإدارة الصحية.

٦- الإدارة العامة للمرأة تابعة لوزارة الثقافة والسياحة.

كما شكل مجلس أعلى لشؤون المرأة بقرار من رئيس الوزراء رقم(٦٨)لسنة٢٠٠٠م، وسجلت اللجنة الوطنية للمرأة بقرار من رئيس الوزراء رقم (٩٨) لسنة ١٩٩٩٦م.

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٧، وانظر د. يحيى صالح محسن: اليمن إلى أين أرقام ومؤشرات، سلسلة أوراق يمانية الصادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، العدد (٧) ديسمبر ١٩٩٩م، ص (٥٢، ٥٣).

(٢) انظر التقرير، ١٨.

(٣) انظر التقرير، ٣٣.

وغير ذلك مما أدى ببعض الرجال إلى الغيرة على أنفسهم من وضع المرأة الذي حظي باهتمام كبير ومبالغ فيه، إرضاء ومسايرة للنظام العالمي الجديد.

كما يشير هذا التقرير إلى جملة من الإدارات المستحدثة والجمعيات الاجتماعية لتنفيذ السياسات والبرامج والخطط والمشروعات التي تعمل على النهوض بأوضاع المرأة والاهتمام بقضاياها ورعايتها مسايرة أيضاً للنظام العالمي الجديد أو بالأصح (العولمة)(١).

والملاحظ أن هذا التقرير وغيره من التقريرات التي قدمت كأوراق عمل لمؤتمرات وندوات بشأن المرأة، ومراقبة وضعها، لم ترض حتى الآن عما وصلت إليه المرأة.

ففي كل مجال وفي كل حقل من الحقول التي تتكلم عنها هذه التقارير نلاحظ أنها دائماً تكرر أن المرأة لم تصل إلى الوضع المأمول في هذا الشأن أو في هذا الحقل أو في هذا المجال. ولا بد من اتخاذ الإجراءات والتدابير التي من شأنها تعزيز وضع المرأة أكثر وأكثر**!!**

مع أننا نراها ربما في كثير من المجالات قد تعدت طورها وخرجت عما رسم لها ولكنهم يريدون لها كما أسلفت التغريب الخالص من الشوائب العربية والإسلامية وإخراجها من كل الأعراف والتقاليد والعادات والله المستعان.

* * * * *

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥، ٣٦.

المبحث الثالث:
الآثار الثقافية

منذ أن أعلنت اليمن ارتباطها بالإنترنت لأول مرة عام ١٩٩٦م، كان هذا الحدث بمثابة دخولها عصر ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات، متعددة الأغراض والجوانب فسارعت العديد من المؤسسات والمرافق والصحف والمجلات إلى الاستفادة من هذه الخدمة الجديدة، ومن جانبه سارع القطاع الخاص أيضاً إلى الاستفادة من هذه الخدمة ففتح العديد من المحلات التي عرفت باسم (مقاهي الإنترنت).

كما شهدت الفترة الواقعة بين عامي (٢٠٠٠ - ٢٠٠١م) تسارعاً في افتتاح المزيد من هذه المحلات لتقديم خدمات الإنترنت بسبب إقبال الجمهور المتزايد كل يوم، وبالذات من شريحة الشباب والمراهقين للاستفادة من هذه الخدمة المقدمة لهم [(١)].

وباعتبار الإنترنت من أهم الوسائل الإعلامية والاتصالية التي تتدفق من خلالها الأفكار والمعلومات الموجهة ضمن موجة (العولمة الثقافية والإعلامية) فقد طغت على الساحة اليمنية وخاصة بين من يرتادون هذه المحلات بغرض الاستفادة - مشاكل أو سلبيات وخيمة يمكن تلخيصها في النقاط التالية [(٢)]:

أ - تغلب على المستفيدين من هذه المحلات استقبال برامج تسعى إلى تحطيم الشباب من خلال نشر ما يثير الرغبات الغريزية، وأفكار العنف، والأنانية نتيجة لارتباطها بالقنوات الفضائية التي تحمل مواد وبرامج وأفكار تتعارض مع قيمنا ومبادئنا وعاداتنا الإسلامية.

ت- يعمل البث المباشر المرتبط بالإنترنت على تعميق الرغبة لدى المتابع لها إلى الاستهلاك واستثارة الرغبة لتقليد الأنماط الاستهلاكية القادمة من الغرب وتعود الشباب والمراهقين على متابعة الجديد من تلك الأنماط تأثراً وانبهاراً بالحضارة الغربية القادمة بلا قيود ولا موانع.

---

(١) فرحان البجم ورفيق درهم: دراسة منشورة: شبكات الإنترنت في العالم متابعات إعلامية، العدد (٥٨) ١ - ٢/ ١٩٩٨م.

(٢) انظر: د / محمد معمر عبد الوهاب: العولمة والهوية الثقافية في اليمن - أوراق يمانية، عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية سوريا - العدد (١٦) أكتوبر ٢٠٠١م، ص ١٣.

ج- تميل شريحة الشباب والمراهقين من الذكور والإناث على السواء، إلى متابعة البرامج الهابطة والتي تخلق روح الانهزامية والاتكالية والتبلد الفكري وفي مجال الفضائيات بدأ البث[١] التجريبي للقنوات الفضائية اليمنية في ديسمبر ١٩٩٥م، وانتشرت عملية استخدام صحون استقبال البث الفضائي في أسطح المنازل، بشكل مكثف في عام ٩٦م مع بداية البث المنظم.

وتنبهت أخيراً وزارة المواصلات إلى هذه السلبيات عامة وعلى الخصوص، سلبية الإنترنت، حيث توجد شريحة الشباب والمراهقين من الجنسين بكثافة، فأصدرت قراراً بمراقبة مقاهي الإنترنت، وإلغاء الحواجز التي كانت تفصل بين الأجهزة وبعضها، بحيث يستطيع القائم على المقهى رؤيتها بسهولة، مما قلل المفاسد التي بدأت تستشري خلال الفترة السابقة، وهذه محمدة تشكر عليها الوزارة.

كما تأسست بعض الشركات التي قامت بتوصيل البث الفضائي لقنوات التلفزيون بواسطة (الكابل) إلى المنازل نظير رسوم اشتراك شهري بسيط وذلك تسهيلاً للمواطنين غير القادرين على إدخال الخدمة مباشرة بواسطة جهاز (الدش) والهوائي المستقبل للبث الفضائي [٢].

وفي ظل الصراع الحاد والتنافس المحتدم بين القنوات الفضائية التي أضحت في الغالب تسيطر عليها مؤسسات القطاع الخاص، من أجل كسب مزيد من الربح باعتبارها قنوات تجارية، فإنها لا تحرص على اختيار نوع وجودة المادة المقدمة للمشاهد، بل تسعى إلى اختيار ما يضمن لها تحقيق الأرباح الهائلة ببث ما يتوافق مع ثقافة العولمة المطلوب ترويجها وإيصالها إلى كل شعوب العالم بغض النظر عن ديانات وثقافات وأفكار وسلوكيات كل شعب أو مجتمع على حدة.

ولما توسع البث أكثر ظهرت نتائجها الوخيمة وسلبياتها الخطيرة المتمثلة بالنقاط التالية[٣]:

١- عملت هذه القنوات وفق سياسات وتوجيهات مرسومة سلفاً على تصدير عدد من الأفكار تتعارض مع عاداتنا وقيمنا الدينية والثقافية واستفحل الأمر أكثر....... شريحة الشباب والمراهقين على برامج الفضائيات في ظل غياب الدور الرقابي خاصة من جانب الأسرة مما أدى إلى بروز عادات وأساليب استهلاكية تافهة متهاوية هي إلى عادات الغرب أقرب منها إلى عادات المسلمين تتعارض مع توجيهات القرآن الكريم التي تدعو إلى الاقتصاد

(١) د / محمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص

(٢) المرجع نفسه ص١٥.

(٣) المرجع نفسه ص١٦.

والتكافل والتعاون والتراحم قال تعالى:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا} [الأعراف: ٣٥].

وقال تعالى:{وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} [١].

٢ – وبسبب عدم قدرة وسائلنا الإعلامية على الوقوف والصمود في وجه الفضائيات العالمية التي تستهوي هاتين الشريحتين، فيمضون الأوقات الطويلة في متابعتها فتتعلق بها قلوبهم وتضيع أوقاتهم، وتهدر طاقاتهم وبالتالي تغير مجرى حياتهم.

٤– تحتل البرامج الموجهة إلى الأطفال والقادمة من الدول الغربية الستة العظمى حتى طغت على ما تقدمه برامج الفضائيات المحلية سواء اليمنية منها أو العربية، مما يؤدي إلى تأثيرها على التكوين النفسي والاجتماعي للأطفال لأنها تتعارض مع أنماط حياة مجتمعاتهم التقليدية والاجتماعية حيث يتفاعلون معها لدرجة أنها قد تخلق فيهم روح العداء والعنف والأنانية إذا لم تكن هناك مراقبة أبوية أسرية تحد من تأثير هذه البرامج في تكويناتهم النفسية والاجتماعية التي تنعكس على سلوكياتهم اليومية وتتأثر بما يعرض عليهم من أفلام وألعاب تنحو منحنى العنف، وتعمل على تغييب الأثر الديني والأخلاقي[٢].

* * * * *

المطلب الأول:
خطورة ثقافة العولمة على المجتمع اليمني

يظل اليمن من الدول النامية التي لا يملك القدرة على اختيار أفضل المعلومات والأفكار الإعلامية، والأخبار التي يوجهها الإعلام العالمي المسيطر، عن طريق وسائل الاتصال السمعية والبصرية من قبل عدد محدود من الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

ولذلك تشكل اليمن سوقاً مفتوحة من جملة أسواق الدول النامية، لتلك الثقافات القادمة دون قدرة على التمييز والاختيار والتي غالباً ما تكون معارضة للعادات والتقاليد التي هي من صميم ثقافة الشعب اليمني ضمن ثقافة الدول الإسلامية، والمعتقدات الدينية

---

(١) (الإسراء: ٢٦، ٢٧).

(٢) ولمزيد من إثراء الموضوع انظر حبني هوب دراسة جديدة تؤكد نتائج التعرض لعنف يزيد العدوانية، ترجمة أحمد أبو زيد محمد عن مجلة المعرفة العدد (٩٧) يونيو / ٢٠٠٣م، ص٢٦.

التي تنتهجها هذه البلدان، وها نحن نلاحظ أنه يتم اختراق ثقافتها تدريجياً كما سلف، إلا أن الدور الكبير والحمل الثقيل ينبغي أن يناط بالعلماء والمصلحين، فهم صمام الأمة وسياجها في الحافظ على ثقافة الأمة النابعة من دينها الإسلامي الحنيف. وهم السد المنيع والحاجز المتين، لمنع سموم التكنولوجيا المتقدمة والحديثة لمختلف وسائل الإعلام من إنترنت وفضائيات، ووكالات أنباء وغيرها من الوسائل..

ولا بد من إعداد خطة استراتيجية، وتهيئة جماهيرية، تعمل على تعميق الثقافة الإسلامية وترسيخ مفاهيمها وممارستها على الواقع لإيجاد وعي شامل لدى المجتمع، خاصة النشء الجديد، للإيمان بها والتعلق بمكوناتها [(١)].

وكما هو الحال في الدول النامية فإن المشاكل والصعوبات التي تواجه اليمن هي نفسها التي تواجه الدول النامية في مجال مواجهة العولمة الثقافية، ومن أبرز المشاكل هو تخلف المناهج التعليمية وعدم مجاراتها لما هو حاصل من تطور، بحيث تعجز في الوضع الحالي عن تطوير مستوى غرس المناهج الثقافية للهوية الإسلامية ثم الوطنية في نفوس الأجيال الجديدة، لإيصالهم إلى الاقتناع الكامل بالتمسك بتلك القيم الوطنية لهويتنا الثقافية اليمنية النابعة من عقيدتنا الإسلامية السمحة.

وهذا العجز ناتج عن عدم وجود ارتباط واضح في المناهج بين التعليم والثقافة الأمر الذي ساعد على زيادة مخاوفنا من العولمة الثقافية الموجهة إلينا كمسلمين وعرب متميزين بخصوصياتنا الثقافية وهويتنا الإسلامية [(٢)].

ولهذا يجب ربط الثقافة بالتعليم في المناهج الدراسية لأنها واحدة من القنوات المهمة التي يجب إيلاؤها اهتماماً خاصاً لتعزيز الهوية الثقافية الإسلامية والوطنية، حتى تستطيع أجيالنا التعامل مع ثقافة العولمة وتميز بين الإنساني منها واللاإنساني والمفيد وغير المفيد خاصة الوسائل التي تستخدمها قوى العولمة، كالإنترنت والفضائيات ووكالات الأنباء وغيرها من الوسائل.

* * * * *

---

(١) انظر: العولمة والثقافة الشعبية، الملحق الثقافي لصحيفة الثورة اليمنية العدد (١٢٤٤٥) ٣/ ٩/ ٢٠٠١، ص ٨.
(٢) انظر: د/ محمد معمر العولمة والهوية الثقافية، ص١٩.

المطلب الثاني:
أدوات نشر الثقافة في اليمن وسموم العولمة

على الرغم من تنوع وسائل وأساليب الإعلام في اليمن وضمان الدستور اليمني والقوانين عدداً من المواد التي تمثل مرجعية واضحة تؤكد على حرية الإعلام الرسمي، وعدم جواز إخضاعه لسيطرة حزب واحد والسماح لجميع الأحزاب السياسية باستخدامه للتعبير عن مواقفها [١]، إلا أنه يعتريها القصور في إيصال الثقافة اليمنية الأصيلة النابعة من الدين الإسلامي الحنيف، وعلى الرغم من المخاوف التي تثأر عن ثقافة العولمة، فإن برامج التوعية التي تعمق الثقافة الإسلامية أيضاً، ليست بالمستوى الذي يجب أن يكون، بل إنها في الغالب لا تخرج عن سفاسف الأمور وتفاهتها كالغناء والموسيقى وكيل المدائح والثناء، واستعراض الصور وثقافة المسرح والرقصات الشعبية التي لا يمكن أن تنشئ جيلاً صامداً يقف في وجه ثقافة العولمة، بل على العكس من ذلك بحكم هيمنة القوة السياسية (الحاكمة) على وسائل الإعلام الرسمية الأكثر أهمية والممولة من الميزانية العامة للدولة، ومن أبرز وسائل نشر هذه الثقافة الضحلة الميتة:

١- التلفزيون المتمثل بالقناتين الأولى والثانية.

صحيح أن فيه برنامجاً دينياً ولا ينكر ذلك وقد حمده الخاص والعام، لكن الحقيقة أنها غير كافية، أو أن ما يعرض بعد تلك البرامج تطغى على الممدوح منه، ولا يلتصق في الذهن سوى تلك الصور الممزوجة بالأمور الصاخبة من غناء ومسلسلات ترفيهية، وبرامج ضحلة سامجة.

وصحيح أن هناك تغييراً من حيث الإخراج الفني والتشكيلي وكل الفائدة المرجوة لا تكاد تذكر وتبقى الأهداف واضحة المعالم وهي خدمة (النظام) والدعاية له والترويج بسياساته وخياراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتمجيد الزعيم الأوحد.

كما أن حرية استقلال وسائل الإعلام مثل القنوات التلفزيونية والإذاعية ما تزال من المحرمات [٢].

٢- الإذاعة:

وما دور الإذاعة بأفضل من دور التلفزيون، وهي مشحونة بنفس البرامج وعلى نفس الوتيرة تسير، خاصة وأنها قطاع حكومي، يعمل مع التلفزيون لخدمة الحكومة، ولمن يتعامل

---

(١) التقرير الاستراتيجي اليمني، ص ١٤٧.

(٢) التقرير الاستراتيجي اليمني ٢٠٠٠، ص ١٤٦.

معها سواء من الداخل أو الخارج، وما يذكر من ثقافة العولمة فليست بمنأى عن المستمعين بل كثيراً ما تشجع هذه الثقافة، ولو بطريق غير مباشر وتتمثل في الاهتمام المبالغ فيه بالإعلانات الاستهلاكية، ونشر القيم الغربية [١].

٣- الصحافة [٢]:

تتمتع الصحافة المكتوبة بتنوعها وحريتها، في ظل نظام التعددية السياسية والديمقراطية فهي تمارس مهامها وفقاً للقوانين المعلنة والنافذة والحقيقة أن الصحافة تلعب دوراً هاماً في عملية التوعية والتثقيف الجماهيري وتوسيع نشر الثقافة اليمنية بكل جوانبها المختلفة لها دورٌ بارزٌ أيضاً في نشر ثقافة العولمة، لا لاستلهامها ولكن للتحذير منها [٣].

وهناك من الصحافات ما أخرجت أعداداً متكاملة وملفات متتالية حول هذا الموضوع ولقد استفاد الباحث منها كثيراً أشرت إليها في ثنايا البحث.

وهي أنواع: صحافة حكومية - أهلية - حزبية - منظمات ومؤسسات غير حكومية.

١- الكتاب: وهكذا اضطلع الكتاب بدور بارز في نشر الثقافة اليمنية، ولم تغفل أن تناول ثقافة العولمة تحذيراً منها وحيطة، فقد عمل الكتاب على ربط الجماهير اليمنية بثقافتهم وإن كنت غير مقتنع بكثير منها، إلا أنه دور يشكر في جانب التحذير وأخذ الحيطة من ثقافة العولمة[٤].

وهناك المسرح حيث يركز اهتمامه على ترجمة الروايات التي تهتم بالتاريخ اليمني والثقافة الشعبية، ولا يعرج كثيراً على الجوانب السلبية للعولمة لا من قريب ولا من بعيد، وتنحصر بقية الوسائل في السينما والأغنية إلى جانب المراكز الثقافية - والندوات التي تقام من أسبوع لآخر.

ويأتي دور الجامعة في القمة متوجاً لما سبق في الحفاظ على الهوية الثقافية، إلا أن الجانب العلماني يغلب على نهجها في تشجيع العولمة وثقافتها التي تصدر إلينا عبر وسائل الاتصال الجماهيري وغيرها[٥].

---

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها، ومحمد عبد الوهاب، العولمة والهوية الثقافية، ص ٢٦.

(٢) العولمة والثقافة الشعبية - الملحق الثقافي لصحيفة الثورة اليمنية، العدد (١٣٤٤٥) ٣٠ - ٩ - ٢٠٠٣م، ص ٨.

(٣)مصطفى عمر النير - الهوية الثقافية العربية والتعليم العالي في الوطن العربي في ظل العولمة، مجلة الفكر العربي، العدد (٩٧)، ١٩٩٩م، ص١٩.

(٤) سالمة أحمد سلامة - الشباب وأسئلة المستقبل - مجلة وجهة نظر العدد الرابع عشر، مارس ٢٠٠٠م، ص ١٢.

(٥) ويتضح ذلك من خلال النصوص الدستورية والقانونية التالية:

أ. تنص المادة الخامسة من الدستور على أنه لا يجوز تسخير الوظيفة العامة لمصلحة خاصة بحزب أو تنظيم سياسي معين.

ب. المادة (٢٤) تنص على " تكفل الدولة الفرص لجميع المواطنين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً....

ج. تنص المادة (٣٠) من قانون الأحزاب على " كما يحق لكل حزب استخدام كل وسائل التعبير عن الرأي وفقاً=

الخاتمة

النتائج:

١- اكتنف هذا المصطلح حين ظهوره الغموض والتعويم والتضليل، نتيجة التداخل المعقد الذي يدخل فيه من جميع جوانبه، واحتار أهل المغرب وأهل المشرق في إيجاد تعريف له جامعٍ مانعٍ.

٢- بالرغم من ترويج النظام العالمى الجديد لمصطلحه الجديد (العولمة)، وتسخير أبواقه البشرية الذين انتشروا في الأرض مبشرين ومنذرين، على أنها العصا السحرية التي ستقدم الخدمة إلى المجتمعات كافة وأنها سفينة النجاة وقطار الأمان، وأنها ستحرر الشعوب، وتنشر السلام والأمن العالميين، وستحقق العدالة الاجتماعية والمساواة بين الشعوب قاطبة، وستخلص الشعوب المقهورة المسحوقة من المستويات المتدنية للتنمية، وستعمل على تصحيح اختلالاتها الهيكلية، حتى تتمكن من اللحاق بركب التقدم والعصرنة، وتلج الأسواق العالمية، وتمكنها من الحصول على المعلومات والخبرة الإدارية المتقدمة، وستقضي على الفقر والجهل والمرض، غير أنه لم يحصل من ذلك شيء، بل على العكس فمن يوم إعلان الولايات المتحدة على لسان رئيسها بوش السابق، سمات النظام العالمى الجديد قُهرت كثير من الشعوب خاصة الإسلامية، ولف الخوف العالم أجمع خاصة العالم الإسلامي، وازدادت الهوة بين الفقراء والأغنياء، وبالذات بين الشمال والجنوب، على مستوى الدول الكبرى وعلى مستوى فئات المجتمعات، وأغرقت الدول الفقيرة الديون وازدادت الدول الغنية المتقدمة غنًى!! وارتفعت نسبة الأمية والتخلف في ظل التقدم الحضاري والثورة التكنولوجية، وانتشرت الأوبئة والأمراض التي لم تكن معروفة من قبل، وخاصة مرض

=للدستور والقوانين النافذة ".

د. تنص المادة (٣١) في قانون الأحزاب على: " تمكين أجهزة الإعلام الرسمية جميع الأحزاب والتنظيمات السياسية بالسوية من استخدام وسائلها لنقل وجهات نظرها إلى المواطنين ".

- أقر مجلس الوزراء في ديسمبر (١٩٩٥م) السياسة الإعلامية للجمهورية اليمنية وقد تضمنت مبادئ خاصة من الحرية الإعلامية أهمها:

- العمل على رعاية وحماية مبدأ حرية التعبير واحترام الرأي والرأي الآخر.

- النقل الموضوعي الأمني للفعاليات السياسية في إطار النافذ من القوانين والتشريعات ودونما إغماط لحق حزب أو تنظيم أو هيئة.

- انظر التقرير، ص ١٤٧.

نقص المناعة (الإيدز) على مستوى عالمي، وارتفعت نسبة الجريمة، وتنوعت فلم يعد أحد قادر على حصرها.

واحتكرت التكنولوجيا الحديثة وثورة المعلومات بطرق وأساليب ماكرة وفجة، تحت حجة براءة الاختراع والملكية الفكرية، وصار هذا العلم محتكراً لدى مجموعة الدول الصناعية الكبرى وحدها.

وتحكمت قوى العولمة وفرضت هيمنتها وتهددت العالم الضعيف والطرف الهزيل بالتدخل في شؤونه الداخلية وتغيير أنظمته مقننة ذلك بالشرعية الدولية، ومهددة إياه بما لديها من ترسانة نووية، وملوحة بين الحين والآخر باستخدامها إذا دعت الحاجة، إلى غير ذلك من المتضادات والتناقضات الصريحة والازدواجية الواضحة.

٣ - اتضح للباحث أن اقتصاد العولمة اقتصاد مزعوم وكاذب، حيث لا يتم استثمار حقيقي أبداً، بل أسواق قمار ومعاملات ربوية ومضاربات مالية وانتقال رؤوس الأموال في غضون دقائق من بلد إلى آخر، من غير إنتاج حقيقي أبداً، بل الربح فيه لكبار الحذاق، والخسارة تجنيها الدول النامية وشعوبها.

فعالم العولمة، عالم لا إنساني، عالم تفكيك المجتمعات وانهيار الدول، وضياع الاقتصاد وفشو البطالة والفقر، ومن هنا وجب على المسلمين والقائمين على أمرهم تبيين وتوضيح مبادئ الاقتصاد الإسلامي التي ضمنت العدالة للجميع، وضمنت مصالح الجميع فلا مصلحة الفرد تطغى على مصلحة الجماعة ولا العكس، فلا تعارض بينهما البتة، وكفلت للجميع العيش بسلام ووئام، وحثت على التعاون والتكافل والتراحم عبر المشاركة المسؤولة الواعية، وعلينا أن لا نعطل باب الاجتهاد الذي يفتح العقل والفؤاد حتى لا تتسع الهوة بين مبادئ الإسلام السامية ووسائل العصر اللازمة لتطبيقه فتنشأ بحسب دراسة منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية عن النظام الاقتصادي الإسلامي، شيزوفرانيا بين علو الفكر الإسلامي، وانحطاط الأساليب المتبعة. والذي يحدث بالضبط (من قبل قوى العولمة)، إنما هو نتيجة حتمية لطبائع الإنسان من الجشع والحرص والطمع وعدم القناعة والبحث عن الأرباح والمصالح، في غياب الدين والأخلاق والعدل، وانعدام الضمير الإنساني حتى فشت التجارة فشواً لا مثيل له في تاريخ الإنسانية، مصداقاً لقول الحبيب المصطفى : **«لا تقوم الساعة حتى تفشو التجارة، وتشارك المرأة زوجها..»** إلخ الحديث،

لكنها لم تزد الجميع بما فيهم المضاربين إلا تعاسة وشقاءً وانتكاسة.

٤ - واتضح أن الليبرالية التي طبلت قوى العولمة وزمرت لها، إنما هي الحرية الخاصة بالأقوياء، وسرعان التاس، الآخذين بزمام التقنية، فلا يستطيع أن ينتجها إلا هم وهي وصفة لافتراس الضعفاء البطيئين الجهلاء المتخلفين الذين لا يعرفون الحضارة.

٥ - كما اتضح أنه لم يصلنا من العولمة إلا سلبياتها بشكل عام، ففي الناحية السياسية أقصي الدين وحكم الدين في العالم الإسلامي والعربي، وأفسح المجال للمنهج الغربي في الحكم بحجة التطور واللحاق بالعالم الغربي المتحضر، فاستبدلت الشورى بالديمقراطية، واستبدل النظام الإسلامي أو التسامح الإسلامي بما يسمى بالحقوق التي لم تنته من كثرتها (كحقوق الإنسان - حقوق المرأة - حقوق الأقليات) واستبدل النظام الاقتصادي الإسلامي بالنظام الربوي الغربي، واستبدلت العلاقات الزوجية بالعلاقات الحرية المطلقة بين الرجل والمرأة، واستبدل كتاب الله وتدبره على العموم بلهو الحديث وباطله، باستقراء الروايات والمسرحيات وقصص الغرام والجنس.

وأصبح العالم الإسلامي جله إن لم نقل كله نسخة من الغرب ممسوخاً ومشوهاً، لا يوجد كثير فرق بيننا وبينهم إلا في الناحية العلمية والتكنولوجيا، ففي النمط الاستهلاكي نسابقهم، وفي الثقافة نحاكيهم، وفي السياسة نتشبه بهم، وفي الاقتصاد بنوكنا تتبع بنوكهم إدارياً وسياسياً واقتصادياً، وفي العلم والتكنولوجيا دوننا ودونهم مفاوز وقفار، بل فضاءات ومسافات كمسافات النجوم!!

٦ - كما اتضح للباحث أن الثقافة التي تصدرها العولمة - ومنبعها الرئيسي (الولايات المتحدة الأمريكية) - إنما هي ثقافة ضحلة تكاد تنحصر في ثقافة العنف، من خلال أفلام (السوبرمان) وأفلام (الوسترن) التي تمجد مطاردة الهنود الحمر (أصحاب الموطن الأصلي).

وثقافة الجنس التي تصدرها هيولود للعالم، التي تعمل على إيقاظ الغرائز البهيمية، وترفع مؤشر السعار الجنسي لدى شريحة الشباب من الجنسين، ناهيك عن أفلام العري والخنا، والفجور، والزنى و.... وما هذه الثقافة بعد أن كشفت شرطة الولايات المتحدة في إحصائياتها في نيويورك وحدها أنه يتم اغتصاب امرأة كل ثلاث ساعات، وتقتل نفس في كل ساعتين، ويقع اعتداء كل ٣٠ ثانية؟ إنها ثقافة الاستهلاك الترفيهي التافه.

٧ - إن عالم العولمة، عالم صراع القوميات وتهميش الضعفاء والغلبة فيه للأقوى، إنه عالم محفوف بالمخاطر. وعالم تقنن فيه الجرائم العالمية، وتتنوع حتى يصعب حصرها، فهناك جرائم المخدرات، وتجارة السلاح، والنشرات الخلاعية، والاعتداء الجنسي، وغسيل الأموال. وجرائم الكمبيوتر (الفيروسات التي تؤدي إلى أضرار بالغة بالغير، وجرائم قرصنة الكمبيوتر، وجرائم الإنترنت)، وجرائم البغاء، والمتاجرة بالنساء، وجرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال، وجرائم القرصنة البشرية، جرائم ضد المرأة، جرائم الكراهية (الإثنية الأقوامية والدينية)، وجرائم البيئة، وجرائم الإرهاب، إرهاب الأفراد - لجماعات متطرفة سواءً يهودية أو مسيحية أو إسلامية، وجرائم إرهاب الدولة، وإرهاب المجتمع الدولي و إرهاب... إلى غيرها من الجرائم التي قد تخفى حتى على كبار مسئولي العولمة أنفسهم.

وإن ما تنادي به قوى العولمة من حقوق الإنسان والديمقراطية أيضاً إنما هي وسيلة لذر الرماد في الأعين، وهي خاصة بهم وعلى وفق مصالحهم، فإن تحققت مصالحهم بالديمقراطية، وهذه الحقوق فهو الذي يريدون، وإلا فإن مصالحهم مقدمة على غيرها.

٨ - لا داعي للخلاف والخوف من العولمة في نظر الباحث في ظل تقنياتها الرهيبة والخارقة، فالدين الإسلامي بطبيعته عالميٌّ يواجه فيؤثر ولا يتأثر أبداً، وهو إنساني عالمي يحمل رسالة الخير والرحمة والسلام للعالم أجمع، ولا بد أن يواجه والغلبة لمن يملك الحق والعدل والخير والسلام.

٩ - أدت ثقافة العولمة إلى النزوع إلى التكتلات والتوحد القومي وأحيت في الأمة العربية الوعي الفردي والجماعي (القومي) من أجل الوقوف معاً ضد ثقافة العولمة، وعولمة الثقافة الأمريكية.

١٠ - كذلك على الرغم من تغييب ثقافة الأمة الإسلامية، إلا أنها لا زالت تنبض بالحياة في وجدانها، ولذا فإن ثقافة العولمة أحيت روح المقاومة لدى شرائح كبيرة وعظيمة في صفوف الأمة الإسلامية، فأخذت هذه الشرائح تنادي بعضها بالتكتلات والتجمع من أجل إيقاف زحف ثقافة العولمة التي تنشط في مقاومة الحضارة الإسلامية، ومحو روح هذه الحضارة المتمثلة بالقيم والعادات والتقاليد المتوجة بدين قويم، وتجمعها لغة عظيمة (لغة القرآن) تعبر عنها، وتعمل على تشويه صورة الإسلام تحت مسمى الإرهاب، وغمط حقوق الإنسان والتنكر للديمقراطية التي هي حكم الشعب بالشعب، وليس بحكم الله(والتعددية السياسية)

التي تعني تعدد الأحزاب، ضمن عقدية الرأسمالية، وحقوق الإنسان المبنية على الحرية المطلقة دون قيد من الدين والأخلاق.. وسياسات السوق التي تعني عدم تدخل الدولة في التجارة تحت مسمى الانفتاح والاندماج، والخصخصة وغيرها، لفرض النمط الاستهلاكي الموحد، التي تريده قوى العولمة.

١١ - صحيح أن للعولمة إيجابيات مرتبطة بالتطور التقني، والاتصالات وثورة المعلومات المتطورة جداً، وهذه الإيجابيات في حد ذاتها، قدمت للعالم خدمة كبيرة، ومنحته هدية قيمة، استفادت منها المجتمعات والشعوب جماعة وأفراداً حيث فتحت الأبواب المغلقة، واخترقت الحصون المنيعة، وتخطت الحدود، وبدا العالم بذلك كأنه قرية واحدة من حيث التواصل، وصاحب ذلك كله خواء روحي، وبعد عن القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، وانعدام الضمير. ولكن في الوقت نفسه غزت العالم بسلبياتها المتسترة بثوب الحضارة والتكنولوجيا المتطورة التي أبهرت العالم بأسلوبها المراوغ، وبإعلامها الساحر المسيطر، حيث لا تستطيع دولٌ بأكملها مجتمعة أو متفرقة، مقاومة ثقافتها الغازية التي حاولت محو غيرها من الثقافات، وتعمدت اختراقها إلى عقر دارها، وإلى داخل بيوتات أصحابها، بل إلى غرف النوم، تمارس عليها أساليب السطو والإكراه والاغتصاب، والإرهاب الفكري، في تعدٍّ سافر مخيف على خصوصيات البيوت والثقافات، فانتهكت المقدسات في شكل لم يسبق له مثيل، ولم يستطع المسلمون إلى اليوم الرد بقوة وبحزم، بل وقفوا عاجزين متفرجين، مع أن وسائل الاتصال في تطور مستمر، ونحن في غمرة ساهون. والحليم فينا واقفٌ في دهشة وحيرة، واضع كفه على خده، مشدوهاً لا حول له ولا قوة.

١٢ - على الرغم من تنامي دور المؤسسات غير الحكومية (المجتمع المدني) نتيجة لاستخدام تقنيات العولمة الحديثة، وبالرغم من أنها تعمل على تقليص دور الدولة، إلا أن دور الدولة في الدول الإسلامية والعربية، والمحكومة بالحكم الشمولي لا زال قوياً ويظهر ذلك في صياغة السياسات الداخلية وتنظيم المجتمع وتنظيم المسائل المتعلقة بالأمن والمصلحة القومية للدولة.

١٣ - واتضح للباحث أن العولمة صناعة أمريكية يهودية، تم التخطيط لها أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية، فمن وجهة اقتصادية نجح قادة العولمة في جمع نصف ثروة العالم بعد الحرب العالمية الثانية على حساب أوروبا الجريحة آنذاك، وتم إنشاء مؤسسات العولمة المالية

والسيطرة عليها من يوم ميلادها. وبحكم امتلاكها ناصية الاقتصاد العالمي أخذت بيدها الأخرى زمام السياسة العالمية وتوجيهها مصدرة إياها للعالم بغلاف ثقافي فكري مارسته وتمارسه من خلاله عملية إقناع العالم به، مستخدمة الآلة الإعلامية العالمية العظمى التي احترقت الممرات الضيقة والحجب الشاهقة والصحاري الشاسعة، فلم تترك بلداً إلا أصابته من غبارها الخانق الكثيف، إنها عولمة قسرية يفرضها القوى على الضعيف ويلغيه في إطار قانوني يصعب التخلص منه والفكاك من قبضته.

وفائدتها مقصورة على المركز ومحظورة على الأطراف وتبدو فيها المعادلة غير متكافئة لصالح الأقوى كما مر.

١٤ - أحكم النظام العالمي الجديد خطته وبدأ يحرك جيشه المتمثل بالاقتصاد والسياسة والحضارة والمحروس بالآلة العسكرية المدججة بأحدث أنواع الأسلحة الفتاكة ذات الدمار الشامل من الوطن الإسلامي والعربي الذي أججت فيه قائدة هذا النظام (أمريكا) الصراعات العرقية والإثنية و... وفرض نفسها عليه فرضاً قسرياً، وظهرت سياستها واضحة عند شنها حرب الخليج الثانية على العراق، والحرب على أفغانستان، وحرب الخليج الثالثة، وبها أجهزت على النظام والبنية التحتية له، وذلك ضمن سيناريو مفبرك ومدروس، يستمد إلى الشرعية الدولية، ويسمح لها بحق التدخل في شؤون الدول تحت حجج واهية كإزالة الديكتاتوريات، وتحرير الشعوب، ومكافحة الإرهاب (الإسلام)، وذلك لكسر شوكة المسلمين والعرب في آن واحد، إن بقيت لهم شوكة، وفي عقر دارهم حتى تمعن في إذلالهم.

١٥ - إنه في ظل نظام العولمة كل شيء يباع ويشترى، حتى ضمائر الناس تباع وتشترى بحسب المصلحة المنتظرة والفائدة المرجوة العاجلة، خاصة عند الانتخابات الرئاسية والنيابية والمحلية!..

١٦ - وبناءً على هذا فإن (العولمة) تمثل غزواً حقيقياً لا يتوقف عند حد، فهو اقتصادي يرتدي عباءة التعاون الدولي، وسياسي يتستر تحت عباءة الحقوق والديمقراطية ومقاومة الإرهاب، وتحقيق السلام والأمن العالميين، وثقافي يرتدي قناع الإعلام والفضائيات والأقمار الصناعية، والثورة التكنولوجية والمعلوماتية واجتماعي يتحجج بمسألة القضاء على جميع أشكال العنف ضد المرأة فعلى المسلمين والعرب مجتمعين التكاتف، وإقامة تكتل إسلامي عربي موحد، يستطيع الوقوف على رجليه وإيقاف وصد موجة (العولمة)، التي تسير في

مواجهة الأمة في مسارات ثلاثة متزامنة (الاقتصاد، والسياسة، والحضارة) فعلى المسلمين أن يكونوا عند مستوى التحدي.

والحوار في نظر الباحث خير أسلوب يواجه به الآخر عملاً بقوله سبحانه وتعالى:**{وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** (١) وقال تعالى:**{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** (٢) وينأى بالإنسانية عن الانحدار إلى الدرجة التي من شأنها أن تخلق بوناً شاسعاً بين الإنجازات المعرفية الحديثة والإرث الأخلاقي العظيم، مما يعمق مأساة البشرية، ويفوت على الإنسانية فرصة اجتياز امتحاناتها العسيرة، وعلينا أن نستغل أدوات العولمة في تبليغ رسالتنا وحوارنا مع الآخر عن طريق أدواته من إنترنت وفضائيات وغيرها، فهي قد سهلت طريق التواصل للجميع من غير حجب ولا أستار ولا عوائق، ولا أحجار.

١٧ - والحقيقة المرة التي لا بد من ذكرها على مضض وحسرة وألم، هي أن قوى العولمة تنادي بما تنادي به في غياب الحضارة الإسلامية، وتفكك أمة المسلمين وضياعها بين الأمم، وتركها مبادئ دينها الذي أمرها بالعلم والحكمة والتزكية، وهي بمثابة أركان أساسية وأهداف تربوية لهذا الدين على المسلمين أن يأخذوا بها، ولن تقوم لهم قائمة إلا بها، قال تعالى:**{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}** (٣).

ففي هذه الآية دعوة ضمنية إلى العلم والأخذ به، وقد جاءت هذه الدعوة صريحة في أول يوم أنزل فيه القرآن، قال تعالى:**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}** (٤)، وفيها دعوة إلى التزكية والتطهر من أدران الرجس والأوثان والتصورات الجاهلية، سواء القديمة أو الحديثة، والتطهر من أدران الشهوات والنزوات حتى لا ترتكس أرواح المؤمنين في حمأة الطين، فهم قادة ورواد الأمم، وهم الأوصياء عليها، فعليهم أن يزكوا أنفسهم ويعملوا على تزكية غيرهم.

---

(١) (العنكبوت: ٤٦).
(٢) (النحل: ١٢٥).
(٣) (البقرة: ١٥١).
(٤) (العلق: ١ - ٤).

وفيها دعوة إلى الأخذ بالحكمة، فهي ضالة المؤمن، عليه أن يبحث عنها ويأخذ بها، وعليه أن ينشر ذلك العلم والحكمة والتزكية، كرسالة إسلامية على المسلمين أن يوصلوها إلى جميع من في الأرض، وإلا فأنى للمسلمين أن يبلغوا دينهم، ويعولموا حكمتهم وثقافتهم في نفس الوقت الذي يمدون فيه أيديهم إلى غيرهم، ويلتقطون فتات الأمم، واقتصادهم في الحضيض، واليد العليا كما هو معلوم خير من اليد السفلى، وأنى لهم أن يكونوا قادة، وناصية العلم والتكنولوجيا بيد غيرهم من الأمم!.

وهذه في الحقيقة دعوة للمسلمين جميعاً كي يتيقظوا وينفضوا عنهم غبار النوم ويستفيقوا من سباتهم العميق وغطيطهم الكئيب.

وبعد هذا كله لا يدعي الباحث أنه أحاط بكل أبعاد العولمة وأخطارها فهي حقاً معقدة ومتداخلة جداً ومترابطة وتحتاج إلى مزيد من البحث واستنفار الجهود للوصول إلى أهدافها ومراميها الحقيقية.

ويوصي الباحث بالآتي:

١- يحتاج هذا الموضوع دراسة مفصلة، فيدرس كل مجال على حدة دراسة تفصيلية متعمقة.

٢- لابد من توعية مكثفة من خلال أدوات الإعلام بأنواعها من الصحف وحتى الإنترنت وبشكل منظم ودوري، للخاصة والعامة حول ماهية العولمة وحقيقتها وأهدافها الواضحة والمخفية.

٣- يجب أن لا نتردد في تبيين أن العولمة ضرب من الجنوح المتوحش، والاستعمار الذكي، وأنها مهما ادعت أنها تحرر الشعوب وتنورها، أو أنها حتمية، فإن كل ذلك عار عن الحقيقة ولا مجال لـه من الصحة.

* * * * *

مصطلحات وردت في ثنايا البحث

الإثنية (الأقوامية): Ethnology وتأتي هذه الكلمة للدلالة على تصنيف عرقي ثقافي وهي مشتقة من الأنثولوجيا التي تعني علم الأجناس البشرية حيث يدرس هذا العلم القوانين العامة لتطوير الطاقة البشرية، وتعرف أيضاً بأنها علم دراسة المظاهر المادية والثقافية لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات أو الأقوام البدائية في أي مكان وزمان، التي تبرز نتاج جهد الإنسان، للسيطرة على البيئة الطبيعية، ومحاولة الاستفادة من مواردها، في سبيل قضاء حاجاته الأولية والضرورية والاجتماعية.

الإمبريالية (Emperialism) تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الرأسمالية، حيث تسيطر الاحتكارات الإمرالية (التجمعات الرأسمالية الضخمة) على الإنتاج وتصريف أهم السلع، بدلاً عن التنافس الحر وتبقي المؤسسات الكبيرة ملكية أفراد أو مجموعة رأسمالية.

الذرائعية (البراغماتية): Pragmatism هي فلسفة نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية على يد شارلس بيرس، ووليم جميس، وجرون دبو في القرن ١٩ وأصبحت الذرائعية مميزة للسياسة الأمريكية والنظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على الحرية الفردية، وهي تجعل من الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي، وهي تحكم على الأفكار والقيم والمبادئ بالصحة والبطلان لا بمعايير المنطق أو الحق، بل بمعايير النجاح أو الإخفاق في تسهيل حركة السلوك البشري نحو غاية السعادة. والمصلحة المحققة هي أسمى الغايات لدى الذرائعيين.

الرأسمالية: Capitalism نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة أي يمتلك الأفراد وسائل الإنتاج من أجل الربح.

الليبرالية liberalism: هي منهج اقتصادي سياسي يؤكد على الحرية الفردية، ففي الجانب الاقتصادي يقوم على المنافسة والسوق الحرة، ويتحقق الصالح العام من خلال الصالح الخاص الفردي، وفي الجانب السياسي يقوم على أساس قيام الديمقراطية وإشاعة الحياة الدستورية والأنظمة الجمهورية.

غسيل الأموال: هي من الجرائم الحديثة حيث يتم المتاجرة بالمخدرات والمحرمات وغيرها بما لا تستطيع الدولة أن تعرفه، وتربح الشركات الفلانية أرباحاً باهظة، يتم تحويلها عن طريق أجهزة التحويل الإلكترونية، ما بين البنوك، وتحميها قوانين الحفاظ على السرية

المصرفية في أماكن بعيدة يلجأ إليها المهربون تهرباً من الضرائب.

ومن معانيها تحريك الأموال بنظام يومي، وعلى أساس دقيقة بدقيقة، وإن اكتشاف هذه العملية يستغرق أشهراً، بل يستغرق ذلك سنين حتى يتم اكتشاف خيوط الصفقة تماماً.

ولما كانت قوانين السرية المصرفية هي التي تحميها فإنه لا يمكن إلا أن تستمر هذه المصارف في هذه العملية (غسيل الأموال) لتكسب بلايين الدولارات في غضون أيام أو أشهر.

ويقال أن السلطات لا تستطيع أن تتابعها بدقة بسبب التأثير القوي على الاقتصاد بشكل عام وعلى العقارات وسوق البورصة بشكل خاص.

الشركات المتعددة الجنسيات Multinational Firm:

شركة تنتج وتبيع منتجاتها في عدد من الدول، تميزاً لها عن الشركة التي تنتج وتبيع في بلد واحد، وتصدر للأسواق الخارجية، وتستثمر الشركات متعددة الجنسيات مباشرة في إنشاء وحدات إنتاج في بلدان خارجية بسبب ارتفاع فعالية التكاليف والربحية الناشئة عنها، لأفضليات خاصة بالشركات الاحتكارية، أو لتخفيض تكاليف النقل، أو تجنب القيود الحكومية مثل التعريفات والحصص والاستفادة من انخفاض تكاليف العمالة ومدخلات الإنتاج وحوافز الاستثمار.

التجارة الحرة: هي فلسفة اقتصادية ترفض إنشاء حواجز تجارية قانونية قبل التعريفات والنسب، وأساس ذلك هو أن في الاقتصاد العالمي المتحرر كلياً فإن كل دولة يمكنها الاستفادة من مصادرها أو فعالياتها، ومن المميزات التي تتمتع بها الدول الأخرى.

تخفيض قيمة العملة: هو تعديل منخفض في قيمة عملة دولة ما بالنسبة للعملات الأخرى ويلجأ إلى هذا التدبير غالباً من أجل دعم الصادرات بسبب أنها تجعل من سلع الدولة المنخفضة تنافسية على نحو أشد.

الجندر: Gender معناه رفض حقيقة أن الوضع البيولوجي هو المصير بكل فرد، ورفض حقيقة أن اختلاف الذكر والأنثى هو من صنع الله وإنما الاختلاف يأتي عن التنشئة الاجتماعية والأسرية والبيئة التي يتحكم فيها الرجل.

مما يؤدي إلى مطالبة الأمم المتحدة بهذه النزعة وفكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، ومن ثم الاعتراف رسمياً بالشواذ والمخنثين، والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان، ومنها حقهم في الزواج وتكوين أسر والحصول على أطفال بالتبني، أو تأجير البطون.

الراديكالية Readicalism :

هو مذهب الأحرار المتطرفين الذين يطالبون بالإصلاحيات الجذرية ولا يقبلون التدرج، وذلك لتحسين الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية للمجتمع.

التكنوقراطي: نظام سياسي واقتصادي يظهر بشكل سلطة يسيطر عليها أولئك الذين يمتلكون الكفاءة التقنية.

وكلمة تكنوقراطية Technocracy تعني نخبة الفنيين والمهندسين والاقتصاديين ذوي الخبرة النظرية والعملية الواسعة.

التنوير: تيار اجتماعي سياسي وفلسفي عبّر عن أيدلوجية البرجوازية في القرن الـ ١٨ وذلك بالإقلاع عن النظام الملكي بغية الدخول في الحداثة المبنية على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وإلغاء الامتيازات.

المجتمع المدني: كان يعني زمن اليونان المواطنين الذين لا تربطهم علاقات استلزام بعائلات أو عشائر سياسية.

أما في الفكر الماركسي فالمجتمع المدني مفصول عن الدولة مناقض لها في توجهاته السياسية.

دولـــة الرفاه Welfare State: دولة تقدم إعانات تأمين اجتماعي شاملة مثل الرعاية الصحية ومعاشات التقاعد، وإعانات البطالة والمرض.. إلخ.

التضـــخم Inflation: زيادة في المستوى العام للأسعار لفترة معينة في أحد الاقتصادات، وقد تكون الزيادات السنوية في الأسعار صغيرة أو تدريجية أو كبيرة ومتسارعة، ويمكن قياس معدل التضخم باستخدام مؤشر أسعار المستهلكين مثلاً الذي يبين النسبة المئوية للتغيير في أسعار المواد الاستهلاكية، وسببه وجود طلب زائد عند مستوى العمالة مما يدفع الأسعار للارتفاع، أو لزيادة تكاليف مدخلات الإنتاج التي تدفع الأسعار للارتفاع كما أن من أسبابه الإفراط في طبع العملة.

البيروقراطية Bureaucacy: يستعمل هذا الاصطلاح لتوضيح الأعمال والواجبات والأنظمة الإدارية التي تقوم بها ويشرف عليها ويصفها الموظفون الإداريون وهي صفة عدم القابلية وسوء ممارسة الأعمال التي يقوم بها هؤلاء الموظفون.

الخصخصة Paticularism: يعني للبعض مجرد إعادة ملكية القطاع العام إلى الأفراد حيثما كانوا عن طريق البيع، بينما يعني لدى آخرين مجرد العودة للعمل بآليات اقتصاد السوق، دون إعارة الاعتبار للقطاع الخاص.

كونتوفات: يقصد به تقسيم الدولة الأمه إلى أجزاء متعددة حسب العرقيات والقوميات والموجودة فيه حتى يسهل.... من قبل الاستعمار.

كولبانية – دكتاتورية – البروليتاريا.

الكولونيالية Colonialism : استعمال دولة حق السيادة على إقليم خارج حدود أراضيها.

فيفقد بذلك كيانه الخاص وشخصيته الدولية، وتتبع بذلك السيطرة على كافة شؤونه والحصول على كل المزايا الاقتصادية التي تطمع فيها الدولة المستعمرة، بشكل مجحف للإقليم الواقع تحت سيطرتها.

الدكتاتورية (الاستبداد) Dictatorship: هي تركيز السلطات في يد فرد واحد، دون الاستناد إلى قوانين معينة، وهذا الفرد الدكتاتور يخضع له المحكومون بدافع الخوف، ويحكم عادة لصالح جماعة محددة.

البروليتاريا Proletriat : أطلق المفكر الفرنسي سان سيمون هذا التعبير على الذين لا يملكون نصيباً من الثروة ولا يتمتعون بأي ضمانات في الحياة.

ثم استخدم كارل ماركس هذه الكلمة قاصداً طبقة العلماء الأجراء الذين ينشغلون في الإنتاج الصناعي، ومصدر دخلهم هو بيع ما يملكون من قوة العمل. وهذه الطبقة تعاني من الفقر نتيجة الاستغلال الرأسمالي لها، ولأنها هي التي تتأثر أكثر من غيرها بحالات الكساد والأزمات الدورية.

الهوية الثقافية:

يمكن الرجوع إلى الرسالة ص ١٩٦.

حلف الناتو:

يمكن الرجوع إلى الرسالة ص ٤١، ٤٢.

* * * * *

قائمة المراجع

أولاً القرآن الكريم:

ثانياً: كتب التفسير:

١- الظلال لسيد قطب، الطبعة / ١١ / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

ثالثاً: كتب الحديث:

١- صحيح البخاري مع الفتح، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، ط2/1407هـ - 1987م.

٢- صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق الشيخ خليل مأمون سيخا.، دار المعرفة بيروت، ط1/1414هـ - 1994م.

٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة ط/1 1416هـ 1995م.

٤- صحيح سننن الترمذي للألباني.

٥- الأدب المفرد للإمام البخاري.

٦- سنن أبي داود.

٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، الجزء الأول، تحت رقم (2940).

٨- صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الطبعة المجردة والمزيدة والمنقحة، للإمام ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة 1408هـ - 1988م.

٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، لبنان ط4/ سنة 1405هـ 1985م.

١٠- سنن النسائي.

١١- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التويجري.، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط2/1414هـ.

١٢- البخاري ومسلم.

رابعاً السيرة النبوية:

- أصح الكلام في سيرة خير الأنام - عرض وقائع وتحليل أحداث السيرة النبوية (دروس وعبر)د. علي محمد محمد الصلابي الجزء الثاني ص ٧٢٢،٧١٤، مكتبة الصحابة - الإمارات الشارقة ط ١ / ١٤٢٢ هـ - 2001م

- صحيح السيرة النبوية طبعة مزيدة ومنقحة بتقديم د. عمر سليمان الأشقر ود. همام سعيد د. إبراهيم العلى دار النفائس الأردن ط ٣ / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

خامساً: كتب اللغة:

١- الفيروز أبادي - القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ط3 / 1993.

٢- منير البعلبكي، د. روح المورد القريب قاموس مزدوج عربي إنكليزي - إنكليزي عربي، در العلم للملايين ط 7/2000م

٣- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح - مؤسسة علوم القرآن بدمشق - ط / 1403هـ.

٤- قاموس اكسفورد في اللغة الإنجليزية.

٥- المورد القريب قاموس مزدوج عربي إنكليزي - إنكليزي عربي منير البعلبكى، د.روح، دار العلم للملايين ٧ / ٢٠٠٠ م.

سادساً الكتب:

١- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة عن كتاب الأمة القطري، د. أحمد الريسوني: العدد (87) محرم 1423هـ.

٢- النفط والقبيلة والعولمة أسامة عبد الرحمن،، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2000م

٣- الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي برهان غليون، عن كتاب حقوق الإنسان العربي مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (7)، ط1، 1999م،

٤- بول هيرت، وجراهام طومسيون، ترجمة فالح عبد الجبار ما العولمة، سلسلة عالم المعرفة الكويت (273).

٥- توماس ل. فريد مان، السيارة ليكساس وشجرة الزيتون، محاولة لفهم العولمة، ترجمة ليلي زيدان، مكتبة العبيكان، ط2، 2001م.

٦- العولمة والثقافة - حاتم بن عثمان - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط/1 1999م

٧- العولمة والثقافة - حاتم بن عثمان - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ط1/1999م.

٨- حسن قطامش - عولمة أم أمركة - مكتب الطيب القاهرة ط1/1999م.

٩- وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية الحسيني سلمان جاد: وكتاب الأمة الصادر في قطر، العدد (53).

١٠- إلغات وأخواتها - النظام الجديد لتجارة العالمية ومستقبل التنمية العربية، د. إبراهيم العيسوي: مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط2/1997م.

١١- د. بركات محمد مراد - ظاهرة العولمة رؤية نقدية، كتاب الأمة سلسلة دورية عن وزارة الأوقاف القطرية والشئون الإسلامية - قطر (العدد 86) ذو العقدة 1412هـ - السنة (21) ط /1 2001م.

١٢- د. برهان غليون - ثقافة العولمة، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 1999/م.

١٣- د. ماجد محمد شدود، العولمة مفهومها مظاهرها سبل التعامل معها، ط /1 1998م.

١٤- د. محسن الخضيري - العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللا دولة.

١٥- د. محمد علي حوات: العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، 2002م.

١٦- د. محمد مقدادي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2 / 2002م.

١٧- د. مصطفى عبد الغني - الجات والتبعية الثقافية مركز الحضارة العربية، القاهرة 1998م.

١٨- محمد يوسف: أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، دار الاعتصام، ط1 1975/م

١٩- د. سمير صارم - سلسلة قضايا الساعة - معركة سياتل - حرب من أجل الهيمنة، دار الفكر المعاصر، ط1/2000.

٢٠- د / حسن حنفي في - ما العولمة، عن دار الفكر دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1/1999م.

٢١- د / محسن الخضيري - العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللا دولة،.

٢٢- د. برهان غليون - ثقافة العولمة - دار الفكر دمشق ط1/1999.

٢٣- د. عمر عبيد حسنة: في تقديمه لكتاب الأمة - العدد 83 بعنوان التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة

٢٤- د. كمال عبد الغني المرسي - العلمانية والعولمة والأزهر - المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط 2، 2001م.

٢٥- د. محمد عابد الجابري - في قضايا في الفكر المعاصر - العولمة - صراع الحضارات... الخ عن مركز دراسات الوحدة العربية، ط1/1997م.

٢٦- د. أحمد القديري الإسلام وصراع الحضارات سل.

٢٧- د. ريتشارد هجوت - العولمة والأقلمة اتجاهان جديدان في السياسية العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط1/1998م.

٢٨- د. ريتشارد هيجوت - العولمة والأقلمة اتجاهات جديدة في السياسة العالمية، صادر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1 / 1998م.

٢٩- د. محمد حوات، العرب والعولمة شمولية الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1/2002م.

٣٠- د/نايف علي عبيد - العولمة والإقليمية مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1/2000م.

٣١- دوريس إيه جربير: سلطة وسائط الإعلام في السياسة، ترجمة أسعد أبو ليدة، دار التيسير، عمان الأردن، 1420هـ - 1999م.

٣٢- روبرت. د. كانتور السياسة الدولية المعاصرة ترجمة د. أحمد ظاهر مركز الكتب الأردني 1989م.

٣٣- روجيه غارودي - العولمة المزعومة الواقع الجذور - البدائل تعريب / محمد البسيطي.

٣٤- ريتشارد ينكسون رئيس الولايات المتحدة الأسبق - أمريكا والفرصة التاريخية - ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل سفير سوري سابق مكتبة نيسان ط1/1992م.

٣٥- زكي الميلاد، وتركي على الريعوا - الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1 / 1998م.

٣٦- سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ

٣٧- سيار الجمل، العولمة والمستقبل استراتيجية تفكير، الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1 / 2000م.

٣٨- السيد ياسين - العولمة والطريق الثالث، بيروت للنشر والتوزيع - القاهرة 1999م.

٣٩- شائف علي الحسيني / حديث العولمة وآفاق تطور اليمن / الآفاق للطباعة والنشر، ط 2001.

٤٠- عبد الإله بلقزيز - العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة بحث مقدم بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، عن كتاب العرب والعولمة.

٤١- عبد الحي زلوم: نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2 / 2000م.

٤٢- باتريك هرمان، العالم حسب بوش ميلاد النظام العالمي الجديد في القانون الدولي وسياسة المكيالين، تعريب د. أنور مغيث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1995م.

٤٣- عبد الله أحمد راشد في العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية - دار الحوار للنشر والتوزيع ط/1 1999م.

٤٤- محمد بن سعيد بن سهوايو زعرور - القات ومنظمة التجارة العالمية بين النظرية والتطبيق، دار البيارق، ط1، 1422هـ - 2001م

٤٥- فتحي يكن، ورامز طنبور - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط1 / 2000م

٤٦- فضل علي مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية.

٤٧- فضيل أبو النصر، الإنسان العالمي - العولمة والعالمية والنظام العالي العادل، مكتبة بيسان، ط /1 2001م.

٤٨- لجنة البحوث والدراسات الإسلامية: مهارات الفهم العالمي: العولمة عن طريق الإنترنت.

٤٩- مارك هاينز دانيال، عالم محفوف بالمخاطر، استراتيجيات الجيل القادم في عصر العولمة، تعريب أدهم شاكر عضيمة، مكتبة العبيكان 2002م.

٥٠- مجموعة من الباحثين والكتاب في: كتاب العرب والعولمة الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ط/2 ديسمبر 1998م.

٥١- مجموعة من الدكاترة عن كتاب الثقافة الإسلامية - مكتبة الإرشاد ط7/1999م

٥٢- محمد الأطرش العرب والعولمة ما العمل عن ورقة قدمت في مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية عن العرب والعولمة.

٥٣- محمد السماك / موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد دار النفائس ط1 1995م.

٥٤- محمد بن سعيد سهو أبو زعرور، العولمة ماهيتها نشأتها أهدافها، الخيار البديل، دار البيارق، ط1/1418هـ - 1998م

٥٥- محمد بن سعيد سهو زعرور – العولمة ماهيتها نشأتها أهدافها الخيار البديل، دار البيارق، ط 1.

٥٦- محمد شريف بشير – صندوق النقد الدولي أهدافه وسياساته – معهد الدراسات السياسية.

٥٧- محمد شريف بشير صندوق النقد الدولي أهدافه وسياسته.

٥٨- محمد قطب – المسلمون والعولمة – دار الشروق ط1421/1هـ – 2000م.

٥٩- محمود حمدي زقزوق: الإسلام في عصر العولمة، مكتبة الشروق، ط1، 1421هـ.

٦٠- مروان كجك – آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع مكتبة الكوثر الرياض ط1 1418هـ – 1997م

٦١- معهد الأمم المتحدة البحوث التنمية الاجتماعية UNRISD حالات فوضى – الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران أبو حجة مراجعة هشام عبدالله، دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط /1 1997م.

٦٢- ناصر بن سليمان السابعي البعد الثقافي لمفهوم العولمة،

٦٣- هانس بيتر مارتين، وهار الدشومان: فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية – ترجمة د. عدنان عباس – سلسلة عالم المعرفة (238) 1/1998م

٦٤- عبد الغفار شكر: العولمة والديمقراطية في الوطن العربي، عن مجلة الشاهد العدد (182) تشرين الأول تموز.

٦٥- هربرت شيلر ترجمة عبدالسلام رضوان، المتلاعبون بالعقول، سلسلة عالم المعرفة (243) ط 2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٦٦- د. يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة – مؤسسة الرسالة ط4/1979م.

٦٧- د. يوسف القرضاوي – ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق – دار الشروق ط/1 2000م.

٦٨- د. يوسف القرضاوي – المسلمون والعولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط 1 1421/هـ – 2000م..

سابعاً: المجلات:

١- د. محمد عبد الله الشيباني – العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري تصاديات الدول النامية ط1/1999م دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان.

٢- عبد الكريم بكار – نحن والعولمة – عن مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة المعارف المملكة العربية السعودية العدد (48) سنة 1420هـ ص90،

٣- د. سالم عبد الجبار عبد الرحمن – طوق العولمة – عن مجلة المنتدى اليمنية العدد(65).

٤- د/ عبد المالك التميمي ضمن ملف العولمة إلى أين والعرب وإعادة صياغة المفاهيم الكبرى عن مجلة أكديت العدد 189سنة1420هـ 1999م.

٥- إبراهيم التواتي – عن مجلة البصائر الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الأمام القائم العدد (25) السنة12ربيع 1422 هـ

٦- إحصاءات مستخرجة من تقرير منظمة اليونسكو عن مجلة الشاهد العدد (179 - 180) 7/2000م.

٧- أحمد أبو سجادة – مأساة هيئة الأمم المتحدة – البيان العدد (121).

٨- أحمد أبو سجادة مأساة هيئة الأمم المتحدة في ظل النظام العالمي الجديد. البيان العدد (121) رمضان 1418 هـ.

٩- أحمد الشهاب نحو تناول علمي لمفهوم العولمة عن مجلة الكلمة الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، قبرص، العدد (25) السنة (6) 1999م.

١٠- أحمد بلوافي الاستعمار الجديد (علاقة الصندوق بالدول النامية) عن مجلة السنة العدد (66) محرم 1418هـ أيار مايو 1997.

١١- أحمد بن راشد بن سعيد – استراتيجية التعامل مع ثقافة العولمة وإعلامها – عن المجتمع العدد (1460) 21/7/2001م.

١٢- أحمد ثابت في العولمة والخيارات المستقلة عن مجلة المستقبل العربي العدد (240) 2/1999م.

١٣- أحمد عبد الدائم - عولمة الرأسمالية ورأسمالية العولمة - البيان العدد (159) 2/2001م.

١٤- أحمد عبد الدائم أبو نصرة - الهجمة على العقيدة والنظام الاجتماعي في الإسلام - عن البيان العدد (161) 4/2001م.

١٥- أحمد عبد الفتاح - عولمة الفقر في مؤتمر الربيع - مقال في مجلة المجتمع العدد (1398) 1421هـ مايو 2000م عن مجلة السنة العدد 31.

١٦- أحمد عبدالدايم: عولمة الرأسمالية ورأسمالية العولمة، عن البيان العدد (159).

١٧- إدريس هاني: الثقافة الإسلامية والعولمة، مجلة الكلمة، العدد (22) السنة السادسة شتاء 1999م 1420/هـ.

١٨- إدريس هاني كيف يقرأ المثقفون العرب العولمة - عن مجلة الكلمة العدد 19 السنة الخامسة ربيع 1998م

١٩- أمين هويدى - اتفاقية غزة أريحا - مجلة العربي الكويتية العدد (425) 1994.

٢٠- أنور عشقي: الشياطين تختبي في التفاصيل ملف العولمة، عن مجلة المعرفة السعودية، العدد(48)ربيع أول 1410هـ.

٢١- ريما روتشيلد العولمة وعودة التأريخ، ترجمة غادة شويقة، مراجعة زكي خبير، عن مجلة الثقافة العالمية، العدد (103)

٢٢- برهان غليون - الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين - عن المستقبل العربي (232) 6/1998م.

٢٣- بشير زين العابدين: نقد الديمقراطية المعصرة في الفكر العربي، مجلة السنة، العدد (106).

٢٤- بول بروخ، ترجمة حسين ببوي المبادئ الاقتصادية الموسعة للعولمة من منظور تاريخي، الثقافة العالمية، العدد (104) الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 2001م.

٢٥- جمال سلطان - الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة - مقال ضمن مجلة البيان العدد (170).

٢٦- جمال سلطان: حوار في الديمقراطية، عن مجلة السنة الصادرة عن مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا، العدد (103) ذو الحجة 1421هـ.

٢٧- جوارن توريون العولمات والموجات التأريخية والمؤثرات الإقليمية وتوجيه الحكم المعياري، ترجمة، بدر الرفاعي عن مجلة الثقافة العالمية عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد (106)، السنة العاشرة، 2001م. عيسى الطيب طيبي: العولمة تمتد في فراغنا، عن مجلة الضياء، ذو الحجة 1419هـ.

٢٨- الحسن عصمة - العالم الإسلامي وتحديات العولمة - عن مجلة الكلمة العدد 19 ربيع 1998م.

٢٩- د. أحمد محمد العبسي: قراءة تقوية لمفهوم تصادم الحضارات، عن مجلة البيان، العدد، (71) 1/1993م.

٣٠- د. أحمد محمد علي الأمين الأسبق لرابطة العالم الإسلامي: العلاقة بين الرجل والمرأة تغالب أم تكامل، مجلة الأسرة.

٣١- د. محمد دياب: النظام العالمي الجديد سمات المرحلة الراهنة، عن مجلة العربي الكويتية العدد (433).

٣٢- د. محمد قدوح اللغة العالمية وإعادة التعريف مشكلة المصطلح عن الشاهد، مجلة شهرية، بيروت، العدد (179 - 180) تموز - آب (2000).

٣٣- د. منعم العماد: العولمة ودورها في تهميش النظام الإقليمي العربي، عن مجلة قضايا استراتيجية العدد (2) ربيع الأول 1421هـ يونيو 2000م.

٣٤- د. موسى أبو الريش في العولمة والمستقبل مخاطر وتحديات العولمة منهج وتأريخ، عن مجلة الكلمة نفس العدد السابق (103).

٣٥- د. أحمد بلوافي العرب وتحديات القرن الحادي والعشرين الحلقة الثالثة، عن مجلة السنة الصادرة عن مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام - بريطانيا العدد57 محرم سنة 1417هـ.

٣٦- د. إسماعيل صبري عبد الله - الكوكبة الرأسمالية في مرحلة ما بعد الإمبريالية عن مجلة المستقبل العربي - عدد (222)8/1997م.

٣٧- د. برهان غليون - الوطن العربي أمام تحديات القرن الـ21 تحديات كبيرة وهمم صغيرة - عن المستقبل العربي (232) 6/1998م

٣٨- د. طه أحمد الفسيل - استراتيجية البنك الدولي تجاه اليمن (1971 - 2001م) عن مجلة شؤون العصر السنة 6 العدد 7 محرم - ربيع أول 1423هـ - ابريل - يونيو 2002م.

٣٩- د. عبد العزيز بن عثمان التويجري - الهامي إلى مؤتمر المرأة 2000م - عن مجلة المجتمع العدد 1404هـ.

٤٠- د. قاسم المقدادي - العولمة إلى أين - ملف العولمة الثقافية في مجلة الكويت العدد 189، ربيع الأول 1420هـ - يوليو 1999م.

٤١- د. كانتور السياسة الدولية المعاصرة ترجمة د. أحمد ظاهر، مركز المكتب الأردني 1989م.

٤٢- د. لؤي هاني - العولمة والمشروع الحضاري الإسلامي الفرص والتحديات - عن مجلة الكلمة العدد (28) / 2000م.

٤٣- د. مالك بن إبراهيم الأحمد - العولمة في الإعلام - عن البيان العدد (148).

٤٤- د. محمد أمحزون - العولمة بين منظورين - عن مجلة البيان العدد (145).

٤٥- د. محمد طاهر حكيم هذه حقيقة مجلس الأمن نظرات في موافقة من قضايا المسلمين البيان العدد 82 نوفمبر 1994م جمادي الآخر 1415هـ.

٤٦- د. محمد عبد الله الشباني - الثقافة والذوبان - عن مجلة البيان العدد (71) 1/1/1994م.

٤٧- د. محمد عبد الله الشباني - العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري - عن البيان عدد (102).

٤٨- د. محمد بن عبد الله الشباني: السكان والتنمية من المنظور الإسلامي، مجلة البيان، العدد (85) فبراير 1995م؟

٤٩- د. مصطفى حلمي، د. جمال عمر الهادي، د. الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم - في ندوة عن هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق - عن البيان العدد (128) 8/1998م.

٥٠- د. مصطفى عدوي - أزمة الثقافة العربية في ظل العولمة.. عن مجلة الكلمة العدد(25) خريف 1999م.

٥١- أحمد بالوافي - الاستعمار الجديد - عن مجلة السنة العدد(65) 1417هـ 1997م.

٥٢- د. خلاف الشاذلي - آفاق التنمية العربية وتداعيات العولمة المعاصرة على مشارف الألفية الثالثة - ضمن مجلة شؤون عربية.

٥٣- د. مصطفى عمر النير: آراء حول المحافظة على الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، عن مجلة شؤون عربية العدد(105).

٥٤- د. موسى أبو الريش، العولمة والمستقبل مخاطر وتحديات عن مجلة الكلمة الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث العدد 25 خريف 1999م.

٥٥- رعد كمال الحيالي - العولمة وخيارات المواجهة - عن مجلة النور اليمنية العدد (101) جمادي الأول 1420هـ

٥٦- رعد كمال الحيالي: العولمة وخيارات المواجهة، عن منار الإسلام، العدد (388) السنة التاسعة والعشرون.

٥٧- رعد كمال الحيالي صدام الحضارات المقدمات والنتائج عن مجلة النور اليمنية العدد(125) رمضان 1422هـ.

٥٨- زكي الميلاد والفكر الإسلامي عن الكلمة العدد (20) سنة 1998م.

٥٩- سامي محمد صالح الدلال: إشكاليات مفهوم الديمقراطية، عن البيان، العدد (90).

٦٠- سامي محمد صالح الدلال: إشكالية مفهوم الديمقراطية من خلال مدارسها، عن البيان (104).

٦١- السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك. المستقبل العربي (256) 6/2000م.

٦٢- السيد محمود الموسوي - العولمة المجتمع والتحديات الجديدة وبرنامج المهام، مجلة البصائر، العدد 25، 12ربيع 1422هـ.

٦٣- الصادق رابح - وسائل الإعلام والعولمة - عن المستقبل العربي العدد (243) 5/1999م.

٦٤- طه العامري / دور الدولة في ظل العولمة عن مجلة الموقف اليمنية العدد (18) يوليو (2001م) عن المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار صنعاء.

٦٥- عادل عبد الحميد علي - العولمة وآثارها على العالم الثالث - عن مجلة الثوابت تعنى بقضايا الفكر والثقافة والتنمية والسياسة - صادرة عن المؤتمر الشعبي العام (اليمن) العدد (19) يناير - مارس 2000م.

٦٦- عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة بين الاختيار والرفض - عن المستقبل العربي (275) 1/2002.

٦٧- عبد الخالق عبد الله - عولمة السياسة والعولمة السياسية - عن المستقبل العربي العدد (278) 4/2002م.

٦٨- عبد الرحمن سعيد - تحدي العولمة - عن مجلة السنة العدد (86) يونيو 1999م.

٦٩- عبد العزيز الكامل - الأمم المتحدة.. علينا.. عبد العزيز كامل البيان العدد (96).

٧٠- عبد العزيز الكامل - الحكومية العالمية، عن البيان، (103).

٧١- عبد العزيز كامل، الأمم المتحدة والأمم غير المتحدة، عن البيان، العدد (95).

٧٢- عبد الله العبيد أمين عام رابطة العالم الإسلامي - رسالة موجهة إلى مؤتمر المرأة (2000م) - عن مجلة المجتمع العدد (1404) 12/6/2000م.

٧٣- عبدالجليل كاظم الوالي: جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، عن مجلة المستقبل العربي (275) 1/2000.

٧٤- عثمان جمعة ضميرة آمال المسلمين والمنظمات الدولية البيان العدد (86) شوال 1415هـ.

٧٥- عرفات تقي الحسن: الاقتصاد العربي في وداع القرن الـ 20 واقع العولمة أم حلم التكامل – عن مجلة قضايا استراتيجية، العدد (3) جماد الآخر 1421هـ أيلول/ سبتمبر 2000م.

٧٦- عرفات تقي الحسني – الاقتصاد العربي في وداع القرن العشرين – عن مجلة قضايا استراتيجية الصادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية العدد (3) أيلول/ سبتمبر 2000م.

٧٧- علي مبروك – صدام القداسات، عن مجلة سطور الصادرة في مصر عن مؤسسة الأهرام العدد (42) 5/2000م.

٧٨- عماد الدين خليل – العولمة عودة إلى الاستعمارات العتيقة بثياب جديدة – النور العدد(104) شعبان 1402هـ.

٧٩- المؤتمر الدولي المعني بالسكان في المكسيك 1984م عن البيان 130.

٨٠- وثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة في بكين 1995م عن البيان العدد 130

٨١- المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية المنعقد في البرازيل عام 1992م عن البيان 170

٨٢- المؤتمر العالمي الأول للسكان في رومانيا عام 1974م.

٨٣- مؤتمر القمة العالمي المنعقد في نيويورك 19العولمة، مجلة الحكمة الصادرة عن منتدى الحكمة للدراسات والأبحاث، بيروت لبنان، العدد (19) السنة الخامسة ربيع 1998م / 1419هـ.

٨٤- مها دياب – تهديدات العولمة للوطن العربي – عن المستقبل العربي (276) 2/2002م.

٨٥- المهندس ناصر عبده وحان: أساليب السياسة الأمريكية لتغيير الأنظمة، مجلة المنتدى اليمنية، العدد (71) 2002/م.

٨٦- موضوع المرأة المسلمة والمؤتمرات الدولية عن مجلة الأسرة السعودية العدد (91) شوال 1420هـ.

٨٧- ناصر محمد علي الطويل – انعكاسات العولمة على مستقبل السيادة الوطنية – اليمن أنموذجاً مقال في مجلة شؤون العصر عن المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية يناير – مارس 2002م.

٨٨- نبيل شبيب – المؤتمرات الدولية والخطوط الحمر وصراع القيم – عن مجلة المجتمع العدد (1411) 1/8/2000م.

٨٩- نبيه عبد القدوس الأنصاري – الثقافة والمثقف في ظل العولمة – مجلة الكلمة العدد (20).

٩٠- هشام العياج عن المستقبل العربي العدد (247).

٩١- حبني هوب دراسة جديدة تؤكد نتائج التعرض لعنف يزيد العدوانية، ترجمة أحمد أبو زيد محمد عن مجلة المعرفة العدد (97) يونيو 2003/م

٩٢- عبد الرحمن سعد موضوع تحت عنوان (مؤتمر الإفساد الكبير) في نيويورك تحت شعار "المرأة 2000" عن مؤتمر نظمته الأمم المتحدة تحت عنوان (الجيندر التنمية المساواة والسلام في القرن الـ 21) عن مجلة المجتمع العدد (1402) 20/5/2000م.

ثامناً: تقارير وبحوث وإنترنت:

١- د. برهان غليون من شبكة الإنترنت http://www.sis.gov.eglchildl

٢- مرتضى معاش: العولمة رؤى ومخاطر، عن مجلة النبأ، العدد (35) السنة الخامسة ربيع الثاني 1420هـ، المجلة عن طريق الإنترنت، Mortaela@ahhabaa.org

٣- د. عمار جيدل العولمة الجبرية الجديدة عن مجلة بيت الحكمة عن طريق الإنترنت/ hikma:www.Uruklnk.net

٤- فرحان البجم ورفيق درهم: دراسة منشورة: شبكات الإنترنت في العالم متابعات إعلامية، العدد (58) 1 – 2/1998م.

٥- د. محمد محمود الإمام – الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومفرزاتها بالنسبة للوطن العربي – بحث ضمن كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي – عن مركز البحوث العربية – الجمعية العربية لعلم الاجتماع – مكتبة مدبولي 1999م ص73 وما بعدها.

٦- التقرير السنوي للصحوة حصاد عام اليمن (2002) ملف كامل حول الحقوق والحريات.

٧- تقرير عن وضع حقوق الإنسان في اليمن، لعام 2001م الصادر عن مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل، 4 مارس 2002م، عن وزارة الخارجية الأمريكية.

٨- تقرير وضع المرأة اليمنية بعد مؤتمر بيجن (المحدث) سبتمبر 2001م، عن المجلس الأعلى لشؤون المرأة، اللجنة الوطنية لشؤون للمرأة، وانظر: الاستراتيجية السكانية، 2001 – 2002م.

٩- تقرير وضع المرأة اليمنية بعد مؤتمر بيجن (المحدث).

١٠- المؤتمر اليمني النسائي لمناهضة العنف ضد المرأة صنعاء – مركز مساندة قضايا المرأة 3 – 5 ديسمبر 1999م

١١- ملخص عن دراسة مساهمة المرأة في الوزارات (صندوق الأمم المتحدة للسكان) عن مجلة حقوقنا اليمنية الصادرة عن مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان العدد (15) 4 إبريل سنة 2003م

١٢- بول سالم – الولايات المتحدة والعولمة معالم الهيمنة في مطلع القرن الـ21 عن العرب والعولمة.

١٣- انظر عبد الإله بلفزيز: العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بحث العرب والعولمة.

١٤- مقال عن عولمة الاستثمار التجاري في مصر عن مجلة المجتمع الكويتية العدد (1399) 9/5/2000م وما بعدها.

١٥- رمضان عبد الله النظام الدولي تحولات الاقتصاد العالمي مركز دراسات العالم عن تقرير حولي عن الشؤون السياسية والاقتصادية والإسلامية مركز الدراسات الحضارية 1414هـ - 93 - 94م.

١٦- التقرير الاستراتيجي اليمني الصادر عن المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية 2002م.

تاسعاً: أوراق شهرية:

١- د. نورية علي حمد، أستاذ علم الاجتماع بجامعة صنعاء، صادر عن المجلس الوطني للسكان، الأمانة العامة (صنعاء) الإدارة العامة للتخطيط وتنمية الموارد، إدارة المرأة والنوع الاجتماعي.

٢- أحمد على الأحصب رؤية مستقبلية للنشاط المدني في مجال حقوق الإنسان، - المدير التنفيذي للمنظمة اليمنية لحقوق الإنسان، أستاذ بقسم العلوم السياسية، جامعة صنعاء.

٣- د. عادل الشرجبي: العنف وثقافة المجتمع اليمني: ورقة عمل قدمت للندوة حول العنف ضد النساء وخصوصيته في الثقافة اليمنية صنعاء 22 - 24 سبتمبر 2001م.

٤- د. رسلان خضور، د/ سمير إبراهيم حسن - مستقبل العولمة - عن قضايا راهنة سلسلة أوراق شهرية صادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية العدد (7) تموز / يونيو 1998م.

٥- محمد معمر عبد الوهاب: العولمة والهوية الثقافية في اليمن - أوراق يمانية، عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية سوريا - العدد (16) أكتوبر 2001م.

٦- سعاد عثمان عبدالرحيم الخصصة والمرأة العامة سلسلة أوراق يمانية العدد (11) صادر عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.

٧- ورقة مقدمة إلى المؤتمر اليمني الثاني لمناهضة العنف ضد المرأة، عن مركز مساندة قضايا المرأة، 4، 5/11/1999م.

٨- د. علي محمد النصيري: ورقة مقدمة إلى المؤتمر اليمني الثاني لمناهضة العنف ضد المرأة، عن مركز مساندة قضايا المرأة، 4، 5/11/1999م.

٩- عثمان ناصر علي: الوحدة والسياسة الخارجية للجمهورية اليمنية، سلسلة أوراق يمانية صادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، العدد (14) مايو 2001 م.

١٠- د. يحيى صالح محسن: اليمن إلى أين أرقام ومؤشرات، سلسلة أوراق يمانية الصادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، العدد (7) ديسمبر 1999م.

عاشراً: الصحف:

١- د. أحمد عبدالله عبد القهار الصلاحي: المرأة والصحة الإنجابية ورقة عمل قدمت لندوة مكون المرأة في السياسة السكانية، 15 - 17أكتبور 2001م.

٢- د. محمد عبدالجبار سلام: دور العدالة والإنصاف وتمكين المرأة، صادر عن المجلس الوطني للسكان الأمانة العامة للتخطيط وتنمية الموارد إدارة المرأة والنوع الاجتماعي.

٣- د. علي الفقية - المستقبل العربي والعولمة عن صحيفة الثورة اليمنية - السبت رمضان 1420هـ.

٤- عن الصحف العربية 17، 18/3/1996م.

٥- عن صحيفة القبس 21/8/1999م.

٦- عن هشام سعيد شمسان - مجلة الثورة الملحق الثقافي - بتاريخ 25/3/2002م.

٧- علي الفقيه صراع من أجل الحرية ولد إرثاً صدامياً عن الملحق الثقافي لجريدة الثورة اليمنية العدد (13746 تاريخ 1/6/2001.

٨- عبد الفتاح البتول الحوار في عالم الصراع الملحق الثقافي العدد (13648).

٩- جريدة الخليج الإمارات العدد (7628) 7/4/2000م.

١٠- د. عواطف عبد الرحمن في محاضرتها (الإعلام والعولمة في القرن 21) التي القتها بجامعة عجمان فرع العين عن جريدة الاتحاد الإمارات العدد (9003) 28/2/200م.

١١- العولمة والثقافة الشعبية، الملحق الثقافي لصحيفة الثورة اليمنية العدد (12445) 3/9/2001.

١٢- مصطفى نصر الشرعبي: نحو تنسيق مشترك لمواجهة تحديات العولمة، عن جريدة الصحوة اليمنية العدد (688) الخميس جماد الأولى 1420هـ.

١٣- الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان الصادرة عن الأمم المتحدة، نيويورك 1995م.

* * * * *

الفهــرس

*****